

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

ثم أما بعد :

فلقد جاء الرسول ﷺ على فترة من الرسل بنور وكتاب مبين ، فأقام دولة وأسس أمة وربي رجالاً بذلوا أرواحهم في سبيل الله . من أجل رفعة دينه فرحة الله عليهم من سلف صالح والله در من تبعهم من خلف . أولئك الذين رفعوا لواء الإسلام وكان دين الواحد منهم لحمه ودمه ؛ بل أغلى عنده من نفسه ، فوقف يدافع عنه ضد الهجمات التي يشنها أعداء الإسلام ، ولازالوا يناصبونه العداة .

فمن يا تُرى وراء تلك الهجمات ؟ إنهم اليهود والنصارى على حد سواء في القديم والحديث وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١) .

فاليهود إذن أشد حقدًا على الإسلام والمسلمين ، لأن النبوة الخاتمة لم تأت من نسل يعقوب الأعجمي ، كما كانوا يريدون ، ولكنها أتت من نسل إسماعيل العربي ، وتلك هي البداية التي دفعتهم لتحريف كل كلمة تشير إلى العرب وأفضليتهم أو إلى النبي الخاتم ﷺ الذي عرفوا صفته من كتبهم كما يعرفون أبناءهم فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) فحرفوا ما يدل عليه من كلمات وبشارات وزيفوا التاريخ وبدلوا الحقائق على هذا الأساس .

وعند تتبع تاريخ بني إسرائيل وموقفهم من الإسلام يقف الباحث على حقيقة هامة وهي : أنه قد آمن منهم من آمن عن طوعية واختيار ، ورغبة في العدل والحق والخير ، وكانت سماعة الإسلام السبب المباشر في إسلامهم ، وبقي من بقي منهم على يهوديته أو نصرانيته عصبية وحقدًا على المسلمين .

(١) سورة البقرة : الآية : (١٢٠)

(٣) سورة البقرة : الآية (١٤٦) .

فهؤلاء الذين أصرروا على كفرهم وعتادهم استمرعوا تحريف ما بين أيديهم من كتب على مر العصور ، وقد بين ذلك القرآن الكريم . فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

وقد شهد الرسول ﷺ حادثة تدل على أنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه وهي حادثة الرجل اليهودي الذي أخفى آية الرجم من التوراة بيديه حتى لا يطبق حد الرجم على من أخطأ ، فقد جاء في الحديث : " أتى رسول الله بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً ، فقال لهم : ما تجدون في كتابكم ؟ قالوا إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتحبيه ، قال عبد الله بن سلام (٢) ادعهم يا رسول الله بالتوراة ، فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له ابن سلام : ارفع يدك فإذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول الله فرجما " (٣) .

وتوالى الأحداث وكلما مر عهد حرف اليهود والنصارى وغيروا وبدلوا وزادوا وأنقصوا ، وكلما طبع من كتبهم نسخة تكون غير النسخة الأولى التي قبلها لما يراه رجال دينهم ومجامعهم المقدسة - في زعمهم - من حذف كلمة أو زيادة أخرى أو تبديل كلمة مكان كلمة وغير ذلك . ورغم ذلك يدعون صحة كتبهم وأنها من عند الله ، وليس ذلك فحسب ، بل وجهوا نقدهم للإسلام ورسوله وكتابه وأثاروا حوله الشبه والشكوك ، ولكن الله ﷻ حافظ كتابه من التبديل والتغيير فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مَنْ حَكِمٍ حَمِيدٌ ﴾ (٤) وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٥) .

(١) سورة المائدة : الآية : (١٣) .

(٢) هو : عبد الله بن سلام بن الجارث ، أبو يوسف من ذرية يوسف عليه السلام ، حليف النوافل من الخزرج الإسرائيلي الأنصاري ، كان حليفاً لهم وكان من بني قينقاع ، كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ إلى عبد الله ، وكان يهودياً فأسلم ، مات سنة ٤٣ هجرية (انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٠٨/٦ - ١١٠ ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المحاريب ، باب الرجم في البلاط ١٧٧/٤ ط / دار إحياء الكتب العربية ، الحلبي ، والتحميم هو تسويد الوجه بالفضح ، والتحبيه أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشد عليه (النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير : ٣٣٥/١ ، ٤٤٤ ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت) .

(٤) سورة فصلت : الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

(٥) سورة الحجر : الآية (٩) .

فهياً الله ﷻ لدينه من يدافع عنه وكان من العلماء من تصدي لهذه الشبه - فترة البحث - فرد عليها وبين بطلانها ، من هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والإمام الألوسي وغيرهم . ومن العلماء من جعل اليهود والنصارى ينشغلون بأنفسهم وبما تحت أيديهم من كتب لا سند لها ومشكوك في صحة نسبتها إلى كاتبها فوجه نقده إليها بموضوعية وحيدة تامة ونزاهة واضحة ، من هؤلاء العلماء العلامة رحمة الله الهندي والعلامة أحمد ديدات والعلامة الباجه جي زادة البغدادي وغيرهم ممن يمثلون علامات بارزة في تاريخ أمتنا الإسلامية - فترة البحث - أولئك الذين اهتموا بدراسة الكتاب المقدس سنداً ومنتناً وبيان مكانته من الصحة أو عدمها وكان لكل واحد من هؤلاء منهجه وأسلوبه المتميز في النقد ، ويجمعهم منهج مشترك ووجهة واحدة تجعلهم في خندق واحد أمام الحروب الفكرية التي يتزعمها اليهود والنصارى .

سبب اختياري لهذا الموضوع :

إبراز جهود أعلام الفكر الإسلامي في نقد الكتاب المقدس ، وذلك اعترافاً بفضلهم وإشادة بجهودهم ، وتعريف المسلمين - لاسيما الباحثين منهم - قدر هؤلاء العلماء والقيمة العلمية لمؤلفاتهم في هذا الجانب .

نبذة عن الدراسة السابقة على موضوع البحث .

هناك دراسة سابقة على هذا الموضوع في جامعة الأزهر فرع المنصورة وهي رسالة الدكتوراه الخاصة بالدكتور ياسر أبو شبانه الرشيدى وتحمل العنوان التالي : جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن السابع الهجري "عرض ونقد"

١- وقد تحدث فيها أولا عن حديث القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل وأثره في الحركة النقدية مبينا أن القرآن الكريم هو النبع الصافي الذي استقى منه المسلمون الأوائل أصول علومهم ومبادئ معارفهم ، من هذه العلوم والمعارف علم مقارنة الأديان ، إذا أنه لم يسهم عالم مسلم بنصيب في هذا المجال إلا وكان القرآن الكريم دافعه الأول ومحركه الأساسي لإنجاز دراسته .

٢- بين في دراسته المنهج القرآني في مخاطبة أهل الكتاب وكيف تدرج القرآن الكريم في ذلك على مرحلتين .

أ - المرحلة المكية

وقد اتسمت هذه المرحلة بالحديث عن الكتب السابقة وبيان مضمونها ، والغاية من إنزالها ، وذكر البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيها ، وبين موقف أهل الكتاب مما أنزله الله عليهم ، وأنهم قد انخرفوا وحادوا عن الصراط المستقيم ، وقد بين القرآن في هذه المرحلة أن الكتب السماوية كلها تنبثق عن أصل واحد ، وأن هذه الكتب دليل على صدق القرآن الكريم وصحة النبوة الخاتمة كل ذلك على سبيل الإجمال .

ب - المرحلة المدنية

وفيها تم تفصيل ما أجهل في المرحلة المكية ، وخاصة قضية التحريف بأنواعه المختلفة ومن أبرز سمات القرآن فيها أنها تبين سوء مسلك أهل الكتاب مع كتاب الله المنزل إليهم كفروا به ونبدوه وراء ظهورهم .

٣- تحدث عن أهم المؤلفات في نقد الكتاب المقدس وقسمها إلى مرحلتين :

الأولى : بعض المؤلفات من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري وتتميز هذه المرحلة بسيطرة النزعة العقلية على هذه المؤلفات وأرجع ذلك إلى الخلفية الفكرية لأصحابها وقد استوعب في هذه المرحلة بعض المؤلفات بالعرض والتحليل .

الثانية : بعض المؤلفات من القرن الخامس حتى نهاية القرن السابع وقد بين أن هذه المرحلة قد شهدت تحولاً كبيراً في منهج علماء المسلمين في مجادلة أهل الكتاب ، وقال إن أبرز سمات هذه المرحلة الاتجاه إلى مناقشة ونقد ما يراه القوم كتاباً مقدساً ومن ثم خفت إلى حد كبير نزعة الجدل والحوار الفلسفي والمنطق الجاف وسيطر على هذه المؤلفات تحليل النصوص والموازنة بينها ونقلها نقداً علمياً سديداً .

٤- خصص فصلاً لنقد متن العهد القديم وسنده تحدث فيه عن التناقض بين النصوص وبين وقوع كسبة العهد القديم في أخطاء حسابية فادحة ، وناقش النصوص التي تتناقض مع جلال الألوهية وعظمة الربوبية ، والنصوص التي تقدر في عظمة الأنبياء وتحدث عن النسخ في نصوص العهد القديم والتشريعات وغير ذلك من تفريعات أخرى .

٥- ثم ذكر بعد ذلك كيف نقد علماء المسلمين سند الكتاب المقدس والأدوار التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل وكيف كانت سبباً في ضياع التوراة والإنجيل الأصليين ومن ثم فقدان السند كل ذلك من خلال نصوص الكتاب المقدس .

٦- ثم خصص فصلاً آخر لنقد متن العهد الجديد وسنده ، وسار فيه على نهج ما سار في نقد العهد القديم مينا كيف نقض علماء المسلمين عقائد النصارى في المسيح عليه السلام وأن العهد الجديد يحمل البشارة به صلى الله عليه وسلم .

٧- ثم ذكر بعد ذلك كيف نقد علماء المسلمين سند العهد الجديد من خلال كسبة أسفاره والجانب التاريخي في نقد السند وبين أثر الاضطهادات في فقدان الإنجيل المتزل من عند الله عز وجل .

٨- وفي هذه نهاية الدراسة القيمة بين د / ياسر أبو شبانه أهم الجوانب الإيجابية والسلبية للحركة النقدية ووضع منهجاً موضوعياً مقترحاً للدراسات من هذا النوع يتمثل في أهمية العمل الجماعي في إخراج أبحاث متكاملة مع التأكيد على تنوع التخصصات في فريق العمل واستخدام مجالات نقدية جديدة لا تقتصر على العلوم الشرعية فقط بل تمتد إلى التاريخ والجغرافيا والأرصاد الجوية والطب وما يتصل به ، والعلوم المتصلة بالسكان وتطوير المجتمعات البشرية .

خطة البحث :

وتشتمل على مقدمة وتمهيد ومدخل وقسمين وخاتمة . فالمقدمة سبق الإشارة إليها في الصفحات السابقة ، والتمهيد يشتمل على المطالب التالية :

- المطلب الأول : مسيرة الحركة النقدية للكتاب المقدس .
- المطلب الثاني : العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد .
- المطلب الثالث : دوافع الدراسة النقدية للكتاب المقدس .
- المطلب الرابع : موقف الإسلام من التوراة والإنجيل .

القسم الأول

عرض محتويات الكتاب المقدس ونقد سنده

ويشتمل هذا القسم على : **با بين** :

★ **الباب الأول** : وعنوانه : نماذج من الجهود النقدية وعرض محتويات الكتاب المقدس .

ويتناول بيان ما يلي :

أولاً : الجهود النقدية للكتاب المقدس

ثانياً : الكتاب المقدس وعرض محتوياته .

الباب الثاني وعنوانه : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد سند الكتاب المقدس

. ويشتمل هذا الباب على فصلين :

● **الفصل الأول** : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد سند العهد القديم .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول** : نقد سند الأسفار الخمسة من العهد القديم .
- **المبحث الثاني** : نقد سند الأسفار الأخرى من العهد القديم .
- **المبحث الثالث** : نظرة تاريخية حول العهد القديم .

الفصل الثاني

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد سند العهد الجديد

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : نقد سند الأناجيل الأربعة " متي ، مرقس ، لوقا ، يوحنا " .
- المبحث الثاني : نقد سند الأسفار الأخرى من العهد الجديد .
- المبحث الثالث : نظرة تاريخية حول العهد الجديد .

القسم الثاني

نقد متن الكتاب المقدس

ويشتمل هذا القسم على باين :

* الباب الأول : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد متن العهد القديم .

ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

- الفصل الأول : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد العقائد في العهد القديم .

ويشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث :

- المبحث الأول : نقد أنواع التوحيد في العهد القديم .
- المبحث الثاني : نقد عقيدة الإيمان بالملائكة ووجود الجن في العهد القديم .
- المبحث الثالث : نقد موقف العهد القديم من الكتب المقدسة .
- المبحث الرابع : نقد عقيدة الإيمان بالنبوة والأنبياء في العهد القديم .
- المبحث الخامس : نقد عقيدة الإيمان باليوم الآخر في العهد القديم .
- المبحث السادس : نقد عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في العهد القديم .
- المبحث السابع : نقد عقيدة أرض الميعاد في العهد القديم .

- الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد التشريعات في العهد القديم .

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث :

- المبحث الأول : نقد التشريعات الخاصة بالطهارة والنجاسة في العهد القديم .
- المبحث الثاني : نقد التشريعات الخاصة بالكهنة والقرايين في العهد القديم .

- المبحث الثالث: نقد التشريعات الخاصة بالأسرة والزواج في العهد القديم .
- المبحث الرابع: نقد التشريعات الخاصة بغير اليهود في العهد القديم .
- المبحث الخامس: نقد التشريعات الخاصة بالجرائم والعقوبات في العهد القديم .

• الفصل الثالث: جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد السلوكيات الأخلاقية في العهد القديم . ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث :

- المبحث الأول: نقد المادية في أخلاق اليهود في العهد القديم .
- المبحث الثاني: نقد العدوانية في أخلاق اليهود في العهد القديم .
- المبحث الثالث: نقد الانحلال الخلقي في العهد القديم .
- المبحث الرابع: نقد الغدر والخيانة في العهد القديم .
- المبحث الخامس: نقد الكذب والسرقة في العهد القديم .

الباب الثاني

نقد متن العهد الجديد

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

□ الفصل الأول: جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد العقائد في العهد الجديد ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث :

- المبحث الأول: نقض عقيدة ألوهية المسيح في العهد الجديد .
- المبحث الثاني: نقض عقيدة بنوة المسيح في العهد الجديد .
- المبحث الثالث: نقض عقيدة ألوهية الروح القدس في العهد الجديد .
- المبحث الرابع: نقض عقيدة التثليث في العهد الجديد .

- المبحث الخامس :نقض عقيدة الحلول والاتحاد في العهد الجديد .
- المبحث السادس :نقض عقيدة الصلب والفداء في العهد الجديد .
- الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد الشرائع والعبادات والأخلاق في العهد الجديد .

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين :

- المبحث الأول : نقد الشرائع والعبادات في العهد الجديد ..
- المبحث الثاني : نقد الأخلاق في العهد الجديد .

الخاتمة :

ذكرت فيها النتائج التي أسفر عنها البحث وتوصيات الباحث .

طريقة جمع المادة العلمية :

في جمعي للمادة العلمية التي تكون منها البحث اتبعت ما يلي :

- ١- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها والأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية .
- ٢- قمت بتعريف الأعلام الذين وجدت لهم سيرة ذاتية في كتب التراجم وغيرها وكذا الأماكن والبلدان من المصادر المعتمدة .
- ٣- طريقة العزو إلى المصادر ، أقوم بذكر المصدر ثم المؤلف ورقم الصفحة ورقم الجزء والصفحة إن كان المصدر له أكثر من جزء ثم الطبعة ورقمها وتاريخها إن وجد .
- ٤- بينت معاني معظم الألفاظ الغريبة أو الأعجمية التي وردت في البحث .

٥- خرجت نصوص الكتاب المقدس فذكرت اسم السفر ثم رقم الإصحاح ورقم الفقرات فيه ثم عنوان الإصحاح .

٦- عندما يذكر أحد المؤلفين نصاً من نسخة قديمة للكتاب المقدس فإذا كان مطابقاً للنسخة البروتستانتية التي بين يديّ أذكر اسم السفر مباشرة وإذا لم يكن موجوداً بالنص ولكن وجد بالمعنى أو بالألفاظ متقاربة أو متغيرة أو محرفة أقول قبل كتابة اسم السفر انظر : ثم أذكر اسم السفر والنص من النسخة التي اعتمدت عليها غالباً .

٧- عالجت القضايا التي تناولها البحث معالجة علمية بالأدلة العقلية والنقلية وسرت مع ما ذكره علماء المسلمين من آراء نقدية مسترشداً بذلك في الحكم على القضايا التي تناولها البحث بالنقد والتحليل .

منهج البحث :

استخدمت في إعداد البحث المناهج التالية :

١- المنهج الاستنباطي ^(١) كأداة أساسية لربط المقدمات بالنتائج عن طريق التأمل والملاحظة لاستخلاص الحكم النهائي من الأدلة التي أستشهد بها في كل قضية من قضايا البحث .

٢- المنهج الاستقرائي ^(٢) كأداة أساسية لتتبع الجزئيات في القضية الواحدة من جميع مطالب البحث للوصول إلى رؤية شاملة وعامة عنها .

٣- المنهج التاريخي ^(٣) كأداة لربط النصوص ببعضها عند استرجاع أحداثها ومعرفة مدى توفر الشروط اللازمة في توثيق هذه النصوص ومدى صحة نسبتها إلى قائلها ومعرفة زمن كتابتها وأيضاً التسلسل التاريخي للأحداث .

(١) هو : الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج أو بين الأشياء وعللها ، على أساس المنطق والتأمل الذهني ، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات (انظر : البحث العلمي مناهجه وتقنياته : د/ محمد زيان عمر ، ص ٣٢ ، ط/ جدة بالسعودية ، ١٣٩٤ هـ) .

(٢) هو : الذي يبدأ بالجزئيات ليصل منها إلى قوانين عامة ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٣) هو : الذي يعنى بفهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية ، ويعتمد في ذلك على الوثائق ونقدها (انظر : محاضرات في البحث الأدبي : د/ فاطمة المرسى جوهر ، ص ٤٨ ، طبعة ١٩٩٦ م .

التمهيد

ويشتمل على المطالب التالية :

- المطلب الأول : مسيرة الحركة النقدية للكتاب المقدس .
- المطلب الثاني : العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد .
- المطلب الثالث : دوافع الدراسة النقدية للكتاب المقدس .
- المطلب الرابع : موقف الإسلام من التوراة والإنجيل .

المطلب الأول

مسيرة الحركة النقدية للكتاب المقدس

إن الجذور التاريخية لنقد الكتاب المقدس ، تمتد إلى عمق الزمن ، حيث مدرسة الإسكندرية الفلسفية ، التي دخلت في صراع فكري مع اليهود ، حول العلاقة بين العقل والنقل ، وأيهما يسبق الآخر (١).

وعندما تتبع هذه المسيرة في مؤلفات علماء المسلمين ، وجدت الفضل فيها أولاً ، يرجع إلى علماء الغرب ، في القرن التاسع الميلادي ، حيث بدأ نقد العهد القديم ، على يد المؤلف اليهودي " حيوي البلخي " ، وقد ظهرت بعده مؤلفات متفرقة هنا وهناك (٢) .

ثم نشطت حركة النقد ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي ، وقام القسيس الفرنسي " ريتشارد سيمون " ووضع كتاباً موجهاً إلى " اسينوزا " (٣) نقد فيه الكتاب المقدس نقداً عنيفاً ، ثم قدم اسينوزا نقده الشامل في كتابه " رسالة في اللاهوت والسياسة " ، وفي القرن الثامن عشر ، حمل لواء النقد فولتير (٤) .

وبعد هذه الفترة ، توالى علماء الغرب في نقد الكتاب المقدس ، حيث أخضعوه للدراسات النقدية ، وتوالى العصور ودام الصراع بين الكنيسة والمحتجين عليها الخارجين على أحكامها ، وكثرت المؤلفات النقدية الغربية للكتاب المقدس .

(١) انظر : النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة : د/ سيد عبد التواب ، ص ٢٠٩ ، ط/ دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٢ م .

(٢) انظر : اليهود واليهودية والصهيونية ، د/ عبد الوهاب المسيري ، ١٠١/٥-١٠٢ ، ط/ دار الشروق ، ١٩٦٨ م .

(٣) هو : فيلسوف هولندي ، ولد سنة ١٦٣٢ م طرده الجالية اليهودية بأمر من مستردام من مجمع اليهود ، من مؤلفاته البحث اللاهوتي السياسي ، ت ١٦٧٧ م ، (انظر الموسوعة الفلسفية ، م روزنتال ، ي يودين ، ت سمير كرم ، ص ٢٤٢ ، ط/ دار الطليعة بيروت ، ط/ ٢ ، ١٩٨٠ م) .

(٤) فولتير : كاتب فرنسي ، وفيلسوف ومؤرخ ، أحد زعماء حركة التنوير الفرنسية ، تعلم في الكلية اليسوعية ، ولد سنة ١٦٩٤ م ، وتوفي سنة ١٧٧٨ م ، (انظر : المرجع السابق ، ص ٣٥٧-٣٥٨) .

هذا .. وفي أثناء هذه الحركة النقدية ، وبعد أن جاء الإسلام ، وعرف المسلمون كيف حرف اليهود والنصارى ، ما بين أيديهم من كتب ، عن طريق ما ورد في القرآن الكريم ، حيث يخبر رب العزة سبحانه وتعالى عن وجود التحريف في التوراة والإنجيل في آيات كثيرة ، منها : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

وفتح باب الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب ، وكان للجدل الديني أهميته القصوى في العلاقة بينهم ، وذلك من أجل مد جذور التواصل **لطريق الهداية** إلى الإسلام ، وقد وضعت الأسس الإسلامية لهذا الجدل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَنَا وَالْهَكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

فلما جاء عصر التدوين ، في منتصف القرن الثاني الهجري ، وبدأ المسلمون يكتبون في الفقه والتفسير والحديث ، واليهودية والنصرانية ، وغير ذلك ، نشطت الحركة النقدية بعد ذلك على يد عمالقة الفكر الإسلامي ، وكثرت المؤلفات التي تهتم بدراسة الكتاب المقدس ، من هذه المؤلفات :

- ١- الرد على النصارى لأبي عثمان الجاحظ ، ت ٢٥٥ هـ .
- ٢- كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي ، ت ٣٣٣ هـ .
- ٣- رسالة الحسن بن أيوب ، ت ٣٧٨ هـ .
- ٤- التمهيد للقاضي أبو بكر الباقلاني ، ت ٤٠٣ هـ .
- ٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الأندلسي ، ت ٤٥٦ هـ .
- ٦- شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، لأبي المعالي الجويني ، ت ٥٨٩ هـ .

(١) سورة المائدة : الآية (١٣) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٦) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (٦٤) .

(٤) اليهودية: د/ أحمد شلبي، ص ٩٤ ، ط/ مكتبة النهضة المصرية ، ط ١/ ٧ - ١٩٨٤ م

- ٧- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، للمهدي نصر بن يحيى ، ت ٥٨٩ هـ .
٨- الرد على النصارى ، لأبي البقاء الجعفرى ، ت ٦٣٢ هـ .
٩- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، للقرايى ، ت ٦٨٤ هـ .
وغير ذلك من المؤلفات ، وهناك من الدراسات الحديثة من استوعب هذه المؤلفات وغيرها ،
بالعرض والتقويم ^(١) .

وتواصل لهذه المسيرة **تابع** هؤلاء العلماء فى نقد الكتاب المقدس ، علماء فترة البحث وسوف
أتناول مؤلفاتهم بإذن الله تعالى بالعرض والتقويم ^(٢) بداية من القرن الثامن الهجرى إلى العصر الحاضر ،
وذلك من أجل إبراز الجهود النقدية القيمة لهؤلاء العلماء تكملة للفترة السابقة .

والجدير بالذكر ، أن ما قام به علماء فترة البحث من جهود ، ما هو إلا امتداد لتلك الحركة
النقدية التى سبقت ، غربية كانت أو إسلامية ، فقد استفادوا من كتب السابقين عليهم فى هذا
المجال ، وكان علماءنا الأجلاء فى نقدهم ، بين متأثر بمن سبقه وبين مجتهد له رؤيته الخاصة ، التى
تتميز بالإبداع والابتكار فى الأسلوب والطريقة النقدية ، فكان معظم من نقد الكتاب المقدس ، من
علماء المسلمين له رؤيته النقدية التى يتميز بها عن غيره ، ولذلك تعددت هذه الرؤى تبعاً لتعدد
مشارب العلماء وثقافتهم المختلفة .

(١) مثل : كتاب ، النصوص المقدسة فى الأديان الثلاثة : " دراسة فى تاريخ الأديان " د/ سيد عبد التواب ، الأستاذ بجامعة
الأزهر ، ومقدمة كتاب : العلامة ديدات ، هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ حيث تناول فيها أ.د / نجاح الغنيمي ، الأستاذ
بجامعة الأزهر ، فرع البنات - تقييم كتاب إظهار الحق ، وكتاب أحمد ديدات السابق ذكره ، ورسالة الدكتوراه د/ ياسر أبو
شبانة ، " جهود علماء المسلمين فى نقد الكتاب المقدس من القرن الأول الهجرى حتى نهاية القرن السابع الهجرى عرض
ونقد " .

(٢) مثل : كتاب : إظهار الحق ، للعلامة رحمة الله الهندي ، والجواب الصحيح ، لابن تيمية ، وهداية الحيارى ، لابن القيم ،
والجواب الفسيح ، للألويسى ، والجوهر الفريد لأيوب بك صبرى ، والإسلام للدكتور / المطعني ، والفارق بين المخلوق
والخالق ، للبغدادي ، وغير هذه الكتب كثير سيأتي ذكرهم فى ثنايا البحث .

وما زالت الحركة النقدية في تطور مستمر ، حيث اتجه النقاد في العصر الحديث إلى الدراسات الأكاديمية ، وأنشأت الجامعات في الدول العربية والإسلامية ، الأقسام الخاصة بدراسة الأديان ، واهتمت بهذا التخصص الدقيق ، كل ذلك من أجل بيان عظمة الإسلام ، وتميزه عن غيره ، وعالميته وخلوده ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن كتابه محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) .

(١) سورة الحجر : الآية (٩) .

المطلب الثاني
العلاقة بين العهد القديم والعهد
الجديد

العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد :

قبل عرض الجهود النقدية لعلماء المسلمين حول الكتاب المقدس سندًا ومتنًا ، لابد من إلقاء الضوء على ما قام به النقاد من علماء المسلمين ، في البحث عن السبب الذي جعل النصارى يضمون العهد الجديد إلى جوار العهد القديم في كتاب واحد ، وأطلقوا عليه اسم "الكتاب المقدس" رغم ما يوجد بين اليهود والنصارى من عداوة وتناحر على مر العصور ، ولذلك يتساءل كثير من الناس هل هناك علاقة بين العهدين (القديم والجديد) أم أن كلا منهما مستقل عن الآخر ؟ وما مدي اعتراف اليهود والنصارى بالكتاب المقدس جملة وتفصيلاً ؟ هذا سيتضح إن شاء الله تعالى في الصفحات التالية : (يعتمد اليهود في إثبات عقائدهم واستخراج شرائعهم وعبادتهم على مصدرين أساسيين :

الأول : العهد القديم أو التوراة ^(١) الكتابية .

الثاني : التلمود ^(٢) أو التوراة الشفهية ^(٣) .

أما النصارى فالكتاب المقدس برمته يشكل عقائدهم وتشريعهم إلا أن التوراة تعد المصدر الأساسي للتشريع عند النصارى ؛ لأن عيسى عليه السلام أعلن أنه غير ناسخ للتوراة **فقد ورد في الإنجيل "لأنظنوا" أني جئت لأنقض ^(٤) الناموس ^(٥) أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإني الحق أقول لكم إلي أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ^(٦) ^(٧) .**

ولذلك فإن عيسى عليه السلام جاء مصدقاً للتوراة في العقيدة والشرعية باستثناء بعض التعديلات والتشريعات فقال تعالى : **﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِحِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(٨)﴾** وجاء في التوراة : " اسمع يا إسرائيل الرب إلها رب واحد " ^(٩) وجاء في الإنجيل : " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً فسأله أية وصية هي أول الكل " فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هي :

(١) هي : كلمة مستعربة أصلها العبري (تورا) بمعنى القانون والتعليم والشرعية والهداية والإرشاد ، وقد سميت في بعض الأسفار (الناموس) وفي اليونانية سميت (بنتاتيك) أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة ، (انظر : إظهار الحق : رحمة الله الهندي ، ٩٩/١ ، ط/ دار التراث العربي ، ١٩٧٨ ، واليهودية : د/ أحمد شلي ، ص ٢٣٠ .

(٢) هو : الكتاب الذي يحتوي علي التعاليم اليهودية ويفسرها ويبسطها ، وهو مأخوذ من كلمة (لامود) بالعبرية وتعني تعاليم (انظر : جذور البلاء : أ/ عبد الله التل ، ص ٧٢ ط ، المكتب الإسلامي بيروت) .

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية : د/ فتحي محمد الزغبى ، ص ٤٧ ط ، دار البشير ط ١ ، ١٩٩٤ م .

(٤) المناقضة: تعني المخالفة ، (لسان العرب ٤/٦ ٤٥٢٤) ط ، دار المعارف ، بدون .

(٥) هو : جبريل عليه السلام ، وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام ، الناموس ، (لسان العرب ٦/٦ ٤٥٤٧) .

(٦) متي : (١٧/٥ - ١٨) إكمال الناموس .

(٧) انظر : التعصب الصليبي د/ عمر عبد العزيز القرشي ، ٢٢/٢ ط/ دار الاستقامة ط ١ - ١٩٩٦ م

(٨) سورة آل عمران الآية : (٥٠) .

(٩) (تثنية ٤/٦) - أحب الرب إلهك - .

اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد^(١) وعلي هذا الأساس سار عيسى عليه السلام ومن كان معه وكان عليه السلام يزيل تشدد علماء بني إسرائيل ويصحح لهم تفسير ما اختلفوا فيه^(٢).

وبهذا يتضح أن العلاقة بين العهدين علاقة تكاملية أى أن العهد الجديد جاء مكملًا لما في العهد القديم ومزيلاً لما فيه من تشدد ومصححاً لما اختلفوا فيه .

وليس معني إقرار المسيح عليه السلام للعهد القديم الاتباع الحرفي لكل ما جاء في الإنجيل : " قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب علي أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم"^(٣) ويقول أيضاً " قال لهم : إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هذا "^(٤) . (هذا وقد اعتبرت الكنيسة^(٥) الأولى العهد القديم هو كتابها المقدس حتى القرن الثاني للميلاد حيث تم جمع العهد الجديد واعتبرت منذ هذا العصر كتباً مقدسة وقد روعى في قبولها اتفاقها مع العهد القديم وبهذا أصبح للكنيسة عهدان مقدسان : عهد قديم وعهد جديد^(٦) .

والذي يؤكد تلك العلاقة الوثيقة بين العهد القديم والعهد الجديد اقتباس كتاب الأناجيل من التوراة وبيان ذلك كالتالي :

أ . أن الله تعالى يقول لبني إسرائيل علي لسان النبي هوشع^(٧) : " إني أريد رحمة لا ذبيحة "^(٨) يعني أنه لا يريد ذبائح وقرابين والقلوب قاسية علي خلق الله .

ب . " بينما كان عيسى عليه السلام في بيت متى - وهو واحد من الحوارين - جلس معه علي المائدة كثيرون من الخطاة والمذنبين فلما رأى ذلك علماء بني إسرائيل استنكروا ؛ لأنهم كانوا يترفعون عن مخالطة هؤلاء وقالوا للحواريين : لماذا يأكل معلمكم مع العشارين^(٩) والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال لهم :

(١) مرقس : (٢٨/١٢ - ٢٩) الوصية العظمي .

(٢) التعصب الصليبي د/ عمر عبد العزيز ، ٢٢/٢ مرجع سابق بتصرف .

(٣) متى : (٢١/٥) الغضب .

(٤) متى : (٨/١٩) الزواج والطلاق ، وانظر : النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة د/ سيد عبد التواب ص ٧٢ .

(٥) المراد بالكنيسة : العقيدة والمذهب والدين . يجمعهم في الاعتقاد : دستور إيمانهم المخلص من الإنجيل (مقدمة الفارق بين المخلوق والخالق - للبغدادي - ص ١٦ ، ١٧ ط مكتبة الثقافة الدينية تعليق د/ السقا ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٦) النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة ص ٧٢ ، ٧٣ مرجع سابق .

(٧) هو : نبي من الأنبياء ، دامت فترة نبوته أربعين سنة في القرن الثاني قبل الميلاد (قاموس الكتاب المقدس د/ بطرس عبد الملك وآخرون ، ص ١٠٠٥) ط دار مكتبة العائلة - القاهرة .

(٨) هوشع : (٦/٦) شعب إسرائيل غير التائب .

(٩) هم : من يتعهدون بجمع الضرائب ، (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٩) .

" لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى فاذهبوا وتعلموا ما هو : إنما أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (١) (٢) .

وهنا يظهر مدي التماثل بين النصين وإلى أي حد وصل الاقتباس من التوراة ومن ينظر في الآية " إنما أريد الرحمة لا الذبيحة " وهي من سفر هوشع يجد عيسى - عليه السلام - قد نطقها كما هي واستدل بها علي المعني الخلفي الذي يريد تقريره وإذاعته في الناس فالنص الثاني مقتبس من التوراة أى منقول منها للاستشهاد به في الإنجيل (٣) .

وبناء على ذلك (يقرر علماء النصارى أن الترابط الوثيق بين العهدين جعل منهما في الحقيقة كتاباً واحداً لا ينفصل متدرجاً في الإعلان ومتنوعاً في طرق الوحي ، ويصرح البعض الآخر بما يفيد أفضلية وأكملية العهد الجديد فيقرر أن في العهد القديم يستتر العهد الجديد وفي العهد الجديد ينكشف القديم وأن العهد القديم إنما كان بمثابة طريق إلى غاية لم يكشف عنها إلا في العهد الجديد (٤) .

وخلاصة ما سبق :

- ١ - توجد علاقة واضحة وارتباط وثيق بين العهد القديم والعهد الجديد يجعل منهما كتاباً واحداً
- ٢ - يعتبر العهد الجديد مكماً للعهد القديم وكاشفاً ما فيه من غموض وإبهام .
- ٣ - رغم ما بين العهدين من علاقة أكيدة إلا أن كلا منهما يناقض الآخر في مواضع كثيرة
- ٤ - اعتمد كتاب الأناجيل على العهد القديم حتى قيل إن العهد الجديد مقتبس من العهد القديم .

(١) (١) متى : (٩/٩ - ١٣) دعوة متى ، ويسوع لقب المسيح فقيل يسوع المسيح (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٦٦) .

(٢) اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة " بيان ونقد " د/ أحمد حجازي السقا ص ٢١ ط ١١ مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٣) المرجع السابق : ص ٢١ ، ٢٢ بتصرف يسير .

(٤) النصوص المقدسة : د / سيد عبد التواب ص ٧٢ - ٧٤ مرجع سابق .

المطلب الثالث
دوافع الدراسة النقدية
للكتاب المقدس

دوافع الدراسة النقدية للكتاب المقدس :

كثيرة هي الدوافع التي تكمن وراء تناول الكتاب المقدس بالنقد والتحليل ، والتي كانت وراء تنوع الجهود في هذا الميدان مما أسفر عن حصيله هائلة من الكتب التي تضطلع بدراسة الكتاب المقدس " دراسة نقدية " من هذه الدوافع ما يلي :

١- ما ذكره القرآن الكريم من أدلة كثيرة تخبر عن وقوع التحريف في التوراة والإنجيل فقال تعالى :
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) فبقوله تعالى : "يعرفون الكلم عن مواضعه" أي فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل عباداً بالله من ذلك .

(وكان لهذه الآيات الكريمة أثرها في حمل بعض المسلمين على دراسة معتقدات أهل الكتاب دراسة نقدية هادئة يستنبط من خلالها الأدلة الدامغة على تحريف هؤلاء لما ورثوا ، وتبديلهم لما ينبغي عليهم أن يعتقدوا ، وقد قامت الدراسة على النصوص المتوارثة عن السابقين والتي يدعى أربابها أنهم قد تلقوها خلفاً عن سلف دون تصرف بالقبض أو البسط في الوقت الذي صرحت فيه التوراة والإنجيل بأن الكتبة تصرفوا فيما كتبوا بالزيادة والنقصان ودليل ذلك : " لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه في آخر الأيام تفهمون فهما لم أرسل الأنبياء بل هم جروا لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الردى وعن شر أعمالهم " (٣) (٤) .

٢- ما ذكر في السنة النبوية المطهرة من تحريف اليهود للتوراة فقد جاء في الحديث : " أتى رسول الله بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً فقال لهم : ما تجدون في كتابكم ؟ قالوا : إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتحية قال عبد الله بن سلام : ادعهم يا رسول الله بالتوراة ، فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له ابن سلام : ارفع يدك ، فإذا آية الرجم تحت يده فأمر بهما رسول الله فرجما " (٥) .

(١) سورة المائدة الآية : (١٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ٣٣/٢ - ط / مكتبة دار التراث - القاهرة .

(٣) أرميا : (٢٣/٢٠ - ٢٢) غصن البر .

(٤) مقدمة المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل - لأبي الفضل المالكي السعودي ص ٩ والمقدمة للدكتور / بكر زكي عوض محقق الكتاب ، مطبعة أولاد عثمان بالقاهرة ، ط ١ / ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

(٥) سبق تخريجه ص ٢ .

وغير ذلك من الأحاديث التي دفعت علماء المسلمين إلى وضع الكتاب المقدس في الميزان لبيان ما حدث فيه من تحريف وتبديل .

٣- ظهور مؤلفات تنتصر للكتاب المقدس علي ما سواه من كتب والادعاء من قبل النصارى أنه غير محرف ، الأمر الذي دفع علماء المسلمين لنقد ما يدعون وإثبات التحريف والتبديل في الكتاب المقدس .

٤- ادعاء النصارى أن المسيحية دين عالمي وغير ذلك من الدعاوى الباطلة التي يتمسك بها النصارى مما جعل علماء المسلمين يوجهون أقلامهم للرد علي هؤلاء بالدراسة النقدية لبيان حقيقة ما يدعون .

٥- أن التوراة الحالية وكذلك الأناجيل ليست وحيا من عند الله وبالتالي فهي من وضع بشر وكلام البشر خاضع بلا شك للنقد والمناقشة لبيان الصحيح من الفاسد فيه .

٦- الكشف عن حقيقة كتبة التوراة والأناجيل وأنهم الذين أفسدوا دين عيسى عليه السلام فزادوا وأنقصوا وبدلوا وغيروا حسب أهوائهم .

٧- اختلاف عقائد النصارى ، وتباين أفكارهم مما أدى إلى تعرض طوائفهم - بما تتبنى من أفكار خاطئة - للنقد من قبل علماء المسلمين .

٨- تعدد فرق اليهود بين متعصبين ومفرطين ومغالين في العقيدة والتشريع والأخلاق واعتمادهم في ذلك كله على نصوص التوراة المحرفة وبقية مصادرهم المزيفة ومن هؤلاء :

(شاول " بولس " الذي حقد على دعوة المسيح ولم يستطع القضاء بالكلية على أهلها أو عليها فتظاهر باتباع المسيح علي أثر اختياره له وهو في طريقه إلى الشام للقضاء على المسيحيين فيها ثم أُلِف كتب وأرسى قواعد صارت ضمن التشريع المعمول به عند النصارى وكان لتعاليمه أثرها الواضح في تحريم ما أحل المسيح بدءاً أو نقلاً عن العهد القديم وكذلك حل ما حرمه العهد القديم وكذلك المسيح وقد عمل ذلك دون نظر إلى نصوص العهد القديم أو الأناجيل بعين التقدير (١) .

وبالتالي كان لا بد للنقاد المسلمين وغيرهم أن يفضحوا أفعال هؤلاء وينبهوا الناس لما أحدثوه من تحريف وتزييف حتى لا يُخدع بأقوالهم أحد .

(١) مقدمة المنتخب الجليل : د / بكر زكي عوض ص ٦ مرجع سابق .

٩- اختلاف تراجم^(١) العهد القديم وتعددتها إلى سامرية ، عبرية ، يونانية وغيرها مما أدى إلى وجود تناقضات كثيرة جداً فضلاً عما فيها من زيادة ونقصان يؤدي إلى فقدان الثقة في العهد القديم خاصة وفي الكتاب المقدس عامة ، الأمر الذي يدفع علماء المسلمين إلى ضرورة المقابلة بين النسخ لاكتشاف ما فيها من تناقضات واختلافات .

ولذلك فإن (تفاوت الطبقات يحمل بين طياته تفاوتاً في كثير من النصوص بما لا يمكن القطع بأن الطبعة الثانية هي عين الأولى ، ومن يرجع إلى الطبعة المفهرسة للكتاب المقدس (١٨٨٣ م / ١٩٨٣ م) يدرك من الصفحة الأولى وعنوانها " تنبيه " أن التحريف قد وقع في هذا الكتاب من خلال ما ذكره هؤلاء من إشارات متعلقة بالكتاب التي تدل دلالة قطعية على الزيادة والنقصان والذكر والعدم والاختيار بين بدائل دون أخرى (٢) .

(١) يذكر علماء اللغات أن جميع أسفار العهد القديم قد دونت بلغة واحدة وهي اللغة العبرية ، ما عدا بعض الفقرات باللغة الآرامية من سفر عزرا ودانيال وبقرة واحدة من سفر أرميا - ثم تُرجمت هذه الأسفار إلى اللغات الأخرى لتسد حاجة اليهود الذين لم يعرفوا العبرية كذلك ترجمه المسيحيون ليتفهم به الذين اعتنقوا المسيحية (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د/ فتحي الزغيبي ص ٥٧ ، ٥٨) . ومن أهم هذه الترجمات ما يلي :

أ . الترجمة الآرامية القديمة : حينما رجع يهود السبي من بابل وجدوا أن الآرامية هي اللغة السائدة في فلسطين وأصبحت العبرية لغة يصعب فهمها مما أدى إلى ضرورة إيجاد ترجمة بالآرامية ليفهمها الشعب ومن هنا ظهرت التراجم الآرامية لأسفار العهد القديم .

ب . الترجمة الإغريقية السبعينية : يرجع أصل تسمية الترجمة الإغريقية بالسبعينية إلى ما تقوله التقاليد اليهودية من أن سبعين عالماً من علماء الإسكندرية تحت رعاية بطليموس الثاني " فيلادلفوس " (٢٨٢ - ٢٤٦ ق.م) ترجموا الأسفار الخمسة الأولى إلى اليونانية في النصف الأول من القرن الثالث ق.م (٢٨٥ - ٢٤٧) أما بقية أسفار العهد القديم فقد تُرجمت في الفترة بين سنة ٢٥٠ - ١٠٠ ق.م وتشتمل هذه الترجمة على أسفار الأبوكريفا التي لا توجد في النسخة العبرية .

ج . الترجمة السامرية : توجد ترجمة آرامية للتوراة - أسفار موسى الخمسة - يستخدمها السامريون وتعرف بالترجمة السامرية ، ولقد كانت التوراة السامرية أصلاً بالعبرية ولكنها مكتوبة بحروف سامرية ؛ ولكن عندما فقد اللسان العبري بسين السامريين رأوا أنهم في حاجة إلى ترجمة باللغة الآرامية التي يفهمونها ، ولقد بدأ تصنيفها في القرن الأول الميلادي واستمر العمل بها حتى حلت اللغة العربية محل الآرامية في القرن الحادي عشر .

د . الترجمة اللاتينية : تُرجمت أسفار العهد القديم عن الترجمة السبعينية إلى اللغة اللاتينية وبدأت أول ترجمة في أواخر القرن الثاني الميلادي ويُطلق عليها اسم الترجمة اللاتينية القديمة .

هـ . الترجمة الآرامية الحديثة : ترجم أحبار اليهود في فلسطين أسفار العهد القديم من العبرية إلى اللهجة الآرامية الحديثة وساروا في ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبري ، ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية وقد أُطلق على كتبهم هذه اسم " الترجوم " وقد أُلُفت في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد ، وتم معظمها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين .

و . الترجمة السريانية : ترجم العهد القديم إلى اللغة السريانية في خلال القرن الثاني الميلادي ليخدم الطوائف اليهودية التي انتشر بينها هذا اللسان الآرامي وقد قبلتها الكنيسة المسيحية .. وسارت هي النسخة التي يأخذ بها النصارى اليعاقبة والنسطوريون بداية من القرن الخامس الميلادي .

ز . وهناك ترجمات ثانوية لأنها لم تُنقل عن العبرية رأساً بل نقلت عن اليونانية : مثل الترجمة القبطية ، الترجمة الإثيوبية أو الحبشية والترجمة الأرمنية والترجمة الغوطية والترجمة الجورجانية والترجمة السلافية .

ح . الترجمات العربية : تبع انتشار الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية ترجمات للكتاب المقدس باللغة العربية وأول ترجمة عربية كانت في عام ٧٢٤ م قام بها " يوحنا " أسقف إشبيلية من أجل مساعدة المسيحيين والمغاربة بواسطتها . ثم قام " سعيد بن يوسف الفيومي " بترجمة التوراة من العبرانية إلى اللغة العربية في (٨٩٢ - ٩٤٢ م) لمنفعة يهود المشرق ، وترجم في باريس عام ١٦٤٥ م ، وفي لندن ١٦٥٧ م ، وفي روما ١٦٧١ م ، وترجم في ١٨٥٧ م وغير ذلك من الترجمات (لمزيد من التفصيل يراجع : تأثير اليهودية بالأديان الوثنية د/ الزغي ص ٥٧ - ٦٢ ، والأسفار المقدسة د/ علي عبد الواحد وافي ص ١٩ - ٢٢ ، ط ، دار نهضة مصر بالقاهرة ، واليهودية واليهود د/ وافي ص ١٩ - ٢٣ . ط / دار نهضة مصر ، الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية للدمشقي الطيبي ص ١٣ - ٢٢ تحقيق د/ أحمد حجازي السقا . ط / مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٧١) .

(٢) مقدمة المنتخب الجليل د/ بكر زكي عوض ص ١١ مرجع سابق .

المطلب الرابع

موقف الإسلام من التوراة والإنجيل

ويشتمل على ما يلي :

- موقف الإسلام من التوراة المنزلّة من عند الله ﷻ
- موقف الإسلام من التوراة الحالية والعهد القديم
- موقف الإسلام من الإنجيل المنزل من عند الله ﷻ
- مكانة الأناجيل الحالية

١ - موقف الإسلام من التوراة المترلة علي سيدنا موسى ﷺ :

الإسلام له رأيه المستقيم الواضح في التوراة والإنجيل ، وقد أعطي لكل نبي من الأنبياء حقه من القداسة والاحترام إذ أن الرسل " صلوات الله وسلامه عليهم " هم المبلغين عن الله عز وجل بواسطة أمين الوحي جبريل ﷺ .

وقد جعل الله عز وجل الإيمان بهم جزءاً أساسياً يسهم في تشكيل عقيدة المسلم فلا يصح إيمان عبد إلا إذا آمن برسول الله أجمعين وبما أنزله الله عز وجل عليهم من كتب ولا يصح التفريق بين أحد منهم فقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(١) .

في هذه الآيات يخص القرآن الكريم (التوراة والإنجيل) من بين ما أنزل علي الأنبياء ، ويدل بشهاداته القيمة بشأتهما تكريماً لهما ، وبياناً لأهمية أحكامهما ولأنهما الكتابان الوحيدان اللذان بقيتا آثارهما حتى الآن^(٢) . وقد وصف القرآن الكريم التوراة المترلة علي سيدنا موسى " عليه السلام " بأنها هدي لبني إسرائيل فقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾^(٣) . ويقول سبحانه : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٤) . وهي نور يهتدي به الساري في ظلمات الحياة ومسالكها يقول تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾^(٥) . وهي نظام دقيق لشؤون الحياة ، والالتزام بها رقة للقلب وشفافية للروح وإحسان وتراحم لما فيها من تفصيل لكل شيء وذكر للآخرة - ثوابها وعقابها^(٦) .

(١) سورة البقرة الآية : (١٣٦ - ١٣٧) .

(٢) التربية في التوراة د/ الهاشمي ص ٣١ ، ط / مؤسسة الرسالة ، ط / ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .

(٣) سورة الإسراء الآية : (٢) .

(٤) سورة غافر الآية : (٥٣ - ٥٤) .

(٥) سورة الأنعام جزء من الآية : (٩١) .

(٦) التربية في التوراة : د/ الهاشمي ، ص ٣١ ولمزيد من التفصيل انظر : من قضايا التوراة دراسة وتحليل ١ . د / محمد شليبي

شليبي ص ١٧ - ١٩ مكتب الفلاح - الكويت ط ١ / ١٩٨٨ م .

فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١) وإن الغاية من إنزالها لعلهم يؤمنون بالآخرة ، وهم ينكرونها في توراتهم ولا يقيمون لها وزناً وغير ذلك من الأوصاف التي عددها القرآن الكريم من أنها ضياء وفرقان^(٢) ودستور حكم^(٣) : حكم بها الأنبياء والأحبار بما حفظوا منها وهذا يتضح رأي الإسلام فيما أنزل علي سيدنا موسى ﷺ ..

ب . موقف الإسلام من التوراة الحالية :

١- يقرر القرآن الكريم وقوع التحريف في التوراة الحالية فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾^(٤) أعم من أن يكون اختلافاً في جوهرها أو في فهمها ، وقرر أيضاً وجود الاختلاف بين بني إسرائيل بعضهم البعض فقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(٥) .

فالتوراة الحالية ليست هي المتزلة علي سيدنا موسى ﷺ وقد حرف اليهود التوراة تحريفاً مادياً ومعنوياً أما التحريف المادي اللفظي فكان للكلمات والفقرات بأخرى فأزالوا وقدموا وأخروا وبدلوا وأضافوا حسب أهوائهم ، وأما تحريفهم المعنوي فكان بتغيير مدلول الكلمات لتوافق أهواءهم وانحرافاتهم العقدية والأخلاقية فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٦) .

٢- ما كان من مضمون التوراة موافقاً للقرآن الكريم أو السنة المطهرة يُقبل ولا يرد باعتبار أن معناه صحيح ، رغم فقدانه للنص المقدس ، وذلك مثل الأحكام الموجودة في التوراة وأكدها القرآن في سورة المائدة كأحكام القتل والزنا وغيرها^(٧) .

(١) سورة الأنعام الآية : (١٥٤) .

(٢) يقول تعالى : " ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرًا للمتقين " (سورة الأنبياء الآية : ٤٨ ، ٤٩) .

(٣) ويقول تعالى : " إنا أنزلنا التوراة فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " (سورة المائدة الآية : ٤٤) انظر : التربية في التوراة د/ عابد الهاشمي ص ٣١ ، ٣٢ .

(٤) سورة فصلت جزء من الآية : (٤٥) .

(٥) سورة النمل الآية : (٧٦) . وانظر دراسات في التوراة . أ / عطية إبراهيم الشواقي ص ٨٥ ط / مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٥ م .

(٦) سورة المائدة الآية : (١٣) وانظر : إظهار الحق ١ / ٢٠٥ وما بعدها .

(٧) التربية في التوراة : د / الهاشمي ، ص ٣٣

٣- (إذا خالفت نصوص القرآن الكريم أو السنة المطهرة فهي ترد قطعاً ولا تُقبل وكذلك لا تُقبل نصوص التوراة إذا صادمت الحقائق العلمية اليقينية أو خالفت الواقع ومعطياته ، وذلك لأن الوحي الصادق لا يصطدم بالحقائق العلمية ولا ينكر المعلومات التي شهد بها له الواقع - التاريخي أو الجغرافي أو العلم المادي التجريبي وما سكت عنه القرآن والسنة مما جاء في التوراة يُسكت عنه دون تصديق أو تكذيب وذلك اتباعاً لتوجيهات النبي ﷺ " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم " (١) (٢) .

مع ملاحظة أن الإسلام لا يعترف إلا بالتوراة التي أنزلها الله علي سيدنا موسى ﷺ ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم ... لأنهم قد حرفوا ما معهم من الكتب المقدسة قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (٣) . وأن ما معهم الآن مكتوب بأيديهم ومنسوب خطأ إلي الله عز وجل فقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٤) . وهذا يتحدد موقف المسلم من كتب اليهود والنصارى ، فالطعن الموجه إلى اليهود هو موجه بالدرجة الأولى إلى النصارى ؛ لأن التوراة تشكل الجزء الأكبر من كتابهم الذي يزعمون أنه مقدس ، وسقوط التوراة بهذه الصورة يعد سقوطاً للنصرانية بأكملها ؛ لأنهم مطالبون بالعمل بتشريعاتها (٥) .

-
- (١) أخرجه البخاري في كتاب لشهادات باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ١٠٩/٢ ط / دار إحياء الكتب العربية - الخلسي ، وانظر : العقيدة اليهودية وخطرها علي الإنسانية د. / سعد الدين صالح ص ١٨٣ ط / دار الصحابة بالإمارات ٢٠١٩٩
- (٢) الترية في التوراة د. الهاشمي ص ٣٤٤
- (٣) سورة المائدة الآية : (١٣) .
- (٤) سورة البقرة الآية : (٧٩) .
- (٥) العقيدة اليهودية وخطرها أ. د. / سعد الدين صالح ص ١٨٣ ، ١٨٤ مرجع سابق .

ج . موقف الإسلام من الإنجيل المتزل علي سيدنا عيسى عليه السلام :

المسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله بلا تفرقة أو تحيز لأحد منهم فقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(١) .

(فإن آمن أحد برسولٍ وأنكر آخر فهو كافر وإذا صدق بكتاب وكذب كتاباً آخر فهذا ليس بمؤمن وهو في ضلال مبین فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ^(٢)) فيجب الإيمان بالكتب المتزلة ومنها إنجيل سيدنا عيسى عليه السلام لأنه من لم يؤمن به يكون منكراً لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الإنجيل ومن أنكر شيئاً من القرآن الكريم كان كافراً ^(٣) .

هذا .. ولقد أخبر القرآن الكريم أن سيدنا عيسى عليه السلام رسول قد أوحى الله عز وجل إليه فأنزل عليه الإنجيل مصداقاً لما في التوراة من أحكام ومكملاً لدعوة سيدنا موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ^(٦) .

ولذلك فإن أصول المسيحية ترجع إلى الوحي الإلهي " الإنجيل " الذي أوحى به إلى سيدنا عيسى عليه السلام تصديقاً للتوراة المتزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتكميلاً لشريعة التوراة إذ الرسولين الكريمين كانت رسالتهما قاصرة على بني إسرائيل ^(٧) .

(١) سورة البقرة الآية : (٢٨٥) .

(٢) سورة النساء جزء من الآية : (١٣٦) .

(٣) انظر : من قضايا الإنجيل " دراسة وتحليل د. / محمد شليبي شتيوي " ص ١٦ ، ١٧ ، مكتب الفلاح / الكويت ط ١٩٨٨

(٤) سورة آل عمران الآية : (٤٨ ، جزء من ٤٩) .

(٥) سورة آل عمران الآية : (٥٠) .

(٦) سورة آل عمران الآية : (٣ وجزء من ٤) .

(٧) انظر : أصول المسيحية أ. / فؤاد محمد أحمد مصطفى ص ١ ، بالحذف ، ط / وزارة الإعلام والثقافة ط ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

ورغم ذلك : لا يعتقد أكثر النصارى أن هناك إنجيلاً مكتوباً بيدي النبي عيسى عليه السلام أو مدوناً في عهده ؛ بل غاية ما يعتقدون أنه كان يقرأ التوراة وسائر كتب الأنبياء ويفسرها تفسيرات غريبة ، مليئة بالمواعظ والحكم والأمثال النادرة ... ومن الغريب أن يعتقد النصارى بوجود كتب للأنبياء قبل عيسى عليه السلام ثم وجود أناجيل لتلاميذه ولا يعتقدون بوجود كتاب له يهتدي به أتباعه وهو عندهم فوق جميع الأنبياء (١).

(فالإسلام يقرر أن لسيدنا عيسى عليه السلام إنجيلاً منزلاً عليه ، وشهد شاهد من علماء النصارى أن هناك إنجيلاً أصلياً لهذه الأناجيل الحاضرة وإنما فقدوه أيام الاضطهاد الأول للمسيحية وإلى ذلك يشير مرقس بقوله : " اذهبوا إلي العالم أجمع واكرزوا (٢) بالإنجيل للخليقة كلها (٣) " (٤) .

(١) انظر : تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم أ. / آدم عبد الله الألوري ص ٩٩ ، ١٠٠ مكتبة وهبة بالقاهرة ط ٢ / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٢) هذه الكلمة مأخوذة من : كرز كرز : وعظ ونادى ببشارة الإنجيل (سريانية) والكراسة : الوعظ بالحقائق المسيحية (المنجد في اللغة والأعلام ص ٦٨٠ ط / دار المشرق ، بيروت ، ط ٢٥ ، ١٩٧٣ م) .

(٣) الإصحاح : (١٥ / ١٦) - ظهوره للتلاميذ .

(٤) تاريخ الدعوة إلى الله / الألوري ص ١٠٠ مرجع سابق .

د . مكانة الأناجيل الحالية :

الأناجيل الحالية تعتبر تراجم لحياة المسيح ، كتبها الحواريون من تلاميذ عيسى عليه السلام بعد رفعه بمدة ، وفي أوقات مختلفة ولغات متباينة ضمنوها مقتطفات من المواعظ والحكم والأمثال ولا يصح نسبة هذه الأناجيل إلى عيسى عليه السلام باعتبار أنه يعرفها أو يعرف شيئاً عن كتابتها ^(١) .

فجاءت هذه الأناجيل بناءً على ذلك متناقضة ومتعارضة يصادم بعضها بعضاً يشهد بذلك من وقف عليها أنها ليست الإنجيل الحق المبعوث به الرسول المنزل من عند الله تعالى وأن أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم ، وأن نقلته أفسدوه من وجوه بحكاياتهم ، وألحقوا به أموراً غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه . مثل ما حكوه من صورة الصلب والقتل واسوداد الشمس وتغير لون القمر ^(٢)

وهذه الأمور جرت في زعم النصارى بعد المسيح فكيف تجعل من الإنجيل ولم تسمع من المسيح عليه السلام والإنجيل الحق إنما نطق به المسيح وإذا كان كذلك فقد اهتزت الثقة بهذا الإنجيل وعدمت الطمأنينة بنقلته ^(٣) .

أما عن كتابتها :

لم يعرف على وجه الحقيقة متى كُتب الإنجيل الأول ، وإنما قالوا : إن تاريخ كتابته يتراوح ما بين ٣٩ - ٤١ م بعد رفع المسيح وأن الذي كتبه هو متى العشار (أحد الحواريين) باللغة العبرية ، ثم كتب مرقس إنجيله باللغة اليونانية ويتراوح تاريخ كتابته ما بين ٥٦ - ٦٠ م ومرقس أحد السبعين

(١) تاريخ الدعوة إلى الله - الألوري ص ١٠٠ مرجع سابق .

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل - المسعودي ص ٩٩ بتصرف يسير .

(٣) المرجع السابق ص ٩٩ بتصرف يسير .

صاحب **هنا بابولس** ^(١) رحلتها الثانية إلى إنطاكية ^(٢) تمركز للتبشير في مصر إلى أن قتله فيها الوثنيون الرومانيون (عام ٦٢ م) . وكتب لوقا إنجيله باليونانية حوالي ٥٣ - ٦٤ م وهو طبيب روماني ، وليس من تلاميذ المسيح ، بل من تلاميذ بولس ، وكتب يوحنا الصياد إنجيله حوالي ٦٨ - ٩٨ م وهو من الحواريين ^(٣) . وسياق الحديث عن هذه الأناجيل ومحتوياتها بالتفصيل من حيث التأليف ، ووقت التدوين ، وغير ذلك من أمور تتعلق بسندها .

ولذلك يقول العلامة رحمة الله الهندي عن التوراة والإنجيل الأصليين : (إن التوراة الأصلية وكذا الإنجيل الأصلي فقدما قبل بعثة النبي ﷺ والموجودان الآن بمترلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة ولا نقول أنهما كانا موجودين علي أصالتهما إلى عهد النبي ﷺ ثم وقع فيهما التحريف حاشا وكلا) ^(٤) .

(وكلام بولس علي تقدير صحة النسبة إليه أيضا ليس بمقبول عندنا؛ لأنه عندنا من الكاذبين الذين كانوا قد ظهوروا في الطبقة الأولى وهو قديس عند أهل التثليث ومع ذلك لا نشترى قوله بحجة ، والحواريون الباقون بعد عروج عيسى ﷺ إلى السماء نعتقد في حقهم الصلاح ، ولا نعتقد في حقهم النبوة وأقوالهم عندنا كأقوال المجتهدين الصالحين محتملة للخطأ ، ونعترف بفقدان السند المتصل إلى آخر القرن الثاني وبفقدان الإنجيل العبراني الأصلي لمضى لارتفاع الأمان عن أقوالهم ^(٥) .

وختلاصة هذه القضية

أن التوراة الأصلية والإنجيل الأصلي قد فقدوا إلا أن هذا لم يمنع من التصديق بما نزل علي سيدنا موسى وسيدنا عيسى (عليهما وعلي نبينا الصلاة والسلام) فالإيمان بهما وبما أنزل عليهما جزء لا ينفصل عن عقيدة المسلم وكذلك الإيمان والتصديق بجميع الرسل ، أما التوراة الحالية التي أطلق عليها النصارى (العهد القديم) والأناجيل الحالية (العهد الجديد) بعيدان كل البعد عن التوراة والإنجيل الأصليين وإن كان يوجد بهما بقايا حق إلا أنه حق تلبس بكثير من الباطل فقد لعبت بهما يد التحريف والتبديل كما سيتضح في ثنايا البحث .

(١) اسمه العبري شاول ، ولد في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الإمبراطورية الرومانية قضى فيها طفولته ، كان أبوه فرسسياً من سبط بنيامين دخل المسيحية في ٣٨ م كان يضطهد النصارى ادعى أنه رأي المسيح ، وقلب النصرانية رأساً علي عقب (قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦ - ١٩٩)

(٢) هي : مدينة علي نهر العاصي ، علي مسافة ١٥ ميلاً من البحر الأبيض المتوسط أسسها سلوقس أحد قواد جيش الإسكندر الأكبر عام ٣٠٠ ق.م (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

(٣) تاريخ الدعوة إلى الله : الألوري ، ص ١٠٠ ، ١٠١ بتصرف .

(٤) إظهار الحق : رحمة الله الهندي ، ١٨٨/١ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

الباب الأول

عرض نماذج من الجهود النقدية ومحتويات الكتاب المقدس

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : عرض نماذج من الجهود النقدية للكتاب المقدس .

الفصل الأول : عرض محتويات الكتاب المقدس

الفصل الأول

عرض نماذج من الجهود النقدية للكتاب المقدس

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الجهود النقدية ونوعيتها "فترة البحث"
المبحث الثاني : عرض نماذج من المؤلفات النقدية "فترة البحث"

١- المعنى اللغوي للجهود :

جهود مأخوذة من : (جهد في الأمر جهداً أي جد ، والمفعول مجهود . والجهْدُ المشقة ، والنهاية والغاية والوسع والطاقة ، والجهْدُ في الفلسفة : كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسماً أو عقلياً ويهدف غالباً إلى غاية)^(١).

المعنى اللغوي للـ " نقد " :

للنقد في اللغة معنيان مترادفان يشيران إلى معنى واحد وهما ما يلي :

(١) أنه جاء بمعنى التمييز والتنقية :

فالمقصود بالنقد والتَّنفِادُ : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها^(٢).

(٢) وجاء بمعنى الفحص والاختبار :

نقد الشيء نقداً : أي اختبره ليميز جيده من رديئه ، يُقال : نقد النثر والشعر : أظهر ما فيهما من عيبٍ أو حسن^(٣).

(١) المعجم الوسيط د/ إبراهيم أنيس وآخرون ١٤٢/١ ط - دار إحياء التراث الإسلامي - قطر - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

(٢) لسان العرب - لابن منظور ٥١٧/٦

(٣) المعجم الوسيط ٩٤٤/٢ مرجع سابق .

المعنى الاصطلاحي للنقد^(١):

هو عملية تقويم ، وتصحيح وترشيد ، وعليه فإنه لا يكون بمعنى النقض ؛ بل هو محاكمة إلى قواعد متفق عليها أو إلى نسق كلي ، ذلك أن النقد .. نقد اجتهد ما جزئياً كان أو كلياً في أي مجال من مجالات العلوم الشرعية إنما هو عملية محاكمة "وتقويم" ^(٢) تهدف إلى التصحيح والترشيد من خلال مواطن الخطأ والصواب ، بناءً على مقاييس متفق على حلها أو كلها ^(٣) .

وبناء على ذلك :

فإن نقد علماء المسلمين للكتاب المقدس يقصد منه عرضه على المعايير النقدية التي حددها بعض العلماء منها **الشرع والعقل** ومنها ما هو علمي أو تاريخي أو منطقي وذلك لبيان الصحيح من الفاسد فيه وتهدف دراسة هذه الجهود النقدية إلى :

عرض ما أبرزه علماء المسلمين - فترة البحث - في الكتاب المقدس من مخالفات ومتناقضات وقع فيها كتبة العهد القديم والجديد على حد سواء وتقويم تلك المعالجات النقدية التي قاموا بها وبيان مكانة هذا النقد من الناحية العلمية .

(١) النقد في اصطلاح الأدباء : بمعنى : (تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبح ، وهذا يتفق مع اشتقاق الكلمة فإن أصلها من نقد الدراهم لمعرفة جودها من رديتها ... والناقد علي العموم يجب أن يكون ذا حظ كبير من العقل وحظ كبير من الذوق ، وإطلاع الناقد علي الآداب الأخرى يوسع أفقه ويزيد في تجاربه) ، النقد الأدبي / أحمد أمين ص ١ - ٢ ط - مكتبة النهضة المصرية ط - ٥ - ١٩٨٣ م بتصرف بالحذف ، وفي الاصطلاح الفني : يُقال الناقد الفني هو : كاتبُ عمله تميز العمل الفني : جوده من رديته وصحيحه من زيفه يجمع علي نُقاد ، ونَقْدَةٌ . المعجم الوسيط ٩٤٤/٢ .

(٢) وإذا كان النقد بمعنى التقويم فلا بد من الإشارة إلى الفرق بين التقييم والتقويم في المنهج العلمي : فيقول علماء التربية : التقييم والتقويم يفيدان في بيان قيمة الشيء إلا أن كلمة التقويم صحيحة لغوياً وهي الأكثر استعمالاً ، كما أنها تعني بالإضافة إلى قيمة الشيء تعديل أو تصحيح ما عوج منه ، أما كلمة تقييم فتدل فقط على إعطاء قيمة للشيء ومن هنا فإن التقييم يمثل جزءاً من التقويم وإن مفهوم التقويم أعم وأشمل من مفهوم التقييم (علم المناهج - الأسس والتنظيمات . د / محمد السيد علي . ص ٢٣٣ ط - دار الفكر العربي - القاهرة . ط . ٢٠٠٠ م) .

(٣) انظر : أبحاث في العلوم الشرعية د/ فريد الأنصاري ص ٩٨ ط - الدار البيضاء - ط ١٩٧٩ م .

ج- نوعية المؤلفات - فترة البحث - :

لقد تنوع الإنتاج العلمي لعلماء المسلمين - فترة البحث - ويمكن تصنيف ما وقع تحت يدي من مؤلفات إلى الأنواع التالية :

النوع الأول : المؤلفات الدفاعية :

استغل اليهود والنصارى ضعف الدولة الإسلامية في غضون الحروب الصليبية واتخذوا سلاح التشكيك في الإسلام بإطلاق الشبه حول القرآن والسنة وألفوا الكتب التي تطعن في الإسلام وتمدح في النصرانية ، فتصدي لهم علماء الدولة الإسلامية في كل مكان للرد عليهم وللدفاع عن الإسلام والمسلمين ، واتسمت هذه المؤلفات بروح المواجهة الدفاعية أو الجدل الدفاعي لتلك الشبه التي وجهوها إلى الإسلام مع توجيه النقد لمعتقداتهم الخاطئة^(١)

النوع الثاني : المؤلفات النقدية :

تلك التي أخضع فيها النقاد المسلمون الكتاب المقدس للنقد العلمي القائم علي أصول واضحة ومعايير محددة وذلك من أجل بيان الحق من الباطل وتمييز الطيب من الخبيث في الكتاب المقدس . وبهذا النوع كانت النقلة المنهجية الهائلة في التأليف والحوار حيث اتخذ علماء المسلمين أسلوباً جديداً في الكتابة وهو الدراسة النقدية الموجهة باعتبار أن ذلك أقوى وسيلة للدفاع وإشغال الخصم بنفسه وإرشاده إلي مواطن عيبه أولى من الوقوف موقف المدافع فقط ، وازدهرت هذه الحركة أكثر من القرن الثالث عشر الهجري إلي الآن وأحس النصارى بضعفهم أمام الدراسات النقدية التي تكشف زيفهم وتبين تحريفهم للمفصوص. وانتشرت المؤلفات النقدية التي تضع الكتاب المقدس بقسميه في الميزان لتقييمه والحكم عليه^(٢) .

وهناك من خصص العهد القديم بالنقد والدراسة التحليلية متخذاً منه نماذج توضح ما ينقد^(٣)، وهناك من خصص العهد الجديد بالنقد والتفنيد^(٤).

(١) من هذه المؤلفات : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لابن تيمية . ت سنة ٧٢٨ هـ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : لابن القيم ت سنة ٧٥١ هـ ، والجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح : للأوسى البغدادي ت سنة ١٣١٧ هـ .

(٢) من هذه المؤلفات : إظهار الحق للعلامة : رحمة الله الهندي ت سنة ١٣٠٨ هـ .

(٣) من هذه المؤلفات : التوراة "العقل ، العلم ، التاريخ " د / بدران محمد بدران ط / سنة ١٩٧٩ م ونقد التوراة د / أحمد حجازي السقا ، والترية في التوراة د / عابد توفيق الهاشمي .

(٤) من هذه المؤلفات : الجوهر الفريد في رد التلث وإثبات التوحيد : لأيوب بك صري . ط / سنة ١٣١٩ هـ ، والفارق بين المخلوق والخالق للعلامة البغدادي ت سنة ١٣٣٠ هـ .

النوع الثالث : مؤلفات متخصصة في دراسة الأديان " مقارنة الأديان " :

وبجانب المؤلفات الدفاعية والنقدية كثرت المؤلفات التي تقوم بدراسة الموضوعات المختلفة في الكتاب المقدس وتقويمها بميزان الإسلام لإبراز ما وقع فيه أهل الكتاب من تحريف وتبديل .^(١)

النوع الرابع : الدراسات التاريخية :

وهي في محتواها سرد للأحداث التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل وبيان مدى تأثير اليهودية والنصرانية بالفلسفات القديمة والحديثة عن طريق مخالطة اليهود والنصارى لغيرهم من الشعوب الوثنية والفلسفات العقيمة في القلم والحديث .^(٢)

(١) من هذه المؤلفات : الوحي والملائكة بين اليهودية والمسيحية والإسلام ل / أحمد عبد الوهاب ، واليوم الآخر بين اليهودية

والمسيحية والإسلام د / فرج الله عبد الباري ، والنبوة والأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام . ل / أحمد عبد الوهاب .

(٢) من هذه المؤلفات : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم د / محمد عزة دروزة ، تاريخ الديانة اليهودية ا / محمد خليفة حسن .

المبحث الثاني

عرض نماذج من المؤلفات النقدية "فترة البحث"

ويشتمل على المطالب التالية :

- المطالب الأول : بعض المؤلفات لقدامى العلماء في نقد الكتاب المقدس
- المطالب الثاني : بعض المؤلفات للمحدثين من العلماء في نقد الكتاب المقدس
- المطالب الثالث : بعض المؤلفات المعاصرة في نقد الكتاب المقدس

✽ مَهَيَّنَا :

تأتي أهمية العهد القديم من أنه يؤمن به اليهود والنصارى على حدٍ سواء باعتبار أن العهد الجديد مُستتر في العهد القديم كما يقولون ، ولا يتم فهم أحدهما إلا بالاعتماد على الآخر والاسترشاد به .

ولا يخفي على ذي بصيرة أن العهد القديم يتسم بالنبرة العالية والحدة والشدة في تعاليمه ووصاياه ، لذا فقد أخذ النقيب الأوفر من الدراسات النقدية واهتم به علماء الحركة النقدية على مر العصور باعتبار أنه يؤسس المنطلقات الدينية لليهود والنصارى في اعتقادهم وتشريعاتهم وأخلاقهم ، وقد اعتمد علماءنا الأفاضل في دراستهم على جانبيين ، الجانب الأول : نقد السند والثاني : نقد المتن ، وتعددت في نقدهما الرؤى النقدية لعلماء المسلمين فتارة ينقدونها عقلاً وتارة نقلاً وتارة بالشك في السند وفي كاتب النص والظروف التاريخية لكتابته ، ومدى توفر الثقة في الكاتب والتحقق من صحة نسبة النص إليه . وعندما يتعامل علماءنا مع النص التوراتي أو الإنجيلي لا يتعاملون معه على أنه نص مبتور منفصل عن غيره ولكنهم ينقدونه باعتبار ارتباطه بما قبله وما بعده وباعتبار أنه مقدس - في زعم اليهود والنصارى - إضافة إلى الواقع التاريخي الذي يدعم النقد المنهجي البناء .

وعند تتبع ذلك الكم الهائل من المؤلفات التي تهتم بنقد الكتاب المقدس يتضح جيداً أنه يتعذر على الباحث أن يحصل على جميع ما كُتب وطُبِع في المكتبات لكثرتها وصعوبة الحصول على جميعها .

وما وقع تحت يدي عدد لا بأس به من المراجع الأصلية في هذا الجانب فرأيت أن أتناول بعضها حسب شهرة الكتاب وانتشاره ومكانته عند علماء المسلمين وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، وأخذت في تصنيفها وتجميعها على النحو التالي :

المطلب الأول

بعض مؤلفات قدامى العلماء في نقد الكتاب المقدس

- | | |
|--------------------|--|
| للإمام ابن تيمية | ١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح |
| للإمام ابن القيم | ٢ - هداية الحيارى |
| لعبد الله الترجمان | ٣ - تحفة الأريب |
| لعبد الأحد داود | ٤ - محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس |

كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :

لشيخ الإسلام ابن تيمية ت سنة ٧٢٨ هـ .

١. يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب الدفاعية التي ردت على شبهات اليهود والنصارى ضد الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ ، قام فيه شيخ الإسلام بجهد متميز كان هذا الجهد هو الأساس الذي بني عليه كثير من العلماء وجهة نظرهم النقدية للكتاب المقدس .

٢. رد على النصارى في عقيدة الحلول والاتحاد مستخدماً النقل والعقل وقد أسهب كثيراً في الرد على هذه العقيدة عقلياً مما جعله أحياناً يخلط بين التثليث والحلول والاتحاد .

٣. استخدم في الرد على دعاوى النصارى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، وهذا يدل على عدم موضوعية الرد عليهم لأنهم لا يعترفون بالقرآن والسنة ولكن ربما استدل النصارى ببعض الآيات القرآنية مبتورة من أماكنها ليستدلوا على صحة عقائدهم فكان ابن تيمية يرد عليهم بالقرآن ويوضح المعاني التي يتعمدون إغفالها فهذه له حق فيها .

٤. برع في استخراج البشارات من الكتاب المقدس وفندها تفنيدياً جيداً راعي فيه تفسير ألفاظ كما وردت في كتبهم مفرقاً بين البشارات الخاصة بالمسيح ﷺ ، والبشارات الخاصة بنبي الإسلام ﷺ على أنه قد جاء ببعض البشارات الغير موجودة الآن في الكتاب المقدس ولعلها كانت موجودة في الطبعة التي كانت بين يدي شيخ الإسلام .

٥. كما استخدم الاستدلالات المنطقية المبنية على المقدمات الصحيحة والتوالي التي تؤدي إلى إبطال ما يدعيه الخصم من ناحية العقائد الفاسدة .

٦. التسليم الجدلي للخصم بتقديم الافتراضات العقلية استدراجاً له فيما يدعيه ثم ينقض على دعواه بالحجج الدامغة .

٧. أثر في محاوراته للنصارى منهج النقد البناء للذود عن الدين الإسلامي وإبطال ما يزعمه الخصم .

٨. ومن الملاحظ أنه في بعض المواضع يبدأ في الرد على الشبهة التي يثيرها النصارى ثم سرعان ما ينتقل إلى شبهة أخرى دون أن يستكمل الرد على هذه الشبهة وربما عاد إليها يستكملها بعد ذلك في موضع آخر من كتابه .

٩. استوعب في كتابة كثيراً من الردود على الفكر النصراني ، أكثر من نقده لنصوص الكتاب المقدس .

هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى :

للإمام ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ .

١ . اشترك الإمام ابن القيم مع شيخه فى استخدام الجدل الدفاعى فى أجوبته على الأسئلة التى وجهت إليه من أهل الكتاب فرد على الشبه التى أطلقها الملاحدة ويشككون من خلالها فى الإسلام وكتابه ورسوله إلا أنه خصص جزءاً غير قليل من كتابه استخدم فيه النقد العلمى البناء وهو وسيلة للدفاع وتفنيد ما يعتقد اليهود والنصارى من عقائد فريقه وتشريعات محرفة .

٢ . والتزم فى نقده بالموضوعية التامة والمنهجية الواضحة إلا أن نقده يتميز بشده الألفاظ وحدتها على اليهود

والنصارى على حد سواء ، وبين بطلان ما يعتقد اليهود فى الله ﷻ وفى الأنبياء عليهم السلام .

٣- بين فساد ما يعتقد النصارى فى المسيح ﷺ وبطلان القول بألوهيته وبنوته لله تعالى مستخدماً الردود العقلية والاستفهام الإنكارى لما يدعون من عقائد وشرائع وعبادات مخترعة من قساوستهم ورهبانهم والجامع المقدسة - فى زعمهم - إلا أنه حينما يذكر النصوص أحياناً يذكرها بمعناها وأحياناً أخرى يذكرها صريحة ، وقد قام د/ أحمد حجازى السقا بمجهود طيب فى تحقيقها وعزو كل نص للسفر المأخوذ منه .

هذا .. والكتاب فى مجمله من الكتب الأصيلة فى علم مقارنة الأديان .

كتاب : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب :

تأليف : عبد الله الترجمان الأندلسي ت ٨٢٣ هـ ، القس أنسلم تورميذا سابقاً .

١ . هذا الكتاب عرض فيه كتابه عقائد النصارى ونقدها نقداً علمياً ملتزماً فيه بالموضوعية التامة ، فيعرض مقولة

النصارى الباطلة في القضية المراد نقدها والأدلة التي يستندون عليها ثم يناقشها مناقشة عقلية ونقلية .

٢ . يطرح الأسئلة والاستفهامات الإنكارية لما يدعون ويطرح أيضاً الافتراضات العقلية ويسلم لهم جدلاً فيما

يقولون استدراجاً لإبطال ما يدعون .

٣ . بين ما وقع بين الأناجيل من تضارب وتناقض ، الأمر الذي يؤكد أنها من وضع بشر .

٤ . أقام الأدلة على نبوة سيدنا محمد ﷺ من أناجيلهم وبشارات أنبيائهم ، وفسرها التفسير الصحيح بناءً على

معاني بعض الألفاظ باليونانية وماذا يُقابل هذا المعنى باللغة العربية كمعنى " الفارقليط " مثلاً الذي يقابله

في اللغة العربية لفظ " أحمد " .

٥ . ثناء العلماء على تحفة الأريب :

أثني عليه مجمع البحوث الإسلامية وقالت اللجنة : يحتوى هذا الكتاب على شهادة عالم مسيحي متبحر

بأن نعت النبي ﷺ موجود في كتب المسيحية بصراحة ، فقد بشرت " بالفارقليط " ومعناه " أحمد " .

وقالت أيضاً : جاء هذا الكتاب رداً على تحامل المسيحيين على الإسلام من نصوص كتبهم وهو كتاب

جليل القدر شاهد صدق على الافتراء والبهتان من الذين يدعون أن كتبهم - الأناجيل الأربعة - من الوحي

الإلهي .

ويقول د/ محمود على حماية : هذا الكتاب تبدو قيمته العلمية عندما تُدرك أن صاحبه كان قريب عهد

بالمسيحية ؛ بل واحداً من قساوستها تلقي دراسة في الكتاب المقدس وانقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع فيها

أن يصحب أساطين العلم بالديانة النصرانية ^(١) .

(١) انظر : مقدمة تحفة الأريب ص ٢١ .

كتاب : محمد في الكتاب المقدس :

تأليف د/ عبد الأحد داود . ١٨٦٧ م

بالقراءة المتأنية لهذا الكتاب يضع الباحث يديه على جملة من الإيجابيات التي يتميز بها هذا الكتاب القيم في دراسة البشارات بالني الخاتم ﷺ في الكتاب المقدس من هذه الملاحظات الإيجابية ما يلي :

١. بين مدى التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل وكذلك التناقض والتعارض بين نصوصهما .
٢. علمه بخبايا النصرانية مكنه من كشف الزيف والضلال في الكتاب المقدس .
٣. أتى بالحقائق من مصادرها ، فقد درس وتعمق في اللاهوت وترقي في المناصب العلمية .
٤. يقود قراءه إلى محاولة العثور على الحقيقة فينتقد بصورة حيادية بعيداً عن العدائية والانحيازية لني دون نبي ، فهو ينظر إلى الأنبياء نظرة مستقيمة ويؤمن بجميع الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل لهداية البشرية .

٥. درايتة بما تعتقده الكنائس مكنه من كشف الأباطيل وفضح العقائد الباطلة التي تروج لها الكنيسة ، والتي لا تتفق مع العقل ؛ بل ولا تتفق مع الواقع التاريخي .

٦. ثقافته الإسلامية الواسعة مكنته أيضاً من دراسة الكتاب المقدس في ضوء وجهة نظر مستقيمة معتدلة بعيدة عن الجور وإلقاء الأحكام والفصل في القضايا جزأاً بدون دليل ، ولكن الحيدة والنزاهة والموضوعية هي السمات البارزة في نقده لتلك النبوءات التي حرفوها وفسروها على حسب أهوائهم لطمس الحقيقة ولصرف دلالتها عن وجهها المراد .

وقد استخدم د/ عبد الأحد داود في نقده المعايير التالية :

✽ عرض القضايا على الحقائق العلمية الثابتة ، فإن وافقت العلم قبلت وإلا وجب ردها .

✽ المناقشة العقلية والاستدلال المنطقي في تحليل القضايا .

✽ المقابلة بين النسخ في تفسير الألفاظ التي تُشير إلى النبي الخاتم ﷺ .

وعند التحول بين صفحات الكتاب يتضح الآتي :

١. حرصه الشديد على الطرف الآخر " النصارى " فقد أخبر عن نفسه أنه يراعي مشاعر النصارى ولا يستعمل معهم الجدل العقيم بل يدعو الناس للبحث والاستقصاء في ود وتجرد وموضوعية فيقول : (وليست لدي أية نية أو رغبة في إيذاء مشاعر أصدقائي النصارى ، فأنا أحب المسيح ، وأحب موسى ، وإبراهيم كما أحب محمداً وكافة الأنبياء الآخرين ، ولا يستهدف ما أكتبه إثارة جدل مرير عقيم مع الكنائس ؛ بل لا تعدو الغاية أن تكون دعوة لها ، لبحث واستقصاء رضي ودّي لهذه المسألة البالغة الأهمية وبروح من المحبة والتجرد) (١) .

(١) محمد في الكتاب المقدس : د/ عبد الأحد داود ص ٣٦ .

٢. اعتمد على نصوص صريحة من الكتاب المقدس لا تسمح بأي جدل لغوي وتشير إشارات واضحة إلى الرسول ﷺ مثل استدلاله بالنص الذي يقول : " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه " ويقول : فإذا كانت هذه الكلمات لا تنطبق على سيدنا " محمد " فإنها تبقى غير متحققة ولا نافذة فالمسيح لم يدع أبداً أنه النبي المشار إليه ^(١) .

٣. يعرض التفسير الخاطئ الذي يراه المسيحيون ثم يصوبه بالتفسير الصحيح ثم يسوق القرائن التي تؤيد ما ذهب إليه ويعضد رأيه ، فالنصارى يفسرون بيت الرب بأنه كنيسة المسيح وهذا تفسير خاطئ فيقول : (وكذلك فإن بيت الرب الذي يمجّد اسمه فيه والمشار إليه في الإصحاح (٦٠ الجملة ٧) ، هو بيت الله الحرام في مكة ، وليس كنيسة المسيح ، كما يعتقد المفسرون المسيحيون ، وإن رعية قيثار لم ينضموا مطلقاً إلى كنيسة المسيح ، والحقيقة أن القرى التابعة " لقيثار " وسكانها هم الناس الوحيدون في هذا العالم ، الذين لم يتأثروا من ذلك الحين بأية تعاليم من كنيسة المسيح) ^(٢) .

٤. وكان من منهجه في دراسة البشارات بالنبي الخاتم ، دراسة أصول معاني الكلمات اليهودية مثل " ماحماد " أو أحمد ومعانيها فيقول : إن السبيل الوحيد لفهم معني الكتاب المقدس وروحه هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية فمن هنا فقط يمكن الفهم والتقدير والمحبة لحقيقة الوحي الإلهي ، وهنا فقط يمكن الكشف عن الزيف والخداع وعناصر التحريف والمغايرة في أسوأ مظاهرها ثم بعد ذلك استئصالها . ويقول :

ومن وجهة النظر هذه فإنني أرحب بالكلمة اليونانية " يودوكيا " والتي في معناها الصحيح والحرفي تتفق بصورة عجيبة مع الكلمات العبرية " ماحماد ، ماحامود ، حمدا وحمد " والتي تستعمل بصورة متكررة في العهد القديم .

(١) محمد في الكتاب المقدس: ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٤ .

ب. "حاماد أو حمده" إن هذا الفعل يتألف من حروف ساكنة أصلية (ح م د) وهي معروفة لجميع اللهجات السامية ، حيثما جاءت هذه الحروف في الكتابات المقدسة اليهودية فإنها تعني " يشتهي " ، يقع في الحب ، يشتااق إلى ، يتلذذ ويتذوق ، ويرغب بعمق " وأولئك الذين يعرفون اللغة العربية سوف يفهمون بصورة طبيعية المعنى الشامل لكلمة " شهوة " والتي تعني بالإنجليزية " الرغبة الشديدة أو التلهف أو الجشع والطمع أو الرغبة الجامحة والشهية " هذا هو بالدقة معنى الفعل " حاماد " في المخطوطات العبرية .

ج. " ماحماد ، ماحمود " (أرميا ١٠/١ - ١١ ؛ ٤/٣) : هاتان صيغتان لاسم الفاعل واسم المفعول مشتقتان من الفعل " حمد " معناها " المرغوب فيه جداً ، البهيج ، الرائع ، اللطيف " لهذا فإن الصيغة العربية " محمد " والعبرية " ماحماد ؛ ماحمود " هي مشتقة من أصل واحد ومن نفس الفعل أو الجذر وإنما بالرغم من الفروق البسيطة في التهجئة ، فلها أساس ومعنى واحد مشترك ، وعليه فلا يكون هناك مثقال ذرة من شك في ذلك ^(١) .

د. اتخذ من الأحداث التاريخية شاهد صدق على ما يقوله ، خاصة في قضية عهد الله مع إبراهيم عليه السلام وحق الابن الأكبر إسماعيل في وراثة عهد أبيه وحكمه وبالتالي يجب الإيمان بالحقائق الصادقة التالية :

١. أن إسماعيل هو الابن الأكبر الشرعي لأبيه إبراهيم .
٢. أن العهد المبرم بين الله وإبراهيم كان في نفس الوقت عهداً مبرماً بين الله وإسماعيل ذلك لأن العهد قد أبرم قبل ميلاد إسحاق . وغير ذلك من الحقائق التي ذكرها ^(٢) .

والكتاب في جملته يعتبر إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية يمتاز بعمق الدراسة والتحليل وحيوية المناقشة وروعة الفصل في كثير من القضايا المتنازع عليها في النصرانية خاصة في البشارات بالنبي الخاتم ﷺ .

(١) محمد في الكتاب المقدس : ص ١٦٢-١٦٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٧-٥٨ .

المطلب الثاني

نماذج من مؤلفات المحدثين من العلماء في نقد الكتاب المقدس

- ١- إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي
- ٢- الفارق بين المخلوق والخالق للعلامة البغدادي
- ٣- الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح للإمام الألو سي

إظهار الحق :

للعامة رحمة الله الهندي ت سنة ١٣٠٨ هـ .

بالقراءة المتأنية لهذا الكتاب تتضح القيمة العلمية له ، فهو يُعد من المؤلفات النقدية المتميزة حيث يمتاز بالشمولية في المنهج النقدي وهو العمدة الذي يرجع إليه الباحثين المعاصرين في نقدهم للكتاب المقدس أو أحد موضوعاته .

قام العلامة رحمة الله الهندي بجهد واضح في كتابه يتضح هذا الجهد من خلال ما يلي :

١. اطلاع مؤلفه على طبعات متعددة للكتاب المقدس منها القديم والحديث ، كل ذلك مكّنه من كشف وجوه التناقض والاختلاف والأغلاط الواقعة في الكتاب المقدس بقسميه وذلك عن طريق المقابلة بين هذه النسخ المختلفة .

٢. التزم بالمنهج العلمي في نقده ذلك المنهج الذي يقوم على الحيدة والموضوعية والاستدلال المنطقي ، فيضع الدليل في موضعه اللائق به دون تعصب أو تحيز وكذلك يلتزم بالصدق في معالجته للنصوص فلم يفتعل شيئاً يلصقه باليهود أو النصارى وإنما نقدهم من واقع نصوصهم المقدسة - في زعمهم - ومن واقع آراء علمائهم .

٣. المحاورات العقلية والجدال بالتي هي أحسن كان وسيلته في مواجهة الآخر وفي نقده لأباطيل اليهود والنصارى وسلك طريقة مهذبة في الحوار تبرز أدبه الجم مع المخالف ، وعفة القلم واللسان ، واسع الصدر أثناء المناظرة والمحاورة وفي هذا بيان لسماحة الإسلام فيقول : قد تخرج كلمة تثقل على المخالف ... سيما في محفل المناظرة ، لكن لو صدر مني لفظ عن غير عمد لا يكون مناسباً لشأنهم - في زعمهم - أرجو منهم المسامحة والدعاء^(١) .

٤. يمتاز بدقة الملاحظة لما هو أصل في الكتاب المقدس وما هو إلحافي قد زيد في النصوص وما هو محرف قد انتقص منها أو زيد فيها أيضاً أو غيرُ وبُدل ويؤكد ملاحظته بأدلة من كلام مفسري الكتاب المقدس وبذلك تتضح وتتأكد المخالفة ويظهر التحريف جيداً .

والدليل على ذلك من كتابه : يقول لوقا : " ثم قال الرب فيمن أشبه أناس هذا الجيل ؟ وماذا يشبهون ؟ فهذه الجملة : ثم قال الرب : " زيدت تحريفاً وقال مفسروهم في ذيل هذه الآية : " هذه الألفاظ ما كانت أجزاءً لمتن لوقا قط ، وهذه شهادة تامة ، وقد حذفها المفسرون من المتن منهم " بنجل ، وكريسباخ " والبروتستانت يحذفونها من المتن فهذا نوع من التحريف^(١) .

(١) إظهار الحق : ٤٤/١ بتصرف .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٤١/١ بتصرف .

٥. ومن الإيجابيات عنده : عمق الفهم وسهولة الاستشهاد بالنص الواحد في أماكن متعددة يظن منها أنه يكرر نفسه ولكن الأمر بخلاف ذلك فعندما يورد النص في المكان الأول يؤكد به غلطاً معيناً قد لاحظته وعندما يورده مرة ثانية في مكان آخر يؤكد به خطأ آخر ، والدليل على ذلك : الاختلاف في بيان أولاد بنيامين فقد استشهد بهذه القضية تحت باب الاختلافات في التوراة ثم عاد وأوردها مفصلة تحت باب إثبات التحريف في التوراة وكلا الاستشهادين وجيه في مكانه ^(١).

٦. الموضوعية في نقده للنصوص فلا ينتقد من أجل النقد في حد ذاته وإنما جاء نقده بناءً هادفاً لبيان التحريف الذي وقع في الكتاب المقدس .

٧. ثناء العلماء على إظهار الحق : وكان لعلمائنا الأجلاء وقفة مع إظهار الحق تُشيد بإسهاماته الرائعة في مجال النقد العلمي للكتاب المقدس من هذه التعليقات ما يلي :

أ. يقول أ.د/ نجاح الغنيمي أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر فرع البنات : أن العلامة رحمة الله الهندي في نقده يضع الخصم في قفص الاتهام ويلجئه إلى الدفاع عن نفسه . وهو بحكم تكوينه الأكاديمي كعالم من علماء الهند المسلمين ، فقد التزم عمومًا بقواعد المنهج والأسلوب الأكاديمي ، مع استثناءات قليلة جدًا ، ولولا أخطاؤه اللغوية ، بحكم أجنبيته عن العربية لكان عمله كاملاً تماماً من كل الوجوه ^(٢).

ب. ويقول أ.د/ سيد عبد التواب أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر : يمتاز إظهار الحق بالإحاطة والشمول مع الحفاظ على العمق والأصالة ويقوم منهجه على دعامين أساسيتين : الأولي : تنبع من الثقافة الكتابية المؤسسة على مصادر أهل الكتاب المعتمدة .

الثانية : معتمدة على التخصص الدقيق في العلوم الإسلامية والفهم الشامل العميق لروح الإسلام وأصوله ، وقد تمثل الشيخ رحمة الله كل عناصر النقد الغربي والإسلامي وأخرجها في صورة تتجلى فيها شخصيته وروحه ^(٣).

(١) إظهار الحق : ١٠٦/١ ، ٢١٣ .

(٢) مقدمة كتاب : هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ - ديدات - تحقيق ودراسة د/ نجاح الغنيمي ص ٨٢ ط دار المنار ط : ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

(٣) انظر : النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة : " دراسة في تاريخ الأديان " أ.د/ سيد عبد التواب ، ص ٢٩٤ .

الفارق بين المخلوق والخالق :

تأليف عبد الرحمن بن سليم البغدادي " الباجه جي زاده " ت سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م .

هذا الكتاب يعد من أبرز الكتب النقدية التي تعني بنقد الأناجيل الأربعة المقدسة لدى النصارى ، ولقد تعددت الطرق النقدية التي اتبعها صاحب كتاب الفارق وفي مقدمتها :

١. وضع السند والمتن موضع الشك :

وقد طبق هذا المنهج على مدار صفحات الكتاب ووضع كل إنجيل موضع الشك من حيث الشك في اللغة الأصلية التي كتب بها ومن حيث اللغة التي ترجم إليها والجهل بحال المترجم من هو وما هو حاله في القوة والضعف في الدين^(١) . ومجرد احتمال تطرق الشك إلى السند يحط من رتبة هذه الأناجيل عن مكان القداسة وإنها ليست وحياً من عند الله عز وجل .

ووضع النص أيضاً موضع الشك لما يشتمل عليه من مخالفات وتناقضات واستبعاد أن المسيح عليه السلام يقول مثل هذا الكلام ويناقض نفسه وخير دليل على ذلك : قول متى : " فلو علمتم ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة : لما حكمتم على الأبرياء " منقوض بروايته نفسه في الإصحاح ١٠ الفقرة ٣٤ حيث قال : " ما جئت لألقي سلاماً ؛ بل سيفاً " والمراد من ذلك : إلزام قومه بالوقوف عند حدود الله واتباع أحكامه^(٢) .

ومثال آخر في إنجيل متى الإصحاح ٢١ الفقرة الأولى : " أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما : اذهبا إلى القرية التي أمامكما ، فاللوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلاهما وأتياي بهما ، وإن قال لكما أحد شيئاً فقولوا : الرب محتاج إليهما " الأناجيل الثلاثة صرحت بأن الرب محتاج إلى ركوب الجحش والاحتياج إلى الركوب لا يكون إلا عن ضرورة ومساس تعب وعجز عن المشي ويوحنا وإن لم يذكر في إنجيله لفظ الاحتياج فق ذكر وقوع الركوب فيكون الاتفاق من الأربعة وهذا مناقض للقول بألوهية المسيح ؛ لأن الضرورة ومساس التعب والعجز عن المشي والاحتياج من صفات الحوادث ، والإله متزه عن ذلك البتة^(٣) .

٢. تفسير النصوص الإنجيلية :

وقد اتبع في نقده لنصوص الأناجيل تفسيرها تفسيراً صحيحاً في ضوء ما تختمله النصوص من معان معتمداً على الشروح المختلفة للعهد الجديد ورد التفسير الخاطئ الذي يذهب إليه النصارى . ويعتمد كذلك على المقابلة بين النسخ المتعددة للكتاب المقدس لبيان مواطن الاختلاف التي وقعت في نصوص الأناجيل ، والتناقض والتعارض الذي وقع فيها .

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق : ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢٧ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢٥٥ .

٣. الموازنة بين النصوص المتعددة في المسألة الواحدة :

وهذه الموازنة من أجل اكتشاف الزيادة والاختلافات الواردة بين الأناجيل الأربعة مثلما فعل في مسألة العشاء الرباني^(٢) وخرج في نهاية هذه الموازنة إلى القول بانتفاء صفة القداسة والإلهام عن الأناجيل والقول بوقوع الاختلاف والتناقض بين النصوص الواردة في موضوع واحد في الأناجيل الأربعة .

٤. الاستفادة من السابقين عليه في نقد الكتاب المقدس :

استفاد صاحب الفارق كثيراً من الجواب الصحيح لابن تيميه وإظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي فاستشهد بكثير من أقوالهم خاصة في قضية الصلب التي هي أساس المسيحية المحرفة .

٥. الربط بين النص والواقع الذي يعيشه النصارى:

أسقط رؤيته النقدية على الواقع الذي يعيشه النصارى في أوروبا وغيرها وأن الانحراف الذي حث من رؤسائهم مرجعه لنظام الرهبنة المبتدع^(١) فجاءت رؤيته النقدية رؤية واقعية .

٦. ثقافته الكتابية والإسلامية الواسعة :

اطلاعه على ما ألفه علماء النصرانية من كتب خاصة المؤلفات التي تدعو إلى توحيد الأديان والتوفيق بين النصرانية والإسلام ، وإعماله عقله فيما يدعون ومحاورتهم في باطلهم ونقده بأدلة نقلية وعقلية وتاريخية ، كل ذلك مكنه من كشف الأباطيل في شأن المسيح عليه السلام ومقام الألوهية الجليل .

هذا .. والكتاب في جملته سفر قيم في توضيح غوامض الأناجيل وإبراز مواضع الاختلاف والتناقض فيها وهو محاولة قيمة وشرح وافٍ للأناجيل بأسلوب سهل ومبسط ، جرى الله كاتبه خير الجزاء .

(١) انظر الفارق : ٣٥٣-٣٥٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ص ٢٣٢ .

الجواب الفسيح لما لفقّه عبد المسيح :

للعلامة الألوسي البغدادي ت ١٣١٧ هـ .

- ١ . اشترك الألوسي مع شيخ الإسلام في منهجه النقدي لعقائد النصارى إلا أن الألوسي يعتمد في نقده على غيره من العلماء مثل العلامة رحمة الله الهندي فقد تأثر به كثيراً في كتابه والإمام ابن القيم في هداية الحيارى والعلامة الشهرستاني في الملل والنحل .
- ٢ . ومن ضمن أوجه الاشتراك المنهجي بين شيخ الإسلام والألوسي أن الكتّابين اضطلعوا بمهمة الدفاع عن الإسلام وكتابه ورسوله وصدهم هجمات التشويه ضده .

المطلب الثالث

بعض المؤلفات المعاصرة في نقد الكتاب المقدس

- | | |
|------------------------|--------------------------------------|
| د / بدران محمد بدران | ١- التوراة : " العقل العلم التاريخ " |
| د / أحمد حجازي السقا | ٢- نقد التوراة |
| د / علي خليل | ٣- التعاليم الدينية اليهودية |
| د / عابد توفيق الهاشمي | ٤- التربية في التوراة |
| د / محمد مجدي مرجان | ٥- الله واحد أم ثلوث |
| أ / علاء أبو بكر | ٦- المسيحية الحقّة |

كتاب التوراة : " العقل ، العلم ، التاريخ "

د/ بدران محمد بدران طُبع سنة ١٣٩٩ هـ

١. يُعد هذا الكتاب من أقوى الإسهامات المعاصرة في المجال النقدي للعهد القديم ، فهو محاولة جادة من كاتب متخصص واسع الاطلاع ذو قدرة على التحليل والاستنباط والترجيح .
٢. يمتاز كتابه بالأصالة في الرأي والابتكار في الأسلوب فأبدع وأجاد في تناوله للقضايا التي يشتمل عليها الكتاب .
٣. اعتمد في كتابه على الناحية العقلية في المقام الأول ليأخذ بيد القارئ إلى القناعة التامة لما يحتويه العهد القديم من مخالفات تتعارض مع العقل السليم والفطرة النقية .
٤. اعتمد في معالجته للنص التوراتي على الناحية العملية فكان موضوعيًا في مناقشته للمتناقضات والمخالفات التي رصدها ، فعرض ما وجد من مخالفات على العلم ليبين مدى مخالفة التوراة للحقائق العلمية ، وبعد عرضه يُعقب على نقده بأسئلة استنكارية لما تدعيه التوراة من أمور تُخالف أبسط الحقائق العلمية الثابتة .
٥. تأثر د/ بدران بالعلامة رحمة الله الهندي في مواضيع كثيرة من كتابه إلا أنه يتمتع بالابتكار في الأسلوب النقدي لنصوص العهد القديم ..
٦. في نقده للعهد القديم أبرز مواضيع التناقض فيه وذكر على ذلك أمثلة كثيرة علق على بعضها موضعًا أبعاد التناقض فيها وترك البعض الآخر دون تعليق لوضوح المخالفة فيها ، وليترك فرصة للقارئ أن يقف مع النص متعجبًا لما يشتمل عليه من مخالفات ويُعمل عقله فيه .
٧. ومن الملاحظات التي تؤخذ على د/ بدران من حيث الأسلوب الذي اتبعه في كتابه : أنه أسلوب إنشائي خطابي يعتمد على التأثير في نفس القارئ بالألفاظ المترادفة التي تؤكد المعاني فيتدخل في سرد القصة التوراتية بأسلوب أدبي أحيانًا ليقربها إلى ذهن القارئ .
٨. وأهم ما تميز به كتابه أنه يقدم للنص تفسيرًا تحليليًا بألفاظ سهلة ميسرة يتضح من خلالها ما يحتوي عليه النص من مخالفات أو تناقضات أو أمور غير أخلاقية ثم يُعقب على النص بعد ذلك بطرح أسئلة استنكارية تبين بشاعة ما تلصقه التوراة بالله سبحانه وتعالى وبالأنبياء عليهم السلام . وفي هذا التعقيب إثبات ضمني للتصور الإسلامي الصحيح لما ناقشه من موضوعات .
٩. ثقافته التاريخية الواسعة واطلاعه على أديان الشرق الأدنى كمصر والعراق ، واطلاعه على كتابات الغربيين كأودلف إرمان ود/ جرسمان والعلامة هنري برستد وغيرهم ، مكنه من إثبات تأثر كتبة التوراة بالوثنيات القديمة وأن بعض أسفارها مقتبس من أصل مصري قديم كسفر الأمثال ، وسفر أرميا ، وتأثر

كتبة العهد القديم بفلسفة قدماء المصريين . وبين وجود علاقة واضحة بين العهد القديم والأديان القديمة والأدب المصري القديم وهذه العلاقة غريبة ومريبة (١) .

١٠ . فند الأباطيل التي كثر في نصوص العهد القديم أشهرها أكذوبة شعب الله المختار ، وقصة الذبيح وكشف عن كثير من المغالطات في هذه الموضوعات وغيرها (٢) .

والكتاب في مجمله دراسة قيمة حول العهد القديم أبرزت التناقض داخل نصوصه والتعارض مع العقل والتاريخ والحقائق العلمية الثابتة .

كتاب التربية في التوراة : " عرض وتقويم " بميزان الإسلام ، طبع سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
أ.د / عابد توفيق الهاشمي .. أردني الأصل والنشأة .

١ . هذا الكتاب يقدم صورة حقيقية للتوراة في نظرهما إلى خلق الإنسان وطبيعته وكيف اهتمت التوراة المحرفة بتربية الإنسان من جميع الجوانب كما يريد اليهود فقد عالج د/ عابد هذه الجوانب في تربية الإنسان عقائدياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً وما يترتب على هذه التربية من انعكاسات في حياة اليهود الراهنة ، وطبق في معالجته هذه المنهج العلمي الأكاديمي بصفته أستاذ متخصص في الأديان .

٢ . أسس نظرة التوراة التربوية للإنسان وما يحيط به - الإنسان اليهودي - ومن هنا ينطلق الفرد في تعاملاته مع من حوله ، الأمر الذي يصل الباحث إلى تحديد أبعاد العملية النقدية التي سار عليها في كتابه وهي :
البعد الأول : إثبات التحريف الواضح الذي يخدم الثقافة العنصرية والنفسية اليهودية المشوهة .
البعد الثاني : بيان انحراف العقلية اليهودية في التصور العقائدي خاصة وفي جميع التصورات الأخرى عامة .

٣ . وقد تميز منهج د/ عابد في كتابه من بين المناهج النقدية المعاصرة للكتاب المقدس ، وأبرز ما يميزه التزامه بأصول البحث الأكاديمي لخبرته الطويلة في التدريس الجامعي في البلدان العربية وأغلب مؤلفاته ينصب حول نقد التوراة المحرفة وكشف فضائحتها وفي نفس الوقت موضوعيته النقدية جعلته لا يغفل الجانب الحسن في التوراة .

٤ . وفي تقويمه للتوراة في الجانب التربوي سار على النهج التالي :
- قام بالمقابلة بين نسختي التوراة السامرية والبروتستانتية في نقد النصوص لبيان الزيادة والنقصان فيها .
- استرشد بآراء النقاد من علماء اليهود والنصارى في نقد التوراة وفي بيانهم لمواطن التحريف فيها .

(١) التوراة - العقل - العلم - التاريخ ص ١٨٦ ، ١٩٤-١٩٧ ، ٢٠٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠٥ ، ص ٢١٥-٢١٨ .

- الاعتماد على تفسير الآيات التي يستدل بها أثناء النقد وإثبات التصور الإسلامي الصحيح في كل موضوع عاجله من موضوعات الكتاب .
 - للشواهد التاريخية أيضًا مكانة مهمة في تأكيد رؤيته التقويمية لتصويب التحريف الذي يكتشفه في النصوص .
 - في نهاية كل مبحث يعرض تقويمًا لما ورد في التوراة - في هذا المبحث - حول كل موضوع درسه فيه ، وبيان نظرة التوراة المحرفة فيه ثم يتبعه بالتصور الإسلامي الصحيح من القرآن والسنة .
 - ٥ . صار في طريقته النقدية على المنهج العلمي القائم على نقد النصوص في ضوء العقل والعلم والمنطق .
- هذا .. والكتاب في مجمله جديد في موضوعه عميق في معالجته العلمية التزم فيه كاتبه بالموضوعية التامة والعلمية الفائقة .

كتاب نقد التوراة " أسفار موسى الخمسة " السامرية ، العبرانية ، اليونانية " : تأليف د/ أحمد حجازي السقا / طبع سنة ١٩٧٦ م .

- ١ . هذا الكتاب واحد من الكتب المعاصرة التي اهتمت بنقد العهد القديم خاصة قام صاحبه فيه بدراسة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام وحقق في هذا الأمر وبين أن هذه النسبة لا تصح بحال من الأحوال وأن كاتبها واحد آخر غير موسى عليه السلام اختلف في شخصيته وفي أي زمان تمت الكتابة وقال إن السامريين يقولون إنه عزرا ، الذي حرف كلام الله وغير وبدل عمدًا بمحض إرادته ^(١) .
- ٢ . والذي يؤكد أن كاتب التوراة لم يكن هو موسى عليه السلام أن د/ السقا ، قد وثق كلامه هذا بالأدلة وقال إنه لا ينبغي أن نكتب نصًا ونضيفه إلى موسى عليه السلام وتأكيده لذلك فإنه يقدم للنص بقوله : يقول الكاتب ثم يذكر النص . مثال : يقول الكاتب : " وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة أكلوا المن حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان " (خروج ١٦/٣٥) فهذه الآية ليست من كلام موسى لأن المن نزل على بني إسرائيل طوال سني موسى ولم يُمنع المن إلا بعد ما دخل يسوع أريحا وعبر الأردن كما في (يشوع ١٠/٥ - ١٢) ^(٢) .

(١) انظر : نقد التوراة : ص ٧٣ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٤ .

٣. الكاتب في نقده للتوراة بنسخها الثلاث تأثر بالعلامة رحمة الله الهندي في كثير من واضع الكتاب خاصة في بيان الأخطاء التي وقعت في التوراة ، وفي بيان مواضع التحريف فيها ، وقد استفاد كثيراً من علماء الحركة النقدية السابقين قدامي ومحدثين .

٤. ومن أهم ما قام به في كتابه :

أ. المقابلة بين نسخ التوراة المختلفة لإظهار التغيير والتبديل الذي تم بينها ، فتارة يقابل بين العبرانية والسامرية فيقول : في سفر الخروج في الإصحاح الثلاثين من الآية الأولى إلى الآية العاشرة في العبرانية محذوف من التوراة السامرية^(١) . وتارة يقابل بين العبرانية واليونانية أيضاً فيقول : في العبرانية : " فسجد إسرائيل على رأس السرير (تكوين ٤٧/٣١) وفي اليونانية : " على رأس عصاه " (٢) .

ب. اتبع في توضيح اللفظ والمعنى في التوراة إبراز التناقض في المعنى مع سهولة اللفظ ، وأن اختلاف التراجم للتوراة يؤدي إلى صعوبة العبارة .

ج. بين دلالة الجملة والكلمة المفردة في التوراة والإنجيل على الحقيقة والمجاز خاصة في كلمات " الإله ، الأب ، الابن ، روح الله ، روح القدس " مشيراً إلى أن المعنى المجازي يطرحه اليهود والنصارى جانباً ويغفلون عنه ، ويحملون هذه الألفاظ على حقيقتها .

د. اختلاف العبارات في العبرانية والسامرية واضطرابها جعله دليلاً واضحاً على استبعاد أن يكون هذا الكلام موحى به من عند الله عز وجل أثناء مناقشته لدعوى الإلهام عند اليهود ونقده لها فيقول :
" إنك حين ترى الاختلافات في العبرانية والسامرية مثلاً ، الاختلافات في العبرانية وحدها لا يمكنك أن تظن مجرد ظن بأن هذا كله فكر الله ووحى الله لأن الروح القدس على سبيل المثال لا يوحى بجبل عيبال في موضع وبجبل جرزيم في موضع آخر وأن الروح القدس لا يوحى للسامريين بخمسة أسفار ويوحى للعبرانيين بتسعة وثلاثين سفرًا ، ولا يوحى للذين ترجموا العبرانية إلى اليونانية بأن جعلوها ستة وأربعين (٣) .

هذا .. والكتاب في جملته من أهم المؤلفات في الإنتاج العلمي المعاصر لعلماء الحركة النقدية ويمثل إضافة حقيقية لنقد الكتاب المقدس .

(١) نقد التوراة : ص ١٣٣ .

(٢) نقد التوراة : ص ١٣٩ .

(٣) نقد التوراة : ص ٢٠٤ .

كتاب التعاليم الدينية اليهودية :

تأليف د/ علي خليل ، طبعة المركز الفلسطيني للإعلام .

هذا الكتاب مسجل على شبكة الإنترنت العالمية من إصدارات مركز الإعلام الفلسطيني ، وهو يشكل إضافة حقيقية للمكتبة الإسلامية وقد أثرى الموضوع من خلال معالجته النقدية لأهميات القضايا التي يركز عليها العهد القديم . ويمتاز الكتاب بالكثير ، من ذلك ما يلي :

١ . يتسم بالجرأة في فضح المخططات اليهودية التعليمية فقد بين فيه كيف يربي اليهود أطفالهم في المدارس والجامعات على كره الإسلام والمسلمين منذ الصغر وعلى الأخلاق العدوانية والتميز العنصري .

٢ . جاء نقده للعهد القديم نقدًا موضوعيًا حول ثلاثة محاور :

المحور الأول : بيان التزعة العنصرية في أسفار العهد القديم ، فجمع كل ما يتصل بهذا الموضوع من جميع أسفار العهد القديم منتقدًا لها نقدًا علميًا دقيقًا .

المحور الثاني : بيان التزعة العدوانية في أسفار العهد القديم جمع تحته أيضًا ما يشعر بوجود الروح العدوانية في نصوص العهد القديم ونقدها بروح حيادية حسب ما يقتضيه النص دون أن يحمله ما لا يحتمل .

المحور الثالث : بيان الانحلال الخلقي في أسفار العهد القديم ورصد من خلال ذلك نماذج لا أخلاقية قد عجت بها أسفار العهد القديم .

٣ . ربط بين النص والواقع المعاصر فجاء كتابه مزيجًا بين الرؤية الواقعية للأحداث وبين النصوص التوراتية ، فقد ربط بين النص والواقع ربطًا رائعًا يدل على أنه متميز في نقد التوراة وقد اتضح ذلك من خلال فصول الكتاب . والأصل عنده بيان الخلفية الدينية المزيفة وراء ما يحدث على أرض الواقع من اليهود في العصر الحديث ، وأن المنطلق الأساسي لليهود يركز على عقيدة دينية محرفة .

٤ . الستزم بالحيدة التامة في مناقشته للنصوص التوراتية فلم يحمله ما حدث للمسلمين في فلسطين ويحدث إلى الآن - على أن يصدر من قلمه ما يُسيء إلى أحد بعينه فكان قلمه عفيفًا على مدار البحث كله ملتزمًا بالمنهجية العلمية في كتابه .

هذا .. والكتاب في جملته إضافة عصرية لما كُتب في الاتجاه النقدي للعهد القديم وهو محاولة جادة للتعرف على ما يقوم به اليهود في العالم ورؤية واضحة للفكر اليهودي القديم والمعاصر وما هي الأسس التي تسير عليها الشخصية اليهودية في الماضي ويستمد منها يهود الحاضر أمجادهم ويستلهمون من أحداثها ما يقومون به اليوم من أنشطة عامة وخاصة .

كتاب : الله واحد أم ثالث ؟ :

تأليف : د/ محمد مجدي مرجان .

١. بين في كتابه أهمية الإيمان في حياة الإنسان ، وأن الذي يحيا بلا إيمان كجسد بلا روح ومن ثم فإن الكتاب يدور حول قضية الإيمان بالله سبحانه ووحدانيته وهل هو واحد أم ثلاثة ؟ ، وكيف انخرط النصارى في هذا الإيمان ؟ وجعلوا الله ثلاثة الأب والابن والروح القدس وهم عندهم أساس الإيمان المسيحي ومن لم يؤمن بهذا الثالث فهو كافر مستحق اللعنة في الدنيا والآخرة ومستوجب النار ومحروم من دخول الفردوس .

٢. بين أيضًا مقولة النصارى الباطلة وهي الثالث وأقوال علماء النصارى حول هذه العقيدة ، خاصة فلاسفة المسيحية ، وفي نقدها التزم بالموضوعية الكاملة في عرضه لقضايا الثالث والحيدة التامة حتى لا يُقال أنه متحامل ومتحيز لطرف دون طرف ، فيعرض أقوالهم بإنصاف حتى تتضح أبعادها لدى الباحث عن الحقيقة وبالتالي يسهل الرد عليها وإبطالها من داخل مفرداتها ومكوناتها التي يدعوها .

٣. وقد اتبع في رده على هذه الأقوال الفاسدة في الثالث طريقة المجادلة بالتي هي أحسن وعفة القلم واللسان والالتزام بأدب الإسلام مع المخالف ، كان كل ذلك علامة تميز بها هذا الكتاب .

٤. استخدم المنهج العقلي في نقده لعقيدة الثالث بعرض ما يقولون على العقل وأنه يستحيل في العقل أن يكون الله مركب من أجزاء أو يكون الثلاثة واحدًا ، كما يستحيل أيضًا وجود أكثر من إله ؛ إذ لو وجد أكثر من إله لكان مدعاة للتناحر وانحياز كل إله لمخلوقاته ^(١) .

٥. استخدم أسلوب الاستفهام الإنكاري لما يقولون فيقول مثلاً : لماذا يا ترى قصر دعاة الثالث عناصر الله وأقانيهما على ثلاثة فقط ؟ ولماذا لم تكن أربعة أقانيم أو خمسة مثلاً أو أكثر من ذلك أو أقل ؟ ^(٢) .

٦. ثقافته المسيحية مكنته من الإتيان والإجادة في نقده لهذه العقيدة ، إذ أنه كان مسيحياً ومَنَّ الله عليه بالإسلام عن إيمان واقتناع كامل دون ما إكراه من أحد ، وكذلك ثقافته الإسلامية الواسعة واستفادته من كتاب إظهار الحق تحديداً وغيره من الكتب جعلته هذه وتلك يتمكن من رصد مواطن الخلل في الكتاب المقدس .

(١) الله واحد أم ثالث : ص ٦٥-٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٣ .

٧. في نقده لعقيدة الثالوث قام ببيان أهمية التعويل على المعنى المجازي للأب والابن والروح القدس وخرج من هذه الجولة النقدية بما يهدم هذه العقيدة وأنها من وضع بشر ، وقد وضع أساسها في المجامع المقدسة في زعمهم .

٨. والكتاب يميل إلى استطراد الردود الفلسفية والمحاورات المنطقية والعقلية ، إضافة إلى أنه يعتمد في أغلب فصوله على إبطال مفردات الثالوث بأدلة من الكتاب المقدس .

✳ كتاب : المسيحية الحقّة كما جاء بها المسيح " بين الالتزام والتحريف ودعوة الإسلام "

تأليف أ/ علاء أبو بكر ، طبعة مكتبة وهبة ، سنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

١. بدأ المؤلف كتابه بداية تقليدية ببيان مصادر المسيحية التي تعتمد عليها الكنيسة وهي الأناجيل الأربعة " متى - مرقس - لوقا - يوحنا " مبيناً محتوياتها والمشكلات التي يشتمل عليها كل إنجيل على حده .

٢. اتبع المنهج العلمي في جمع المادة العلمية للكتاب ، فمن خلال اطلاعه الواسع على الشروح المختلفة للعهد الجديد قد اعتمد في أغلب عرضه على آراء الباحثين الغربيين ، ثم بعد ذلك أسس له رأياً مستقلاً في هذه الأناجيل ، وخلاصة ما رآه حول هذه الأناجيل الأربعة ما يلي :

أ. كثرة الاختلافات بين الأناجيل الأربعة في الموضوعات الأساسية للنصرانية وغيرها .

ب. التناقض والتعارض بين الأناجيل الأربعة خاصة في عقائد النصرانية .

ج. عدم التحقق من كُتاب الأناجيل ، وأن معظم ما ورد حولهم يقوم على الظن والتخمين والشك ، وطالما تطرق الشك في الكُتبه بالتالي يتولد الشك في النصوص ونسبتها إليهم .

٣. عرض لنصرانية بولس وكيف تحول من اليهودية إلى النصرانية والسر وراء ذلك ؟ ، وكان منهجه في إثبات حقيقة بولس الاستناد إلى نصوص الأناجيل ورسائله التي تفضح مؤامراته وتوجهاته ضد المسيحيين وخلص من تلك الجولة النقدية لما كان عليه بولس من مخالقات إلى أن النصرانية الحالية لم تكن نصرانية المسيح بل هي نصرانية بولس .

٤. التزام بالموضوعية التامة في نقده لمفتريات النصارى على المسيح ﷺ حيث جمع كل ما يتصل بالموضوع الواحد من أدلة تفصيلية في مكانها الأصلي اللائق بها ، فمثلاً في فصل : هل المسيح بشر أم إله أم ابن إله ؟ أورد على سبيل الاستقصاء جميع الأدلة التي تبطل مزاعمهم في المسيح ثم عقب في نهاية الأدلة بذكر ما ورد في القرآن الكريم في حق المسيح ﷺ ويؤكد كفر النصارى وضلالهم .

٥. اتسبع في نقده المنهج التفسيري لتوضيح ما تشتمل عليه النصوص ، فقد أبطل دعوى التثليث بأنه يوجد في الكتاب المقدس ما يدل على التوحيد فذكر ٧٢ دليلاً كفيلاً بإزهاق باطلهم وادعائهم بأن الله سبحانه وتعالى ثالث ثلاثة ، ويفسر من هذه الأدلة ما يحتاج إلى تفسير ويترك الآخر لوضوح الدلالة فيه .

٦. بين التضارب الذي وقع في الأناجيل في قضية صلب المسيح ومدى الاختلاف في تفاصيل القصة ليتأكد لدى القارئ أن الأناجيل الأربعة ليست وحياً من الله عز وجل ؛ بل هي من صنع بشر .

٧. في دراسته للبشارات في الكتاب المقدس التزم بالمنهج العلمي في نقده لما أحدثه المحرفون من النصارى فقد أثبت بالأدلة القاطعة أن البشارات الموجودة في العهدين تنصرف أولاً وآخرًا إلى النبي ﷺ .

وقد اتسم منهجه النقدي بالحيدة التامة والموضوعية الفائقة ورد التفسير الخاطئ للبشارات إلى التفسير الصحيح لها وتبع ورود البشارات في الكتاب المقدس سفرًا سفرًا وبيان مقصودها .

هذا .. والكتاب يمثل دعوة صريحة للمناقشة العلمية والحوار البناء البعيد عن التعصب التزم فيه بالجدال بالتي هي أحسن واحترام الآخر ومحاورته محاورة علمية دقيقة . جزى الله كاتبه خير الجزاء .

الفصل الثاني

عرض محتويات الكتاب المقدس

١ - الكتاب المقدس إجمالاً .

٢ - الكتاب المقدس تفصيلاً .

أولاً : العهد القديم

ثانياً : العهد الجديد

التعريف بالكتاب المقدس :

أولاً : التعريف الإجمالي :

الكتاب المقدس : هو مجموع الكتب الموحاة من الله - في زعمهم - ، والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه ، ومجموع النبوات عما سيكون المنتهي ، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع البشر في كل الأزمنة ^(١) والمقدس في اللغة أى المبارك المطهر ^(٢)

وينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين :

الأول : العهد القديم : وهو القسم الخاص بالعبادة اليهودية التي هي أساس المسيحية الحالية ويضم هذا القسم تسعة وثلاثين سفرًا أو كتاباً تبدأ بالتوراة والتي تكون الخمسة أسفار الأولى .. ثم كتب بقية أنبياء إسرائيل ^(٣) .

الثاني : هو العهد الجديد : وهو القسم الثاني من الكتاب المقدس ويضم سبعة وعشرين سفرًا بدءًا بالأنجيل الأربعة ^(٤) .

وإطلاق هذا اللفظ علي العهد القديم والعهد الجديد من قِبَل النصارى باعتبار أنه مقدس في زعمهم واعتقادهم واستخدام هذا الوصف من قبل المسلمين ليس اعترافاً بقداسة هذا الكتاب وإنما لأن هذا الاسم صار علماً بالغلبة علي مجموع الأسفار التي يدين بها النصارى بالقداسة والإجلال ^(٥) .

(١) قاموس الكتاب المقدس : د / بطرس عبد الملك ، وآخرون . ص ٧٦٢ .

(٢) لسان العرب : لابن منظور ، ٣٥٥٠/٥ .

(٣) التوراة (العقل - العلم - التاريخ) : د/ بدران محمد بدران ، ص ١٥ ط ١ دار الأنصار ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٤) المرجع السابق ص ١٥ .

(٥) جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس (من القرن الأول الهجري حتى القرن السابع الهجري) د/ ياسر أبو شبانه

ص ١٢ هامش (رسالة دكتوراه) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

ثانياً : الكتاب المقدس تفصيلاً :

فإن مصطلح العهد القديم (يُطلق علي الأسفار المقدسة للديانة اليهودية .. ومن أهم أسفار هذا العهد مجموعة تسمى كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو التوراة ، ويُطلق علي الأسفار المقدسة للديانة النصرانية اسم " العهد الجديد " ومن أهم أسفار هذا العهد مجموعة تسمى الأناجيل ويُراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين ما يرادف معني " الميثاق " أي كلتا الطائفتين من الأسفار تمثل ميثاقاً أخذته الله علي الناس : فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً يرجع إلي عصر سيدنا موسى عليه السلام ، والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور سيدنا عيسى عليه السلام وجرت العادة أن يُجمع أسفار العهدين معاً في كتاب يُطلق عليه اسم " الكتاب المقدس " (١) .

أولاً : تعريف العهد القديم :

هو : التوراة الكتابية ، بمجموع أسفارها المقدسة لدي اليهود والنصارى ، فالعهد القديم هو الميثاق الذي أخذته الله علي الإسرائيليين أن يلتزموا به (٢) .

أما اصطلاح (العهد القديم) فما كان معروفاً قديماً ، وإنما هو اصطلاح حديث خطط له اليهود ، واستجابت بعض الطوائف النصرانية لهم **في هذا الأمر** لتكون التوراة أمماً للعقيدة النصرانية ، فوضع النصارى التوراة ، وسموها بالعهد القديم إلي جوار الأناجيل وبقية أسفار دينهم وسموها بالعهد الجديد وضموا الاثنين في غلاف واحد باسم " الكتاب المقدس " لتكون عقيدة اليهود في التوراة هي عقيدة النصارى كذلك بما ضمن لليهود تعاطف النصارى معهم في كل ما تتبناه التوراة من عقائد ، فيتبعون اليهود ، لأنهم يوصفون في التوراة بأنهم شعب الله المختار وأنهم آلهة (٣) ويعينونهم بكل طاقاتهم علي تحقيق أحلامهم وادعاءاتهم ومن تلك : تملك أرض الميعاد (٤) .

هذا وتختلف نظرة اليهود للعهد القديم من حيث عدد أسفاره وتقسيمها وترتيبها ومن حيث قدسيته عن نظرة النصارى له من هذه الجوانب أيضاً :

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د/ علي عبد الواحد وافي ص ٣ .

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د.١ / فتحي محمد الزغبى ص ٤٧ ، بتصرف بالحذف .

(٣) يشير إلي النص الذي يقول : " أنا قلت إنكم آلهة ، وبنو العلي كلكم " مزمو ٨٣ لإساف ٦ .

(٤) يراجع : التربية في التوراة د.١ / عابد توفيق الهاشمي ص ١٦ ومن الطوائف التي استجابت لليهود البروتستانتية ثم الكاثوليكية .

عدد أسفار العهد القديم عند اليهود :

اختلف اليهود حول هذا العدد فقال أغلبهم : عدد أسفار العهد القديم أربعة وعشرون سفيراً وهي كالتالي :

- ١- أسفار موسى الخمسة (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية) .
 - ٢- أسفار الأنبياء ، وينقسم إلى :
 - أ . أنبياء متقدمون وهم أسفار (يشوع - القضاة - صموئيل - الملوك) .
 - ب . أنبياء متأخرون وهم :
 - أنبياء كبار - في زعمهم - : ويشتمل علي ثلاثة أسفار " أشعيا وأرميا وحزقيال " .
 - أنبياء صغار - في زعمهم - : وهو سفر واحد يتحدث عن اثني عشر نبياً من أنبياء بني إسرائيل وهم " ناحوم - حبقوق - هوشع - يوثيل - عاموس - عوبديا - يونس - ميخا - صفنيا - حجي - زكريا - ملاحي " .
 - ٣- الكتابات (الكتب) : وتشتمل علي أحد عشر سفيراً في ثلاثة أقسام :
 - أ . الكتابات الشعرية وهي : " المزامير - الأمثال - أيوب " .
 - ب . المخطوطات الخمس وهي : نشيد الإنشاد - راعوث - المراثي - إستير - الجامعة
 - ج . الكتب التاريخية وتشتمل علي " دانيال - عزرا ونحميا - أخبار الأيام ^(١) .
- وذهب البعض إلى أن عدد أسفار العهد القديم اثنان وعشرون سفيراً وقد جعلوا سفري راعوث والقضاة سفيراً واحداً والمراثي وأرميا سفيراً واحداً فيكون مجموع الأسفار اثنين وعشرين سفيراً فقط ^(٢) .
- وذهب بعضهم إلى أن عدد أسفار العهد القديم تسعة وثلاثون سفيراً ، حيث جعلوا (صموئيل والملوك ، أخبار الأيام) ستة أسفار بدلاً من ثلاثة ، كما جعلوا أسفار الأنبياء الصغار اثني عشر سفيراً ، وجعلوا (عزرا ونحميا) سفرين بدلاً من سفر واحد ^(٣) . والعهد القديم عند " السامريين " ^(٤) هو أسفار موسى الخمسة فقط ، ولا يعترفون ببقية أسفار العهد القديم ويعتبرونها غير قانونية ^(٥) .

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د/ فتحي الزغيبي ص ٤٨ : ٥١ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ص ٧٦٤ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٣) انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٥٢ .

(٤) هم : السكان المتصلون بالملكة الشمالية ، وفي كتابات العبرانيين المتأخرة التي جاءت بعد السبي كان معناها سكان إقليم

السامرة الذي يقع في وسط فلسطين (لوقا ١٧/ ١١) (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٩ .

(٥) انظر : التوراة السامرية : ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري ص د / أحمد حجازي السقا - ط دار

الأنصار - بالقاهرة ، نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة) السامرية ، العبرية واليونانية د / أحمد حجازي السقا ، ص ١٩

مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٦ م .

والعهد القديم عند اليهود العبرانيين ^(١) له اطلاقان حقيقي ومجازي .
 فالإطلاق الحقيقي علي أسفار موسى الخمسة [التكوين - الخروج - اللاويين (الأخبار) -
 التثنية (الاشتراع)] .
 والإطلاق المجازي : يشمل باقي أسفار العهد القديم وهي (يشوع - القضاة - راعوث -
 صموئيل - ١ ، ٢ - الملوك ١ ، ٢ - أخبار الأيام ١ ، ٢ - عزرا - نحميا - أستير - أيوب - المزامير -
 الأمثال - الجامعة - نشيد الإنشاد - أشعيا - أرميا - - مرثي أرميا - حزقيال - دانيال - هوشع -
 يوشع - عاموس - عوبديا - يونا - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجي - زكريا - ملاخي)
 والتوراة العبرانية هي الأكثر انتشاراً بين اليهود وهي ما اعتمد عليه أغلب النصارى أيضاً فجعلوها
 تحت اسم العهد القديم وجميع النصارى يسمون كتب التوراة : العهد العتيق أو القديم ، ويسمون
 كتب الأنجيل : العهد الجديد ويسمون مجموع كتب العهدين : الكتاب المقدس ويسمونه أحياناً
 ببَيْل - بسكون الياء وهو لفظ يوناني أطلق علي مجموع العهدين ^(٢) .

ترتيب أسفار العهد القديم عند اليهود :

انقسم اليهود إلي فريقين في هذا الترتيب :

الفريق الأول : أقر الترتيب التاريخي للأسفار فبدأ بالأسفار الخمسة ثم أسفار الأنبياء ثم الكتب .

الفريق الثاني : رتبوا الأسفار حسب الموضوعات كالتالي :

- ١- الأسفار الخمسة (تكوين - خروج - لاويين - عدد - تثنية)
- ٢- الأسفار التاريخية وعددها اثنا عشر سफراً وهي (يشوع - قضاة - راعوث - صموئيل ١ ، ٢ -
 ملوك ١ ، ٢ - أخبار الأيام ١ ، ٢ - عزرا - نحميا - أستير) .
- ٣- الأسفار الشعرية وعددها خمسة أسفار (أيوب - المزامير - الأمثال - الجامعة - نشيد الإنشاد) .
- ٤- أسفار الأنبياء ، وعددها سبعة عشر سफراً وهي " أشعيا - أرميا - مرثي أرميا - حزقيال -
 دانيال - هوشع - يوشع - عاموس - عوبديا - يونا - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا -
 حجي - زكريا - ملاخي) ^(٣) .

(١) هم : المنتسبون إلي عابر أحد أجداد إبراهيم الذي أتى إلي فلسطين وقد منحهم اللقب الكنعانيون إذ سمو إبراهيم العبراني

بعد أن عبر نهر الفرات إلي فلسطين (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٦) .

(٢) نقد التوراة د/ السقا ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف .

(٣) انظر : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د/ الزغي ص ٥٣ ، ٥٤ والأسفار المقدسة د/ وافي ص ١٣ : ١٦

موقف اليهود من التوراة الحالية :

تحتل التوراة مكانة الصدارة عند اليهود إذ أنهم يعتبرونها المصدر الأول للتشريع عندهم رغم ما أصابها من تحريف وتناقض ولذلك فإنهم (يعتقدون بقديسيته ودوام أحكامها واعتمدوا علي نصوص منسوبة إلي بعض أنبيائهم منها النص المنسوب إلي يعقوب " عليه السلام " أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب . روجي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من نسلك ، ولا من نسل نسلك ، قال الرب من الآن وإلي الأبد)^(١) .

ويعتقدون أيضاً : أنها نظام حياة وحكم وسلوك لأتباعها عبر الزمن " لكي توصوا بها أولادكم ، ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة ؛ لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم ، بل هي حياتكم "^(٢) .

ومن مظاهر قداسة التوراة " العهد القديم " عندهم أيضاً : أنهم يدعون أن الله عز وجل " خصهم بالأرض المقدسة فلسطين من دون العالمين : " فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعملوها ، لكي تحيوا وتدخلوا وتتملكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم ، لا تزيدوا علي الكلام الذي أنا أوصيكم به ، ولا تنقصوا منه ، لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم ، التي أنا أوصيكم بها "^(٣) .

عدد أسفار العهد القديم عند النصارى :

سبق الإشارة إلي وجود اختلاف في تقسيم العهد القديم بين اليهود والنصارى وهنا يجدر الإشارة إلي أن النصارى أنفسهم يختلفون أيضاً في هذا التقسيم والترتيب وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي ذلك التضارب الواضح بين الطوائف المسيحية المختلفة وبيان ذلك كالتالي :

- ١ - عدد أسفار العهد القديم عند طائفة البروتستانت^(٤) تسعة وثلاثون سفاً ويقولون إن التوراة العبرانية هي الصواب ويرتبون أسفارها كالتالي : تكوين - خروج - لاويين - عدد - تثنية - يشوع - قضاة - راعوث - صموئيل ١ ، ٢ - ملوك ١ ، ٢ - أخبار الأيام ١ ، ٢ - عزرا - نحميا - أستير - أيوب - المزمير - الأمثال - الجامعة - نشيد الإنشاد - أشعيا - أرميا - مراثي أرميا - حزقيال - دانيال - هوشع - يوشع - يوشع - عاموس - عوبديا - يونا (يونس) - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفينا - حجي - زكريا (وليس هو والد يحيى عليه السلام) - ملاخي^(٥) .

(١) أشعيا : (٢١/٥٩) الخطية والاعتراف والفداء ، وانظر : التربية في التوراة د/ الهاشمي ص ١٧

(٢) تثنية : (٤٧/٤٦/٣٢) نشيد موسى ، وانظر : المرجع السابق ص ١٧ .

(٣) تثنية : (٤ ، ١ ، ٢) الأمر بالطاعة ، وانظر : المرجع السابق ص ١٧ .

(٤) ترجع هذه التسمية إلي الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي ، وخرجوا علي الكنيسة الكاثوليكية ؛ لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجاً يسمى بالإنجليزية بروتست ، فسمي الذين أمضوا القرار بروتستانت أي المحتجين (أنظر : محاضرات في النصرانية - أبو زهرة ص ١٧١ ط دار الفكر العربي ١٩٦١ م .

(٥) نقد التوراة د/ السقا ص ٢٠ ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د/ الزغي ص ٥٦ ، ٥٧ .

٢- عدد أسفار العهد القديم وترتيبها عند طائفتي " الأرثوذكس" ^(١) و" الكاثوليك" ^(٢) : عدد أسفار العهد القديم عند هاتين الطائفتين ثمانية وأربعون سفرًا ، ويعتبرون أن التوراة العبرانية قد تُرجمت إلى اليونانية سنة ٢٨٥-٢٤٧ ق.م ويعتبرونها مقدسة ، وهي تزيد عن التوراة العبرانية ، الأسفار والإصحاحات والآيات التالية :

م	اسم السفر	عدد الإصحاحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
١	طوبيا	١٤-١	بعد سفر نحemia
٢	يهوديت	١٦-١	بعد سفر طوبيا
٣	تتمة أستير	١٦-١	بعد سفر أستير
٤	الحكمة	١٩-١	بعد نشيد الإنشاد
٥	يشوع بن سيراخ	٥١-١	بعد سفر الحكمة
٦	باروخ	٦-١	بعد مرثي أرميا
٧	تتمة دانيال	١٤ ، ١٣ - ١٤	مع سفر دانيال
٨	المكابيين الأول	١٦-١	بعد سفر ملاخي
٩	المكابيين الثاني	١٥-١	بعد المكابيين الأول (٣)

- (١) هم : نصارى الشرق وراثستهم في مصر ، وقلدياً يسمون اليعاقبة (انظر : أقانيم النصارى د / أحمد حجازي السقا ص ٦٧ ط - دار الأنصار ط ١ / ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) والأرثوذكس ^{نقح} أصحاب الرأي المستقيم (انظر : الأسفار المقدسة د/ وافي ص ١٣٢) والكنيسة الأرثوذكسية هي الكنائس المسيحية الشرقية البيزنطية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية علي أيام ميخائيل كيرولارس بطريرك القسطنطينية ١٠٥٤ م ، وانتشرت في روسيا وبلاد البلقان واليونان ومختلف بلاد الشرق الأدنى حيث تولى كنائس مستقلة تحت سلطة بطاركتها (انظر : المنجد في اللغة والأعلام ص ٣٢ قسم الأعلام) .
- (٢) هم : نصارى الغرب وراثستهم في روما وقلدياً يسمون الملكانية (انظر : أقانيم النصارى ص ٦٧ وأهم ما يمثل قمة الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك أو بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية ما يلي : يقول الكاثوليك : إن روح القدس نشأ عن الإله الأب والله الابن معاً ، والأرثوذكس يقولون : إن روح القدس نشأ عن الإله الأب فقط . الأرثوذكس يقولون بأفضلية الإله الأب علي الإله الابن والكاثوليك ينادون بالمساواة الكاملة بين الاثنين . الأرثوذكس يقولون بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشئية واحدة والكاثوليك يقولون بأن له طبيعتين ومشئتين (انظر : المسيحية د/ أحمد شلي ص ١٩٣ - ١٩٤ .
- (٣) نقد التوراة د / السقا ص ٢١ ، اليهودية د / أحمد شلي ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .

موقف النصارى من التوراة (العهد القديم) الحالية :

يحتل العهد القديم من النصارى مكانة التقديس باعتبار أن المسيح عليه السلام جاء مكملًا لشريعة موسى عليه السلام ، وعلي هذا الأساس فالعهد القديم مقدس عند النصارى إلا أنهم (مع تقديسهم له لم يتبعوه فأحلوا ما حرمه ولم يلتزموا حدوده ولما لم يكن في وسعهم أن يتصرفوا في نصوصه ؛ لأن أصولها ثابتة عند أعدائهم اليهود فإنهم عمدوا إلى المجامع ^(١) يغيرون بها ما يشاءون مما نصت عليه التوراة وراحوا أحياناً يفسرون التوراة بما يناسب الإنجيل كما ظهر في محاولتهم ليجدوا في التوراة دليلاً علي ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس) ^(٢) .

هذا (ولم يكن للتوراة أثر واضح في عقيدة النصارى ، إلا بعد أن تنصرت أسرة يهودية ثرية متنفذة في روما اسماً لا اعتقاداً ، لتحقيق مصالح يهودية ، وذلك في القرن الحادي عشر ، وتغلغلت في أوساط الفاتيكان ^(٣) حتى كان منها أربعة باباوات حكموا الفاتيكان ، وأثاروا الحروب الصليبية وأججوا لهيبها ، وحمل اليهود المنتصرون النصارى بالتدريج بوسائلهم الملتوية ومكرهم علي تقديس الأسفار التوراتية في كونها كلمة الله المعصومة الواجب اتباعها لدي النصارى ، وأقنعوهم أن المسيحية امتداد اليهودية ، وأن الهجيء الثاني للسيد المسيح قد بدأ مع قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ م لذا فقد أوجبوا علي كافة المؤمنين المسيحيين في العالم مؤازرة اليهود وجمع شملهم ، استكمالاً للإيمان المسيحي) ^(٤) .

ولعل آخر تأمر يهودي علي النصرانية كان في القرن السادس عشر ، علي يد **الراهب** (مارتن لوثر) ^(٥) ،

(١) المجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية ، رسم الرسل نظامها في حياتهم إذ عقدوا المجمع الأول في اورشليم سنة ١٠٥٠ م برئاسة الأسقف " يعقوب الرسول " للنظر في ختان الأمم (غير اليهود) ثم نسجت الكنيسة علي منوالهم ، والمجمع قسمان : مجامع مسكونية (أي عالمية مسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة) ومجامع محلية أو مكانية . وقد عقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى ، وشهدتها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسي لعقدتها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعها ، وقد عقد من المجامع المسكونية عشرون مجعاً ابتداءً من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م حتى مجمع الفاتيكان سنة ١٨٦٩ م ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجامع السبعة الأولى التي كان آخرها مجمع نيقية الثاني ٧٨٧ م ومن أهم المجامع مجمع نيقية الأول ومجمع القسطنطينية الأول وفيهما تقررت العقائد المسيحية الرئيسية (انظر : المسيحية د/ أحمد شلبي ص ١٩٧) .

(٢) المسيحية د/ أحمد شلبي ص ٢٠٤

(٣) هي : دولة اعترفت بها إيطاليا في معاهدة لاتران ١٩٢٩ م رئيسها البابا (المنجد في اللغة والإعلام ص ٥١٦ قسم الأعلام .

(٤) انظر : الأصولية في اليهودية : عبد الوهاب زيتون ص ١١٨ - ١٣١ ط / المنارة ببيروت ط ١ / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م . وينظر التربية في التوراة ص ١٨ - ١٩ بإيجاز وتصرف .

(٥) هو : مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) راهب أغوستيني لاهوتي ومفكر وكاتب ، بدأ في ألمانيا الإصلاح الديني وانفصل عن الكنيسة في شأن الغفرانات وسلطة البابا والتبتل وإكرام القديسين نقل التوراة إلى الألمانية فكانت الترجمة حدثاً دينياً وأدبياً (المنجد في اللغة والأعلام قسم الأعلام ص ٦١٥) .

= بشقها شقين (بروتستنت - وكاثوليك) والشق الأول يتعاطف كلياً مع اليهود في تقديسه للتوراة
ثم استطاع اليهود ضم الكاثوليك إلى صفوفهم بخطوات متتابعة ، انتهت بفتوى البابا^(١) في ١١/٢٠
١٩٦٤م بتبرئة اليهود من دم المسيح واعتبار اليهود والنصارى أمة واحدة ، وأن عيسى عليه السلام
عبراني^(٢) .

ثانياً : التعريف بالعهد الجديد :

العهد الجديد : هو القسم الثاني من الكتاب المقدس وتنقسم أسفاره إلى أربع مجموعات :

أ . الأناجيل الأربعة المنسوبة لكل من : متي - مرقس - لوقا - يوحنا .

ب . أعمال الرسل : وهو سفر واحد يُنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل المسمى باسمه .

ج . الرسائل المقدسة : وهي إحدى وعشرون رسالة وتنقسم إلى قسمين :

الأول : رسائل بولس الأربع عشرة وهي : رسالة إلى أهل رومية - رسالته الأولى إلى أهل
كونثوس ، رسالته الثانية إليهم ورسالته إلى أهل غلاطيه ، رسالته إلى أهل أفسس ، رسالته إلى أهل
فيلبي - رسالته إلى أهل كولوس - رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي - رسالته الثانية إليهم - رسالته
الأولى إلى تيموثاوس ورسالته الثانية إليه - رسالته إلى تيطس - رسالته إلى فلاديمون - رسالته إلى
الغبرانيين .

الثاني : سبع رسائل تسمى الرسائل الكاثوليكية أي الجامعة وهي : رسالة يعقوب - رسالة بطرس
الأولى - رسالته الثانية - رسالة يوحنا الأولى - رسالته الثانية - رسالته الثالثة - رسالة يهوذا .

د . رؤيا يوحنا اللاهوتي : وهو سفر واحد يُطلق عليه أيضاً : مشاهدات يوحنا^(٣) .

وهناك من قسم العهد الجديد إلى ثلاثة أقسام :

١- الأسفار التاريخية : وتشتمل على الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل وسُميت هذه الأسفار
بالتاريخية لأن الأناجيل تتضمن قصة حياة المسيح وتاريخه وعظاته ومعجزاته وسفر أعمال
الرسل يتضمن تاريخ دعاة النصرانية الأول وخاصة بولس .

٢- الأسفار التعليمية : وهي رسائل بولس الأربع عشرة والرسائل الكاثوليكية السبع .

٣- الأسفار النبوية : وهو سفر واحد المسمى بـ : رؤيا يوحنا اللاهوتي^(٤) وترجع أسفار العهد
الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين : فالمجموعات هي : مجموعة الأناجيل وهي أربعة ،
ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة ،

(١) هو : الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية وأطلق أخيراً على الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً (المعجم الوسيط ١ / ٣٥)

(٢) التربية في التوراة د/ الهاشمي ص ١٩

(٣) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات د. محمد عبد الله الشرفاوى ص ٢٧ - ٣٠ ط / دار الجليل بيروت ومكتبة الزهراء جامعه

القاهرة ط / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٥ والأسفار المقدسة في الأديان

السابقة للإسلام د. علي عبد الواحد وافي ص ٧٦ - ٨٢ باختصار .

(٤) انظر : المسيحية د/ أحمد شليبي ص ٢٠٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٥ .

= مجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل أما السفران هما سفر " أعمال الرسل " للوقا وسفر رؤيا يوحنا^(١) .

الاختلاف في ترتيب أسفار العهد الجديد :

رتب أسقف^(٢) كنيسة الإسكندرية سنة ٣٦٧ م أسفار العهد الجديد علي النحو التالي :
الأنجيل الأربعة - أعمال الرسل - الرسائل الكاثوليكية السبع - رؤيا يوحنا - رسائل بولس الأربع عشرة .
أما مجمع روما المنعقد سنة ٣٨٢ م رتبها علي النحو التالي :
الأنجيل الأربعة - رسائل بولس الأربع عشرة - رؤيا يوحنا - أعمال الرسل - الرسائل الكاثوليكية السبع .

أما مجمع ترنت^(٣) سنة ١٥٤٦ م رتبها علي النحو التالي :
الأنجيل الأربعة - أعمال الرسل - رسائل بولس الأربع عشرة - الرسائل الكاثوليكية السبع - رؤيا يوحنا^(٤)

(١) انظر : الأسفار المقدسة د/ وافي ص ٨٦ وتعرف الكنائس الآن بالأنجيل الأربعة فقط وهناك أنجيل كثيرة كانت منتشرة بين النصارى وصلت إلي مائة إنجيل منها - أنجيل : برنابا ، يعقوب ، توماس ، توما ، بطرس ، ماركيون ، فيليب ، مريم ، يهوذا وغير ذلك (انظر : الأسفار المقدسة ص ١٠٧ ، ١٠٨ والمسيحية د/ أحمد شليبي ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ومشكلات العقيدة النصرانية : د/ سعد الدين السيد صالح ص ١٨٦ ط دار الأرقم ط ٣ ١٩٩٢ م والمسيح في مصادر العقائد المسيحية م/ أحمد عبد الوهاب ص ١٥ مكتبة وهبة ط ١ - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(٢) هو : لقب ديني لأخبار النصارى فوق القسيس ودون المطران (المعجم الوسيط ١ / ١٨)

(٣) هى : مدينة شمالي إيطاليا عقد فيها المجمع المسكوني ١٩ المعروف بالترينتين ١٥٤٥ - ١٥٦٣ م وهو الذى اهتم بتنظيم الكنيسة الكاثوليكية وبتجديد معتقدها بعد الاصلاح الديني (المنجد في اللغة والاعلام ١٨٤) . (٤) في مقارنة الأديان د/ محمد عبد الله الشرقاوي ص ٣١ ، محاضرات في مقارنة الأديان إبراهيم خليل أحمد ص ٢٥ - ٢٦ ط دار المنار - القاهرة ط ١ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

الباب الثاني

جهود علماء المسلمين – فترة البحث –

في نقد سند الكتاب المقدس

ويتكون هذا الباب من فصلين :

الفصل الأول : جهود علماء المسلمين في نقد سند العهد القديم .

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في نقد سند العهد الجديد .

الفصل الأول

جهود علماء المسلمين في نقد سند العهد القديم " فترة البحث "

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : نظرة تاريخية حول العهد القديم

المبحث الثاني : نقد سند الأسفار الخمسة

المبحث الثالث : نقد سند الأسفار الأخرى

المبحث الأول

نظرة تاريخية حول العهد القديم

اتفق جميع الباحثين على أن التوراة الحقيقية قد فقدت ، وبالتالي فالتوراة الحالية مزيفة وذلك باعتراف رجال الدين في المسيحية أنفسهم وقد تتبع علماء المسلمين المهتمين بدراسة الأديان المراحل التي مرت بها الديانة اليهودية وما طرأ عليها من تغيير وكيف تلوّث عقيدة بني إسرائيل بكثير من العقائد الوثنية عبر التاريخ وكانوا في ذلك تبعاً لمن خالطوهم من الشعوب في تنقلهم من مكان إلى آخر ^(١) .

وتتبعوا أيضاً مسيرة بني إسرائيل عبر التاريخ وخرجوا من هذه الجولة التاريخية بمحققة هامة تؤكد أن التوراة الموجودة ليست هي التوراة الأصلية المتزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وفي صورة مبسطة واضحة بين د/ عابد توفيق الهاشمي ^(٢) في كتابه " فلسطين في الميزان " ذلك من خلال العهود المفتراة في العهد القديم التي تبين في النهاية من هو الكاتب الحقيقي للتوراة الحالية ومتي كتبت ^(٣) .

والذي أود التركيز عليه في هذا العرض النقدي التاريخي هي فترة السبي البابلي لبني إسرائيل تلك المرحلة الحرجة في حياتهم ؛ لأنها أحدثت تحولا كبيرا في الفكر اليهودي فماذا حدث لليهود ، في " بابل " ^(٤) . وماذا حدث للتوراة الأصلية ؟ هذا ما سيوضحه كثير من نقاد العهد القديم من علمائنا الأجلاء .

(١) انظر : التوراة د/ بدران ص ١٧٥-٢٠٢ ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د/ فتحي محمد الزعبي الباب الثالث من ص ٤٢١-٥٠٨ .

(٢) هو : من مواليد الموصل بالعراق حصل على الليسانس في العربية وآدابها من جامعة بغداد وحصل على الماجستير من U . S . C كاليفورنيا وحصل على الدكتوراه من جامعه القرآن الكريم بالسودان في العقيدة والأديان عمل في التعليم الجامعي بالعراق واليمن من مؤلفاته : التربية في التوراة ، وفلسطين في الميزان وفضيحة التوراة (انظر : خاتمة كتاب التربية في التوراة ص ١٧٣) .

(٣) انظر : ص ١٨٣ - ١٩٦ ط / مؤسسة الرسالة - ط / ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م . وهذه العهود باختصار شديد هي ما يلي :

أ . أ- العهود المفتراة إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإسرائيل (تكوين ١٢-٩/٢١) ، (١٧-١/٣) ، (١٤/١٣) ، (٢/١٢) ، (٧-٢/٢٦) ، (أرميا (١٠/١٥) ، (٢٧/٥) ، أشعيا (٢ / ١) .

ب . العهود المفتراة إلى سيدنا موسى (عدد ٥٠/٣٣) ، (تثنية ٥٤-٥٠/٣٠) ، (عدد ١٣-١٢/٢٠) .

ج . العهود المفتراة إلى يشوع وهي : يشوع (١٠/١٦) .

د . عهد القضاة وفيه وضع الأساس للحياة اليهودية ولل فكر اليهودي وقد استمر حتى سنة ١١٣٠ ق.م .
هـ . عهد الملوك .

و . عهد الانقسام إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا .

ز . اليهود تحت الحكم البابلي .

ح . اليهود تحت الحكم الفارسي .

ط . اليهود تحت حكم الإغريق .

ي . اليهود تحت حكم المصريين البطالسة .

ك . اليهود تحت حكم السوريين السلوقيين .

ل . اليهود تحت حكم الدولة المكاية .

م . اليهود تحت حكم الرومان .

(٤) هي : اسم ناحية منها الكوفة والحلة **بوين في العراق قديماً** (انظر معجم البلدان ياقوت الحموي ٣٠٩/١)

فيقول صاحب تفسير الميزان في نقده لهذه المرحلة :

(لقد دمر الهيكل في فترة السبي البابلي ، وفقدت عند ذلك التوراة والتابوت التي كانت توضع فيه ، وبقي الأمر على هذا الحال خمسين سنة تقريباً وهم قاطنون ببابل وليس من كتبهم عين ولا أثر ... ثم لما جلس " كورش " وهو من ملوك فارس على سرير الملك ... أطلق أسراء بابل من بني إسرائيل وكان " عزرا " من المقربين عنده فأمره عليهم وأجاز له أن يكتب لهم كتابهم التوراة ويبيّن لهم الهيكل ، وكان رجوع عزرا بهم إلى بيت المقدس سنة ٤٥٧ ق.م . وبعد ذلك جمع عزرا كتب العهد القديم وصححها وهي التوراة الدائرة اليوم ^(١) .

ثم يوجه النظر من خلال عزرا هذا الذي أمره كورش على اليهود - إلى انقطاع سند التوراة الحالية فيقول :
(إن سند التوراة الدائرة اليوم مقطوع غير متصل بسيدنا موسى عليه السلام ، إلا بواحد وهو عزرا لا نعرفه أولاً ولا نعرف كيفية اطلاعه وتعمقه ثانياً ولا نعرف مقدار أمانته ثالثاً ولا نعرف من أين أخذ ما جمعه من أسفار التوراة رابعاً ولا ندري بالاستناد إلى أي مستند صحح الأغلاط الواقعة أو الدائرة خامساً) ^(٢) .

بينما يري د/ عابد الهاشمي أنه في فترة السبي البابلي لليهود قد كتبوا التوراة من قبل " مجلس السنهدرين " ^(٣) الذي تأسس في بابل " المنفى " وكان مؤلفاً من " ١٢٠ " عضواً أشهرهم عزرا ونحميا وزروبابل ^(٤) خفيد يهو ياكيم ^(٥) ودانيال وحجي ^(٦) وزكريا ^(٧) ومردخاي ^(٨) ثم هاجروا إلى أورشليم ، وبذا فإن الدين اليهودي نشأ في المنفى ، وجمعوا التوراة من حفظهم ومن خيالهم الحاقده على البشرية كما أن فيها مما استحفظوا من كتاب الله وهو نصوص زهيدة ولا يُطمأن إلى صدقها لأنها خضعت لأهوائهم ومصالحهم وأحقادهم ^(٩) .

(١) الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي ٣/ ٣٠٩ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ط ٣ / ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٠ .

(٣) هو : الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في فلسطين ومعتزلة المحكمة العليا التي تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقاً للشرعية اليهودية في ذلك الوقت وتشريع القوانين الخاصة بالعبادات ومحكمة من ينتهك هذه القوانين وكذا الإشراف على الاحتفالات الكهنوتية في المعبد (انظر اليهود واليهودية والصهيونية د/ عبد الوهاب المسيري ٦٤/٤) .

(٤) معناه : زرع بابل أو المولد في بابل ابن شالتييل ، رجع اليهود من بابل إلى اليهودية في أول دفعة تحت قيادته واشترك زروبابل مع يشوع ابن يوصادق (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٥) .

(٥) هو : الملك التاسع عشر بين ملوك المملكة الجنوبية وابن يهوياقيم حكم ثلاثة أشهر بعد موت أبيه وقد سقطت القدس في عهده في يد البابليين فنفي هو وأسرته في بابل وخلفه عمه صدقيا هو (اليهود واليهودية والصهيونية د/ المسيري ١٨٧/٤) .

(٦) هو : أحد أنبياء بني إسرائيل عاش في الجلاء في العهد الفارسي ثم عاد إلى أورشليم ودعا إلى تجديد بناء الهيكل ٥٢٠ ق.م ونبوءة حجابي سفر من أسفار العهد القديم (المتجدد في اللغة والأعلام ص ٢٣٠ قسم الأعلام) .

(٧) هو : زكريا بن برخيا بن عدو وهو الحادي عشر بين الأنبياء الصغار تنبأ في الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس الملك وذلك في غضون المدة التي أذن فيها لرجال يهوذا أن يرجعوا من سبي بابل دعا قومه أن يرجعوا إلى اليهودية ويتخلصوا من ظلم بابل ، طالت أيامه وعاش في بلاده ودفن بجانب حجي الذي كان زميلاً له (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٨) .

(٨) هو : اسم بابلي معناه ملك " للإله مردك " وهو رجل من مسيحي اليهود من عشيرة شاول من رجال بلاط احشويرش ومربي هدسة ابنة عمه إلى أن صارت ملكة فارس وحقد عليه هامان وزير احشويرش فاحتال بحيلة للملاشاة كل شعب اليهود غير أن هذه الملكة أحبطت مقصده الخبيث فعلق هامان وأولاده العشرة وارتقي مردخاي إلى منصب رفيع واكتسب غني وكرامة لدى كل من شعبه والأحباب (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٢) .

(٩) فلسطين في الميزان : د/ عابد الهاشمي ، ص ١٩٣ .

ويضيف د/ السقا بعداً تاريخياً نقدياً جديداً يوضح فيه الأبعاد الحقيقية في كتابة التوراة الحالية فيقول : إن موسى عليه السلام لما كتب التوراة قرأها على بني إسرائيل وشرح نصوصها شرحاً وافياً في عبر الأردن في أرض موآب ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً ... إلخ^(١) .

وأوصى إذا ما مَلَكَ ملك على بني إسرائيل أن " يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها " ^(٢) .

وأمر الكهنة أن يقرؤوا التوراة في نهاية كل سبع سنوات في " عيد المظال " ^(٣) " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملتي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً : في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال ... تُقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم " ^(٤) .

ثم بعد ذلك وضع النسخة الأصلية بجوار التابوت أي أنه كان تابوت وكان صندوق خاص للتوراة بجانب التابوت وهذا ما يفهم من قول التوراة " فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملتي تابوت عهد الرب قائلاً : " خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم " ^(٥) ، فقله : " بجانب تابوت عهد الرب " يفيد أن التوراة الرسمية وضعت خارج التابوت في مكان خاص ، وكان في التابوت كتاب العهد مكتوباً على لوحين من الحجر ، وكان فيه عصا هارون السحرة وكان فيه قسط المن الذي نزل على بني إسرائيل في سيناء مع " السلوى " ^(٦) تذكيراً لكرم الله وفضله ^(٧) .

(١) تشية : (٥/١) الأمر بمغادرة حوريب .

(٢) تشية : (١٧/١٨-١٩) أحكام خاصة بالملك .

(٣) هو : آخر الأعياد السنوية الكبرى التي كان يطلب فيها من كل رجل في بني إسرائيل أن يظهر أمام الرب في الهيكل وثاني أعياد الحصاد (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨٦) .

(٤) تشية : (٣١/٩-١١) قراءة التوراة .

(٥) تشية : (٣١/٢٤-٢٦) التنبؤ بتمرد شعب إسرائيل .

(٦) هي : طيور ترحل من أفريقيا في الجنوب إلى الشمال في أسراب كثيرة العدد جداً وقد أرسل الله كمية كبيرة من هذه الطيور إلى محلة العبرانيين ليأكلوا لحمها بعد أن تدمروا على سيدنا موسى (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨١)

(٧) خروج : (٣٣/٣٤-٣٤) المن والسلوى .

ثم اختفت التوراة الأصلية التي كانت بجانب التابوت عندما أحرق بيت الرب في عهد نبوخذ نصر^(١) ملك بابل " جاء نبوزرادان^(٢) رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار وجميع أسوار أورشليم مستديراً هدمها^(٣) " ^(٤) .

وفي ختام هذه الجولة التاريخية النقدية يقرر العلامة رحمة الله الهندي بالأدلة الدامغة فقدان التوراة الأصلية وإن كان عزرا هو الكاتب الحقيقي للتوراة الحالية كما يقول بعض النقاد فإن العلامة رحمة الله الهندي يقول غير ذلك (أى أنه لم يكتبها) ولا هي التوراة التي صنفها موسى عليه السلام بناءً على أدلة ساقها تؤيد رأيه في هذا الأمر فيقول جمهور أهل الكتاب يقولون :

إن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنفهما عزرا بإعانة حجي وزكريا عليهما السلام وهذان السفران في الحقيقة من تصنيف هؤلاء الأنبياء الثلاثة وتناقض كلامهم في الإصحاح السابع والثامن من السفر الأول في بيان أولاد بنيامين ، وكذا خالفوا في هذا البيان هذه التوراة المشهورة بوجهين : الأول : في الأسماء ، والثاني : في العدد حيث يفهم من الإصحاح السابع أن أبناء بنيامين ثلاثة ومن الإصحاح الثامن أنهم خمسة ومن التوراة أنهم عشرة ، واتفق علماء أهل الكتاب أن ما وقع في السفر الأول غلط وبينوا سبب وقوع الغلط : أن عزرا ما حصل له التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء وأن أوراق النسب التي نقل عنها كانت ناقصة ، وهؤلاء الأنبياء الثلاثة كما هو معروف كانوا متبعين التوراة فلو كانت توراة موسى هي هذه التوراة المشهورة لما خالفوها ، ولما وقعوا في الغلط ، ولما أمكن لعزرا أن يترك التوراة ويعتمد على الأوراق الناقصة وكذا لو كانت التوراة التي كتبها عزرا مرة أخرى بالإلهام على زعمهم هي هذه التوراة المشهورة لما خالفها فعلم أن التوراة المشهورة ليست التوراة التي صنفها موسى ولا التي كتبها عزرا بل الحق أنها مجموع من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود وجمعها أخبارهم في هذا المجموع بلا نقد للروايات ^(٥) .

(١) هو : ابن نبو بلاسر وخليفته في الجلوس على عرش مدينه بابل حكم الإمبراطورية البابلية في مابين النهرين وسوريا استولى على سوريا وفلسطين وجاء إلى القدس وسى بعض سكانها ومن بينهم دانيال (قاموس الكتاب المقدس ٩٥٤) .

(٢) هو : قائد جيش نبوخذ نصر الذي حاصر القدس واستولى عليها وسى عددا من سكانها (قاموس الكتاب المقدس ٩٥٥) .

(٣) الملوك الثاني : (٩-٨/٢٥) سقوط أورشليم .

(٤) انظر : نقد التوراة د / السقا ٨٦/٨٩ باختصار بالحذف ، واليهود واليهودية عقيدة وتاريخاً د/ عبد السلام محمد عبدة ص ١٥٩ - ١٦٠ ط مطبعة لطفي ١٩٧٨ م - ١٩٧٩ م .

(٥) إظهار الحق : ٨٤/١ ، ٨٥ .

وذهب بعض النقاد إلى أن عزرا هو الذي كتب التوراة الحقيقية في مدينة بابل بمساعدة بعض العلماء فجمع فيها مآثورات من تواريخ قديمة ووضع توراة موسى بين هذه المآثورات وزاد فيها ونقص ولما صدر لهم أمر من ملك فارس بالرجوع إلى القدس (أورشليم) تعجلوا الرجوع بهذه التوراة وما كانوا قد نقحوها وأزالوا اختلافاتها^(١).

وذهب البعض الآخر إلى:

أن التوراة الحالية ليست هي المترلة على سيدنا موسى عليه السلام وليست هي التي كتبها عزرا ، وذلك لأنه لو فرض أن عزرا كتب التوراة الحالية فإن ما كتبه قد أحرق في حادثة أنطيوخس^(٢) فقد اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة على عزرا ضاعت تلك النقول أيضًا في هذه الحادثة^(٣).

وقد استدل العلامة / رحمة الله الهندي على هذه الحادثة بما ورد في التوراة : " لما فتح أنطيوخس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التي حصلت له من أى مكان بعد ما قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل ، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر وكان يقتل كل من يجد عنده نسخة أو ثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة وتعدم تلك النسخة^(٤) .

وبالبحث يميل إلى هذا الرأي لأن الأحداث التاريخية تؤكد وأيضاً العقل والمنطق يؤكدان أن ما حدث لليهود من تشريد وما حدث لبني إسرائيل من تدمير بما فيه من التابوت ومحتوياته دليل قوى على صحة هذا الرأي .

(١) انظر : تعليق د/ السقا على إظهار الحق ، ٨٥/١ هامش ، الميزان في تفسير القرآن : ٣/٣١٠ ، والفارق بين المخلوق والخالق : البغدادي ، ص ١٠ ، هداية الحيارى لابن قيم الجوزية : ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ط / المكتبة القيمة ، ط/٢ ، ١٣٩٩ هـ ، وشبهات النصارى وحجج الإسلام : أ/ محمد رشيد رضا ، ص ٤٢ ، طبعة دار المنار ، ط ٢ / ١٣٦٧ هـ ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف : د/ يحيى ربيع ، ص ٨٦ .

(٢) هو : أنطيوخس الرابع " إيفانيس من ٢١٥ - ١٦٣ ق . م " أراد أن يختبر ولاء فلسطين له لتكون حاجزا بينه وبين الرومان فأرسل قائده على رأس ٢٢٠٠٠ من الجنود إلى أورشليم تحت ستار السلام ، وهاجموها في يوم السبت ، علما بأن اليهود لا يحاربون في يوم السبت ، وقتلوا أناسا كثيرين وأخذوا النساء والأطفال عبيدا لهم ، كما نهبوا المدينة وأحرقوها ، وفي عام ١٦٧ ق . م ، عزم أنطيوخس على محو الديانة اليهودية ؛ لتحريم ممارسة نواويس آبائهم ، ومنع حفظ السبت والأعياد والذبايح المألوفة وختان الأطفال ، وأحرق نسخ التوراة ، وكل من يعصى هذه الأوامر يعدم (ينظر دائرة المعارف الكتابية : أ / ويليام وهبه بباي ، ١ / ٤٩٨ ، ط / دار الثقافة القاهرة ، ١٩٩٦ م) .

(٣) انظر : إظهار الحق ، ٢ / ٢٨٤ ، ودراسات في التوراة : للشيخ / عطية إبراهيم الشواقي ، ص ٧٧ .

(٤) المكابيين الأول : (١ / ٥٩ - ٦٠) نقلا عن هامش إظهار الحق : تحقيق د / أحمد حجازي السقا ، ٢٨٤/٢ .

المبحث الثاني

نقد سند الأسفار الخمسة

ويشتمل على ما يلي :

- أهمية الإسناد وشروط قبول الكتب الإلهية .
- نقد سند الأسفار الخمسة

أهمية الإسناد :

للإسناد أهمية كبيرة في قبول الروايات وبه تتميز الأمة الإسلامية عن غيرها ^(١) ويتوقف تصديق الخبر أو تكذيبه على هذا الإسناد ، أما بالنسبة لليهود والنصارى فيما يتصل بالتوراة والإنجيل (فإن السند المتنازع بيننا وبينهم : السند المتصل وهو عبارة عن أن يروى الثقة بواسطة أو بوسائط عن الثقة الآخر بأنه قال إن الكتاب الفلاني تصنيف فلان الحواري أو فلان النبي ، وسمعت هذا الكتاب كله من فيه أو قرأته عليه أو أقر عندي أن هذا الكتاب تصنيفي وتكون الوساطة أو الوسائط من الثقات الجامعين لشروط الرواية) ^(٢) .

شروط قبول الكتب الإلهية :

ولقد وضع العلماء شروطاً لقبول الكتب الإلهية بحيث إذا توافرت هذه الشروط وتبين بالأدلة القاطعة اتصال سندها وصحة نسبتها إلى كاتبها وجب التسليم بها :

١- لا بد لكون السفر سماوياً واجب التسليم به أن يثبت أولاً : بدليل تام أن هذا السفر كتب بواسطة النبي الفلاني ، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، وأن الاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تأليف ذلك الشخص ، وأن مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي ... بل يحتاج إلى دليل ^(٣) .

٢- أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة أي أمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين والمكذبين وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز ^(٤) .

٣- أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي ... بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف ، جيلاً بعد جيل من غير أي مظنة للانتحال وأساس ذلك التواتر أن يرويه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، حتى تصل إلى الرسول الذي أسند إليه الكتاب ، ونسب إليه ونزل الوحي عليه ^(٥) .
وبتطبيق هذه الشروط على كتب النصارى تبين أن الأدلة لم تتوفر حتى يحكم على سندها بالاتصال أو يقال بصحة نسبتها إلى كاتبها . وعندما طلب من علمائهم السند المتصل ما قدروا عليه واعتذروا عن ذلك وقالوا : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ... ويقولون بالظن والتخمين والظن لا يُغني عن الحق شيئاً ^(٦) .

(١) وإلى هذا أشار العلماء فيقول عبد الله بن المبارك : " الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء " ويقول ابن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ : " لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم " (انظر : مقدمة صحيح مسلم للنووي ١٥/١ تحقيق أ / محمد فؤاد عبد الباقي ط الحلبي .

(٢) إظهار الحق : ١/ ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) انظر : المرجع السابق ١ / ٨٣ بالحذف .

(٤) انظر : محاضرات في النصرانية . أبو زهرة ٧٩ ، ٨٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٦) انظر : إظهار الحق ١/ ٨٣ بالحذف .

نقد سند الأسفار الخمسة :

اتبع علماء المسلمين - فترة البحث في تقديمهم لسند العهد القديم المنهج العلمي القائم على :
وضع السند موضع الشك وعدم التسليم بصحته إلى أن يتبين خلاف ذلك من خلال البحث والدراسة ،
والتحقق من صحة السند ونسبته إلى قائله ، وهل تصح نسبة هذه الأسفار إلى سيدنا موسى عليه السلام أم أنه يوجد
انقطاع في سندها ، واللجوء إلى هذا المنهج نتيجة طبيعية لذلك الاضطراب الحاصل في تحديد من هو مصنف هذه
الأسفار وكذا الاضطراب الحاصل في تحديد زمن التصنيف وفي الصفحات التالية أبين الرؤى النقدية لعلماء
المسلمين حول سند الأسفار الخمسة وغيرها من خلال الجهود المتميزة التي قام بها العلامة . رحمة الله الهندي^(١)
ود / على عبد الواحد وافي^(٢) ، ود / بدران محمد بدران ، كما يلي :

فيقول العلامة رحمة الله الهندي إن التوراة المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام ليست هي التوراة الحقيقية المترلة
من عند الله سبحانه وتعالى وأورد الأدلة التي تؤكد ما يقول فذكر عشرة أمور تثبت عدم صحة هذه النسبة وأكتفي
هنا بذكر أوضح الأدلة التي استند عليها في ذلك وهي :

١- تشهد عبارات التوراة أن كاتبها غير موسى وهذا الذي هو غير موسى جمع هذا الكتاب من الروايات
والقصص المشتهرة بين اليهود ، ثم ميز بين هذه الأقوال فما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه
تحت قال الله أو قال موسى ، وعبر عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب ، ولو كانت التوراة من
تصنيفات موسى عليه السلام لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع ؛
لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار ، والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقيم على خلافه دليل
قوى ومن ادعى خلاف الظاهر فعليه البيان^(٣) .

٢- لا أحد يقدر أن يدعى نسبة بعض الآيات وبعض الإصحاحات إلى موسى عليه السلام ؛ بل إن بعض الآيات
تدل على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل داود عليه السلام بل يكون إما معاصراً له أو بعده
.. وعلماء المسيحية يقولون بالظن ورجحاً بالغيب أنها من ملحقات نبي من الأنبياء وهذا القول مردود ؛ لأنه

(١) هو العلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي نزيل الحرمين ، باحث عالم بالدين والمناظرة جاور بمكة وتوفي بها له كتب كثيرة منها : إظهار
الحق مطبوع ، التنبيهات في إثبات الاحتجاج إلى البعثة والحشر والميقات ، ولد سنة ١٢٣٣ في جمادى الأولى الموافق ١٨١٨ م من شهر مارس بحى
" دربار كلان " في مدينة " كيرانة " التابعة لمحافظة مظفر ناجار " في الهند (انظر : الأعلام - للزركلي - ١٨/٣ طبعة دار العلم للملايين ، مقدمة
مناظرة الهند الكبرى في علم مقارنة الأديان تقدم د / أحمد حجازي السقا ط - مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٢) هو : من علماء الأزهر الأفاضل الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم القيمة منها : الأسفار المقدسة ، واليهودية واليهود ، حقوق الإنسان في
الإسلام وغير ذلك من المؤلفات في الأدب واللغة والسياسة والاقتصاد والاجتماع وله مؤلفات باللغات الأجنبية منها نظرية اجتماعية في الرق والفرق
بين رق الرجل ورق المرأة ، وتقلد مناصب عديدة منها : عميد كلية التربية بجامعة الأزهر ، ووكيل آداب القاهرة سابقاً ، وعضو المجمع الدولي
لعلم الاجتماع (انظر : الأسفار المقدسة ص ١ ، ص ٢٠٥ - ٢١٢ .

(٣) إظهار الحق ٨٦/١ وانظر : نقد التوراة د / أحمد حجازي السقا ص ٦٧ ، ٧٧ .

بمجرد ادعاء منهم بلا برهان ؛ لأنه ما كتب نبي في كتابه أني ألحقت الآية الفلانية في الإصحاح الفلاني من السفر الفلاني ولا كتب أن غيري من الأنبياء ألحقها ، ولم يثبت ذلك الأمر بدليل آخر قطعي أيضاً... وبمجرد الظن لا يغني فما لم يقدم دليل قوى على الإلحاق تكون هذه الآيات والإصحاحات أدلة كاملة على أن كتاب موسى عليه السلام هذا ليس من تصنيفاته ^(١) .

وقد تناول د / علي عبد الواحد وافي ، سند الأسفار الخمسة بالنقد العلمي الموضوعي مبينا تاريخ تأليفها فقال : (أهم أسفار العهد القديم هي أسفار القسم التي ينسبها اليهود إلى موسى عليه السلام ويعتقدون أنها بوحى من الله وأنها تتضمن التوراة : ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من خلال ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريع ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي ينعكس فيها - ظهر لهم من ملاحظة هذا كله - أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام بأمد غير قصير وعصر موسى عليه السلام يقع على الأرجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) ^(٢) .

وفي إطلالة نقدية سريعة يذكر د/ بدران محمد بدران في كتابه ما يقوله أهل الكتاب عن كاتب التوراة الأمر الذي أوقعهم في شرك ونقدهم من واقع كلامهم لا من خارجه فيقول : " يقول أهل الكتاب إن كاتب التوراة هو موسى عليه السلام حسب النص الذي يقول : " كتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى .. حاملى تابوت عهد الرب... ولجميع شيوخ إسرائيل " ^(٣) .

وفي تحليله للصيغ اللغوية الواردة في هذا النص يبرهن د / بدران على أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكتب هذه التوراة لأن ما ورد فيها من صيغ لغوية مثل " كتب موسى وصعد موسى وأوصى موسى " وغير ذلك من الصيغ التي تشعر بأن شخصا آخر غيره هو القائل - تثبت خطأ ما يدعون من نسبة نصوصها إلى سيدنا موسى عليه السلام .

(١) انظر : إظهار الحق ٨٦/١ بتصرف بالحذف ، ولزيد من التفصيل في هذه الأدلة فقد ساق العلامة رحمة الله الهندي مجموعة كبيرة من الآيات وبين أنها إلحاقية وليست من كلام موسى عليه السلام منها ما يلي : تكوين ٣٠/٣٦ ، تثنية ٤/٣ ، عدد ٤٠/٣٢ ، تكوين ١٤/٢٢ ، تثنية ١٢/٢ ، ١١/٣ ، عدد ٣/٢١ ، خروج ٣٥/١٦ ، عدد ١٤/٢١ ، يشوع ٩/٤ ، ١٣/١٠ ، ٣٤ ، قضاة ١٠/١ - ١٥ ، صموئيل الأول ١٩/٦ ، انظر : إظهار الحق ٢٢٣/١ - ٢٣٢) .

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام أ.د/ علي عبد الواحد وافي ص ٤ .

(٣) تثنية : (٩/٣١) - قراءة التوراة .

ومن يدقق في هذا النص جيداً يدرك للوهلة الأولى أن موسى عليه السلام لم يكتب مثل هذا الكلام لأنه لو كتبه ما قال : " وكتب موسى ... " هذا شيء .

والشيء الثاني : أن هذا النص موجود في (ثنية ٣١) ويتكون هذا السفر من أربعة وثلاثين إصحاحاً .. فمن كتب بقية الإصحاح الحادي والثلاثين وبقيّة الإصحاحات المكونة لهذا السفر ؟ .

الشيء الثالث : أن النصوص التالية للنص السابق تقول : " أمرهم موسى ^(١) ... " كما يقولون إن الله خاطب موسى بعد النص السابق عدة مرات " وقال الرب لموسى ^(٢) " وغيرها . وهذا يثبت أن موسى عليه السلام لم يكتب هذه الآية وما بعدها وهنا يرد الشك ، والشك في آية واحدة فقط كفيلاً بأن تهدم الكتاب كله ^(٣) ، ويقول د/ علي عبد الواحد وافي : عن الأسفار الخمسة :

(إن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي (وهو إجلاء بني إسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد) وأنها جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود ، وتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل) ^(٤) .

هذا .. وقد قام علماء المسلمين بالتحقق من نسبة الأسفار الخمسة إلى كاتبها ، بأدلة من العهد القديم ، ويمكن تناول جهودهم في نقد نسبتها إلى سيدنا موسى عليه السلام كما يلي :

- ١- أدلة من سفر التكوين .
- ٢- أدلة من سفر الخروج .
- ٣- أدلة من سفر العدد .
- ٤- أدلة من سفر التثنية .
- ٥- أدلة من سفر اللاويين .

بين علماء المسلمين من خلال نصوص العهد القديم أن الأسفار الخمسة مشكوك في نسبتها إلى موسى عليه السلام وبالتالي يضعف من قيمتها الدينية . الأمر الذي يؤدي إلى رفع القداسة عنها باعتبار أنها ليست وحياً من عند الله سبحانه وتعالى . وقد وقف العلماء أمام كل سفر من هذه الأسفار وغيرها وقفة نقدية على أسس علمية قوية مبينين مواطن التحريف فيها عن طريق تحليل الألفاظ الدخيلة عليها أو المنقوصة منها أو المبدلة فيها .

(١) ثنية : (١٠/٣١) - قراءة التوراة .

(٢) ثنية : (١٦ ، ١٤/٣١) التنبؤ بتمرد شعب إسرائيل ، (٤٨/٣٢) - الرب ينبئ موسى بموته علي جبل نبو .

(٣) التوراة : " العقل . العلم . التاريخ " د / بدران محمد بدران ، ص ٣٤ .

(٤) الأسفار المقدسة : ص ٤ ، مرجع سابق .

وسهل على العلماء كشف الزيف والباطل في كتبهم وتمكنوا من إثبات كذبهم وافتراءاتهم على الله عز وجل وعلى الأنبياء وغير ذلك من أمور . وفي الصفحات التالية أعرض كل سفر على حدة مبيّناً المواطن التي وقف أمامها العلماء وقفات نقدية تثبت عدم صحة نسبتها إلى موسى عليه السلام .

فيقول د / السقا : (إن التوراة المتداولة مع اليهود والنصارى ليست هي التي تركها موسى عليه السلام بل هي قد كتبت بعد عصر الملوك ، بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض " كنعان " ^(١) واتخاذهم أورشليم ^(٢) عاصمة للمملكة " ^(٣) .

وقد ساق العلامة الهندي ستة وعشرين دليلاً تؤكد أن هذه الأسفار الخمسة - ليست من تصنيف موسى عليه السلام ووافقه في معظم هذه الأدلة د / السقا ^(٤) وزاد عليها أدلة أخرى وربما يضيف بعداً نقدياً جديداً زيادة على ما ذكره العلامة الهندي في بعض الأدلة ، إلا أنه يؤخذ عليه المحاكاة والتقليد لكثير من القضايا التي طرقها العلامة الهندي ، وأذكر هنا أبرز الأدلة التي ذكرها كل من العلامة الهندي ، د / السقا .

(١) هي : الأرض التي سكنتها ذرية كنعان ، وقد استولي عليها العبرانيون فيما بعد وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة إلى الشمال وبادية سوريا والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب وبعد أن افتتحها العبرانيون أطلق عليها اسم " أرض إسرائيل والأرض المقدسة وأرض الموعد وأما اسم فلسطين كان يطلق في الأصل على الساحل الذي يقطنه الفلسطينيون (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٩)

(٢) هي : عاصمة يهوذا وفلسطين السياسية لزمان طويل كما أنها مدينة مقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين ، معناها أساس السلام وتسمى بيت المقدس ، والقدس الشريف (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٩ - ١٣٥) .

(٣) نقد التوراة : د / أحمد حجازي السقا ، ص ٦١ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٦ م .

(٤) هو : أحمد حجازي أحمد السقا ، ولد في قرية ميت طريف مركز دكرنس بالدقهلية في ٢٣ / ٩ / ١٩٤٠ م . حصل على الإبتدائية الأزهرية سنة ١٩٥٨ م ، والإعدادية العامة سنة ١٩٦٠ م والثانوية الأزهرية المعادلة سنة ١٩٦٣ م من معهد المنصورة والمجستير والدكتوراه من أصول الدين بالقاهرة . (انظر : خاتمة كتاب نقد التوراة ، د / السقا) .

أدلة من سفر التكوين :

وفي استدلال الدكتور السقا على القضية يقدم للدليل بقوله : يقول الكاتب ثم يذكر النص والتعبير بلفظ " الكاتب فيه لفظة طيبة إذ أنه لم يتأكد نسبة هذه النصوص إلى سيدنا موسى عليه السلام ويؤكد ذلك بقوله : يقول الكاتب عن إبراهيم ولوط . عليهما السلام . " فأخذ إبراهيم ^(١) ساراي ^(٢) امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنيهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلکا في حاران ^(٣) وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيم ^(٤) إلى بلوطة مورة ^(٥) وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ^(٦) .

فقال د/ السقا " إن هذه العبارة ذكرت أكثر من مرة في نفس السفر وهي : " وكان الكنعانيون ^(٧) والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض ^(٨) وهذا يعني أن التوراة لم تكتب في زمن سيدنا موسى عليه السلام لأنه قد استولى نبوا اسرائيل على أرض كنعان في زمن سيدنا داود عليه السلام وقد علق العلامة الهندي على هذا النص بقوله :

(الجملتان المذكورتان تدلان على أن الآيتين المذكورتين ليستا من كلام موسى عليه السلام ، ومفسروهم يعترفون بأنهما قد ألحقا إلى هذا السفر ألحقهما عزرا أو شخص إلهامي آخر في وقت جمع الأسفار المقدسة وقولهم ألحقهما عزرا أو شخص إلهامي غير مسلم به ، إذ ليس عليه دليل سوى ظنهم) ^(٩) .

(١) هو : إبراهيم عليه السلام .

(٢) هي : سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام .

(٣) هي : مدينة بين النهرين علي نهر بلخ وهو فرع للفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨١) .

(٤) هي : بلدة بالقرب من نابلس في فلسطين ، عندها قبر يوسف بن يعقوب وبئر يعقوب (المنجد في اللغة والأعلام - قسم الأعلام ص ٣٩٠) .

(٥) هي : اسم كنعاني معناه " بلوطة المعلم وهو موضع بقرب شكيم (تكوين ٦/١٢) وجبل عيبال وجرزيم (تثنية ٣٠/١١) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٠ .

(٦) تكوين : (٥/١٢ - ٦) - دعوة إبراهيم - .

(٧) هم : شعب سامي استوطن في الألف (٣ ق.م) القسم الغربي من فلسطين وفينيقية وسورية حيث أصبحوا عاملاً حضارياً له شأنه منذ بدء الألف (٢ ق.م) (انظر : المنجد في اللغة والأعلام ص ٥٩٥) وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٠ هم سكان أرض كنعان .

(٨) الفرزيون : اسم كنعاني معناه " أهل الريف " وهي طائفة من الكنعانيين أحصيت مراراً مع قبائل فلسطين (تكوين ٢٠/١٥ ، خروج ٨/٣ ، يشوع ١/٩ وربما كان الفرزيون كالفاتيين من السكان الأصليين ومن عنصر غير عنصر الكنعانيين وأقدم منهم في البلاد حيث كانوا منذ أيام إبراهيم ولوط (تكوين ٧/١٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٥ ، تكوين (٧/١٣) انفصال إبراهيم عن لوط (عليهما السلام) .

(٩) انظر : إظهار الحق ٢٧٧/١ .

ويضيف د/ السقا بعداً نقدياً تاريخياً جديداً فيقول في نقده لهذا النص :

قوله : " وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض " يدل على أن الكاتب كتب التوراة بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان وطرد الكنعانيين منها ؛ لأنه يحكي عن زمان مضي ، وهم لم يستولوا عليها زمن موسى وإنما تم الاستيلاء عليها زمن داود عليه السلام " (١) .

فلا يصح أن نذكر نصاً من العهد القديم ونضيفه إلى موسى عليه السلام حتى لا يتوهم البعض أن القائل هو موسى عليه السلام وحتى لا يكون ذلك ذريعة لأن ينسب إليه شيء يقدح في نبوته وشخصه الكريم وهو برئ منه وفي الإضافة إليه اعتراف ضمني بأنه هو الذي قال هذا النص وذلك يعني تأكيد كلامهم وموافقتهم على ما يدعون .

وفي سفر التكوين أيضاً :

" فلما سمع إبرام أن أخاه سبي ، جر غلمانته المتمرنين ولدان بيته ثلاث مائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان (٢) " (٣) .

يقول العلامة الهندي ، في نقده لهذا النص :

" دان بلدة عمرت في عهد القضاة فتحوا بلدة لايش وقتلوا أهلها وأحرقوا تلك البلدة وعمروا بدلها بلدة جديدة وسموها " دان " باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل ولكن اسم المدينة أولاً " لايش " (٤) " فلا تكون هذه الآية أيضاً من كلام موسى عليه السلام " (٥) .

ويضيف د/ السقا ، بعداً توضيحياً آخر لهذه القضية فيقول :

والمعنى أن إبراهيم عليه السلام ، لما سمع أن لوطاً عليه السلام . وقع في الأسر انطلق مع عبيده ليحرره وتبع الأعداء إلى قرية " دان " كما جاء في سفر القضاة ودعوا اسم المدينة دان ولفظ دان هو : اسم قرية سُميت باسم دان بن يعقوب عليه السلام وهذه القرية لم يفتحها بنو إسرائيل زمن موسى ؛ بل فُتحت في عصر قضاة بني إسرائيل أيام كان القضاة يحكمون قبل عصر الملوك واسم هذه القرية سابقاً " لايش " (٦) ، وكونها لم تُفتح في زمن موسى عليه السلام دليل على أن الكاتب غير موسى عليه السلام .

(١) نقد التوراة د/ السقا ص ٦١

(٢) دان : اسم عبري معناه " قاض " وهو اسم مدينة موقعها الطرف الشمالي من أرض بني إسرائيل في نصيب نفتالي في سفح جبل حرمون عند تل القاضي حيث منابع الأردن والتعبير من دان إلى بئر سبع (قضاة ١/٢٠) أو من بئر سبع إلى دان (أخبار ٢١/١-٢) يدل على البلاد كلها من الشمال إلى الجنوب (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٧) .

(٣) تكوين : (١٤/١٤) - إبراهيم ينقذ لوطاً .

(٤) قضاة : (٢٩/١٨) - سبط دان يسكن لايش .

(٥) إظهار الحق : ٢٢٧/١ .

(٦) نقد التوراة د/ السقا ص ٦٢ .

وجاء في سفر التكوين أيضاً : أن لوطاً عليه السلام أخطأ مع ابنتيه بعد ما سقياه خمرًا " فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه " موآب " وهو أبو الموابين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا اسمه بن عمي " وهو أبو بني عمون إلى اليوم " (١) .

وفي نقد د/ السقا لهذا النص يقول :

(" قبله إلى اليوم " يدل على الأيام " التي كان فيها كاتب التوراة ، وهل يعقل على نبي كريم اصطفاه الله واجتباؤه أن يفعل هذا الفعل الذميم) (٢) .

وبذلك استدل د/ السقا على أنه لو كان موسى عليه السلام هو الكاتب الحقيقي للتوراة لما وقع في هذا الخطأ المباشر بقوله : " إلى اليوم " ولما اتهم نبي الله لوطاً بهذه الجريمة الشنعاء التي تقدرح في عصمة الأنبياء وهل يليق بكتاب يدعون له القداسة وأنه منزل من عند الله أن يصف نبي من أنبياء الله بالزنا هذا ما لا يقبله عقل ولا يرضي به دين منزل من عند الله ﷻ .

وجاء في سفر التكوين أيضاً : عن الموضع الذي كان إبراهيم عليه السلام سيدبح فيه ولده إسماعيل (فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع " يَهُوَّةَ يِرْأَهُ " حتى إنه يقال اليوم في " جبل الرب يُرى ") (٣) .

يقول د/ السقا : (قوله : " حتى إنه يقال اليوم : في جبل يُرى " يدل على أن الكاتب كتب بعد زمان حادثة الذبح ، وبعد ما سمي ذلك الموضع بجبل الرب ، وهو لم يسم بجبل الرب إلا في عهد داود عليه السلام) (٤) .

(١) التكوين : (٣٨-٣٦/١٩) لوط وابنتاه .

(٢) نقد التوراة : د/ السقا ، ص ٦٢ .

(٣) التكوين : (١٤/٢٢) - امتحان إبراهيم .

(٤) نقد التوراة ص ٦٢ وقد أشار العلامة الهندي والشيخ السقا إلى أكثر من آية فيها لفظ " إلى اليوم " مثل تكوين (٢٣/٢٦) وتكوين (٣٢/

٣٢) وتكوين (٢٠-١٩/٣٥) ، ويشوع : (٩/٥ ، ٢٨/٨ ، ٢٩ ، ٢٧/١٠ ، ١٣/١٣ ، ١٤/١٤ ، ٣٦/١٥ ، ١٠/١٦ ، ١٠) ، انظر :

إظهار الحق : ٢٢٩/١ الشاهد السابع عشر ، وبين أنه لو كان موسى عليه السلام هو الكاتب لقال إلى الأبد بدلاً من " إلى اليوم " الذي يعتبر إشارة

إلى زمن الكاتب الذي يكتب (انظر : نقد التوراة ص ٦٢ ، ٦٣ الأمثلة الخامس والسادس والسابع) ، وانظر : إظهار الحق ، ٢٢٤/١

الشاهد الثالث .

أدلة من سفر الخروج :

استدل كل من العلامة رحمة الله الهندي ود/ السقا بنص من سفر الخروج يثبت عدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام والنص يقول : " وأكل بنو إسرائيل المن ^(١) أربعين سنة ، حتى جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المن ، حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان " ^(٢) .

ويعلق العلامة رحمة الله بقوله : (هذه الآية ليست من كلام موسى عليه السلام لأن الله أمسك المن عن بني إسرائيل مدة حياته ، وما دخلوا في أرض كنعان إلى هذه المدة) ^(٣) .

ويضيف د/ السقا بُعداً توضيحياً إلى ما قاله الشيخ رحمة الله فيقول :

إنه : (لم يُمنع المن إلا بعد ما دخل يشوع ^(٤) أريحا وعبر الأردن كما يقول كاتب سفره " فحل بنو إسرائيل في الجللحال ^(٥) ، وعملوا الفصح ^(٦) في اليوم الرابع عشر من الشهر... وفرياً في نفس ذلك اليوم ، وانقطع المن في الغد عند أكلهم من غلة الأرض ولم يكن بعد لبني إسرائيل من ، فأكلوا من محصول أرض كنعان في تلك السنة " ^(٧)) ^(٨) .

ويقول د/ السقا :

(جاء في سفر الخروج إشارة إلى سفر ضائع كتبه موسى عليه السلام يسمى سفر العهد ومؤداه : إذا وفى بنو إسرائيل بعهد الله يوف بعهدهم والنص الذي يشير إلى ذلك يقول : " وأخذ كتاب العهد ، وقرأ في مسامع الشعب ، فقالوا : " كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له " . وأخذ موسى ^(٩) الدم ورش على الشعب وقال : هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم " على جميع هذه الأقوال " ^(٩)) ^(١٠) .

(١) هو : مادة أنزلها الله على بني إسرائيل مدة إقامتهم في البرية وهو حلو يؤكل (انظر : المعجم الوسيط ٨٨٨/٢ ، ٨٨٩ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٥ ، خروج ٤/١٦) .

(٢) خروج : (٣٥/١٦) المن والسلوى ،

(٣) إظهار الحق : ٢٢٦/١ .

(٤) هو : يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام وابن نون من سبط إفرايم ولد في مصر ، كان خادماً لموسى عليه السلام أولاً ، وعينه قائداً لبني إسرائيل وهو ابن ٤٤ سنة (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٦٨) .

(٥) هي : أول معسكر للإسرائيليين بعد عبور الأردن ودخولهم أرض كنعان وفيها نُصب تذكار من ١٢ حجراً أخذت من قعر النهر (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٢) .

(٦) هو : أول الأعياد السنوية الثلاثة التي كان مفروضاً فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة ، ويعرف بعيد الفطير ، أنشئ في مصر (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٨) .

(٧) يشوع : (١٠/٥ - ١٢) الختان في الجللحال .

(٨) نقد التوراة : ص ٦٤ .

(٩) خروج : (٧/٢٤ - ٨) تأكيد العهد .

(١٠) نقد التوراة : ص ٦٤ .

ويقول د/ السقا أيضا : (ثم إن موسى عليه السلام شرح جميع الشرائع التي سنّها عن أمر الله تعالى في السنة الأربعين لخروجه من مصر لقول التوراة : " في عبر الأردن في أرض مؤاب ، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً ... الخ " ^(١) . وأخذ من الشعب وعداً جديداً بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع " وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسم " ^(٢)) ^(٣) .

ثم يتساءل د/ السقا في نقده لهذا النص ويقول :
(أين كتاب عهد موسى عليه السلام الذي قال عنه الكاتب : " أخذ كتاب العهد " ؟ إما أنه قد ضاع وإما أن الكاتب قد وضعه في توراة موسى عليه السلام وعهد الدم هذا كان من أجل أن تنزل التوراة) ^(٤) .

والأدلة السابقة تؤكد :

وقوع كتابة الأسفار الخمسة في أخطاء تاريخية جسيمة فهم يغالطون في حقائق التاريخ الثابتة ويزيفون في أحداثه ، ولم يكونوا أمناء فيما أخذ عليهم من عهد . ودل على عدم حفظهم لهذه الأمانة ورود إشارات تدل على أن هناك سفرًا يسمى " كتاب العهد " ولكنه فقد كغيره من الأسفار الصحيحة التي كتبها موسى عليه السلام وضاعت بضائع التوراة الأصلية المتزلة على سيدنا موسى عليه السلام كما سبق بيانه ^(*)

أدلة من سفر العدد :

وفي استدلال العلامة رحمة الله الهندي من هذا السفر ذكر النص التالي : " لذلك يُقال في كتاب حروب الرب كما صنع في بحر سوف ^(٥) كذلك يُصنع في بحر أرنون ^(٦) " ^(٧) .
وعلق عليه قائلاً : (هذه الآية لا يمكن أن تكون من كلام موسى عليه السلام بل تدل على أن مصنف سفر العدد ليس هو ؛ لأن هذا المصنف نقل هاهنا الحال عن سفر " حروب الرب " ولم يُعلم إلى الآن جزماً أي شخص صنف هذا السفر ؟ ومتى كان ؟ وأين كان ؟ وهذا السفر كالعنقاء عند أهل الكتاب سمعوا اسمه وما رأوه ولا يوجد عندهم) ^(٨) .

(١) تننية : (٥/١) الأمر بمغادرة حوريب .

(٢) تننية : (١٤/٢٩) تجديد العهد .

(٣) نقد التوراة : ص ٦٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ٦٥ . ^(*) مقتبس من نقد التوراة د/ السقا ص ٦٤ - ٦٥

(٥) هو : البحر الأحمر الذي يفصل آسيا عن أفريقيا وكان العبرانيون مدة إقامتهم في مصر يسمونه البحر ، وسمي أيضا بحر مصر ، (قاموس لكتاب المقدس ص ١٦٢) .

(٦) هو : اسم لنهر يدعي اليوم " وادي الموجب " بالملكة الأردنية الهاشمية ويجري نهر أرنون في غور عميق حتى يصل إلى البحر الميت (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧) .

(٧) عدد : (٤/٢١) الذهاب إلى مؤاب .

(٨) إظهار الحق : (٢٢٦/١) .

وجاء في سفر العدد أيضا :

وذهب يائير بن منسي^(١) وأخذ مزارعها ودعاها : حووث يائير^(٢) " (٣) . وفي نقد العلامة الهندي لهذه الآية يقول : حال هذه الآية كحال سفر التثنية^(٤) ... وقد جزم علماؤهم بأن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى عليه السلام لكنهم ما قدروا أن يبينوا اسم الملحق على سبيل التعيين ؛ بل نسبوا على سبيل الظن إلى عزرا وهذا الظن ليس بشيء ولا يظهر من الإصحاحات المذكورة^(٥) أن عزرا ألحق شيئا من التوراة ؛ لأنه يفهم من سفر عزرا أنه تأسف على أفعال بني إسرائيل واعترف بالذنوب ، ويفهم من سفر نحemia أن عزرا قرأ التوراة عليهم^(٦) .

وجاء في سفر العدد أيضًا : ما يدل على أن كاتب التوراة غير سيدنا موسى عليه السلام وذلك أن : (التوراة تتحدث عن سيدنا موسى عليه السلام بضمير الغائب وأنه لو كان الكاتب هو سيدنا موسى لكان عبر عن نفسه بضمير المتكلم مما يدل دلالة واضحة على أن كاتبها لم يكن سيدنا موسى عليه السلام فيقول الكاتب : " وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (٧) وفي نهاية السفر : " هذه هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بني إسرائيل عن يد موسى في عربات موآب^(٨) على أردن أريحا^(٩) " (١٠) .

(فلو كان سيدنا موسى هو الذي يتحدث عن وحي الله ﷻ ما كان يستعمل ضمير الغائب) (١١) .
وبناءً على ما سبق فإن وجود الإشارات الصريحة التي وردت في هذا السفر عن كتاب " حروب الرب " ونقل الكاتب عنه أقوالاً كثيرة ورغم ذلك لم يوجد بين الأسفار سفر يسمى " حروب الرب " وصيغة التمریض الواردة " يقال في حروب الرب " تضع هذا السفر موضع الشك من ناحية المؤلف ومن الناحية التاريخية أيضاً لم يعرف في أي زمان كان تصنيف هذا السفر .

(١) هو : يائير بن سحوب وحفيد حصرون من سبط يهوذا وزوجته من عشيرة ماكير من سبط منسي وأخذ يائير عندما احتل العبرانيون بقيادة موسى البلاد إلى شرقي الأردن كورة أرجوب (اللجاة) بمدنها الثلاث والعشرون وقسما من جلعاد " عجلون " وباشان (حوران) فالكل ستون مدينة وسمها باشان حووث يائير (قرى مائير) (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٣)

(٢) هي : اسم عبري معناه " قرى " أو مخيمات أو معسكرات يائير وهي مدن بدون أسوار في القسم الشمالي الغربي من باشان في منطقة الأرجوب ... استولى عليها يائير وكان عددها قابلاً للتغيير لأنها واقعة في أرض متنازع عليها (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

(٣) عدد : (٤١ / ٣٢) أسباط عبر الأردن .

(٤) يشير إلى تثنية : (٤ / ٣) وتقول : يائير بن منسي أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجشوريين والمعكيين ودعاها على اسمه باشان حووث يائير إلى هذا اليوم " وقال إن هذه الآية لا يمكن أن تكون من كلام موسى - عليه السلام - لأن المتكلم بها لابد أن يكون متأخراً عن يائير تأخيراً كثيراً كما يشعر به قوله " إلى اليوم " لأن أمثال هذا اللفظ لا يُستعمل إلا في الزمان الأبعد على ما حققه المحققون من علمائهم (انظر : إظهار الحق ١/ ٢٢٤) .

(٥ ، ٦) يشير مفسرو الكتاب المقدس إلى (عدد ٣٢ / ٤٠) (تثنية ١٤ / ٢) ويقولون إن هذه الجمل تدل على أنها ليست من كلام موسى عليه السلام ولم يميزوا أن شخصا ما ألحقها بالتوراة ولكن يقولون بالظن أن عزرا النبي ألحقها كما يدل على ذلك (عزرا ٩ ، ١٠) ، (ونحميا ٨) (انظر : إظهار الحق ١/ ٢٢٥) .

(٧) عدد : (٣ / ١٢) مريم وهارون ينتقدان موسى .

(٨) هي : ما كان في وادي الأردن مقابل أريحا (عدد ١/ ٢٢ ، ٣/ ٢٦ ، ٤٨/ ٣٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٨ .

أدلة من سفر التثنية :

وهناك أيضاً نصوص من سفر التثنية تثبت أن موسى ~~عليه السلام~~ لم يكتب هذه الأسفار وقد ذكر هذه الأدلة كل من العلامة الهندي والدكتور / السقا . من هذه النصوص مايلي :

النص الأول يقول فيه الكاتب :

" وفي سعين^(١) سكن قبلاً الحوريون^(٢) فطردهم بنو عيسو وأبادوهم من قدامهم وسكنوا مكانهم كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب "^(٣) .

يقول العلامة الهندي في نقده لهذا النص نقلاً عن بعض مفسري الكتاب المقدس :

(هذه الآية إلخاقية وجعل هذا القول " كما فعل إسرائيل " إلى آخره دليل الإلحاق)^(٤) .

ويقول د/ السقا معلقاً على هذا النص أيضاً :

(قوله " كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم " يدل على أن الكاتب في الزمان المتأخر عن دخول بني إسرائيل أرض كنعان التي أعطاهها الله لهم وأنه يشبه طرد بني عيسو بن اسحق للحوريين بطرد بني إسرائيل للكنعانيين)^(٥) .

النص الثاني : يقول فيه الكاتب :

(إن عوج^(٦) ملك باشان^(٧) وحده من بقية الرُفائيين^(٨) ، هو ذا سريريه ، سرير من حديد ، أليس هو في ربة بني عمون^(٩) ، طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع رجل ، فهذه الأرض امتلكتها ذلك الوقت)^(١٠) .

= (٩) هي : مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك سميت فيما قبل بأريحا بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح ~~عليه السلام~~ انظر : معجم البلدان : ياقوت الحموي (١٦٥/١) ط دار صادر بيروت ١٩٨٤م (١٠) عدد : (٣٦ / ١٣) ميراث بنات صلفحاد .

(١١) نقد التوراة : د/ السقا ص ٦٧ .

(١) هي : سلسلة جبال ممتدة في الجهة الشرقية من وادي عربة من البحر الميت إلى خليج العقبة سميت كذلك نسبة إلى سعين الحوري والظاهر أنه جد سكان تلك الأرض (انظر : دائرة المعارف - للبستاني ٦٢٣/٩ ط بيروت ١٨٨٧م) .

(٢) هم : سكان جبل سعين الأصليين ولذلك يدعون بني سعين (تكوين ٣٦/٢٠ ، ٢١) وكان الاعتقاد قديماً أن حور معناها كهف وبالتالي هم سكان الكهوف انتشروا في أراضي ما بين النهرين وسوريا ، فلسطين ، مصر (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٧) .

(٣) تثنية : (١٢/٢) التيه في البرية .

(٤) إظهار الحق : ٢٢٥/١ .

(٥) نقد التوراة : ص ٦٧/٦٨ .

(٦) هو : ملك الأموريين في باشان من سلالة الرفائيين وامتد ملكه من جبل أرنون إلى وادي حرمون قتله بنو إسرائيل واحتلوا مملكته (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٦) .

(٧) هي : مقاطعة في أرض كنعان شرقي الأردن بين جبلي حرمون وجلعاد (عدد ٣٣/٢٠) (قاموس الكتاب المقدس ص ١٥٩) .

(٨) هم : عشيرة من الجبابرة سكنوا قديماً في فلسطين شرقي الأردن قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠٧ .

(٩) هي : مدينة تقع عند منبع يوبق (نهر الزرقاء) وكانت عاصمة أرض بني عمون وفيها مات أوريا عند محاصرة يوبآب للمدينة (صموئيل الثاني

١١ / ١٧) اسمها الحديث عَمَّان (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٧) .

(١٠) تثنية : (١٢-١١/٣) .

والعلامة الهندي في نقده لهذا النص يعتمد على كلام علمائهم في تفسيرهم لسفر عزرا وهذا التفسير يقول :
(المحاوره سيما العبارة الأخيرة تدل على أن هذه الآية كتبت بعد موت ذلك السلطان بمدة طويلة . وما كتبها موسى ؛ لأنه مات في مدة خمسة أشهر)^(١).

ود/ السقا في نقده يضيف قائلاً :

(قسوله : " أليس هو في ربة بني عمون ؟ يدل على أن السرير كان موجوداً زمن الكاتب وأن هذا السرير بقي في حوزة بني إسرائيل بعد موت " عوج " وأنه محفوظ في " ربة بني عمون " وربة بني عمون لم يستول عليها بنو إسرائيل في زمن موسى بل بعده بخمسمائة عام وخمسة عشر عاماً ... وقوله " فهذه الأرض امتلكتها في ذلك الوقت " يدل على أنه يتحدث عن أمر ما ض بعيد جداً وهم لم يملكوها تماماً إلا في عهد داود عليه السلام فيكون كاتب تورا موسى عليه السلام بعد زمن داود)^(٢) . أي في زمن متأخر بعد عبيدنا موسى عليه السلام .

هذا وقد وقف د/ السقا مع سفر التثنية وقفة نقدية فاحصة جعلته يحلل ما ورد في هذا السفر تحليلاً جيداً أثبت من خلاله أن التوراة الموجودة الآن ليست هي التوراة المتزلة على سيدنا موسى عليه السلام فقال :
(الآيات الكثيرة من سفر التثنية تدل على أن السفر ليس من زمن موسى بيقين ذلك لأن الكاتب يتحدث عن موت موسى ودفنه وأنه لا أحد يعرف قبره وأن يشوع بن نون قد خلفه في قيادة بني إسرائيل ، وفي أول السفر يستعمل ضمير الغائب بوضوح تام ، وهذا الاستعمال يستمر به إلى نهاية السفر)^(٣) .

فيقول في المقدمة : (هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن)^(٤) في البرية ... في السنة الأربعين الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر ، كلم موسى بني إسرائيل ... في عبر الأردن في أرض موآب^(٥) ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً ... إلخ)^(٦) .

ويعلق د/ السقا قائلاً : (فلو كان موسى هو المتكلم لكان يقول : " هذا هو الكلام الذي كلمت به جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية ... كلمت بني إسرائيل ... في عبر الأردن في أرض موآب ابتدأت أشرح هذه الشريعة فقلت ... هكذا " فهذا يدل على أن شخصاً يؤرخ لموسى عليه السلام لا أن هذا الكلام من كلام موسى نفسه)^(٧) .

(١) إظهار الحق : ٢٢٦/١ .

(٢) انظر : نقد التوراة ص ٦٨ بتصرف .

(٣) نقد التوراة : ص ٧٠ ، ٧١ .

(٤) هو : اسم كورة وأهل السير يقولون : إن الأردن وفلسطين ابنا سام بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام وهي أحد أجناد الشام الخمسة ، افتتحها شرجيل بن حسنة عنوة ما خلا طرية فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم (معجم البلدان ١/١٤٨) .

(٥) أرض موآب : ما وقع شرقي البحر الميت (تثنية ١/٥) وأرض الموآبيين ويقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم وكانت منقسمة إلى قسمين أرض موآب ، عربات موآب (انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٧ ، ٩٢٨) .

(٦) تثنية : (١/٥-١) الأمر بمغادرة حوريب .

(٧) نقد التوراة : ص ٧٠ ، ٧١ .

ثم يذكر د/ السقا نصوصاً في ثنايا سفر التثنية تؤكد أن الكاتب ليس موسى عليه السلام بل الكاتب إنسان آخر من هذه النصوص ما يلي :-

أ . " وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل ^(١) ... ودعا موسى جميع إسرائيل ^(٢) وقال لهم ... " ^(٣)

ب . " وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلاً : احفظوا جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم " ^(٤) .
ج . " وصعد موسى ، من عربات موآب ... فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء ^(٥) في أرض موآب ، مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته ^(٦) وغير ذلك من النصوص كثير .

ثم يقف د/ السقا وقفة متعجب حول هذه النصوص قائلاً : أي عاقل يقول : (إن الكاتب هو موسى ، وقد ذكر ما حدث لبني إسرائيل بعد موته ، من أنه لا أحد يعرف قبره ؟ وهذا يدل على أن الكاتب بعد موسى بمدة طويلة جداً ، ضاعت منها الذكريات عن قبر موسى) ^(٧) . ويتنقد العلامة : أحمد ديدات ^(٨) هذه النصوص قائلاً : إنه واضح وجلي بأن هذه النصوص ليست من أقوال الله ولا من أحاديث موسى ، إنها تدل على صوت المؤلف بضمير الغائب قام بتصنيف ما سمعه ، ويتساءل أيمن أن يكون موسى قد كتب تفاصيل موته ؟ قبل وفاته وصيرورته رفاتاً ؟ هل حدث أن كتب يهودي تفاصيل موته ؟ مات موسى ودفنه الله كما جاء في سفر التثنية (٥ ، ٦) ^(٩)

أدلة من سفر اللاويين :

وقد ذكر النقاد المسلمون نصوصاً من سفر اللاويين تثبت أن التوراة الموجودة الآن في أيدي اليهود والنصارى ليست هي التوراة الحقيقية من هذه النصوص ما ذكره د / السقا ، حيث يقدم قبل أن يذكر النص بقوله : (إذا أراد الشخص أن يكفر عن ذنبه عليه أن " يأتي إلى الرب بذبيحة لإثمه كبشاً صحيحاً من الغنم بتقويمك من شواقل فضة =

(١) تثنية : (٤٤/٤) الأمر بالطاعة ،

(٢) تثنية : (١/٥) الوصايا العشر .

(٣) تثنية : (١/٢٧) المذبح على جبل عيبال .

(٤) هي : الكلمة العبرية لسواد وهو بطن من الأرض أو واد واسع فيه دفن موسى عليه السلام في أرض موآب (تثنية ٦/٣٤) (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٨) .

(٥) تثنية : (١/٣٤) ، (٥-٧) موت موسى .

(٦) نقد التوراة : ص ٧١ .

(٧) هو : أحمد حسين ديدات ، ولد في سنة ١٩١٨ م في . تادكسها فاز في الهند . وبعد تسع سنوات لحق بوالده في . جنوب إفريقيا . وعاش الوالد وابنه في دير نان ويعمل والده ترزيباً ، والتحق أحمد ديدات بالمركز الإسلامي حيث تعلم تعاليم الإسلام ، انتهى من المرحلة الأساسية عام ١٩٤٣ وعمل في محل تجارى يبيع الملح والسكر وطارده المبشرون كثيرا حين قرر دراسة الكتاب المقدس وحاور القساوسة وناظرهم من مؤلفاته : مسألة صلب المسيح ، ومن درج الحجر ، وهل الكتاب المقدس كلام الله (انظر : مقدمة كتيب من درج الحجر للعلامة احمد ديدات ، ص ٦) .

(٨) هل الكتاب المقدس كلام الله ١ / أحمد ديدات ص ١٥١ ، ط / دار المنار ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .

= على شاكل القدس ذبيحة إثم ويعوض عما أخطأ به من القدس ، ويزيد عليه خمسَه وَيَدْفَعُهُ إِلَى الكاهن فيَكْفُرُ الكاهن عنه بكبش الإثم فَيُصَفَّحُ عَنْهُ (١) .

وفي نقد د / السقا ، لهذا النص يقول : (معروف أن بني إسرائيل لم يكونوا قد دخلوا القدس في عهد موسى ولم يتخذوا " الشاكل " (٢) أيضاً في عهد موسى) (٣) . وهذه الوقفة النقدية للدكتور / السقا تدل على درايته بتاريخ بني إسرائيل والمراحل التي مروا بها ومي دخلوا القدس وفي أي وقت من الزمان اتخذوا المقدار الوزني الذي يسمى " الشاكل " .

ويذكر د / يحيى ربيع ، أدلة كثيرة من سفر اللاويين ويعلق عليها مبيناً أن موسى عليه السلام لم يكن هو الكاتب لهذا السفر أيضاً كغيره من الأسفار فيقول : ورد في سفر اللاويين : (ما يفيد أن مؤرخاً يسجل التشريع الذي أنزله الله على موسى عليه السلام حيث يبدأ السفر بقوله : " ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع (٤) قائلاً ... " (٥) ويقف د / يحيى ربيع أمام هذا النص منتقداً قائلاً : لو كان موسى هو الذي يتحدث عن نفسه لقال : " ودعاني الرب من خيمة الاجتماع وكلمني قائلاً ... " ويقول وأمثال هذه العبارة يتكرر كثيراً منها " وكلم الرب موسى قائلاً (٦) ومنها " أوص هارون وبنيه قائلاً (٧) " (٨) .

والم تأمل لما سبق يجد دقة العلامة الهندي في نقده لسند الأسفار الخمسة وفي نهاية نقده كون رأياً هاماً حول سند الأسفار الخمسة فقال : ليس في أيدي أهل الكتاب سند لكون الأسفار الخمسة من تصنيف موسى عليه السلام ومادام لم يثبت سند من جانبهم فليس علينا التسليم لصحة هذه الأسفار بل يجوز الرد والإنكار (٩) .

(١) الإصحاح : (١٥/٥ - ١٦) ذبيحة الإثم .

(٢) هو : اسم معيار لوزن الأشياء الثقيلة وغيرها ونوع من النقود الذهب والفضة غير المسكوكة (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٢٤) .

(٣) نقد التوراة : ص ٦٧ .

(٤) هي والخيمة الأصلية التي كان يجتمع فيها الرب بشعبه عليه السلام ولذلك سميت " خيمة الاجتماع " وهي التي أمر الله موسى أن يقيمها في البرية لكي يسكن الله فيها بين شعبه (على زعمهم) ولذلك سميت المسكن أو مسكن الشهادة (خروج ٢١/٣٨) (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٢) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

(٥) الإصحاح : (١/١) المحرقة :

(٦) اللاويين : (١/٦) بدون .

(٧) اللاويين : (٩-٨/٦) شريعة المحرقة .

(٨) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د / يحيى ربيع ص ٧٨ طبعة دار الوفاء ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

(٩) إظهار الحق ١ / ٩١ .

وختلاصة ما سبق :

١- أثبت علماء المسلمين أن الأسفار الخمسة ليست منسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام بأدلة من داخل نصوص هذه الأسفار نفسها وذلك أدعى للقبول . وأنه لا يصح إضافة أي شيء منها إلى موسى عليه السلام .

٢- بين علماء المسلمين أن الأسس العلمية التي يتم على أساسها قبول الأخبار لم تتوفر في سند الأسفار الخمسة وبالتالي يحكم بردها ، وكذلك لم تتوفر فيها الأسس الشرعية .

٣- تعلل علماء النصارى لفقدان السند بكثرة المصائب التي مرت بهم عبر العصور وهذه العلة لا تكفي أبداً للتسليم بصحة سند الأسفار إذ أن فقدان سند الرواية المقدسة يكفي بردها وإبطالها .

٤- الكشف عن فقرات اعترفوا بأنفسهم أنها ألحقت بهذه الأسفار ولم يعرف من ألحقها ولم يكتبها سيدنا موسى عليه السلام وهذا أقوى دليل وحجة عليهم إذ أن رجال الدين عندهم هم الذين أقرروا ذلك الإلحاق قبل غيرهم .

المبحث الثالث

نقد سند بقية أسفار العهد القديم :

بعد هذه الجولة النقدية لفحص سند الأسفار الخمسة وبعد أن اتضحت الإجابة على التساؤل الذي يطرح نفسه دائماً هل هذه الأسفار كتبها سيدنا موسى عليه السلام أم لا وهل هي وحي إلهي أم لا ، أئين في هذا المبحث إن شاء الله تعالى جهود علماء المسلمين في نقد سند الأسفار الأخرى من العهد القديم مشتملاً على بيان من كتبها ؟ ومتى كتبت ؟ فبعد أن انتهى العلامة / رحمة الله الهندي ، من نقده لسند الأسفار الخمسة شرع بعد ذلك في نقد سند بقية الأسفار مبتدئاً بسفر يشوع :

فمن هو مصنف سفر يشوع :

لم يظهر لهم إلى الآن بالجزم اسم مصنفه ولا زمان تصنيفه وافترقوا في ذلك إلى خمسة أقوال فيمن صنفه فقالوا : إما أن يكون صنفه يشوع أو فينحاس ^(١) أو العازار أو صموئيل أو أرميا ومن العجيب كما يقول : أن بين يشوع وأرميا مدة ثمانمائة وخمسين سنة تخميناً وقد أشار إلى أن هذه الأقوال المختلفة دليل على عدم صحة سند هذا السفر عندهم وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظن رجماً بالغيب ^(٢) .

متى كُتب سفر يشوع :

معرفة زمن التصنيف من الأهمية بمكان بالنسبة لأسفار العهد القديم وعند البحث عن إمكانية تحديد زمن تصنيف سفر يشوع يتضح بعد زمن التصنيف عن زمان وجود سيدنا موسى عليه السلام مما يدل دلالة واضحة على استحالة كتابة سيدنا موسى عليه السلام لهذا السفر ولذلك يقول العلامة الهندي عن هذا الموضوع :

(ولو لاحظنا ما جاء في سفر يشوع " وأما اليبوسيون ^(٣) الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم " ^(٤) وما جاء في سفر صموئيل الثاني " وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض فكلّموا داود قائلين : لا تدخل إلى هنا ما لم تترع العميان والعرج ، أي لا يدخل داود إلى هنا ، وأخذ " داود حصن صهيون " ^(٥) ، هي مدينة داود ، وقال داود في ذلك اليوم : إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة ، والعرج والعمي المبغضين من نفس داود لذلك يقولون : لا يدخل البيت أعمى أو أعرج " ^(٦) .

(١) هو : اسم مصري معناه النوى وهو ابن العازار وحفيد هارون وحصته من أرض كنعان تل في جبل افرايم (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٥)

(٢) إظهار الحق : ١ / ٩١ بنصرف .

(٣) هي : قبيلة كنعانية سكنت ييوس أو أورشليم والجبال التي حولها في أيام يشوع وكان موضع ييوس منحصراً بالجليل الجنوبي الشرقي الذي دعي بعدئذ " صهيون " أو مدينة داود أو اطلب " أورشليم " (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٥٣) .

(٤) الإصحاح : (٦٣/١٥) نصيب يهوذا . =

يقول العلامة الهندي من خلال الملاحظة بين الآيات السابقة من سفر يشوع وصموئيل الثاني : (يظهر أن هذا السفر كتب قبل السنة السابعة من جلوس داود عليه السلام)^(١)

كيف جُمع سفر يشوع :

أخبر العلامة الهندي أن رجال الدين في النصرانية يقولون إن مصنف سفر يشوع ينقل بعض الحالات عن سفر اختلفت التراجم في بيان اسمه ... ولم يعلم حال هذا السفر المنقول عنه ، ولا حال مصنفه ، ولا حال زمان التصنيف غير أنه تقول التوراة " وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القومس ، هو ذا ذلك مكتوب في سفر ياشر " ويفهم من هذا النص : أن مصنفه يكون معاصرًا لداود عليه السلام أو بعده^(٢) . وهكذا لا نعرف من الذى كتب سفر يشوع فكيف نقول عنه أنه مكتوب بالإلهام ؟^(٣) .

إذن يفهم مما سبق الأمور التالية :

- (١) أنه لم يتفق النصارى على تحديد كاتب سفر يشوع ولم تكن عندهم أدلة قوية على ذلك وهناك اضطراب في ذلك التحديد هذا الاضطراب من شأنه أن يسهم في عدم التسليم لهم فيما يقولون .
 - (٢) جهل النصارى بزمان التصنيف من الأمور التى تجعل الناقد يضع يده على علة أساسية تؤكد رد الدعوى القائلة بأن موسى عليه السلام هو المصنف لسفر يشوع لأن الجهل وعدم معرفة زمن التصنيف يوقع هؤلاء في أخطاء جسيمة كتلك التى وقعوا فيها حينما أخبروا أن الذى صنف سفر يشوع هو أرمياء وذلك يناقض الواقع التاريخي الذى يقول ببعد المسافة الزمنية بينهما والتى تقدر بأكثر من ثمانمائة وخمسين عامًا تقريبًا .
 - (٣) الجمع والتدوين أحد الجوانب الهامة التى يعرف من خلالها صدق الرواية من كذبها خاصة عندما يتعلق الجمع والتدوين لأسفار يُدعى أنها إلهية أو كتبت بالإلهام وعند عدم معرفة المنقول عنه أو من أى مصدر أخذت مادة هذا السفر بالتالى يتولد الشك في كيفية الجمع والتدوين طالما أن النقل قد تم من سفر اختلفت التراجم في تعيين اسمه .
- بعد أن تبينت حالة سفر يشوع من خلال ما قاله العلامة رحمة الله الهندي حيث جعله في المرتبة الثانية بعد الأسفار الخمسة ؛ لأن اليهود يعتبرونه الرجل الثانى بعد موسى عليه السلام ألخص ما ذكره عن بقية الأسفار ، ومن الملاحظ وجود تشابه شديد بين هذه الأسفار من حيث معرفة المصنف الحقيقي وهل السفر إلهامى أم لا ؟ ومتى صنف وكيف جمع ؟ - ألخصه فيما يلى :

(١) اظهر الله (١ / ٩٢) .

(٢) المرجع السابق (١ / ٩١ ، ٩٢) يتصرف بالحذف ، صموئيل الثاني : (١٨ / ١) داود بنوح على شاول .

(٣) التوراة د / بدران ص ٣٦ .

١ . سفر القضاة ^(١) :

لم يعلم مصنفه بالتحديد وقد اختلفت الآراء في تحديده فقليل إن مصنفه فينحاس وقيل حزقيال وقيل أرميا وقيل عزرا ، وهذا السفر ليس إلهامي ومن الملاحظات التي تؤخذ على من صنفه : أنه بين عزرا ^(٢) وفينحاس أزيد من تسعمائة سنة .

٢ . راعوث ^(٣) :

قليل إنه تصنيف حزقيال وقيل عزرا وقيل صموئيل وعلى هذا لا يكون إلهامياً .

٣ . نحميا ^(٤) :

قليل إنه تصنيف نحميا وقيل عزرا وعلى الأول لا يكون إلهامياً ، وفيه ٢٦ آية من الإصحاح ١٢ من تصنيفه ولا ربط لهذه الآيات بقصة هذا الموضع ربطاً حسناً .

٤ . أيوب ^(٥) :

أيوب اسم فرضي ، وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة .

٥ . زبور داود ^(٦) " المزامير " :

لم يثبت بالسند الكامل أن مصنفه فلان فقليل إنه تصنيف داود ^(٧) وقيل قد صنف من الزبور ٤٥ زبوراً وقيل إنها إلهامية وقيل إن شخصاً من غير الأنبياء سماها بهذه الأسماء وقيل إنها صنفت في زمان المكابيين .
يؤخذ على زبور داود أنه :

لم يتحقق من أسماء الزبوريات هل هي إلهامية أم لا ، وقد تأثر كاتبه بالأدب المصري القديم ، ولم يعلم زمان جمع الزبوريات فقليل في زمن داود وقيل في زمن حزقيال على يد أصدقائه .

(١) القضاة : من أيام إبراهيم إلى أيام موسى لم يكن نظام للقضاء ؛ بل كان رب كل العائلة هو قاضي العائلة ، ولما قام موسى وقاد بني إسرائيل قصده الناس في حل مشاكلهم فكان يجلس للقضاء من الصباح إلى المساء كل يوم ، فلما رآه حموه على تلك الحال أشار عليه بانتخاب قضاة من رؤساء الأسباط والعشائر ممن عندهم الأمانة وخوف الله فيعلمهم الفرائض والشرائع ويقيم منهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات فيفوضون للشعب كل حين ، وسن لهم موسى شريعة للقضاء كتبها لهم ووضعها أمامهم (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣٥ - ٧٣٧) .

(٢) هو : كاهن عاد من بابل إلى القدس مع زروبابل وكان يلقب بالكاتب وعمل مستشاراً لإمبراطور الفرس " ارتخشستا " نال عفوه عن اليهود وسمح لهم بالعودة إلى القدس عام ٤٥٨ أو ٤٥٧ ق.م . حمل معه أموالاً كثيرة أثناء عودته من أجل بناء الهيكل (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١) .

(٣) هو : اسم مؤابي ربما كان معناه " جميلة " وهي فتاة مؤابية تزوجت أولاً بمحلون بن اليمالك من سبط يهوذا ، ولما مات زوجها لصقت بحماقتها نعمسي ورافقتها إلى بيت لحم اليهودية تاركة شعبها وبيت أبيها في مؤاب ... ؛ وهذا صارت ضمن سلسلة نسب داود والمسيح وسفر راعوث يحتوي على قصة راعوث الفتاة الجميلة لما مات زوجها ظلت مع حماقها وذهبتا إلى بيت لحم وكانتا في أشد حالات الفقر فخرجت راعوث إلى الحقول لتلتقط ما يتبقى وراء الحصادين فالتقطت من حقل بوعز وهو غني فتزوجها بعد ذلك (انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٠ ، ٣٩١) .

(٤) هو : اسم أحد الذين عادوا من السبي ، ومن بابل إلى أورشليم مع زروبابل وسفر نحميا هو السفر السادس عشر من أسفار العهد القديم وهو تنمة لسفر عزرا (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٦١ ، ٩٦٢) .

(٥) هو : اسم عبري ولا يعرف معناه على وجه التحقيق ، ويقول بعضهم أنه قريب من اللفظ العربي آيب فرمما يعني الراجع إلى الله أو النائب ، وهو أحد رجال العهد القديم الأبرار وكان يقطن أرض عوص وكان يعيش في بيئة شبيهة ببيئة الآباء الأولين وفي ظروف مماثلة لظروفهم وكان يقيم بالقرب من الصحراء في زمن كان يقوم فيه الكلدانيون بغزوات في الغرب (أيوب ١٧/١) ولا يمكن تعيين تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق (قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٦ - ١٤٨) .

٦. أمثال سليمان^(١) :

كله من تصنيف سليمان عليه السلام وقيل إن تسعة أبواب في أوله ليست من تصنيفه والباب الثلاثون من تصنيف رجل آخر وكذلك الحادى والثلاثون .
يؤخذ على أمثال سليمان أنه :

فيه شك كبير وقد تأثر كاتبها بالأدب المصري القديم .

لم تجمع في عهد سليمان لأن خمسة أبواب منها جمعها أحباء حزقيال بعد ٢٧٠ سنة من وفاة سليمان .

٧. سفر الجامعة^(٢) :

قيل إنه من تصنيف سليمان عليه السلام وقيل أشعيا وقيل حزقيال وقيل إن أحدًا صنّفه بأمر من زروبابل لأجل تعليم ابنه أبيهود .

يؤخذ على سفر الجامعة أنه :

فيه شك كبير لأن محتواه يتناقض مع التوراة وبقية كتب بني إسرائيل في كثير من مواضعه .

قيل أنه صنف بعد ما أطلق بنو إسرائيل من أسر بابل .

٨. نشيد الإنشاد^(٣) :

قيل إنه تصنيف سليمان أو أحد معاصريه ، وقيل صنف بعد مدة من وفاة سليمان .

يؤخذ على نشيد الإنشاد أن :

حاله سقيم جدًا وصفه العلماء بأنه غناء فسقي فليخرج من الكتب المقدسة وقيل غناء نجس .

٩. دانيال^(٤) :

يوجد في الترجمة اليونانية واللاتينية وجميع تراجم (الروم الكاثوليك) غناء الأطفال الثلاثة في الإصحاح

الثالث وكذا يوجد الإصحاح ١٣ ، ١٤ ، وفرقة (الكاثوليك) تسلم الغناء المذكور والإصحاحين المذكورين وتردهم فرقة البروتستانت وتحكم بكذبهم^(٥) .

= (٦) سمي السفر بذلك الاسم لأنه يحوى مجموعة من الأغاني تنشد بمصاحبة الزمير فهذا السفر يناظر ما يعرف في العربية بالتهاليل والتواشيح والتسابيح وبعض المزامير طقوس دينية وبعضها يتصل بالأعياد الإسرائيلية وأكثر المزامير ترجع إلى داود فله وحده ثلاث وسبعون زمورًا وبالسفر مزامير أخرى لسليمان ولأساف الذي كان رئيس المغنين في عهد داود وتنسب بعض المزامير لموسى (اليهودية د/ أحمد شلي ص ٢٤١ ، ٢٤٢) .

(١) هو : ابن داود عليه السلام الذى خلفه على عرش بني إسرائيل كتب الامثال والمواظع وضاع كثيرا مما كتبه (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨١)

(٢) هو : السفر ٢١ من العهد القديم ومعنى اسمه الكارز ، ودعى بسفر الجامعة في الترجمة السبعينية وهي ترجمة الكلمة العبرية " قوهيلت " التي معناها من يجلس في محفل أو يتكلم في مجتمع أو كنيسة . والاسم الجامعة يشير إلى سليمان بن داود الملك في اورشليم (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٣ ، ٢٤٤) .

(٣) هو : عبارة عن موضوع غرامي أو هو غزل بين يهود وبين إسرائيل يرثله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح ، وقد قبل في الكتاب المقدس لأن فيه اسم سليمان ، والحقيقة أنه ليس له ، فهو أغان شعبية من وضع الشعب ، (اليهودية د/ أحمد شلي ص ٢٤٤) .

(٤) هو : بطل نبوة دانيال عاش مسيًّا في بابل ، وضعه التقليد المسيحي في عداد الأنبياء الكبار الأربعة وسفر دانيال من أسفار التوراة كتب في أواخر القرن (٣ ق.م) (انظر : المنجد ص ٢٨١ قسم الأعلام) .

(٥) انظر : إظهار الحق ٩٧/١ وكلام المحقق د/ أحمد حجازي السقا بالهامش .

١٠ . سفر إستير ^(١) :

لم يعلم اسم مصنفه وقيل إنه من تصنيف علماء المعبد من عهد عزرا إلى زمن سمين وقيل من تصنيف يهوكين وقيل عزرا .

يؤخذ على سفر إستير أنه :

لم يعلم زمان تصنيفه .

١١ . سفر أرميا ^(٢) :

الباب ٥٢ منه ليس من تصنيف أرميا ، وكذلك الآية الحادية عشرة من الإصحاح العاشر .

يؤخذ على سفر أرميا أنه :

فيه آيات كثيرة ألحقت بعد موت أرميا .

١٢ . سفر أشعيا ^(٣) :

فيه ٢٧ إصحاحاً ليست من تصنيفه .

يؤخذ على سفر أشعيا أنه :

تأثر كاتبه بالأدب المصري القديم .

١٣ . سفر حزقيال ^(٤) :

ليس من المعقول أن يكون كاتبه نبياً ملهماً لأنه يتناقض تماماً مع ما جاء في سفر العدد .

١٤ . سفر ملاخي ^(٥) :

كاتبه متأثر بالفلسفة المصرية القديمة ^(٦)

(١) معناه : " سيدة صغيرة " وكانت إستير فتاة جميلة وهي ابنة إبيجائل الذي يرجح أنه من سبط بنيامين واسمها بالعبرية هدسة أي " شجرة الآس " وقد تركت يتيمة وهي بعد صغيرة فأحضرها ابن عمها مردخاي الذي تبناها إلى شوش العاصمة الفارسية وقد أقام الملك احشويروش وليمة لعظمائه فشرب الخمر فلعبت برأسه فأمر أن تحضر امرأته الملكة وشي كي يري عظماءه جمالها فرفضت فاغتاز الملك وأمر أن يبحثوا له عن فتاة جميلة لتأخذ مكانة وشي فاختيرت أستير ويدور السفر على حكايتها وما فعلته من حيل ومكائد (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣) .

(٢) هو : أحد كبار أنبياء إسرائيل الأربعة تنبأ لمواطنيه بسقوط أورشليم ودعاهم إلى الخضوع للملك بابل فاضطهدوه بعد سقوط المدينة ، نجا من السبي فأرغمه بعض مواطنيه على الحرب معهم إلى مصر حيث مات ، له نبوءة تملؤها عواطف الأسي وقد نسب إليه كتاب مراثي إرميا (المنجد ص ٣٦ قسم الأعلام) .

(٣) هو : النبي العظيم الذي تنبأ في يهوذا أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا - ملوك يهوذا ، ويرجح أنه عاش إلى أن جاوز الثمانين من العمر ، وامتدت مدة قيامه بالعمل النبوي إلى ما يزيد على الستين عاماً وكان اسم أبيه آموص (قاموس الكتاب المقدس ص ٨١) .

(٤) هو : اسم عبري معناه " الله يقوي " وهو أحد الأنبياء الكبار - في زعمهم - ابن بوزي ومن عشيرة كهنوتية ولد وكبر ونشأ في فلسطين وربما في أورشليم في بيعة الهيكل أثناء خدمة النبي أرميا ثم حمل مسبياً من يهوذا مع يهوياكين (٥٩٧ ق.م) ثماني سنوات بعد نفي دانيال وسفره بين مراثي أرميا ودانيال يحتوى على :

(٢) نبوءات ألقيت قبل غزو أورشليم وهي تنبئ عن سقوطها بسبب خطاياها . (د) نبوءات الحكم على الأمم .

(ج) نبوءات متعلقة بالرجوع من السبي (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١ - ٣٠٤) . =

وبعد هذا العرض التقويمي لبقية أسفار العهد القديم تكاد الرؤى النقدية لعلماء المسلمين حول سند هذه

الأسفار تتفق على الأمور التالية :

- ١ (الاضطراب في تحديد المصنف الحقيقي لكل سفر من هذه الأسفار .
- ٢ (الاضطراب في تحديده وقت التصنيف ، بل إن بعضها لم يعرف زمن كتابته .
- ٣ (أغلب هذه الأسفار عبارة عن حكايات باطله بعيدة عن العفة ويستحيل نسبتها إلى الوحي الإلهي .
- ٤ (تأثر هذه الأسفار بالفلسفات الوثنية القديمة خاصة الأدب المصري القديم .

خلاصة جهود العلماء في نقد سند العهد القديم :

لقد أجاد علماء المسلمين في إثبات عدم صحة نسبة أي نص من نصوص العهد القديم ، إلى سيدنا موسى عليه السلام ، بالأدلة العقلية والنقلية القاطعة ، وذلك من خلال تحليل الصيغ اللغوية الواردة في نصوص العهد القديم ، كصيغة التمريض التي تقول : " يقال في كتاب حروب الرب ، ومثل استخدام ضمير الغائب الذي يتكرر في كثير من النصوص ، كقال موسى ، وأوصى موسى ، والحديث عن موت موسى وتفاصيل موته ودفنه ، كل ذلك يؤكد أن شخصاً آخر غير موسى عليه السلام ، هو الذي كتب هذه التوراة ، وبذلك أثبت علماء المسلمين انقطاع سند التوراة ، ومن برع في ذلك من علمائنا الأفاضل : العلامة رحمة الله الهندي ، وجميع من تكلم بعده عن سند العهد القديم ، قد أخذوا منه نفس طريقته النقدية في إثبات أن الكاتب غير موسى عليه السلام ، مع إضافات يسيرة ، ولكن عند مقارنتها بجهود العلامة الهندي يتضح أنهم لم يأتوا بمجديد حول نقد سند العهد القديم .

= (٥) هو : أحد أنبياء بني إسرائيل مهد للإصلاح الذي قام به نحميا وكان في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٨٢) .

(٦) ولمزيد من التفصيل عن هذه الأسفار من حيث السند والمتن وصحة نسبتها إلى مؤلفيها يرجع إلى : إظهار الحق ١ / ٩٣ - ٩٧ (التوراة : د/ بدران ص ٣٨ : ٤٠) .

الفصل الثاني

جهود علماء المسلمين في نقد سند العهد الجديد " فترة البحث "

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : نظرة تاريخية حول العهد الجديد

المبحث الثاني : نقد سند الأناجيل الأربعة

المبحث الثالث : نقد سند الأسفار الأخرى من العهد الجديد

المبحث الأول

نظرة تاريخية حول العهد الجديد

ويشتمل على ما يلي :

- ١- موثوقية الأناجيل الأربعة وتأثرها برسائل بولس .
- ٢- صلاحية العهد الجديد .
- ٣- دعوى تمتع الأناجيل الأربعة بحق الامتياز ومناقشة العلماء لها .

تمهيد :

لقد أحاط العلامة رحمة الله الهندي الأنجيل الأربعة بالدراسة النقدية الفاحصة التي أثبتت بالأدلة العقلية والنقلية وأقوال كتابهم أن هذه الأنجيل ليس لها سند متصل ، وأنها قد ألفت بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة .

وأثبت أيضا من خلال جولاته النقدية بين النصوص والشروح المختلفة للكتاب المقدس أن الإنجيل الأصلي قد فُقد ، وأن الأسباب التي اعتدروا بها لفقدان سندهم أسباب واهية ^(١) .

وعلى الفرض لو كانت هذه الأنجيل تصح نسبتها إلى مؤلفيها - متى - مرقس - لوقا - يوحنا - إلا أن النصارى أنفسهم وطوائفهم المختلفة قد اختلفوا في تحديد تواريخ كتاباتها واضطربوا في ذلك اضطراباً شديداً ، فإسنادهم هذه الأنجيل إلى أصحابها بلا حجة ولا برهان كما سبق بيانه في المبحثين السابقين .

ولقد اعتمد علماءنا الأجلاء في نقد الجانب التاريخي للعهد الجديد على تلك التواريخ التي ذكرها مفسرو العهد الجديد على اختلاف طوائفهم مما دفعهم لمناقشة الأدوار التاريخية التي مرت بها الأنجيل ، الأمر الذي أدى إلى فقدان الثقة في قانونية هذه الأنجيل .

موثوقية الأنجيل الأربعة :

(وحول موثوقية الأنجيل الأربعة يقول أ / محمد السعدي في كتابه " دراسة في الأنجيل " إن فناء النسخ الأصلية للأنجيل يعني ببساطة أننا لا نستطيع التأكد من موثوقية المخطوطات والنسخ التي بين أيدينا اليوم ، وإذا علمنا أن أقدم مخطوطات العهد الجديد الموجودة حالياً ترجع إلى القرن الرابع الميلادي ، وأن آخر الأنجيل كُتب سنة ١٠٠ م فإننا نخلص إلى أن هناك فاصلاً زمنياً بين تاريخ كتابة الأنجيل وتاريخ مخطوطاتها يزيد على مائتي سنة ^(٢) .

وهذا الفاصل الكبير نسبياً يجعل الأنجيل معلقة في الهواء بلا سند متصل بين كتبها ومخطوطاتها ، وفناء نسخ الأنجيل التي يرجع تاريخها إلى ما قبل مجمع نيقية عام ٣٢٥ م يرجع لسببين :

- ١- قرار الكنيسة بإلغاء الأنجيل المخالفة لأنجيلها والأمر بإعدامها .
- ٢- جو الخوف والاضطهاد والمطاردة والمذابح التي تعرض لها النصارى لمدة ثلاثمائة سنة متواصلة على يد اليهود والرومان الوثنيين ... وفي تلك الفترة العصبية لم تكن هناك قوة تحمي النصارى أو تحافظ على كتبهم ، وفي مثل هذا الجو تنهيا الفرصة لضياح الحقائق وتعديل النصوص ، ونسبة الكتب إلى غير مؤلفيها ، ويصبح التحقق من موثوقية الأقوال والأفعال والنصوص أمراً غير ميسور ^(٣) .

(١) انظر : إظهار الحق ١/ ١٠٠ .

(٢) دراسة في الأنجيل الأربعة والتوراة أ/ محمد السعدي ص ٣٥ ط دار الثقافة بقطر ط ١٤٠٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٦ بتصرف بالحذف .

تأثر الأناجيل برسائل بولس :

(وقصة هذه الأناجيل وعلاقتها بالمعتقدات المسيحية قصة تدعو للعجب فمن الطبيعي أن تنبني المعتقدات على الأناجيل ، ولكن الواقع غير هذا أو قل عكس هذا إذ انبنت الأناجيل على المعتقدات ، فقد نشأت المعتقدات بواسطة بولس ، ثم كتب بولس رسائله بين سنة ٥٥ وسنة ٦٣ م بيد أن الإنجيليين لم يبدعوا كتابة أناجيلهم إلا في سنة ٦٣ م ورجحت كفة بولس وكفة معتقداته فتأثرت الأناجيل بهذه الرسائل ^(١) .

صلاحية العهد الجديد :

أما بالنسبة لصلاحية العهد الجديد كمصدر أساسي عند النصارى يقول د/ أحمد شلي في موضع آخر من كتابه " المسيحية " :

إن الأناجيل اختيرت لثلاثم المعتقدات التي وضعها بولس ، ومن ثم كانت الأغلبية الساحقة من " العهد الجديد " من وضع بولس ومريديه .. ومع هذا فإنه بمرور الزمن ظهر للمسيحيين أن هذه الأناجيل لا تفي بما أرادوا أن يضيفوه للمسيحية من معتقدات كغفران السيئات وعصمة البابا وغير ذلك ، ثم اقترحوا الجامع يثبتون بها ما يشاءون من الأصول ، وإذا كانت الجامع قد أخذت الحق في تقرير ألوهية المسيح فلا ضير عندهم أن تأخذ الحق فيما دون ذلك من مسائل ^(٢) . ويؤكد د / موريس بوكاي أن الأناجيل الأربعة قد ظهرت بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة فيقول :

(لا تشير أولى كتابات العصر المسيحي إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جداً ، فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م ، وذلك على حين أن هناك كثيراً من الكتاب المسيحيين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثاني بأنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس ، وهذه الملاحظات التي تفرضها " المقدمة إلى الترجمة المسكونية للعهد الجديد " المنشورة عام ١٩٧٢م تستحق أن تذكر على الفور كما يفيد التنويه إلى أن هذه الترجمة هي نتيجة عمل جماعي تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت) ^(٣) .

(١) المسيحية د/ أحمد شلي ص ٢٠٦ نقلاً عن يسوع المسيح للأب بولس إلياس ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨ . (٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم د/ موريس بوكاي ص ٦٢ .

دعوى تمتع الأناجيل الأربعة بحق الامتياز ومناقشة العلماء لها :

يقول أ/ أحمد زكي في كتابه " انزعوا قناع بولس " :

(بين سنة ١٨٦١ - ١٨٧٠م عقد الفاتيكان مجمعاً أقر فيه أن الكتب القانونية للعهد القديم والجديد قد كتبت بإلهام من الروح القدس ، ولكن بعد أن طال النقد للكتاب المقدس من النقاد المسيحيين الغربيين أنفسهم واشتد ذلك في السنوات الأخيرة عقد الفاتيكان مجمعاً آخر في أواسط الستينيات ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م وخرج بوثيقة جديدة تراجع فيها عن قراره السابق بالنسبة للعهد القديم واعترف فيها صراحة أن العهد القديم يحتوي على شوائب وشيء من البطلان ، ولكن عندما جاء للعهد الجديد نفي عنه ذلك وكرر أنه كتب بإلهام من الروح القدس)^(١) .

وذكر بعد ذلك نص هذه الوثيقة التي أصدرها مجمع الفاتيكان وجاء فيها :

(لا يغفل أي إنسان أن من بين الكتب المقدسة بل حتى العهد الجديد كان هناك ما يتمتع بحق الامتياز مثل الأناجيل باعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة وتعاليم الكلمة المجسدة)^(٢) .

مناقشة العلماء لهذه الوثيقة :

(إن محرري هذه الوثيقة حرروها وهم قابعون في بروج كنائسهم وأديرهم العالية فلم يحتكوا بالأغلبية الساحقة من عامة الشعب ليقروا كتبهم ولم يزلوا قط إلى الشارع ليروا المكتبات والأرصفة وقد امتلأت بالكتب التي تنتقد العهد الجديد الذي قالوا أنه يتمتع بالامتياز ، إذ ثبت بعد ضعف الكنيسة وظهور فن النقد وامتلاك الناس للكتاب المقدس بعد أن كان حكراً على الكنيسة أن العهد الجديد ليس حصيئاً كما يدعي الفاتيكان في وثيقته ، بل ظهر أنه ممتلئ بالثغرات التي يمكن الهجوم عليه منها من كل جانب لذا هاجمه النقاد الغربيون المسيحيون أنفسهم وأثخنوه بالجراح ، وأزاحوا عنه غطاء الوحي والقداسة وذهب عنه الامتياز المزعوم)^(٣) .

وخلاصة هذه النظرة التاريخية للعهد الجديد ما يلي :

١- فقدان الإنجيل الأصلي بعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء .

٢- فقدان الثقة في الأناجيل الأربعة والعهد الجديد عموماً .

(١) انزعوا قناع بولس ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

المبحث الثاني

نقد سند الأناجيل الأربعة

لعلماء المسلمين جهود قيمة حول سند الأناجيل الأربعة وفي نظرهم النقدية لها بينوا هل لهذه الأناجيل سند متصل أم أنها منقطعة السند ؟ وهل يا ترى تصح نسبتها إلى المسيح عليه السلام أم أن الأمر بخلاف ذلك ؟ هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية :

من أين جاءت الأناجيل ؟

أجمع العلماء على أنه لم يثبت تاريخياً أن المسيح عليه السلام خلف وراءه إنجيلاً مكتوباً ولهذا فإن ما كتب على لسان المسيح أو عنه إنما هو من عمل التلاميذ والحواريين ومن إليهم ^(١) .
أولاً : إنجيل متى :

يقول صاحب كتاب الفارق ^(٢) : اتفقت كلمة النصارى على أن متى من الحواريين الاثني عشر وقالوا : إن إنجيله أول ما بشر به بعد رفع المسيح بثمانية أعوام وكان باللغة العبرانية وهذا مذهب القدماء كافة والكثير من المتأخرين ودل على كلامه بشواهد كثيرة من كتب علمائهم ^(٣) .

وقيل : إن مؤلف إنجيل متى يهودي ولا شك ... يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودي المولد ^(٤) وقيل : (إن متى أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر ويسميهام المسيحيون رسلاً ، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل ، وكان اليهود ينظرون إلى الجباة نظرة ازدراء ؛ لأنها تحمل صاحبها على الظلم أو العنف والعمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة التي تحكم البلاد بغير رضا أهلها ^(٥) .
تاريخ التدوين والترجمة :

اختلف العلماء في تحديد الزمن الذي دون فيه إنجيل متى وهذا الاختلاف دليل واضح على التشكيك في صحة هذا الإنجيل .

فيقول فضيلة الإمام / أبو زهرة عن إنجيل متى :

(لاشك أن جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره ، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي) ^(٦)

(١) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل د/ عبد الكريم الخطيب ص ١٥ ط/ دار المعرفة بيروت - ط ٢ - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(٢) وهو : عبد الرحمن بن سليم بن عبد الرحمن بن الباجه جي زادة : بحانة حنفي من أعيان العراق موصلية الأصل ولد وعاش ومات ببغداد كان رئيساً للملكية التجارية وانتخبته نائباً في المجلس العثماني صنف الفارق وذيله (الأعلام للزركلي ٣ / ٣٠٧) .

(٣) الفارق بين المخلوق والمخلوق ص ٣٥ .

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ل م/ أحمد عبد الوهاب ص ٥٧ مع الحذف .

(٥) محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ٤٧ ، ٤٨ ، الأسفار المقدسة : د/ وائي ، ص ٧٩ ، التعصب الصليبي : د/ عمر عبد العزيز القرشي ، ٢٧/٢ .

(٦) المرجع السابق : أبو زهرة ص ٤٦ .

ثم يعود الإمام أبو زهرة^(١) ويقول: إن متى كتب إنجيله بالعبرانية ، وأشهر النسخ كانت باليونانية ولكن موضع الخلاف في تاريخ تدوينه وفيمن ترجمه إلى اليونانية ، فقال البعض إنه كُتب قبل خراب أورشليم وقيل كتب ما بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ من الميلاد وقيل ما بين عامي ٨٥ و ٩٠ وقيل كتب سنة ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ من الميلاد^(٢) ويؤيده في ذلك كثير من النقاد المسلمين^(٣) .

وبناءً على هذا الاختلاف الواضح في تاريخ التأليف يتساءل العلامة أحمد ديدات فيقول: (وإذا لم نقدر أن نعزى هذا الإنجيل ونسبه إلى الحواري متى فكيف ندعن له ونقبله على أنه كلام الله) ؟^(٤) .

إضافة إلى ما سبق يؤكد صاحب الفارق : (أن إنجيل متى كان بالعبرانية لا اليونانية ، وأن نسخته الأصلية فقدت ثم ظهرت ترجمتها ، ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل ؟ ، ومن هو المترجم وما هو حاله في القوة والضعف في الدين ؟ وهل هو من المسيحيين أو اليهود أو غيرهم ؟ وإذا كان كذلك فكيف تجزمون بهذا الإنجيل وتستخذونه دستوراً مقدساً ترجعون إليه في عقائد الدين وأصوله ، وكيف جزمتم بأنه لمتى وأنتم لا تعلمون الذى ترجمه ؟ ولا تدرون هل أدخل فيه من الضلالات ما لا يرضى به متى ولا المسيح)^(٥) .

ثم يوجه صاحب الفارق أصابع الاتهام إلى اليهود وما يحتمل أنهم قد فعلوه في إنجيل متى طارحاً افتراضاً عقلياً مؤداه أن اليهود وراء ترجمة هذا الإنجيل فيقول : (ولم لا يجوز أن تكون النسخة العبرانية قد وقعت في يد أحد اليهود أو الدخلاء في المسيحية فترجمها بما وافق غرضه ولائم هواه ودس فيها من العقائد ما يغضب الجبار ويوجب الخلود في النار)^(٦) .

(١) هو : محمد بن أحمد أبو زهرة أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره ولد بالحنبل الكبرى وتربى في الجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات وبدأ اتجاهاه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين ١٩٣٣ م وعين أستاذا محاضرا بالدراسات العليا في الجامعة ١٩٣٥ م من مؤلفاته / محاضرات في النصرانية ، وأصول الفقه ، والخطابة . وغيرها . توفي بالقاهرة (الأعلام للزركلي ٦ / ٢٥ ، ٢٦)

(٢) محاضرات في النصرانية : ص ٤٦ .

(٣) الإسلام والأديان " دراسة مقارنة " د / مصطفى حلمي ص ١٩٨ طبعة دار الدعوة - ط ١ - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

(٤) هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ أحمد ديدات ص ١٥٥ ترجمة الشيخ / إبراهيم خليل أحمد ودراسة تحليلية وتقديم د / نجاح الغنيمي ط ١ / دار المنار ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

(٥) الفارق بين المخلوق والمخلوق ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٦) المرجع السابق ص ٣٨ .

وبعد هذا العرض التقويمي لسند إنجيل متى وتاريخ تدوينه وترجمته :

يتضح أنه طالما يوجد الشك حول المؤلف ووقت التدوين والترجمة ففي أي شيء تكون الثقة بعد ذلك ؟
أ تكون الثقة في النصوص وهي من وضع المؤلف المشكوك في نسبتها إليه ؟ أم في ماذا تكون الثقة بعد ذلك ؟ كل ذلك يدفع المدقق فيما سبق إلى الحكم بأن هذا الإنجيل لا يرتقي لدرجة القبول أو حتى مجرد القداسة وذلك بناءً على انقطاع سنده إلى كاتبه وفقدان النسخة الأصلية منه .

ثانيًا : إنجيل مرقس :

تناول الإمام أبو زهرة وغيره من النقاد من علماء المسلمين بيان ما يتعلق بإنجيل مرقس واستند في كلامه لما ذكره المؤرخون من المسيحيين فقال : يقول المؤرخون أن اسمه يوحنا ويلقب بمركس ولم يكن من الحوارين الاثني عشر الذين تتلمذوا للمسيح ، واختصهم بالزلفى إليه ، وأصله من اليهود وكانت أسرته في اورشليم في وقت ظهور السيد المسيح وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، فاختره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس - في اعتقادهم - من بعد رفعه وألهموا بالتبشير للمسيحية كما ألهموا مبادئها لكن مرقس كان يذكر ألوهية المسيح وقد لازم خاله برنابا وبولس في رحلتهم إلى إنطاكية ثم تركهما وعاد إلى اورشليم ، ثم التقى مرة أخرى بخاله واصطحبه إلى قبرص ، ثم افترقا فذهب إلى شمال أفريقيا ودخل مصر في منتصف القرن الأول فوجد في مصر أرضًا خصبة لدعوته ودخل كثير من المصريين فيها ، وكان يتردد بين مصر وروما أحيانًا وإلى شمال أفريقيا أحيانًا أخرى ولكن مصر كانت المستقر الأمين له فاستمر إلى أن ائتمر به الوثنيون فقتلوه سنة ٦٢ ميلادية (١) .

واعتمد صاحب الفارق في نقده لإنجيل مرقس على أقوال ثلاثة شهود من أكابر علماء النصارى ثم عقب على أقوالهم بقوله : إن إنجيله ليس بإنجيل إلهامي ، بل هو تاريخ نقله عن شيخه " بطرس " وهو عبارة عن وقائع في زمن عيسى ~~عليه السلام~~ وأنه كان ينكر ألوهية المسيح التي هي مدار الاختلاف بين النصرانية وغيرها (٢) .

ويقول د/ عبد الكريم الخطيب ، من خلال التحقيق العلمي الذي أجراه حول الأناجيل : (إن صاحب هذا الإنجيل لم يجتمع بالسيد المسيح وإن عُد من السبعين فقد بشر بإنجيله في الإسكندرية باللغة اليونانية بعد رفع المسيح بنحو ثلاثين سنة (٣) .

تاريخ التدوين واللغة التي كتب بها إنجيل مرقس :

يقول الإمام أبو زهرة : لقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية ولم نر أحدًا من كتاب المسيحيين ناقض ذلك ... واختلفوا في زمان تأليفه فقالوا : قد ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ (٤)

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٧ .

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٥٢٥ .

(٣) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٨٦

(٤) انظر : محاضرات في النصرانية ص ٤٧ ، ٤٨ بالخذف .

وبناءً على ما تقدم : فإن الجهل بتاريخ التدوين والاختلاف في زمن التأليف يجعل الباحث المسلم في يقين من أننا أمام كتاب مطعون في صحة نسبته إلى صاحبه .

ثالثاً : إنجيل لوقا :

يقول الإمام أبو زهرة من خلال اطلاعه على كتب النصارى وتفسيرات الكتاب المقدس : (إن لوقا ولد بإنطاكية ودرس الطب ونجح في ممارسته ولم يكن من أصل يهودي ولقد رافق بولس في أسفاره وأعماله وجاء في رسائل بولس ما يشير إلى هذه الرفقة وتلك الملازمة : " ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب " ^(١)) ^(٢) .

ويقول صاحب الفارق : (اختلفت النصرانية في لوقا اختلافاً كلياً بحيث يمكننا أن نلحقه في الجهالة بمترجم إنجيل متى وكيفما كان فإنهم اتفقوا على أنه كان تلميذا لبولس العدو للألد للنصرانية وأنه لم ير المسيح أصلاً ، وكان من أهل إنطاكية طبيباً وقيل مصوراً ^(٣) .

الاختلافات في إنجيل لوقا :

يقول صاحب الفارق : (من نظر إلى اختلاف القوم في عنوان هذا الإنجيل يظهر له حاله ولنذكر من ذلك ثلاثة اختلافات :

الأول : عنوان النسخ السريانية : " باسم ربنا وإلهنا يسوع المسيح نكتب الإنجيل المقدس الذي هو بشارة لوقا الإنجيلي التي تكلم بها مبشراً باليونانية في مدينة الإسكندرية العظمي .

الثاني : عنوان النسخة اللاتينية : " إنجيل يسوع المسيح المقدس كما كتب لوقا " .

الثالث : عنوان النسخة العربية القديمة : " باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد إنجيل الآب الفاضل لوقا البشير افتتاح الإنجيل المجيد " ^(٤) .

ويقول د/ عبد الكريم الخطيب : إن لوقا ليس من الحوارين الاثنى عشر وإنما هو من السبعين قد بشر بإنجيله باليونانية بالإسكندرية بعد رفع المسيح بثمانية وعشرين سنة ^(٥) .

رابعاً : إنجيل يوحنا :

اتفق النقاد المسلمون على أن هذا الإنجيل ينسب إلى يوحنا الحواري ويرون (أن أغلب الطوائف النصرانية تذهب إلى أن يوحنا الإنجيلي أحد التلاميذ الاثنى عشر وأبوه زبدي الصياد ولد في بيت صيدا من الجليل ، وأنه هو الذي كان يحبه عيسى عليه السلام جداً ، وقال بعض النصارى : إنه لم يكن من التلاميذ ولا من الرسل) ^(٦) .

(١) كولوسى (١٤ / ٤) تحيات ختامية .

(٢) محاضرات في النصرانية : ص ٤٩ .

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق : ص ٥٤٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٤٣ .

(٥) المسيح في القرآن ص ٨٧ .

(٦) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٦٥ والأسفار المقدسة د/ وافي ص ٨٨ وتمهيد لدراسة الأناجيل الأربعة د/ السيد محمد عقيل ص ١٤ طبعة دار الحديث بدون .

(وقد ألفه باللغة اليونانية وكان تأليفه إياه حوالي ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعاً ، إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء ثلاثين عاماً)^(١) .
وقيل إن مؤلفه يوحنا آخر لا يمت إلى الحوارية بصلة روحية وقد ظهر هذا الرأي في القرن الثاني الميلادي^(٢) .
سبب تأليف إنجيل يوحنا :

وقد بين صاحب الفارق سبب تأليف هذا الإنجيل فقال : (لما كانوا يعلمون المسيحية على أن المسيح ليس إلا إنساناً ، وإنه لم يكن قبل أمه مريم ولذلك في سنة ٩٦ م اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم)^(٣) .

وعن هذا السبب يقول فضيلة الإمام أبو زهرة : إن إنجيل يوحنا كُتب لغرض خاص : وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس إلهاً ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلاً يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل^(٤) . ثم أورد فضيلته أقوالاً كثيرة لعلماء النصارى تبين سبب كتابته واستنبط منها :

(أن كتاب النصارى يجمعون أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كُتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها لعدم وجود نصٍّ من الأناجيل الثلاثة يعلنها)^(٥) .
تاريخ تدوين إنجيل يوحنا :

(اختلف العلماء في تاريخ تدوين إنجيل يوحنا ما بين سنة [٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٨] إذن فليس له تاريخ محدد لتدوينه كما أنه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كتابته)^(٦) ثم يعود العلامة البغدادي فيقرر نتيجة ما وصل إليه من النظرة النقدية في سند إنجيل يوحنا ويقول :
(إن اختلاف علماء النصارى في شأن إنجيل يوحنا وتاريخ تأليفه مع عدم وجود السند المتصل في روايته بطريق التواتر إلى مؤلفه يسقطه عن الاعتبار ويحط رتبته عن باقي الأناجيل فضلاً عن كونه أعلى منها أو مساوياً لها)^(٧) .

ويقول د/ عبد الكريم الخطيب : هذه الأناجيل الأربعة التي اعتمدت عليها المسيحية في إقامة عقيدتها والتي منها كانت تصورات الدعاة والمبشرين بالمسيحية والمسيح ... ويبدو من النظرة الأولى فيها ... أنها غير مسلمة عند الباحثين من المسيحيين أنفسهم وأن نسبتها إلى الحواريين والتلاميذ الذين كتبوها ليس مقطوعاً بها ، وهذا أقل ما فيه أنه يبيح للناظر فيها أن يكون على حذرٍ من جهتها وألا يأخذ قضايها مأخذ التسليم^(٨) .

(١) الأسفار المقدسة د/ وافي ص ٨٨ .

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٥١ .

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٥٦٨ ومحاضرات في النصرانية ص ٦٥ .

(٤) محاضرات في النصرانية ص ٥٤ . (٥) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٦) محاضرات في النصرانية ص ٥٣ . (٧) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٥٧٠ . (٨) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٨٨ .

المبحث الثالث

جهود علماء المسلمين في نقد سند رسائل العهد الجديد

أولاً : نظرة عامة على هذه الرسائل :

قام العلامة رحمة الله الهندي بنقد السند الأسفار الأخرى للعهد الجديد (بقية الأسفار غير الأناجيل الأربعة) واعتمد في نقده لها على ما ذكره رجال الدين المشهورين عندهم آخذاً من كلامهم ما يهدم دعواهم بصحة هذه الأسفار مبيناً من خلال ذلك مكائنها من حيث الصحة وعدمها وهل هي مقبولة لدى الكنائس أم مردودة فيقول : (الرسالة العبرانية والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا إسنادهم إلى الحوارين بلا حجة وكان مشكوكاً فيهم إلى سنة ٣٦٣ م وبعض الفقرات المذكورة مردودة وغلط إلى الآن عند جمهور المحققين)^(١) .

ويقول ل/ أحمد عبد الوهاب في إلقائه الضوء على هذه الأسفار : (من الملاحظ أن كثيراً من الكتب المسيحية التي يشتمل عليها العهد الجديد قد كتبت ثم نسبت إلى أشخاص ماتوا أو قتلوا قبل التواريخ المقررة لها بعشرات السنين مثال ذلك ما ينسب إلى بطرس وبولس اللذين قتلوا قبل عام ٧٠ م بيضع سنين إذ تنسب إلى الأول رسالة بطرس الأولى (حوالي ٩٥) ورسالة بطرس الثانية (عام ١٥٠) كما تنسب إلى الثاني الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس (عام ١٠٠) وفي جميع الأحوال يجب أن نتذكر أن التاريخ المرجح لنهاية حياة المسيح على الأرض ورفعته إلى السماء هو حوالي عام ٣٣ م)^(٢) .

ثانياً : موقف الكنائس من هذه الرسائل :

يقرر العلامة رحمة الله الهندي أن الكنائس العربية والسريانية لا تعترف ببعض هذه الرسائل وأن بعض تراجم الكتاب المقدس قد خلعت منها فيقول : عن هذه الرسائل أنها (لا توجد في الترجمة السريانية ، وردت جميع كنائس العرب الرسالة الثانية لبطرس والرسالتين ليوحنا ، ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا وكذلك ترددهم الكنيسة السريانية من الابتداء إلى الآن ولا تسلمهم)^(٣) .

(١) إظهار الحق : ١٠٠/١ .

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ل.م/ أحمد عبد الوهاب ص ٣١ .

(٣) إظهار الحق : ١٠١/١ .

وحول قانونية الكتاب المقدس ومتى اعتبرت الرسائل التي توجد في العهد الجديد نصاً مقدسة عند النصارى يقول أ/ علاء أبو بكر في كتابه: (لم تأت هذه الفكرة إلا بعد تحارب التيارات المختلفة للنصرانية ، وبعد أن دعت الحاجة إلى الاستناد إلى شيء ملزم ، وبهذه الطريقة بدأ التفكير حوالي عام (٢٠٠) بعد الميلاد لاعتبار هذه المدونات كتابات مقدسة ، وبعد ذلك بـ (٢٠٠) سنة أخرى نشأ خلاف آخر حول أية الكتابات يمكن اعتبارها مقدسة - أي قانونية - ويمكن قراءتها على الملأ ، فقد أيد البعض هذا وأيد البعض الآخر تلك ، وحتى هذا اليوم لم يتفق النصارى على هذه المشكلة منذ ١٦٠٠ سنة عندما تم الاختيار الإجباري لهذه النصوص من قبل القياصرة الوثنيين والملحدين وبتأثير من الأساقفة التائهين ولم يكن للكنيسة دخل في الاختيار آنذاك حيث قد ارتدت عن الروح الأصلية (لتعاليم المسيح) وتغربت عنه (١) .

ثالثاً : أهمية أعمال الرسل عند النصارى :

ولقد أولى علماء المسلمين سفر أعمال الرسل الأهمية بخلاف الرسائل الأخرى باعتبار (أن أعمال الرسل قد كتبت لتلتمس المعاذير للكنيسة عندما رأت أن تنفصل عن اليهودية وتكون لنفسها كنيسة مستقلة) (٢) . ولهذا أفرد له النقاد المعاصرون نقداً موسعاً عن بقية الرسائل الأخرى لأهميته في النصرانية وبناءً على ذلك فإن أعمال الرسل (تعتبر الكتاب الأول في العهد الجديد وينسب إلى لوقا باليونانية كتمة للإنجيل المنسوب إليه ، وقد حوت تاريخ الكنيسة الأولى سواء من الناحية المادية أم الروحية ، وهذا الكتاب موجه إلى شخص اسمه ثيوفيلس ، لعله شخص رمزي ... فمن الناحية التاريخية لم يستدل حتى الآن على من هو ثيوفيلس) (٣) .

رابعاً : مصدر أعمال الرسل :

نقد ل.م/ أحمد عبد الوهاب هذه الرسائل مبتدأً بسفر أعمال الرسل وقد نقده من ناحيتين :

الأولي : الناحية الأدبية وهي بيان ما يحتويه النص من معانٍ وصيغ مختلفة .
والثانية : " الناحية التاريخية " (٤) ببيان السند التاريخي لهذا السفر وكيف تم تدوينه ومن هو مؤلفه فقال : (من أراد أن يطالع مؤلفاً قديماً وجب عليه أن يثبت نضجه والحال أن إثبات نص أعمال الرسل مسألة معقدة (٥) ، فالناحية الأدبية في أعمال الرسل : لاشك أن واضع سفر أعمال الرسل استعمل بعض المراجع والأدلة على ذلك كثيرة ، ولكن هل كانت هذه المراجع مراجع مخطوطة أم شفوية ؟ لربما كانت من كلا النوعين ، إنه من العسير ... أن نعزل تلك المراجع ونحددها على وجه أكيد حتى في أمر يوميات السفر التي تدل فيها صيغة (نحن) على وجود تلك المراجع من دون أن تمكنا من رسم حدودها بدقة (٦) .

(١) المسيحية الحقبة التي جاء بها المسيح بين الالتزام والتحرير ودعوة الإسلام أ/ علاء أبو بكر ص ١٢١ طبعة مكتبة وهبة سنة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

(٢) الأنجيل - دراسة مقارنة - د/ أحمد طاهر ص ٤٧ طبعة دار المعارف . بدون .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٤) سيأتي بيانا في النقطة الخامسة من هذا البحث .

(٥) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ل.م / أحمد عبد الوهاب ص ٨٨ طبعة مكتبة وهبة .

(٦) المرجع السابق ص ٨٨ .

وعن هذه المصادر التي اعتمد عليها كاتب سفر أعمال الرسل يطرح ل.م/ أحمد عبد الوهاب رؤىً متعددة للنقاد المسلمين وغيرهم تدور حول مرجعية أعمال الرسل مرجحاً ما رآه أقرب للصواب منها وهي كالتالي :

(قيل إن كاتب لوقا اتخذ من إنجيل مرقس مرجعاً له ، ولكن لا يستبعد أن يكون قد استخدم مصادر أخرى غير هذا الإنجيل سواء أكانت هذه المصادر مكتوبة أم شفوية عندما وضع أعمال الرسل ، ولقد كان لوقا في أمس الحاجة إلى مصادر جديدة لكتابة الإصحاحات الخمسة عشرة الأولى التي أورد فيها أحداثاً لم يكن هو أحد أطرافها أو شهودها . وهنا نتساءل كيف عرف هذه الأحداث إن كانت صادقة أو مجرد شائعات ، لقد بذل القساوسة محاولات حمة من أجل افتراض سلامة هذه المصادر فمثلاً وجد كثير من العلماء أنه استمد الجزء الأول من كتابه من مصدر يهودي قيصري ويهودي إنطاكي ، ويرى البعض الآخر أن المصدر عقائدي استنتاجاً من الأسلوب والنظرة الشاملة ثم يضربون مثلاً على استخدامه ضمير الجماعة ويقولون إذا ما كان المؤلف غير مؤلف أعمال الرسل ، فلا بد وأن يكون مؤلف أعمال الرسل قد استفاد من مصدر سابق)^(١) .

(ومن المحتمل أيضاً أن يكون هذا المصدر ضعيف التركيب والأسلوب ، فقام بولس بإعادة تحريره أو بعبارة أخرى بإعادة تفسيره أو تحويره ، ولكن ليس هناك في أعمال الرسل ما يدل على اعتماد الكاتب على رسائل بولس ، وقد تكون الوثائق التي يظن أن لوقا قد قرأها ، والأقرب إلى الصواب : أن المصادر التي اعتمد عليها لوقا في كتابته أعمال الرسل روائية أي شفوية ، والمصادر الشفهية هي أقل ثقة من المصادر المكتوبة)^(٢) .

خامساً : المؤلف وتاريخ التأليف :

(إن مؤلف سفر أعمال الرسل هو مؤلف الإنجيل الثالث ، هذا أمر اقتص به التقليد طوال القرون ، يضاف إلى ذلك أن المقارنة بين فاتحي الكتابين تقتضي هذه الوحدة فالكتابان مرفوعان إلى ثاوفيلس ، ووجود الأجزاء بصيغة (نحن) يوحي بأن المؤلف كان متممياً إلى بيئة بولس فيكون لوقا الطبيب هو المرشح الممكن الوحيد ... والتوافق بين أفكار أعمال الرسل وأفكار بولس في رسائله يقي على أقل تقدير غير أكيد في شئون بعضها مهم كمعنى الرسالة رقم ١٣/١٣ ومكانة الشريعة على سبيل المثال ، ولما كان نقاد عصرنا يحددون تاريخ تأليف الإنجيل الثالث فيما بعد السنة ٧٠ م فهم يحددون تاريخ تأليف أعمال الرسل في نحو ٨٠ م في وقت ينقص أو يزيد عشر سنوات)^(٣) .

(١) الأنجيل دراسة مقارنة د/ أحمد طاهر ص ٤٧ بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٧ .

(٣) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ٨٩ ، ٩٠٠ .

وعن تاريخ أعمال الرسل يقول د/ أحمد طاهر مؤكداً الرأي السابق :

هناك شواهد تدل على أن أعمال الرسل قد وجدت في أوائل القرن الثاني من الميلاد ويذهب البعض إلى أنها كتبت في عام ٩٦ بعد الميلاد ، ويستندون في ذلك إلى أنها استخدمت الأعمال الأخيرة للمؤرخين اليهود خاصة يوسفوس ، ولكن هذه الأقوال لا يمكن أن تكون نهائية دون معرفة التاريخ الذي كتب فيه لوقا الإنجيل المنسوب إليه ، إذاً من هو كاتب هذه الأعمال ؟ والواقع أن أعمال الرسل لم تشر إلى موت بولس ولا إلى سقوط القدس في عام ٧٠ ولا إلى رسالة لبولس وبالتالي يمكن القول أن أعمال الرسل كتبت قبل ٧٠ ميلادية ... ويرى الكثيرون من علماء المسيحية أن لوقا قد كتب أعماله بعد الإنجيل المنسوب إليه أي حوالي عام ٨٠ بعد الميلاد ولكن أعيد تحرير كل ذلك بمعرفة الكنيسة فخلطت بعضها مع البعض الآخر ^(١) .

وبناءً على ما تقدم :

فإن مجرد الاختلاف حول قانونية الرسائل المقدسة في العهد الجديد والذي ظهر من تعدد الآراء حول موقف الكنائس منها والمصادر المتعددة التي اعتمد عليها كاتب أعمال الرسل - مجرد الاختلاف - يولد الشك في صدقها وبالتالي يضعف من قيمتها العلمية والدينية وينفي عنها القداسة التي يدعيها النصارى .

خلاصة جهود العلماء حول نقد سند العهد الجديد :

لقد استوفى علماء المسلمين سند العهد الجديد بالنقد والتحليل ، وأثبتوا من خلال الدراسة النقدية الفاحصة ، أن أول الأناجيل قد كتب بعد رفع المسيح عليه السلام بستين سنة تقريباً أو يزيد ، ولم يكن هناك إنجيل قد كتبه المسيح عليه السلام .

حتى باقى الأناجيل المعتمدة لدى الكنيسة ، مشكوك في نسبتها إلى أصحابها ، وقد أيد علماؤنا الأجلاء ، ما قالوا بالأدلة العقلية الدامغة ، والأدلة التاريخية الموثقة ، وكان ممن برع في نقد سند العهد الجديد ، العلامة رحمة الله الهندي ، يليه في جودة النقد ، العلامة البغدادي ، ثم بعد ذلك العلماء المعاصرون ، فقد بنوا وجهة نظرهم على رؤية السابقين ، مع تفرد كل واحد منهم برؤيته النقدية التي تميزه عن غيره ، من هؤلاء الإمام أبو زهرة ، و ل/ أحمد عبد الوهاب ، د/ عبد الكريم الخطيب ، وغيرهم .

(١) الأناجيل دراسة مقارنة د / أحمد طاهر ص ٤٨ ، ٤٩ بتصرف بالحذف .

القسم الثاني

جهود علماء المسلمين – فترة البحث – في نقد متن الكتاب المقدس

ويشتمل على بابين :

– الباب الأول : نماذج من نقد متن العهد القديم .

– الباب الثاني : نماذج من نقد متن العهد الجديد .

الباب الأول

جهود علماء المسلمين – فترة البحث – في نقد متن العهد القديم

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : نقد العقائد في العهد القديم .

الفصل الثاني : نقد التشريعات في العهد القديم .

الفصل الثالث : نقد الأخلاق والسلوكيات في العهد القديم .

الفصل الرابع : إثبات البشارات بالنبي الخاتم والرد على من ينكرها ووقوع النسخ

في العهد القديم .

الفصل الأول

نقد العقائد في العهد القديم

ويشتمل على المباحث التالية :

- الأول : نقد أنواع التوحيد في العهد القديم
- الثاني : نقد عقيدة الإيمان بالملائكة والجن في العهد القديم
- الثالث : نقد موقف العهد القديم من الكتب المقدسة .
- الرابع : نقد عقيدة الإيمان بالنبوة والأنبياء في العهد القديم .
- الخامس : نقد عقيدة الإيمان باليوم الآخر في العهد القديم
- السادس : نقد عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في العهد القديم
- السابع : نقد عقيدة أرض الميعاد في العهد القديم .

المبحث الأول

نقد أنواع التوحيد في العهد القديم

ويشتمل على ما يلي :

- توحيد الربوبية في العهد القديم .
- توحيد الألوهية في العهد القديم .
- توحيد الأسماء والصفات في العهد القديم .

تمهيد :

من المعلوم أن كل نبي من الأنبياء جاء ليرشد قومه ويدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام والأوثان ، وتعاقب الأنبياء والمرسلون يحملون هذه المهمة ويصححون العقيدة لأقوامهم إذا انخرفوا ويقومون ما اعوج من سلوكهم فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾^(١).

وعندما جاء الإسلام أصر اليهود والنصارى البقاء على دينهم استكباراً منهم وحقداً على المسلمين - باستثناء من آمن منهم - بل انخرفوا عن الطريق وغيروا وبدلوا في التوراة والإنجيل وحاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه وناصرهم العداء .

وفي عقائدهم أمورٌ كثيرة تخالف العقل السليم والفطرة النقية من هذه الأمور عقيدتهم في الإله فانخرفهم فيها ظاهر ، اليهود يشبهون الخالق بال مخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تزيه الرب سبحانه وتعالى عنها كقول من قال منهم : إن الله فقير ، وإنه بخيل وإنه تعب لما خلق السموات والأرض^(٢) .

وذلك يخالف ما جاء به موسى عليه السلام بالعقيدة الطاهرة النقية التي تشتمل على توحيد الله توحيداً خالصاً فيقول سبحانه مخاطباً موسى عليه السلام ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(٣) .

(كما أن التوراة تشير إلى أن عقيدة التوحيد هي الركيزة الأساسية للدين الذي دعا إليه موسى عليه السلام ، فالوصية الأولى من الوصايا العشر التي أوحيت إلى موسى عليه السلام تدعو إلى توحيد الله توحيداً خالصاً من الند والشريك وهذا هو نص الوصية :-

" لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، ولا تسجد لهن ولا تعبدن^(٤) . غير أن بني إسرائيل لم يحافظوا على عقيدة التوحيد بل انخرفوا عنها وغيروا وبدلوا ولم تبق هذه العقيدة على صفائها ونقاها كما كانت حين دعا إليها موسى عليه السلام^(٥) .

ويؤكد ذلك الدكتور على عبد الواحد في كتابه: "الأسفار المقدسة" مبيناً عدم ثبات هذه العقيدة في العهد القديم ولكنها متقلبة ومنحرفة في ذات الوقت عن الطريق المستقيم ؛ بل وقد مرت بمراحل متعددة في تطورها .

(١) سورة النحل الآية : (٣٦) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية : ٢ / ٥٢ بتصرف يسير ، ط / دار ابن خلدون للتراث . الإسكندرية . بدون .

(٣) سورة طه الآية : (١٤) .

(٤) خروج : (٢٠ / ٣ - ٥) الوصايا العشر .

(٥) (٥) مدخل للدراسة الأديان د/ صفوت حامد مبارك ١٠٧/١ طبعة . بدون .

فقد أخبر القرآن الكريم أنهم لم يفهموا الذات العلية الفهم الصحيح ، وظنوا أنه من الممكن رؤيتها ؛ بل علقوا
بإيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى وفي هذا يقول القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى
نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وأخبر أيضاً عنهم أنهم لم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته ... وأنهم ارتدوا عن عبادة إلههم أكثر
من مرة ، فعبدوا العجل تارة والأصنام تارة أخرى ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الاعتقاد بأن لهم إلهاً خاصاً بهم وهم أولاده
وأحبائه (٢) .

والمستبعد لتاريخ بنى إسرائيل يلاحظ : (اتجههم إلى التحسيم والتعدد والتشبيه وحاولوا إدخال موارثهم
وتقاليدهم الوثنية في تصورهم للإله الواحد الذي دعاهم إليه موسى عليه السلام وتقرر التوراة قصة العجل الذي
صنعه وعبدوه بعد أن تأخر موسى عليه السلام في العودة إليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون أمام
هذا الرب عراة ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن (٣) ، فالإله عند اليهود من صنع
أنفسهم ، وصور هذا الإله تختلف من حالة إلى أخرى عندهم ، ومن سفر من أسفار التوراة إلى آخر ، وما دام هذا
الإله من صنعهم فإنهم عادة يحبون أن يروه محسوساً يكلمهم ويكلمونه ويرونه مثلما يراهم ، ولم يكن غريباً أن
يوصف في التوراة بأنه رب الجنود فقد جاء في سفر أشعيا " ولذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل : آه إني
أستريح من خصمائي وأنتقم من أعدائي " (٤) (٥) .

إلى غير ذلك من الصفات التي ألصقوها بالله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ولذلك أثبت علماء
المسلمين في - فترة البحث - مدى التناقض والاختلاف بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد في قضية الألوهية
والربوبية والأسماء والصفات وقد اجتهد النقاد المسلمون بتعرية باطلهم والانقضاض عليه بالحجة تلو الحجة والأدلة
القاطعة على افتراءاتهم من وصف الله عز وجل بأمور لا تليق بذاته العلية وتتنافى مع جلاله وعظمته ، وتنوعت جهود
العلماء في بيان ما وقع في العهد القديم من أمور مخالفة لما يجب في حقه سبحانه وتعالى ويمكن حصر ما قام به العلماء
من نقد هذه العقيدة وذلك ببيان ما فيها من انحراف ظاهر في العهد القديم تحت الأصول الثلاثة التالية :-
- الأول : " توحيد الربوبية " (٦) .

(١) الآيات من سورة البقرة رقم (٥٥ ، ٥٦)

(٢) يراجع الأسفار المقدسة ص ١٠ ، ١١ باختصار .

(٣) يشير الكاتب إلى سفر الخروج : (١٩-١ / ٣٢) العجل الذهبي .

(٤) أشعيا : (٢٤/١) أمة منمودة .

(٥) اليهود واليهودية والإسلام د / عبد الغني عبود ص ٣٩ ط دار الفكر العربي ١٩٨٢ م .

(٦) هو : الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه ، وأنه المحمي المميت النافع الضار المنفرد بإجابة الدعاء عند الاضطراب الذي له الأمر
كله ويبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقضاء والقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في الحصول
على الإسلام بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمة من توحيد الألوهية والمشركون مقرون بهذا التوحيد لقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ ﴾ (الزخرف الآية : ٨٧) (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد . للشيوخ / سليمان بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠ ، ٢١ ط دار الفكر
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

- الثاني : " توحيد الألوهية " (١) .

- الثالث : " توحيد الأسماء والصفات " (٢) .

هذا ولم يغفل علماء المسلمين أثناء نقدهم لتلك المخالفات التي تقدح في مقام الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات - لم يغفلوا عن بيان الجانب الحسن في العهد القديم وأشاروا إلى الآيات التي تدل على الوحدانية من أسفاره وفي هذا من الحيدة والإنصاف ما فيه من هؤلاء - العلماء العلامة الهندي والإمام الألوسي وشيخ الإسلام ابن تيمية ومن الكتاب المعاصرين د/ أحمد شلي ، د/ علي عبد الواحد وافي و د/ عبد الغني عبود . وغيرهم وإيراد هؤلاء العلماء لتلك الآيات يدل على النظرة النقدية الواعية التي تلتقط الدرر الثمينة من بين الأشياء الأخرى التي لا قيمة لها مستحذين في ذلك منهجاً قويمًا قد أشرت إليه في بداية الرسالة وهو أنه لا نرفض الكتاب المقدس علي وجه الإطلاق ولا نقبله على وجه الإطلاق ولكن ما أقره القرآن والسنة النبوية أقرناه وما أنكره أنكرناه ورفضناه وما ورد منه يوافق العقل والمنطق ولا يتعارض مع الفطرة السليمة قبلناه ونقف منه أيضاً موقف المنصفين لا مصدقين ولا مكذبين . وقبل مناقشة الأصول الثلاثة السابقة من خلال الرؤى النقدية المتعددة لعلمائنا الأجلاء حول كل منها يجدر الإشارة إلى بعض الاتجاهات النقدية للكتاب المقدس - فترة البحث - في هذا الموضوع .

١- الاتجاه نحو التكاملية والموسوعية في التأليف :

يتبنى هذا الاتجاه بعض قدامي العلماء الذين جاء نقدهم موسوعياً شاملاً مدعوماً بالأدلة العقلية والنقلية ويغلب عليه التحليل المنطقي المستقي من وجهة النظر الإسلامية فأنت ردودهم على ما يدعيه العهد القديم ردوداً شافية كافية تحيط بالموضوع من تفرعات متشعبة وتتصل بموضوع الدراسة والمناقشة وهذه طبيعة التأليف في عصرهم وهي ميزة وليست عيباً . من هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الألوسي .

(١) وهو : المبني على إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجعل منها شيئاً لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وهذا النوع هو الفارق بين الكفر والإيمان . المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) هو : الإقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلي كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه السميع البصير الرؤوف الرحيم علي العرش استوى إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى وهذا النوع أيضاً لا يكفي في دخول الإسلام . المرجع السابق ص ٢١ ، ٢٢ .

٢- الاتجاه نحو التخصصية والموضوعية في مناقشة القضايا :

يتبنى هذا الاتجاه بعض العلماء في العصر الحديث والحاضر أولئك الذين تغلب التخصصية على مؤلفاتهم فتصبغها بصبغة علمية منهجية وتلك هي طبيعة الدراسات الأكاديمية التي تتميز بالموضوعية التامة في معالجة القضايا وهذه ميزة البحث العلمي الذي يعتني بتقسيم الموضوع - محل الدراسة والنقد - وترتيبه بحيث إذا أراد الباحث أن يتعرف على محتويات كتاب نقدي ما يكون ذلك سهلاً وميسوراً في الوصول إلى ما يريد من هؤلاء العلامة الهندي ، د/ المطعني ، د/ المسيري ، د / مزروعة ، د/ صفوت مبارك وغيرهم

والملاحظ أن الناقد عندما تتوفر لديه المؤهلات العلمية لنقد موضوع معين في الكتاب المقدس ثم يوظف هذه المؤهلات توظيفاً علمياً دقيقاً قائماً على أصول منهجية حينئذ يأتي إنتاجه علامة متميزة في المجال الذي يكتب فيه ويسهم إلى حد كبير في إثراء الجانب الثقافي للباحثين عن الحق أين ما كانوا وهذا ما فعله بعض المتخصصين في مجال دراسة الأديان والمهتمين بدراسة الكتاب المقدس .

وعند الوقوف أمام هذا الجهد الرائع في تحلية الحقائق ومعالجة أخطر القضايا في العهد القديم يبرز في المقدمة جهد شيخ الإسلام ابن تيميه حيث يضع يده على نصوص تقدر في مقام الذات العلية يليه في بيان ذلك كل من العلامة الهندي والإمام الألو سي حيث أكدوا على وجود التناقض في نصوص العهد القديم حول هذه القضية ببيان ما يدل على التجسيم في مواضع منه وبيان ما يدل على نفي التجسيم في مواضع أخرى .

وفي العصر الحديث تلمع بين الكتاب المعاصرين جهود قيمة لباحثة أجادت في ترتيب المحاولات النقدية لهذه الأصول الثلاثة ببيان مواطن الحق في العهد القديم وبيان ما يقدر في مقام أي منها تلك هي الباحثة / سميرة عبد الله بناني . في أطروحتها المطبوعة : " جهود الإمامين ابن تيميه وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود " وفي الصفحات التالية أتناول الأصول الثلاثة بالمناقشة والتحليل من خلال جهود العلماء **بِإِشَاءِ اللَّهِ تَعَالَى** .

الأصل الأول : نقد توحيد الربوبية في العهد القديم :

من أقوى صور النقد عند علماء المسلمين أن يعرض الكاتب لوجهتين أحدهما إقرار والثانية نفي وبالتالي عند التعارض يكون التوقف ورد تلك القضايا المتنازع فيها بين النفي والإثبات هذا ما فعلته أ/ سميرة عبد الله بناني إذ بينت أن هناك نصوصاً في العهد القديم تثبت توحيد الربوبية وفي الوقت نفسه عرضت لنصوص أخرى تقدر في خصائص الربوبية وهذا كله يناقض توحيد الربوبية .

فمن النصوص التي ذكرتها :

- ١- " في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور " (١)
- ٢- " أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص ، يعطي المعبي قدرة ، ولعدم القدرة يكثر شدة " (٢)
- ٣- أنت هو الرب وحدك أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جنودها والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها (٣) وغير ذلك من الشواهد التي تدل على ثبوت توحيد الربوبية في العهد القديم .

ثم تذكر الباحثة تعليقاً على ما سبق تقول فيه :

على الرغم من تلك النصوص التي تؤكد صحة توحيد الربوبية في أسفار العهد القديم ... إلا أنها امتلأت بنصوص مناقضة لما أثبتوه سابقاً من إقرارهم ذلك صرحت بعضها وتضمنت البعض الآخر القدح والنقص في مقام الربوبية وهي كما يلي :

أولاً : الإشراف في التدبير (أفعال الرب) :

اعتقدت اليهود بأن للقمر ضرراً وتأثيراً على الناس إذ يهيج بعض الأمراض العصبية كالجنون والصداع (٤) فسجدت له اليهود وعبدته واستدلت على قولها ذلك بما جاء في سفر أرمياء :

" ... ويسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السموات التي أحبوها والتي عبدوها والتي ساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجدوا لها " (٥) .

وهذا الاعتقاد بتأثير القمر على الناس شرك في الأمر والتدبير الذي هو من مستلزمات خصائص توحيد الربوبية الحققة وهو كفر بالله تعالى إذ كيف يصح إفراد الرب بالتوحيد الخالص إذا أشرك معه في الأمر والتدبير خلق من خلقه والله عز وجل رب كل شيء وخالقه ومليكه وهو الغني عما سواه وكل ما سواه فقير " (٦) .

ثانياً : النقص والضعف في مقام الربوبية :

ومن العلماء الذين أسهموا في إبراز ما طرحه العهد القديم من رؤى خاطئة في تصويره للإله كل من العلامة رحمة الله والإمام الألوسي ود/ عبد العظيم المطعني ود/ صفوت مبارك ود/ بدران محمد بدران وغيرهم . وذكر هؤلاء تلك النصوص التي وردت في العهد القديم والتي تصف الإله بما لا يليق في مقام الربوبية فيقول كل من العلامة الهندي والألوسي : إن التوراة تصف الإله بالعجز والضعف كما ورد في قصة صراع يعقوب مع الإله .

(١) تكوين : (١ / ١ - ٣) البدء .

(٢) أشعيا : (٤٠ / ٢٨ - ٢٩) الله لا شبه له .

(٣) نحميا : (٦ / ٩) الإسرائيليون يعترفون بخطاياهم .

(٤) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٣ .

(٥) الإصحاح : (٢ / ٨) بدون . وانظر : الملوك الثاني : (٥ / ٢٣) يوشيا يجدد العهد .

(٦) انظر : جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية / سيرة عبد الله بناني ص ٩١ ط معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

وملخص القصة :

يذكر سفر التكوين أن الرب قد ظهر ليعقوب في صورة إنسان صارعه حتى الفجر ولم يتمكن الرب من هزيمة يعقوب إلا بعد أن كسر حق فخذه ...^(١) . ثم يعقب العلامة الهندي على هذا النص تعقيباً مختصراً جاء فيه : وهذا المصارع كان ملكاً لما عرفت ، وإذا لم نقل ذلك يلزم أن يكون إله بني إسرائيل في غاية العجز والضعف حيث صارع يعقوب الذي هو مخلوقه إلى الفجر ولم يغلبه إلا بالحيلة^(٢) .

ومثله قال الإمام الألوسي وأكد أن الذي ظهر ليعقوب عليه السلام ملك من الملائكة وليس غير ذلك^(٣)

ثالثاً : يفعل الشيء ثم يرجع عنه " البداء " :

يقول د/ صفوت مبارك :

يشير العهد القديم إلى أن الرب يريد فعل الشيء ثم يرجع عنه ويغير إرادته وهو ما يسمى بالبداء ففي سفر الخروج حديث عن غضب الرب على بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل وأنه أراد أن يفيهم ثم رجع عن ذلك وندم لما تضرع له موسى :

" قال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً ... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه^(٤) " (٥) .

رابعاً : يفعل الشيء ثم يندم على فعله :

وضع علماء المسلمين أيديهم على نصوص في العهد القديم تنسب للرب سبحانه الندم على خلقه للإنسان حين كثر فساد بني آدم في عهد نوح واستدلوا بالنصوص التالية :-

١- " فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه " (٦) .

٢- " فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه " (٧) .

وغير ذلك من النصوص وما أكثر ما يتندم الرب في اعتقاد اليهود^(٨) .

وقد تنوعت تعليقات النقاد من علمائنا الأجلاء على هذه النصوص يقول د/ المطعني . بعد ما استدل بالنص الأول :

" لم تتورع نصوص التوراة المقدسة في زعمهم أن تنسب الندم والتحسر إلى " الرب " والندم والتحسر المنسوبان إلى " الرب " في التوراة هما الندم والتحسر المعروفان للناس في الحياة . فالرب يندم ويتحسر على خلق شيء من خلقه ثم تكون عاقبة الخلق على غير ما يريد^(٩) .

(١) انظر : القصة كاملة في : تكوين : (٣٢/٢٤-٣١) يعقوب يصارع مع الله . (٢) إظهار الحق (٣٢١/١) .

(٣) الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح - الألوسي (١٧٥/١) . (٤) انظر : خروج : (٣٢/٩-١٤) العجل الذهبي .

(٥) مدخل لدراسة الأديان د/ صفوت مبارك ص ١١٧ (٦) تكوين : (٦/٥-٧) الطوفان .

(٧) خروج : (٣٢/١٤) العجل الذهبي .

(٨) يراجع صموئيل الأول : (١٥/١٠-١١-٣٥) ، حزقيال : (٣٢/١٢-١٤ ، مزامير : (١٠٦/٤٠-٤٤)

(٩) الإسلام في مواجهة الاستشراق د/ المطعني ص ١٩١ .

وينتقد صاحب كتاب انزعوا قناع بولس : هذا النص قائلاً :

إن نسبة الحزن والتأسف إلى الله تعالى ؛ لأن شر الإنسان قد كثر هو قول جاهل مخرف لا يعرف الله ؛ لأنه يصفه بالجهل في عدم معرفته لما سيكون عليه حال الإنسان بعد خلقه ، وهذا في حق الله تعالى محال وهو من الكفر المحض ولذا جاء القرآن الكريم مدوياً بأن الله خلق الإنسان والكون بعد أن قدر كل شيء أزلاً فقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(١) .^(٢)

ويعلق د/ بدران على هذه القضية خلق الله للإنسان وندمه عليها بقوله :

بعد ما ندم إله إسرائيل على خلقه للإنسان عاد وندم من جديد لأنه فكر مثل هذا التفكير لأنه ظهر له أن الإنسان طيب وليس شريراً ، ندم الرب لأن نوحاً ذبح له الذبائح وحرقها وصعدت رائحة الشواء للسماء فتنسّمها الرب وفي هذا يقول سفر التكوين :

" وبني نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح فتنسّم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان "^(٣) .

ثم ينتقد هذا النص متعجباً مما تقول التوراة :

هكذا صورك كتبة التوراة يا إله إسرائيل تندم لأنك خلقت الإنسان ثم تعود فتندم لأنك ندمت أنك خلقت الإنسان ، صورك بصورة الإله المرتشي لمجرد أن نوحاً أحرق لك بعض البهائم والطيور وصعدت رائحة الشواء لك في السماء .. ندمت .. لأنك عرفت أن الإنسان طيب وليس شريراً كما تصورت وظهر ندمك في أنك جعلت الأرض خصبة له طول العام ونوعت الجو خلقت البرد والحر والصيف والشتاء فعل كل هذا من أجل رائحة الشواء التي تنسّمها .. ألهذا السبب يكثر الإسرائيليون من حرق الذبائح^(٤) .

(١) سورة الأنعام الآية : (٥٩)

(٢) ١/ احمد زكي ص ١٤ .

(٣) تكوين : (٢٢-٢٠/٨) بدون . وانظر : التوراة د/ بدران ص ٤٦ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

وتقول الباحثة سميرة عبد الله بعد أن استدلت بالنصوص السابقة :

(وهذا كله يتنافى مع التقدير الحكيم لما يشاء ويتعارض مع العلم السابق لأفعاله و إرادته لما يريد ويقدر في ربوبيته إذ كيف يكون ربا من كان جاهلاً والله عز وجل يقرر أنه العليم الحكيم فيقول تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^(١) .^(٢)

ويرى الدكتور / عبد الوهاب المسيري . من خلال تحليله لنصوص التوراة أن التصور اليهودي للإله تصور مردود لا يقبله عقلٌ ولادين لأنه تصورٌ خاطئٌ ينافي جلال الربوبية والألوهية على حد سواء .

وبعد أن استدل بنص من سفر الخروج : يقول " فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم " ^(٣) قال : إن العهد القديم يطرح رؤىً متناقضة للإله تتضمن درجات مختلفة من الحلول بعضها أبعد ما يكون عن التوحيد ، وتتبدى الحلولية في الإشارات العديدة إلى الإله التي تصفه ككائن يتصف بصفات البشر فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويضحك ويبكي غضوب متعطش للدماء يحب ويبغض متقلب الأطوار يلحق العذاب بكل من ارتكب ذنباً سواء ارتكبه عن قصد أو غير قصد ويأخذ الأبناء والأحفاد بذنوب الآباء بل يحس بالندم ووخز الضمير ^(٤) .

وعلى ضوء ما سبق فإن ما نسبته اليهود للرب من الندم والجهل وغير ذلك يقدر في مقام الربوبية ، ويتنافى مع خصائصها المشار إليها في تعريفها في بداية المبحث ، كما يدل على بدائية تلك العقول التي تفكر بهذه الطريقة وتصور الخالق سبحانه بهذه الصور البشرية المحضنة .

ومن خلال تلك الرؤى النقدية المتنوعة لعلماء المسلمين حول نظرة العهد القديم للربوبية يتضح ما يلي :

- ١ - اجتهاد علماء المسلمين في بيان التناقض والتعارض بين نصوص العهد القديم في هذه الخاصية .
- ٢ - التزامهم بالموضوعية التامة في مناقشتهم لتوحيد الربوبية .
- ٣ - والاعتقاد الصحيح في هذا الجانب من جوانب التوحيد ، أن يعتقد الإنسان بأن الله عز وجل هو الفاعل الحقيقي لكل شيء في هذا الوجود ، فهو سبحانه الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده القدرة على النفع والضرر إلى غير ذلك من أفعال ، والخروج على هذا الاعتقاد انحراف وشرك فهي الله عز وجل عنه في كثير من الآيات منها قوله تعالى : " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء " ^(٥) ، وقوله تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " ^(٦)

(١) سورة يوسف جزء من الآية : (١٠٠) .

(٢) جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم ص ٩٣ - ٩٤ .

(٣) خروج : (٣٢ / ١٠ - ١٣) العجل الذهبي .

(٤) موسوعة اليهود واليهودية : د / المسيري ٥ / ٦٥ بتصرف .

(٥) سورة البينة ، الآية : (٥) .

(٦) سورة النحل ، الآية : (٣٦) .

الأصل الثاني : توحيد الألوهية في العهد القديم :

لعلماء المسلمين جهود قيمة في تحليل هذه القضية من خلال نصوص العهد القديم تلك الجهود التي تبين أن رأى العهد القديم في هذه القضية يثير الغرابة ويطرح بدل السؤال الواحد أسئلة متعددة حول اعتقاد العهد القديم في الإله وفي الصفحات التالية أبين آراء علماء المسلمين ونظرتهم النقدية لتوحيد الألوهية في نظر اليهود مبيّناً مدى الانحراف الذي وقعوا فيه .

ومن الملاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين ما يلصقه اليهود بالله وبين صفاتهم التي يتصفون بها وبالتالي فإن هذا الارتباط له علاقة وثيقة بعملية التحريف التي قاموا بها وأنهم عند تحريفهم للتوراة حرفوها لتخدم أهواءهم ولتلبية رغباتهم في تحقيق السيطرة والهيمنة على الشعوب .

وقد تنوعت نظرات النقاد للصورة التي ترسمها التوراة للإله فالدكتور/ أحمد شلي في نظرتة النقدية لهذا الموضوع يبرز مواطن التناقض في العهد القديم ويؤكد أن التصور الذي يقدمه عن الإله تصور مشوه فهو بين التزيه تارة والتشبيه تارة أخرى فيقول :

هناك تناقض واضح في أسفار العهد القديم فيما يتعلق بالصورة التي ترسمها عن الإله فبينما تدعو الوصايا العشر إلى التزيه المطلق لله والتوحيد التام له ^(١) حيث تقول :

" لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدن " ^(٢) : إلا أن هناك نصوصاً أخرى تناقض ذلك ورغم هذه الصورة الواضحة من التزيه المطلق للإله - نجد مواطن أخرى تصف الإله بالتحسد وتقدمه في صورة بشرية وتنعته بالجهل والقسوة والتردد والندم على ما يفعل ^(٣) .

ويرى د/ أحمد شلي ، د/ عبد الراضي محمد أن التطرف اليهودي في الألوهية قد مر بمرحلتين :

الأولى : ما قبل بناء بيت الرب

الثانية : ما بعد بناء بيت الرب

ففي الأولى : عبد اليهود العجل والحية المقدسة واختلفت فيها بدائيتهم ما بين عبادة الأرواح والأحجار وبين عدم الاستقرار على عبادة إله واحد أما حين بنى البيت وتمت الوحدة السياسية لليهود أيام داود وسليمان عليهما السلام فقد تركزت العبادة **فيه** ^(٤) وأصبح " يهوه " هو الإله الأوحده الذي يفوق في المكانة كل آلهة البشر ^(٤)

(١) اليهودية د/ أحمد شلي ص ١٧٧ بتصرف .

(٢) خروج : (٥-٣/٢٠) الوصايا العشر .

(٣) اليهودية د/ أحمد شلي ص ١٧٨ - ١٩٠ بتصرف . من هذه النصوص يراجع : ص ٩٨-٩٩ من هذه الدراسة .

(٤) اليهودية : د/ أحمد شلي ص ١٨٣ ، وانظر : قضاة : (٦/١٠) ، وفتاح ، والتطرف اليهودي تاريخه - أسبابه - علاماته د/ عبد الراضي محمد

ص ١٦، ١٧ ط/ مكتبة التوعية الإسلامية ط - ١ - ١٤٢٣ هـ - ١٩٩٣ م .

وتمثل المرحلة الأولى مرحلة الردة الكاملة من عقيدة التوحيد وعبادة الإله الخالق الذي أمر موسى وهارون - عليهما السلام - بعبادته ، وهذه الردة عنيفة لأنها أعادت اليهود إلى الوثنية والشرك المحض وعبادة الأصنام والحيوانات وتمثل المرحلة الثانية مرحلة التجسيم والتشبيه في تاريخ اليهود الديني لما خلعه على الإله " يهوه " من صفات جسدية ^(١) .

وقد ذكرت الباحثة / سميرة عبد الله . ما سجله العهد القديم من نصوص تحمل تناقضا جلياً بين الإثبات والنفي بين الأمر بإخلاص العبادة والتوجه بها إلى الله وحده لا شريك له ووقوعهم في الشرك بعبادة معبودات عديدة غيره وجاءت جهودها حول قضية الألوهية على النحو التالي :

إقرار توحيد الألوهية في العهد القديم :

وهنا أوردت أ / سميرة عبد الله . بعض النصوص التي تدل على توحيد الألوهية مبينة من خلالها أن عقيدة الألوهية هي الفيصل بين الموحدين والمشركون من هذه النصوص :

أ . " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد " ^(٢) .

ب . " أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض " ^(٣) .

ج . ويقول الإله عن نفسه : " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري " ^(٤) .

د . كما قال : " أنا أنا هو ، وليس إله معي أنا أُميت وأُحيى " ^(٥) . وغير ذلك من النصوص ^(٦) .

ثم بينت بعد ذلك أن اليهود قد أشركوا في توحيد الألوهية وأهملوا النصوص السابقة التي تتفق مع دعوة سيدنا موسى عليه السلام في توحيد الألوهية وانساقوا وراء أهوائهم للتعصب والعنصرية تارة والتعدد والنفعية تارة أخرى إذ لم يستقروا في أى فترة من فترات حياتهم على عبادة الله الواحد وذكرت أن الشرك عندهم قد اتخذ مظاهر متعددة منها :

المظهر الأول : تخصيص الإله باليهود :

فتقول : تعتقد اليهود بأن الله عز وجل إله محلي خاص بهم دون سائر الشعوب فلم تعرفه إلهاً للخلق أجمعين وكثيراً ما تتردد عبارات في العهد القديم تدل على تخصيص الإله بهم مثل : إله العبرانيين ، إله بني إسرائيل إله إسرائيل ، إله يعقوب ^(٧) .

(١) التطرف اليهودي : ص ١٧ ولزيد من التفصيل ينظر نفس المرجع ص ١٧ - ٢٩ ، واليهودية د/ أحمد شلبي ص ١٨٤ .

(٢) تثنية : (٤/٦) أحب الرب إلهك .

(٣) أشعيا : (١٦/٣٧) صلاة حزقيا .

(٤) أشعيا : (٦/٤٤) بركات الرب لشعبه .

(٥) تثنية : (٣٩/٣٢) بدون .

(٦) مثل : تثنية : (١٣/٦) ، (١٤/٦) ، (١٨-١٥/٣) . وانظر : جهود الإمامين ص ٩٤ - ٩٦ .

(٧) انظر : (خروج ١٥/٣ ، ١٨ ، ٥-١/٥) ، (٢١/١١) ، (٩/٢٤ ، ١٠) ، (٢٣/٣٤) ، عدد : (٨/١٦ ، ٩) ، يشوع : (٢٢/٢٢) ، صموئيل الأول : (١٧/١) ، (٧/٥) ، الملوك الأول : (٢٢-٢٦/٨) ، أخبار الأيام الأول : (١٠/٢٩) ، حزقيال : (٢/٣) .

ويتضح من مدلول استخدامها في كل موضع من مواضعها أن المقصود بها هو إله اليهود وحدهم دون سائر الشعوب وهم شعبه المختار^(١).

وفي تعليق د/ المطعني على هذا التخصيص يقول :

هذه النصوص تدل على " الإله القبلي " لبني إسرائيل باعتبارهم الشعب المختار- في زعمهم - لا لأنهم أتقياء مستقيمون ولكن لأنهم أبناء يعقوب ، أما عدواته للأمم الأخرى من غير اليهود فلا لأنهم أشقياء ولكن لأنهم أعداء للشعب المختار وإن أقاموا الشريعة ولم يفعلوا إنمّا فالتفرقة هنا أساسها الجنس والمولد والعنصرية وليس الإيمان والتقوى والطاعة^(٢).

وقد سار الدكتور المطعني ، في نقده للنصوص بطريقة علمية فيطرح أسئلة استفهامية حول الادعاء التوراتي ويسلم للتوراة فيما تزعم ثم يناقش القضية مناقشة عقلية تستدرج ما يشتمل عليه النص من أكاذيب وبذلك يتسنى له إبطاها عن طريق إحاطته للدعوى بعلامات استفهام لا يستطيع الخصم الإجابة عليها ، فيحاصره من كل اتجاه فلا يجد لنفسه ملاذا إلا التسليم للحق والذي يؤكد هذه الرؤية نقده لفكرة الإله القبلي .

فيتسائل مستنكراً ومتعجباً للعهد القديم فيما يدعيه من ذلك التخصيص ليصل بهم إلى كذب ما يدّعون وإبطال ذلك التخصيص فيقول متسائلاً بعد أن استدل بالنص الذي يقول : " لأنك شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض "^(٣)

يقول : (لماذا خلق " الرب " الذي تصفه التوراة بتلك الأوصاف ، لماذا خلق الأمم الأخرى ؟ ولم يكتف ببيني إسرائيل شعبه المختار ؟! ولو صح هذا الزعم فإن الأمم الأخرى من غير بني إسرائيل لم يطلب منهم الرب أن يعبدوه أو يقدسوه ؛ لأنهم إما غلفٌ أو أنجاسٌ كما تقول التوراة نفسها فلماذا خلقهم إذن ؟! ومع كل هذه التصورات الواهمة التي تزخر بها التوراة ، هل ترى على الأمم من غير بني إسرائيل واجباً لذلك " الرب " الذي لم تصوره التوراة إلا في صورة بغیضة لكل الأمم)^(٤).

المظهر الثاني : تعدد معبودات اليهود :

لم يعرف اليهود الاستقرار على عبادة الله الواحد طوال تاريخهم... بل تنوعت وكثرت حتى شملت أغلب مظاهر الكون في سفله وعلوه كالأحجار والمعادن والنباتات^(٥) والحيوانات^(٦) ، ومظاهر الطبيعة كالشمس والقمر^(٧) ونجوم السماء وغير ذلك ،

(١) جهود الإمامين أ / سميرة عبد الله ص ٩٧ . (٢) الإسلام في مواجهة الاستشراق ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٣) تنبيه : (٧ / ١ - ٦) طرد الأمم . (٤) الإسلام في مواجهة الاستشراق ص ١٧٤ .

(٥) أشعياء : (٢٠ - ٦ / ٤٤) بركات الرب لشعبه . (٦) خروج : (١٠ - ٣ / ٥) العجل الذهبي .

(٧) الملوك الثاني : (٢١ / ٣ ، ٥) كرم نابوت اليزريعي ، حزقيال : (١ / ٨ ، ٣ ، ١٦ ، ١٧) عبادة الأوثان في الهيكل .

هكذا ظلوا حيثما كانوا يعبدون آلهة القوم الذين يحلون لديهم فعبدوا آلهة الشعوب الوثنية المخالطة لهم أو المحيطة بهم أو المسيطرة عليهم كآلهة الآشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين وغير ذلك من الأمم من هذه الآلهة : الإله آشور وعشتاروت^(١) ملكة السموات وزوجة الإله تموز وإله الشمس بعل والإله داجون^(٢) وغير ذلك من الآلهة^(٣)

ويؤكد د/ أحمد شلي :

على أنه لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعدُّ كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أي حال فظهروا بالتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأحجار ، وأحياناً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود^(٤) .

وعلى ضوء ما سبق يتضح :

الانحراف الواضح في عقيدة الألوهية عند اليهود على مر العصور وقد ظهر جلياً أن السبب وراء ذلك تأثرهم بالأمم الأخرى ودياناتهم وفلسفاتهم فجاءت عقيدتهم مزيجاً من الاعتقادات المختلفة بين عبادة الأصنام والأوثان من الأشخاص والنباتات والحيوانات والجمادات والأفكار الخاطئة .

(١) هي الآلهة الرئيسية في كل من دولتي بابل وآشور الذين سموها عشتار وفي مدن الفينيقيين على سواحل فلسطين ولبنان وسورية وهي آلهة واحدة في كل هذه المناطق قاموس (الكتاب المقدس ص ٦٢٨)

(٢) هو : اسم صنم عند الفلسطينيين وكان يعبد في فينيقية (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٥)

(٣) انظر : جهود الإمامين ص ٩٩ ، ١٠٠ ، أرميا : (٤/٢) شعب إسرائيل يترك الرب ، قضاة : (٨-٥/٣) عثنيل .

(٤) اليهودية د/ أحمد شلي ص ١٧٣ .

الأصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات في العهد القديم :

ذكرت أ/ سميرة عبد الله ، أنه قد امتلأت النصوص التوراتية بأسماء وصفات عديدة لله سبحانه وتعالى يختلف إطلاقها باختلاف مواضعها ، بعضها يدل على إثبات توحيدهم لله عز وجل بأسمائه وصفاته الحسنى ، والبعض الآخر يشير إلى انحراف عقيدتهم في الأسماء والصفات بالتجسيم والتشبيه ، إذ توحد اليهود وتثبت معه آلهة متعددة ، تتره عن مماثلة المخلوقين وتجسمه وتشبهه بهم ، تصفه بالقدرة والعلم والكمال وترميه بالضعف والجهل والنقص^(١) كما يلي :

١. إثبات توحيد الأسماء :

أ . الأول والآخر : " منذ الأزل إلى الأبد أنت الله " ^(٢) . أعلن الله هذه الحقيقة فقال : " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري " ^(٣) .

ب . القدوس : " من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس " ^(٤) .

ج . الرقيب : " ماذا أفعل لك يا رقيب الناس " ^(٥) .

د . الغفور : " يقول نحميا النبي : " وأنت إله غفور وحنان ورحيم " ^(٦) . وغير ذلك من الأسماء التي أثبتتها العهد القديم لله عز وجل ^(٧) .

٢. إثبات توحيد صفات الإله عند اليهود :

صرحت بعض النصوص من أسفار العهد القديم بصفات عليا لله تعالى كما يليق بجلالة حيث تصفه بما يلي :

أ . الوحدانية : " أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض " ^(٨) .

ب . الحياة : " إني أرفع إلى السماء يدي وأقول حي أنا إلى الأبد " ^(٩) .

ج . لا تدركه الأبصار : لا تظهر له صورة : " فكلكم الرب من وسط النار وأنتم سامعين صوت كلام لكن لم ترو صورة بل صوتا " ^(١٠) .

(١) جهود الإمامين ص ١١٠ .

(٢) مزامير : (٢/٩٠) .

(٣) أشعيا : (٦/٤٤) بركات الرب لشعبه .

(٤) صموئيل الأول : (٢٠/٦) ، التابوت يعود إلى إسرائيل .

(٥) أيوب : (٢٠/٧) بدون .

(٦) نحميا : (١٦/٩) الإسرائيليون يعترفون بخطاياهم . أخبار الأيام الخوالي : (٢٥/١٦) بدون .

(٧) جهود الإمامين ص ١١١ .

(٨) الملوك الثاني : (٦/١٩) ، أشعيا (١٦/٣٧) صلاة حزقيال . .

(٩) تثنية : (٤٠/٣٢) نشيد موسى .

(١٠) تثنية : (١٠/٤-١٢) ، أيوب : (١١/٩) ، أشعيا (٤٥ / ١٥) .

وغير ذلك من الصفات التي استدلت بها الباحثة سميرة عبد الله من نصوص العهد القديم^(١) ثم ذكرت التحريف الذي وقع في الأسماء والصفات على حدة .

انحراف اليهود في عقيدة توحيد الأسماء :

لقد حرف اليهود أسماء الإله وأطلقوا عليه ألفاظاً لا تليق في حقه سبحانه كما يلي :-

١- ألوهيم أو إيلوهيم : بين د/ المسيري التصور اليهودي لأسماء الإله وذكر عدة أسماء منها إلهيه وقال : إنها كلمة من أصل كنعاني وهي حسب التصور اليهودي أحد أسماء الإله وهي صيغة الجمع من كلمة " إيلوه " أو " إله " أو " إيل " وهو ما يدل على أن العبرانيين كانوا في مراحل تطورهم الأولى يؤمنون بالتعددية ولم ترد كلمة " إله " إلا في سفر أيوب أما " إلهيم " فتزد ما يزيد على ألفى مرة في العهد القديم ، وبأداة التعريف "ها إلهيم " ولللمة معنيان :

أولاً : فهي تدل على الجمع فتكون بمعنى الآلهة (الوثنية) ككل .

ثانياً : أو تدل على المفرد فتعد اسماً من أسماء الإله . ويعامل الاسم أحياناً باعتباره صيغة جمع وأحياناً أخرى باعتباره صيغة مفرد وإلهيم إله رحيم يراعي في أعماله القواعد الأخلاقية^(٢) .

٢- يهوه^(٣) " يهوفاه " : بين د/ المسيري أصل هذه الكلمة وكيف حرف اليهود في هذا الاسم فيقول : " يهوفاه " كلمة عبرية وهي سامية قديمة ويقال إنها مشتقة من مصدر الكينونة في العبرية " أهيه آشأ أهيه " (خروج ١٤/٣٠) أي أكون الذي أكون ، وقد تكون الكلمة من أصل عربي ، ويذهب البعض إلى أن الاسم مشتق من الفعل " هو " بمعنى سقط أي يهوه هو مسقط المطر والصواعق ويتم الربط بين معني هذا الاشتقاق وبين الصفات التي عرفت عن يهوه كإله للعواصف والبرق والقوى الطبيعية أي هو . بمعنى وقع أو حدث وما يحدث يكون^(٤) .

(١) جهود الإمامين ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د/ عبد الوهاب المسيري ٧٠/٥

(٣) يهوه فعل مضارع من هيه أو هود ومعناه كان أو حدث أو وجد وبعبارة أخرى هو الذي كان والذي أعلن ذاته وصفاته ومنذ عهد الله مع موسى على جبل حوريب يطلق عليه يهوه ويطلقون هذا الاسم على الله (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩٦ ، ١٠٩٧)

(٤) موسوعة اليهود ٧٠ / ٥ .

وأما عن بداية استعمالها علمًا على الذات الإلهية يقول د/ محمود مزروعة :

هي لفظة قديمة مهمة قبل موسى عليه السلام فأحيها سيدنا موسى عليه السلام وتمسك بها علمًا على الذات الإلهية وأهمل ما عداها وسبب هذه التسمية :

ذهب البعض إلى أن اسم " يهوا " لا يعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ويصح أنه نداء لضمير غائب أي " يا هو " لأن موسى - عليه السلام - علم بني إسرائيل أن يتقوا الرب توقيرًا له وأن يكتفوا بالإشارة إليه .

وبالعوض الآخر يرى أن هناك احتمالاً لاتجاه آخر هو أنه الكلمة المماثلة لكلمة لورد أي : سيد هي : " يهوا " وكانت اللغة العبرية تُكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هذه الحروف فأصبحت كلمة " يهوا " يا هوفا " ومعناها " سيد أو إله " ^(١) . ويقول د/ الميرى عن استخدام هذا الاسم :

(ولا يرد اسم يهوه في المصدرين الإلهيمي أو الكهنوتي إلى أن يسفر الإله لموسى عن نفسه فتقول التوراة : هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم ^(٢)) ولكن المصدر اليهودي يستخدم الاسم في سفر التكوين : (٤/٢) مفترضًا بذلك أنه يعود إلى أيام إبراهيم ولكن يبدو أن هذا إسقاط من محرري العهد القديم لمصطلحات مرحلة لاحقة على مرحلة سابقة وقد جاء في سفر الخروج : أن الرب كلم موسى وقال : أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم واسحق ويعقوب يأتي الإله القادر على كل شيء وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم ^(٣) . ^(٤)

ثم يقول : يأتي ذكر " يهوه " أكثر من ستة آلاف مرة في العهد القديم وهو أكثر أسماء الإله شيوعًا وقداسة وكان يتفوه به الكاهن الأعظم فقط داخل قدس الأقداس في يوم الغفران ... وقد نسب إليه العهد القديم صورًا عديدة من القسوة والوحشية ^(٥) .

٣- " إيل " : اسم من أسماء الله في العبرية فقد كان اليهود يسمون الله بـ (إيل) وكثيرًا ما تستعمل التوراة اسم " إيل " مع صيغة صفات الله مثل " إيل عليون " كما جاء في الأصل العبري أي " الله العلي " إيل شداي أي " الله القدير " ^(٦)

(١) دراسات في اليهودية أ.د/ محمود مزروعة ص ١٦٤ ط- دار الطباعة المحمدية - القاهرة ط ١ / ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٢) خروج (٣ / ١٥) موسى والعليقة المشتعلة

(٣) الاصحاح : (٦ / ٢ - ٣) بدون .

(٤) موسوعة اليهودية واليهود ص ٧٠ / ٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٧٠ / ٥ .

(٦) تكوين : (١١/٣٥) عودة يعقوب إلى بيت " إيل " ، جهود الإمامين ص ١١٤ ، ١١٥ .

وإيل الاسم السامي للإله وهي مفرد كلمة " إيليم " الكنعانية يُراد بها الجمع والتعداد ^(١) .

ويقول د/ محمود مزروعة . عن بداية استعمال لفظة " إيل " وإطلاقه على الذات الإلهية أنه :

ورد استعمالها قبل بعثة سيدنا موسى عليه السلام فكان " إيل " هو اسم الإله في فترة ما قبل سيدنا موسى عليه السلام وإليه ينسب كثير من أسمائهم الشخصية والمكانية ومن الأسماء الشخصية عندهم المنسوبون إلى هذا الاسم : إسماعيل ، إسرائيل ، بتوئيل وفي سفر التكوين توضيح لهذه التسمية فحين هربت هاجر من وجه سارة وهي حُبلي في إسماعيل قابلها " ملاك الرب " وقال لها " ملاك الرب " : ها أنت حُبلي فتلدن ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك " ^(٢) وحينئذ تنسب هاجر اسم المكان إلى اسم الله فتسمي المكان باسم " إيل رئي " لأنها رأت الرب في هذا المكان ^(٣) " ^(٤)

٤- " بعل " : وهو في اللغة السامية يعني " الرب " أو " السيد " وهو إله كان يعبد الكنعانيون وكان اليهود أحياناً يعتبرون اسم البعل مرادفاً لاسم " الله " أو " الرب " فكان بعل بريث إلهاً أي " رب العهد " وهو الاسم الذي يتعبد به اليهود في شكيم في زمن القضاة ويستدل من هذين الاسمين على تعلق اليهود بآلهة الوثنيين في إطلاق هذه المفردات لاسم الله وهي أسماء لا تليق بجلاله وعظمته ^(٥) .

وعلى ضوء العرض التقويمي السابق يتبين انحراف اليهود في إطلاق أسماء من وحى بيئتهم على الله عز وجل ولا تليق في حقه سبحانه وتعالى مما يدل على تأثرهم الكبير بما مروا به في تاريخ تنقلهم بين البلاد المختلفة .

(١) موسوعة اليهود واليهودية ص ٥ / ٦٩ .

(٢) تكوين : (١٦ / ١١) هاجر وإسماعيل .

(٣) تكوين : (١٦ / ٣) السابق .

(٤) دراسات في اليهودية ص ١٦٣ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٢ ، قضاة : (٣٣/٨) موت جدعون ، (٤/٩) أيمالك .

ثانياً : الانحراف في توحيد الصفات عند اليهود وافتراءاتهم فيها :

وقد قسم علماء المسلمين الصفات إلى صفات ذات وصفات أفعال :

أما صفات الذات فانحرفهم فيها ظاهر فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فضلاً في الموهم التشبيه من آيات الكتب النبوية منها ما ورد في سفر حبقوق " النبي " أن الله في الأرض يترآي ويختلط مع الناس ويمشي " (١) . وقال أرمياء النبي : الله بعد هذا في الأرض يظهر وينقلب مع البشر فيقول : " أنا الله رب الأرباب " (٢) .

وأخذ يؤكد جوابه عن هذا بالأدلة العقلية على بطلان نبوة حبقوق وأرمياء فقال : إن هذا يحتاج إلى تثبيت نبوة هذين النبيين وإلى ثبوت النقل عنهما وبثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة ، وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره ففي التوراة ما هو من هذا الجنس ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أن الله حل في موسى ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل بل قوله " يترآي " هو بمزلة يتجلى ويظهر (٣) .

١- إثبات التجسيم للذات العلية - سبحانه عما يصفون : استدل العلامة الهندي والإمام الألوسي . على ما يفيد إثبات التجسيم في العهد القديم ، وأنه نصوص آيات متعددة من نصوص العهد القديم تدل على التجسيم (بشكل والأعضاء) (٤) من هذه النصوص ما يلي :

— " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " (٥) .

— " إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع " (٦) .

— " لأن الله على صورته عمل الإنسان " (٧) .

وغير ذلك مما يدل على التجسيم وكذلك استدلتهم / سميرة . بآيات تدل على نسبة الحواس والأعضاء للإله كالفم (٨) والشفتان واللسان (٩) والعينان (١٠) والأنف (١١) والأذنان (١٢) والرأس (١٣) وغير ذلك (١٤) كما يزعمون -

(١ ، ٢) لم أعتز على هذين النصين في النسخة الحالية ولربما كانا في نسخة قديمة على زمن المؤلف ولكن هناك نصاً يدل على هذا المعنى وهو " وكان الرب يسير أمامهم في عمود سحب ... وليلاً في عمود نار " (خروج ١٣ / ٢٠ - ٢٢) .

(٣) الجواب الصحيح لابن تيمية : (٢٣٧/٢) .

(٤) الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح للإمام الألوسي (١٧١/١ ، ١٧٢) ط دار البيان العربي ط ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

(٥) تكوين : (٢٦/١) البدء .

(٦) أشعيا : (١/٥٩) الخطية والاعتراف والفدا .

(٧) تكوين : (٦/٩) عهد الله مع نوح وانظر : إظهار الحق ٢ / ٣١٧ .

(٨) أرميا : (١٢/٩) والنص يقول : " والذي كلمه فم الرب " .

(٩) أشعيا : (٢٧/٣٠) والنص يقول : " شفتاه ممتلئتان سخطاً " .

(١٠) أشعيا : (١٧/٣٧) والنص يقول : " افتح يارب عينيك وانظر " .

(١١) حزقيال : (١٨/٣٨) والنص يقول : " غضبي يصعد في أنفي " .

(١٢) مزامير : (١/٨٦) والنص يقول : " امل يارب أذنك " .

(١٣) أرميا : (١/٩) والنص يقول : " ياليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع " .

(١٤) انظر : جهود الإمامين ص ١١٨ - ١٢١ .

وقد ذكر العلامة الهندي ، ما يناقض ما استدلوا به على التجسيم وأن هناك آيات في العهد القديم مضمونها ينفي التجسيم والتشبيه فيقول :

(وللتزيه في التوراة آيتان هما : " فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ولم تروا الشبه البتة " ^(١)) وقوله : " فاحتفظوا بأنفسكم بحرص فإنكم لم تروا شبيها يوم كلمكم الرب في حوريب من جوف النار " ^(٢) ولما كان مضمون هاتين الآيتين مطابقاً للبرهان العقلي في تزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية والتشبيه بخلقه وجب تأويل الآيات الغير محصورة والإمساك عن القول بظواهرها الدالة على الجسم والشبه لا تأويلها وأهل الكتاب هاهنا أيضا يوافقوننا على أنه ليس المراد ظواهرها البينة البطلان ؛ لأن الجسمية محالة في حقه تعالى ولا يرجحون تلك الآيات الكثيرة على هاتين الآيتين ^(٣) ووافقه على ذلك الألوسي ^(*) .

وهنا لابد من وقفة نقدية حول هذا الموضوع :

فقد استدل علماءنا الأفاضل على إثبات الجسمية لله تعالى من التوراة ، واستدل البعض الآخر على نفيها وتزيه الله سبحانه وتعالى عنها ولذلك يقول الألوسي : (إذا تعارض القولان فلا بد من إسقاطهما إن لم يمكن التأويل ، أو من تأويلهما إن أمكن ، ولا بد أن يكون التأويل بحيث لا يستلزم المحال أو الكذب مثلا : الآيات الدالة على الشكل والجسمية تعارضت ببعض الآيات الدالة على التزيه فيجب تأويلها ... لكن لابد ألا يكون التأويل بأن الله متصف بصفتين أعنى الجسمية والتزيه ، وإن لم تدرك عقولنا هذا الأمر ، فإن هذا التأويل باطل محض ، كما قالوا لا يرفع التناقض ^(٤) . وبناءً على ما تقدم من وجود التناقض في العهد القديم ، ففيه ما يدل على إثبات التجسيم في حقه تعالى وفيه ما ينفي التجسيم والتشبيه وفي هذا ما فيه من بطلان ما تدعيه التوراة في حقه سبحانه إذ كيف تستقيم القضية وبعض الآيات تثبتها وبعض الآيات تنفيها ، وفي هذا من التناقض مالا يخفي على ذي عقل .

٢- إثبات المكان للذات العلية - سبحانه عما يصفون :

تتبع العلامة رحمة الله الهندي والألوسي النصوص التي تثبت التحيز والمكانية لله - سبحانه وتعالى - وبيننا أنه توجد في العهد القديم آيات كثيرة تدل على إثبات المكان لله تعالى من هذه الآيات ، الآية التي تقول : " الله معروف في يهوذا واسمه عظيم في إسرائيل كانت في ساليم مظلته ومسكنه في صهيون " ^(٥) ، والآية التي تقول : " فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم " ^(٦) وغير ذلك من الآيات كثير ^(٧) .

(١) تنبيه (٤ / ١٢) الأمر بالمطاعة (٢) تنبيه (٤ / ١٥) السابور

(٣) وإظهار الحق : ٣١٧/٢ ، ٣١٨ (ج) الجواب الفسيح : ١٧٢/١

(٤) الجواب الفسيح : (١٨٥/١) (وقد يقول البعض : إن في القرآن آيات متشابهات فهل تول أم تحمل على ظاهرها وللجواب على هذا التساؤل يقول الإمام الألوسي : " إن ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المتشابهات لا يراد بها ظاهرها من الجسمية والمكان بل تول تأويلاً مناسباً أو تفويض الكيفية إلى عالمها الباري سبحانه ويؤمن المؤمن بها من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تكييف ولا تعطيل كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فأول الآية رد على الشبه وآخرها رد على المعطلة (انظر : الجواب الفسيح ١٨٥/١) .

(٥) مزامير : (٢٠٧٦-٢) لإمام المغنين على " ذوات الأوتار " مزمور لآساف . تسبيحة .

(٦) خروج : (٨ / ٢٥) التقدمة لحيمة الاجتماع .

(٧) لمزيد من التفصيل انظر : إظهار الحق : (٣١٨/١) ، الجواب الفسيح : (١٧٢/١ ، ١٧٣) بتصرف .

ثم يعقبا ذلك بذكر النصوص التي تتعارض مع ما سبق ذكره من نصوص تثبت المكان له سبحانه فيقول العلامة الهندي : ولا توجد في العهد العتيق والجديد آيات دالة على تزيه الله عن المكان إلا آيات قليلة مثل قول أشعيا : " هكذا قال الرب : السموات كرسي والأرض موطن قدمي أين البيت الذي تبون لي ؟ وأين مكان راحتي وكل هذه صنعتها يدي فكانت كل هذه ^(١) .

وعلق على ذلك بنفس التعليق السابق على إثبات الجسمية له سبحانه وتعالى وزاد عليه قائلاً : " قد ظهر أن الكثير إذا كان مخالفاً للبرهان العقلي والتقلي يجب إرجاعه إلى القليل الموافق للعقل ولا يعتد بكثرة المخالف فكيف إذا كان الكثير موافقاً لصحيح للعقول وصريح المنقول والقليل مخالفاً لهما فإن التأويل فيه ضروري ببداهة العقل ووافقة على ذلك الألوسي رحمه الله ^(٢) .

٣- ظهور الإله في صورة مرئية - في زعمهم - :

يقول د/ صفوت مبارك :

في سفر الخروج أن موسى قد اختار مجموعة من كبار بني إسرائيل صعد بهم إلى الرب وأنهم قد رأوه وله رجلان ويدان وإليك هذا النص : (وقال لموسى : اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأيهو (ابنا هارون) - وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد ويقرب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون ، وأما الشعب فلا يصعد معه ... ثم صعد موسى وهارون وناداب وأيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة . ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا) ^(٣) .

وينتقد د/ بدران . في كتابه التوراة هذا النص قائلاً :

(لقد تجرأ كتبة التوراة ولعب الشيطان برؤوسهم وتصوروا أن الله نزل من عليائه ووقف على شيء يشبه العقيق الأزرق الشفاف نقي نقاوة السماء ورآه موسى وهارون عليهما السلام مع اثنين وسبعين شيخاً من شيوخ إسرائيل بل شطح خيال كتبة التوراة وقالوا : إن هذا الجمع أكل وشرب عند قدمي الله) ^(٤) .

يقول صاحب كتاب الجوهر الفريد :

يدعي كثير من مفسري الكتاب المقدس أن الله إذا أراد أن يظهر بهيئة منظورة فلا يستحيل عليه وأنه ظهر لبعض شعبه بهيئة منظورة كما ورد في سفر التكوين : وظهر له الرب وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينية ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ... إلى آخر ما جاء في هذه القصة ^(٥) .

(١) الاصحاح : (٢٦-١ / ٢٦) القضاء والرجاء . (٢) إظهار الحق : (١ / ٣١٨) والألوسي في الجواب الفسيح : (١ / ١٧٣) .

(٣) خروج : (٢٤-١ / ١١) تأكيد العهد - وهذا يتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم من أن بني إسرائيل طلبوا من موسى - عليه السلام - أن يروا الله جهرة ولكن أخذهم الصاعقة ولم يتمكنوا من رؤية الله حتى موسى - عليه السلام - نفسه حين قال : " رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي " ولم يره . انظر : مدخل لدراسة الأديان ص ١١٥ . (٤) التوراة : د/ بدران ص ٦٦ .

(٥) التكوين : (١٨-١ / ٨) ، وانظر : الجوهر الفريد في رد الثلاث وإثبات التوحيد أيوب صبري ص ١٢٢ ط المطبعة العامرة الشرقية ط / ١٣١٩هـ

وقد نقد المؤلف هذه القصة نقدًا موضوعيًا وردّها بنصوص صريحة من الكتاب المقدس تؤكد أن الله ^(١) لم يره أحد وعدم إمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا فقال :

إن نصوص الكتاب المقدس تدل على عدم إمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا منها : " فكلّمكم الرب من جوف النار فسمعتهم صوتًا ولم تروا الشبه البتة فاحفظوا أنفسكم بحرص فإنكم لم تروا شبهًا يوم كلّمكم الله " ^(٢) . وقول الرب لموسى " لا تقدر أن ترى وجهي ... وأما وجهي فلا يُرى " ^(٣) وقول المسيح " الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه " ^(٤) ويقول : هذا صريح بعدم إمكان رؤية الله تعالى في الدنيا قطعًا ومثل هذه النصوص الصريحة لا يجوز ترك اعتقاد حكمها والتمسك بما يخالفها بمجرد التأويل ^(٥) .

ثم ذكر بعد ذلك عدة أدلة عقلية ترد هذه الدعوى منها مايلي :

١- (أن الظهور بالهيات ^{ممكنة} أنواعه ووصف هيئته هو شبه ومثل ممكن تصوره وحده بالتصور وذلك من صفات الحوادث والله تعالى مغاير لصفات الحوادث ولا شبيه ولا مثيل له .

٢- أن تشكّل الملائكة والجن والشياطين بما شاءوا بقدرّة الله الذي اتخذ المؤلف ^(٦) قرينه على اقتدار الله تعالى على الظهور في الأجسام والهيات هو وحده كاف لتأييد حكم النصوص الآتية بعدم جواز اعتقاد تشكّله أو ظهوره تعالى في الهيات الجسمانية بالمعنى الحقيقي للقطع بأنه سبحانه لا يجارى خلقه ولا يتشبه بأعمال عبده في الشكل والظهور .

٣- إن عبارة سفر التكوين التي استدلت بها بعض مفسري الكتاب المقدس على أن الله ظهر بهيئة منظورة فضلًا عن أن ظاهرها لا يؤيد مقصوده بل غاية ما يفيد هو أن إبراهيم عليه السلام نظر ثلاثة رجال ودعاهم إلى الأكل عنده ... وأجابوا دعوته وذبح لهم عجلاً بقرا وقدم لهم لحمه مع خبز وزبد ولبن ... وبعد أن أكلوا بشروه الخ القصة، وذلك وحده كاف للعلم بأن أولئك الرجال لم يكونوا الله الواحد الأحد الذي لا يرى ولا تدركه الأبصار ولا تحده الجهات ولا يفترق إلى الأكل والشرب ولا يصح في الأذهان أن يكون سبحانه مركباً من (الأجسام والأعضاء) ^(٧)

وأما صفات الأفعال :

كان لكل من د / المسيحي و د / صفوت مبارك ، د / المطيعي ، د / محمود مزروعة ، أ / سميرة عبد الله . جهد واضح في بيان ما نسبته العهد القديم لله عز وجل من صفات تُماثل صفات البشر من هذه الأوصاف أنه يمشي ويتحرك ^(٨) بين الناس ويأخذ أشكالاً حسية ^(٩) ووصفوه بالقسوة المفرطة ^(١٠) وأنه يخاف من الناس ^(١١)

(١) تنبيه : ٤ / ١٢ . الأمر بالطاعة .

(٢) خروج : ٣٣ / ١٨ - ٢٠ موسى ومجد الرب .

(٣) تيموثاوس الأولى : ٦ / ١٦ الجهاد الحسن .

(٤) القس بطرس ديناسيوس " صاحب كتاب القول الصريح في تثليث الأقانيم وتجسيد المسيح " الذي رد عليه أيوب بك في كتابه الجوهر الفريد .

(٥) الجوهر الفريد : أيوب بك ص ١٢٣ .

(٦) خروج : ٢٢ / ٢٥ غطاء التابوت .

(٧) خروج : ١٦ / ٧ - ١٧ الخروج للحرب ، أقصد بالذين وصفوه :

(٨) تكوين : ١١ / ٦ - ٨ برج بابل .

(٩) تنبيه : ٧ / ١٦ - ١٧ الخروج للحرب ، أقصد بالذين وصفوه :

(١٠) تكوين : ١١ / ٦ - ٨ برج بابل .

الله يخاف من الناس - في زعمهم - :

وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بجلال الله ﷻ^(١) وبشيء من التوضيح أذكر بعض النماذج من هذه

الصفات وتعليقات العلماء عليها :

فيقول أ/ أحمد زكي منتقداً لقولهم أن الله يخاف الناس ولذلك فهو يبلبل ألسنتهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض كما في سفر التكوين : (١١/٦-٨) يقول : إنهم يصورون الله بحسب عقولهم البدائية كأنه بشر وأنه يخشى الناس تعالى الله عما يصفون إن الإله الذي يخشى البشر حتماً هو ليس الله خالق البشر إنما هو إله خرافات وأساطير^(٢) ويعلق د/ المطعني على هذا النص قائلاً :

إن التوراة كما تصفُ الرب هنا بالخوف من الناس تصفه كذلك بالجهل ؛ لأن الناس حسب رواية التوراة لم يقصدوا الإضرار بالرب وإنما قصدوا مجرد السكني. وأن يعرف بعضهم بعضاً فظن الرب أن ذلك العمل موجه ضده فلجأ إلى حيلة تفرق الألسن حتى لا يصبح الناس متحدين أو ليس في هذا نسبة الجهل إلى الرب كما فيه نسبة الخوف إليه أفليست هذه نصوص مقدسة ذات دلالات وضعية^(٣) .

وصف الإله بالجهل - في زعمهم - :

وهذه جريمة أخرى تلك التي تطلقها التوراة في جانب الإله وحاشا لله أن يكون جاهلاً فهو سبحانه عالم بكل شيء

فيقول سبحانه : ﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾^(٤) .

ويقول د/ صفوت مبارك :

في قصة خروج بني إسرائيل من مصر يتحدث العهد القديم فيذكر أن الرب أمر موسى أن يضع بني إسرائيل على أبواب بيوتهم علامات الدم لأن الرب سيمر هذه الليلة ليضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ولكنه يستثني من ذلك بني إسرائيل لذا فهو يأمرهم بوضع هذه العلامات على بيوتهم ، حتى إذا مر عرف أن هذا بيت من بيوت بني إسرائيل فيتجاوزه ولا يهلك أحداً ممن فيه ، وهذا يعنى وصف الإله بالجهل وأنه في حاجه إلى علامات ترشده^(٥) واستدل بالنص الآتي :

" فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين أنا الرب ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب مصر "^(٦) .

ويعلق د/ عبد الوهاب المسيري على هذا النص قائلاً : (العهد القديم هنا يصف الإله بأنه ليس عالماً بكل شيء)^(٧) .

(١) انظر : موسوعة اليهود واليهودية ٥ / ٦٥ والتطرف اليهودي ص ٢٣ ومدخل دراسة الأديان ص ١٦ والإسلام في مواجهة الاستشراق ص ١٨٠

ودراسات في اليهودية د / مزروعة ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) الإسلام د / المطعني ص ١٨٠ .

(٣) انزعوا قناع بولس ص ١٥ .

(٤) مدخل لدراسة الأديان ص ١١٩ .

(٥) سورة الطلاق : جزء من الآية (١٢) .

(٦) موسوعة اليهود واليهودية ٥ / ٦٥ .

(٧) خروج ١٢ / ١٢ - ١٣ الفصل .

ويذكر د/ المطعني . نصاً آخر يصف الرب بالجهل "ما جال الله" تروى التوراة ما دار بين الرب الإله وبين آدم بعد واقعة الأكل من الشجرة المحرمة فتقول : " وسمعا - أي آدم وحواء - صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ! فنادي الرب الإله آدم وقال : أين أنت يا آدم ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان ؛ فاختبأت ؛ فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ " (١) .

وقد نقد د/ المطعني . هذا النص وقال مستفسراً ومتعجباً وهو يلقي نظرة تحليلية عليه (ما معنى هذا الكلام ؟ معناه أن آدم اختبأ من الرب الإله هو وامرأته وسط شجر الجنة فلم يبصره الرب الإله فنادي أين أنت يا آدم ، ولم يعرف مكان آدم إلا بدلالة صوت آدم يرد عليه ويخبره بسبب اختفائه فيرد الرب الإله سائلاً عما لا يعلم !؟ مرة أخرى : ومن أعلمك أنك عريان !؟ هل أكلت من الشجرة !؟ (٢) .

(إن نسبة الجهل للرب الإله في هذه النصوص المقدسة لا تحتل جدلاً قط بدلالة : أن آدم نفسه كان يعلم بذلك الجهل من الرب الإله وإلا لما كان اختبأ !؟ وأن الرب نفسه حين لم يبصر آدم وزوجه نادى قائلاً أين أنت يا آدم ولو كان يعلم مكانه لما نادى عليه ولما سأل مرة أخرى هل أكلت ؟ والجهل ببعض الأشياء ليس من صفات " الله " الحق هكذا تقول تصورات العقل الواعي وبهذا تقضي حقائق الإيمان الصحيح ، والفرق بين أحكام العقل وحقائق الإيمان الصحيح وبين الواقع المعلوم لنصوص الكتاب المقدس كالفرق بين النور والظلمات) (٣) .

ويقرر أ.د / محمود مزروعة :

أن حقيقة الذات الإلهية عند اليهود لا ترتفع كثيراً على مستوى البشرية في شكلها ومضمونها ... فهم يعتقدون في الإله المجسد ، ولم يستطيعوا أبداً أن يهضموا عقيدة الإله المجرد ... وإنما ارتبطت فكرة الإله عندهم بصورة الإنسان بكل ما تحويه هذه الصورة من نقائص وأخطاء ، وبسبب نزعة التجسد هذه لم يقنع اليهود بعبادة الله الواحد المجرد عن المادة ولذا فقد طلبوا من سيدنا موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناماً آلهة ثم صنعوا لأنفسهم عجلاً عبوده (٤) .

(١) تكوين : (٨/٣ - ١١) سقوط الإنسان .

(٢) الإسلام د / المطعني ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٤) دراسات في اليهودية د / مزروعة ص ١٦٥ ، ١٦٧ .

وصف الإله بأنه يستريح من التعب :

وقد استدل صاحب كتاب " انزعوا قناع بولس " على هذا بالنص الذي يقول : " فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل " ^(١) وقد علق عليه مفنداً هذا الوصف الذي تدعيه التوراة فيقول :

(لقد شبه كاتبو التوراة الله بالإنسان العامل الذي يكد ويتعب طيلة أيام الأسبوع الستة وفي اليوم السابع يستريح ، ولقد دحض الله هذه الفرية في آيات كثيرة من القرآن إذ قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ^(٤) . فالله يتره نفسه في القرآن عن التعب الذي وصفوه به وهم في هذا إنما يناقضون أنفسهم فقد ورد في سفر أشعياء قوله : " أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا " ^(٥) مما يكذب قولهم في أن الله استراح من التعب) ^(٦) .

فهذا قليل من كثير ورد في العهد القديم يصف الله ﷻ بما لا يليق بذاته المقدسة مما يدل على مدى الانحراف الذي وقع فيه كتبة التوراة من ناحية ومن ناحية أخرى يدل دلالة واضحة من خلال ما تقدم من شواهد على التناقض الواضح بين نصوص العهد القديم تلك التي تصفه بالجهل تارة وبالعلم تارة أخرى أو تصفه بالتعب تارة وبعدم التعب تارة أخرى فلو كانت كتبهم صحيحة ما وقع فيها هذا التناقض .

والتصور الصحيح في الأسماء والصفات أن نعبد سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، دون تشبيهه بأحد من خلقه ، وتمثيله بشيء من مخلوقاته ، ودون أن نؤلفها تأويلاً يخرجها عن حقيقته فهو سبحانه " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ^(٧) ، وما يلصقه كتبة العهد القديم لله تعالى من أسماء وصفات لا تليق بذاته المقدسة ، فهو خروج عن هذا التصور الصحيح والحاد ، كما أخبر سبحانه وتعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " ^(٨) .

(١) تكوين ٢ / ٢ .

(٢) سورة ق الآية ٣٨ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

(٤) سورة ق الآية ١٥ .

(٥) الإصحاح (٢٨ / ٤٠) الله لا شبه له .

(٦) انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ص ١٤ .

(٧) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

(٨) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٠) .

المبحث الثاني

نقد موقف العهد القديم من الملائكة والجن والشياطين

أبرز النقد من علماء المسلمين - فترة البحث - مدى التناقض والانحراف الذي وقع فيه العهد القديم في هذه العقيدة وغيرها .

والمعلوم الذي لا يقبل الشك أو الجدل لدى المسلمين أن الملائكة مخلوقات نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ويتشكلون في أحسن صورة ويفعلون ما يأمرهم به الله فقال تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^(١) فقد خرج العهد القديم عن هذا التصور السليم للملائكة فوصفهم بما يناقض طبيعتهم وصورهم بما لا يليق في حقهم وقد نفي الله عز وجل ما ألصقه بهم من أمور مخالفة لطبيعتهم فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ^(٢).

هذا وقد تناول النقد المسلمون - فترة البحث - نقد هذه العقيدة على سبيل الإجمال مستدلين بالنصوص التي تحمل تصورات خاطئة عن الملائكة وتنوعت تعليقاتهم ووقفاتهم مع هذه النصوص ومن الملاحظ على تلك الردود النقدية لما تحتويه النصوص من مخالفات أنها لم تتعرض لما ذكره العهد القديم من صفات حسنة للملائكة باستثناء أ/ سميرة عبد الله بناني فقد انفردت من بين النقد بذلك الجهد المتميز فعرضت للتصور السليم عن الملائكة في العهد القديم ولم تغفله ثم عرضت للانحراف الذي حدث لهذا التصور وبهذا يتضح التناقض وتظهر المخالفة .

ومن تلك النصوص التي أوردتها ويفهم منها إقرار اليهود للملائكة :

- " وإذا بملاك قد مسه وقال قم وكل " ^(٣) .
- " قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره " ^(٤) .
- " باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه " ^(٥) .
- " فكان عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء ، أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح " ^(٦) وغير ذلك من الآيات التي تثبت اعتراف العهد القديم وإقراره بوجود الملائكة ثم عرضت بعد ذلك ما وقع فيه العهد القديم من انحراف في عقيدة اليهود في الملائكة ويمكن طرح ما ذهب إليه النقد من رؤى نقدية حول هذه القضية

(الملائكة والجن) تحت النقاط التالية :

- ١ . حاجة الملائكة للأكل والشرب والراحة .
- ٢ . نسبة الملائكة لله تعالى .
- ٣ . نسبة الشر إلى جبريل " أمين الوحي " ^(٧) .
- ٤ . القدرة على التشكل والظهور .
- ٥ . الجن والشياطين .

(١) سورة التحريم جزء من الآية : (٦) .

(٢) سورة الزخرف الآية ١٩ .

(٣) الملوك الأول : (٥ / ١٩) إلباء يهرب إلى حوريب .

(٤) الملوك الأول : (١٩ / ٢٢) ميخا بتنبأ بمقتل آخاب .

(٥) مزامير : (٢٠ / ١٠٣) .

(٦) قضاة ١٣ / ٢٠ مولد شمشون .

١- الحاجة إلى الأكل والشرب والراحة :

تنوعت تعليقات النقاد من علماء المسلمين على وصف العهد القديم للملائكة بأنهم يأكلون ويشربون ويحتاجون إلى الراحة على النحو التالي :

يقول ل / أحمد عبد الوهاب :

(يدعي كتبة الأسفار أن الملائكة قد أكلت من طعام إبراهيم ^(١) ويؤكد ما يقول بما ورد في سفر التكوين : " فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفين لديه ... فلما نظر ركض لاستقبالهم ... وقال : ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ... فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم يجتازون ... هكذا نفعل كما تكلمت ... وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا " ^(٢)) .

ويعلق د/ المطعني ، على هذه الفرية وينتقد ما تقول التوراة طارحاً بعض الافتراضات الجدلية استدراجاً لهذا الزعم ليصل به إلى مؤدى نظريته النقدية وهو بطلان ما تدعيه التوراة في تصورها عن الملائكة فيقول :

(إذا وضعنا في الاعتبار وصف التوراة للملائكة بأنهم يأكلون ويشربون ، فالتوراة كاذبة خادعة وإذا وضعنا في الاعتبار وصفها إياهم بأنهم لا يأكلون ولا يشربون فالتوراة صادقة ولكنه صدق غير خالص مادام النص القاضي بأكلهم وشربهم موجوداً فيها موصوفاً بأنه نص مقدس غير محرف ولا مزور وتبقى بعد ذلك كله معرة التناقض وهي معرة لا يحملها هذا النص وحده بل نصوص كثيرة غيره في التوراة) ^(٣) .

ثم يختم د/ المطعني كلامه عن هذه القضية مقررّاً بطلانها وتردى التوراة إلى الهاوية السحيقة بإسنادها الأكل والشرب إلى الملائكة فهي كاذبة في هذا الإدعاء لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ^(٤) .

وأرجع ل / أحمد عبد الوهاب الكلام السابق (أكل الملائكة من طعام إبراهيم كما تدعى التوراة) إلى سببين رئيسيين هما :

أولاً : جموح خيال كتبة الأسفار عند حديثهم عن بدء الخليقة .

ثانياً : اقتباسهم من الأساطير التي تقول بحدوث تزاوج وإنجاب نسل بين الملائكة – الذين دعوهم أبناء الله وبين الفتيات الجميلات من بنات حواء واستدل بما جاء في سفر التكوين : " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ، وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم ^(٥) " ^(٦) .

(١) تكوين : (٨-٢/١٨) الزوار الثلاثة .

(٢) الوحي والملائكة بين اليهودية والمسيحية والإسلام م/ أحمد عبد الوهاب ص ١٨ .

(٣) انظر : الإسلام في مواجهة الاستشراق د/ المطعني ص ١٩٥ ، ١٩٧ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٥) الإصحاح : (١-٦) الطوفان .

(٦) الوحي والملائكة ص ١٨ .

التناقض في هذه القضية " أكل الملائكة من طعام البشر " :

وقد وقع التناقض في التوراة بين هذه القصة وبين قصة أخرى وقد أبرز د/ المطعني هذا التناقض عندما ذكر قصة أخرى توضح أن الملائكة رفضت أن تأكل من جدي معزي " منوح " ^(١) : فقال منوح لملاك الرب : دعنا نعوقك ونعمل لك جدي معزي ؟ فقال ملاك لمنوح : ولو عوقتني لا أكل من خبزك " ^(٢) .
فيقول د / المطعني :

(إن التوراة - هنا - تقول أن ملاك الرب رفض أن يأكل من جدي معزي منوح وهذا صدق على فرض أن هذه القضية وقعت فعلاً فإذا كانت الملائكة لا تأكل فماذا يصنع برواية سفر التكوين في ضيف إبراهيم من الملائكة - الذين أكلوا - على زعم الرواية - العجل والخبز والزبد واللبن ^(٣) فمن أي الروايتين يستقى طالب الإيمان عقيدته في الملائكة من نصوص التوراة المقدسة ؟ ، أهم يأكلون ؟ أم هم لا يأكلون ؟ أليس هذا تناقضاً في نصوص يدعون قداستها ؟! والنصوص المقدسة لا تعرف إلى التناقض سبيلاً ، ولكن هذه هي طبيعة التوراة حق يضيع بين ركام الباطل) ^(٤) .

وبعد أن ذكرت الباحثة / سميرة عبد الله نصاً يقول ذهب الملكان إلى لوط ^(٥) وأكلا عنده وكذلك يطلبان الراحة لولا تجمع القوم على منزل لوط يطالبون ضيفيه ^(٥) علقت عليه قائلة : يتضح من هذا النص تعب الملائكة وحاجتهم للاستراحة والاعتسال وجوعهم وأكلهم مع الإله فهل يتصور العقل السليم حاجة الإله إلى الأكل والشرب والاعتسال والراحة ؟ فإن تصورته اليهود هنا هكذا كما تصورته في استراحة الرب سابقاً ... فلا عجب في أن يتصوروا حاجة الملائكة إلى ذلك أيضاً ^(٦) .
وعلى هذا :

فوجود التناقض في قضية ما كفيلاً ببطالها وردها .

(١) هو : رجل من صرعة في نصيب دان وهو أبو شمشون ومن خلال قصة شمشون يظهر أن منوح كان رجلاً تقياً (قاموس الكتاب المقدس ص

٩٣٦)

(٢) قضاة : (١٦-١٥/١٣) مولد شمشون .

(٣) انظر : تكوين : (٢٢-١/١٨) .

(٤) الإسلام في مواجهة الاستشراق ص ١٩٧ .

(٥) انظر : تكوين : (٤-١/١٩) .

(٦) انظر : جهود الإمامين ص ٢٠٣ .

٢- نسبة الملائكة لله تعالى :

وقبل أن تستقد الباحثة / سميرة عبد الله . نسبة الملائكة لله تعالى تقول : تنسب التوراة في سفر التكوين لله تعالى ذرية من الملائكة هبطت إلى الأرض وتزوجت من نساء الأرض وتناسل منهم الجبابرة والنص يقول : " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات إن أبناء الله أو بنات الناس أهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا ... وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم ^(١) ، فالملائكة هي التي تلقب بأبناء الله عند اليهود كما رأينا سابقاً ، ويتردد هذا اللقب في مواضع كثيرة ^(٢) .

وفي نقدها تقول : (وهنا نلمس انحراف عقيدة اليهود في الملائكة فيما ينسبونه لهم من الذكورية والزواج والتناسل وهذا أمر لا يعقل وليس ثمة دليل عليه من الوحي الذي هو المصدر الوحيد لمعرفة الغيب وأحوال الكائنات الغائبة عنا كالملائكة كما أن هذا الوصف يتعارض مع الهدف الذي خلق الله الملائكة لأجله رسلاً وجنوداً وسفرة له ^(٣) .

ويعلق ل/ أحمد عبد الوهاب على هذه الدعوى بقوله :

وقد زل قلم كتبة الأسفار حين جعلوا الملائكة أبناء الله فهذا سفر أيوب يحكي عن مجمع مقدس في حضرة رب السماء والأرض سبحانه - حضره الشيطان مع الملائكة - وجرت فيه كوميديا إلهية تقول بعض نصوصها ^(٤) : " كان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم فقال الرب للشيطان من أين جئت ... فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها " ^(٥) .

وإضافة إلى ما سبق ورغم وجود هذا التناقض في قصة إبراهيم عليه السلام ومنوح وما قيل عن إطعام الملائكة وتزاوجهم مع البشر واعتبارهم أبناء الله والخلط بينهم وبينه - سبحانه - إلا أنه قد ورد في التوراة نصوص تؤكد ظهور الملائكة في صورة بشر وإمكان رؤية الصالحين لهم ^(٦) .

(١) تكوين : (١/٦ - ٤) .

(٢) أيوب : (٦ : ١) وقابله بـ (١/٢) ، (٧/ ٣٨) ، دانيال : (٢٥/٣) ، مزامير : (١/٢٩) ، (٦/٨٩) .

(٣) جهود الإمامين : ص ٢٠٦ .

(٤) الوحي والملائكة : ص ١٩ .

(٥) أيوب : (٧-٦/١) الامتحان الأول لأيوب ، (٢-١/٢) الامتحان الثاني .

(٦) الوحي والملائكة : ص ١٩ ، ٢٠ بتصرف ، كما في دانيال : (١٩-١٥/٨) ، (٢٢-٢٠/٩) ، خروج : (٣-١/٣) وأشعياء :

(٤-٢/٦) .

٣- نسبة الشر إلى أمين الوحي " جبريل عليه السلام :

وقد ذكر د/ بدران ، افتراء العهد القديم على الملائكة وخاصة " أمين الوحي جبريل عليه السلام فقال النبي ميخا ما نصه : " قد رأيت الرب جالساً على كرسیه ... وكل جند السماء وقوف لديه ... عن يمينه وعن يساره فقال الرب من يغوى " آخاب " ^(١) فيصعد ويسقط في " راموت جلعاد " ^(٢) فقال هذا هكذا . وقال ذاك هكذا ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال : أنا أغويه فقال الرب بماذا ؟ فقال : " الروح الأمين " أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال الرب : " إنك تغويه وتقدر ... فأخرج وافعل هكذا " ^(٣) .

ثم ينتقد د/ بدران هذا النص بقوله :

إنه تجديف ^(٤) على الأنبياء وعلى الروح الأمين وتجديف على الله نفسه ولكن هل الروح الأمين وهو كبير الملائكة وزعيمهم يفعل الشر ؟ أتفعل الملائكة الشر ؟ فما فائدة إبليس وأعوانه إذن ؟ ^(٥) .

وذكرت الباحثة / سميرة عبد الله . ما يدل على وصف الملائكة بالفساد والشر في سفر المزامير : " أرسل عليهم حمو غضبه سخطاً ورجزاً وضيقاً جيش ملائكة أشرار " ^(٦) وتقول الملائكة ليست فيهم أشرار ولا عصاة فيقول تعالي : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^{(٧) (٨)} .

-
- (١) هو : ملك إسرائيل وهو ابن عمري الذي خلفه على العرش وقد بدأ حكمه حوالي عام ٨٧٥ ق.م في السنة الثامنة والثلاثين من ملك آسا ملك يهوذا ، وقد تزوج من إيزابل ابنة أئبل ملك صيدون وكانت امرأة وثنية تعبد الإله بعل (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠) .
 - (٢) هي : اسم عبري معناه " مرتفعات جلعاد " كانت هذه مدينة للأموريين ثم صارت للحاديين وهي من أشهر مدغم وموقعها شرقي الأردن (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٣) .
 - (٣) ملوك الأول : (٢٢-١/٢٢) ميخا يتنبأ بمقتل آخاب .
 - (٤) معناه : افتراء وكذب وشتمة ونميمة ويقصد بها في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله وصفاته (مزمو ١٠/٧٤-١٨ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٣) .
 - (٥) انظر : التوراة : د/ بدران ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
 - (٦) مزامير : (٧٨ - ٤٩) .
 - (٧) سورة التحريم جزء من الآية : (٦) .
 - (٨) انظر : جهود الإمامين ص ٢٠٩ .

٤- القدرة على التشكل والظهور :

قدم د/ عبد الوهاب المسيري . رؤية نقدية حول تطور مفهوم الملائكة في النص التوراتي وتحوّل هذا المفهوم عبر تاريخ بني إسرائيل فيقول :

يظهر الملائكة في الأجزاء الأولى من العهد القديم على هيئة بشر وهم يضطلعون بوظائف عديدة من بينها حماية العبرانيين أثناء خروجهم من مصر وأثناء تحولهم إلى البرية ... كما أنهم يقومون بعقاب المذنبين مثلما فعلوا عند تحطيم " سدوم " ^(١) و " عموراه " ^(٢) وهم يحيطون بالعرش الإلهي ، ومنهم أيضا الجوقة التي تسبح للإله ومن أحداث العهد القديم حادثة الصراع بين يعقوب والملاك الذي ظهر فيما بعد أنه الإله ... وغير ذلك من الحوادث التي ظهر فيها الملائكة وبعد العودة من السبي البابلي ترسخ مفهوم الملائكة في العقيدة اليهودية وأصبح للملائكة أسماء وطبقات وقد تزايد عددهم وتزايدت أسماؤهم في كتب الرؤى وظهرت فكرة رئيس الملائكة ... ومع هذا فقد استمرت بعض الفرق مثل " الصدوقيين " ^(٣) في إنكار الملائكة وهو جزء من إنكارها لفكرة البعث والإله المتجاوز للطبيعة والتاريخ ^(٤) .

وظهور الملائكة على هيئة البشر أمر وارد في الإسلام كظهورهم لني الله إبراهيم عليه السلام على هيئة البشر بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴾ ^(٥) ﴿ ^(٦) .

(١) هي : إحدى مدن السهل الخمسة التي أحرقها النار التي نزلت من السماء بسبب خطيئة أهلها (تكوين ١٩/٢٤) ثم اختارها لوط ^(١) مدينة للسكن بعد انفصاله عن إبراهيم لمعرفة بخصب أرضها وسهولة الري فيها (تكوين ١٣/١٠) (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦١) .

(٢) هي : بلدة في غور الأردن (تكوين ١٩/١٠ ، ١٣/١٠) تحالف ملكها مع ملك سدوم وابلع وأدمة وصوبيم ضد كدر لعومر ملك عيلام إلا أن ملك عيلام تغلب عليهم وقد دمرت عمورة (تكوين ١٤/٩-١١) ثم دمرت نهائياً بزلزل نار من السماء عليها لفساد سكانها (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤١) .

(٣) هم : طائفة مؤلفة من رؤساء الكهنة والاستقراطية الكهنوتية وقد كان صادوق رئيس كهنة من أيام داود وسليمان وفي عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين فسمي حلفاؤه وأنصاره صدوقيين (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ ، ٥٤٠) .

(٤) موسوعة اليهود واليهودية : (٢٩١/٥) .

(٥) سورة هود الآية : (٧٠)

(٦) انظر : جهود الإمامين : ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

انفرد د/ المسيري ، بتقديم رؤية نقدية توضح مفهوم الجن والشياطين في العهد القديم فيقول :
توجد في العهد القديم إشارات عديدة إلى كائنات خرافية قد تكون خيرة أو شريرة حسب الوظيفة التي تقوم بها ومن هذه الكائنات الشياطين وأهمها ليل وعزازيل فأما ليل (ليليت) في التراث اليهودي الشعبي ... وهي شيطانه الليل والظلام ... وقد ذكرت في العهد القديم بشكل عابر في سفر أشعيا (١٤/٣٤) باعتبارها إحدى الأرواح وأحد الوحوش المفترسة التي ستدمر الأرض في آخر الأيام أما " عزازيل " روح شريرة أو شيطان اسمه في العهد القديم في سفر اللاويين (١٦/٨ ، ١٠ ، ٢٦) وهو أحد قواد الملائكة الذين سقطوا من السماء ويعيش عزازيل حسب الرؤية اليهودية القديمة في البرية بالقرب من أورشليم وله تقدم القرابين في يوم الغفران ^(١) .

ومن خلال الرؤى النقدية المتنوعة لعلماء المسلمين حول عقيدة اليهود في الجن والملائكة يتضح التالي :

- ١- تناقض التوراة فيما تذهب إليه من نسبتها الأكل والشرب في موضع ونفيها عنهم الأكل والشرب في موضع آخر .
- ٢- وصف الملائكة في العهد القديم بأنهم أبناء الله وحدثوا التزاوج والتناسل بينهم وبين البشر أمر لا يقبله عقل وهو محض افتراء .
- ٣- العهد القديم يصف الملائكة بأنهم يفعلون الشر وهو كذب وتلفيق وإذا كان الأمر كذلك فما فائدة شياطين الإنس والجن .
- ٤- تطور مفهوم الجن والملائكة في العهد القديم يعطي رؤية واضحة لما وقع فيه من التحريف والتبديل على مر العصور .

٥- الإيمان بالملائكة ركن أساسي من أركان الإيمان ، وإنكار وجودهم خروج عن التصور الصحيح لقواعد الإيمان ، وبالتالي فإن وصف كتبة العهد القديم لهم بأنهم بنات الله ، خروج عن أصول الإيمان وكفر وضلال مبین ، فقال تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً " ^(٢) .

(١) انظر : موسوعة اليهود واليهودية (٢٩٣/٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (١٣٦) .

المبحث الثالث

نقد موقف العهد القديم من الكتب المقدسة

لقد أثبت علماء المسلمين - فترة البحث - انحراف اليهود في عقيدة الإيمان بالكتب المقدسة ، فالدكتور / عبد الراضي محمد في كتابه " التطرف اليهودي " تأتي وقفته النقدية لتوضح مدى التطرف في الكتب المقدسة بطريقة منهجية وقد أكد نقده ببيان وجهة نظر النقاد من أهل الكتاب ليكون ذلك حجة قوية عليهم في إثبات التحريف الذي يزعمون عدم وجوده في كتبهم . فيقول :

أنزل الله تبارك وتعالى على رسله الذين أرسلهم إلى بنى إسرائيل كتباً لهدايتهم وإرشادهم ، وذلك كصحف إبراهيم وزبور داود وتوراة موسى والإنجيل عيسى عليهم السلام أجمعين وقد تطرف اليهود في تلك الكتب واتخذ تطرفهم ثلاثة محاور :

أولها: إنكار بعض الكتب وتكذيبه كما فعلوا مع الإنجيل والقرآن .

الثاني : تحريف بعضها الآخر وذلك كما فعلوا في التوراة وكتب الأنبياء " العهد القديم " .

الثالث : ابتداع كتب جديدة والزعم أنها من عند الله كالتملود ^(١) .

ولقد أسهمت الدراسات النقدية لعلماء المسلمين - فترة البحث - في تفصيل هذه المحاور الثلاثة وتفنيد هذه

العقيدة من خلال الأمور التالية :

١ - المقابلة بين النسخ المتعددة .

٢ - الاستناد إلى النصوص التي تؤكد أن اليهود غير مأمون الجانب على ما في أيديهم من كتب .

٣ - الاسترشاد بآراء النقاد من أهل الكتاب مما يشكل حجة قوية عليهم .

المحور الأول : إنكار الإنجيل والقرآن وتكذيبهما :

بداية تأتي محاولة الباحثة / سميرة عبد الله في دراستها النقدية للمحور الأول وهو موقف اليهود من - الإنجيل

والقرآن - لتؤكد ما قرره علماء المسلمين من أن اليهود يؤمنون بأسفار أنبيائهم الذين جاءوا بعد سيدنا موسى عليه السلام

أما ما أنزل على سيدنا عيسى وسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم فلا يعترفون بها ^(٢) .

(١) انظر: التطرف اليهودي تاريخه - أسبابه - علاماته د عبد الراضي محمد ص ٥٠ ، ٥٢ مكتبة التوعية الإسلامية ط الأولى ١٩٩٣-١٤١٣ .

(٢) انظر : جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود / سميرة عبد الله بكر بناني ص ٢٧٦ ط / معهد البحوث العلمية وإحياء

التراث الإسلامي مكة المكرمة ١٤١٨ هـ .

وبينت في دراستها مدى الارتباط الوثيق بين الإيمان بالرسول وبين ما أنزل الله عليهم من كتب فتقول :
(إيمان اليهود بالإنجيل والقرآن الكريم المتزلين بعد التوراة كما هو ثابت بالنص الإلهي القاطع في القرآن الكريم ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقفهم من الرسولين الكريمين المتزلين عليهما وهما سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم فلما كانت اليهود لا تؤمن بنبوتهما ورسالتهما مع إعلان الحقد والكراهة والعداوة لهما ولأتباعهما لذا فهم ينكرون الإنجيل والقرآن الكريم)^(١) .

وبناءً على ذلك يقول أ / أحمد إدريس . عن موقف اليهود من العهد الجديد : (اليهود يؤمنون بأن العهد القديم أو التوراة وحدها هي كلام الله ولا يعترفون بالعهد الجديد أما المسيحيون فيعتبرون العهد القديم كتاب الشريعة والعهد الجديد عهد الفضل والكفارة)^(٢) .

ويلاحظ أنه لم يكتف اليهود بإنكار الإنجيل المتزل على سيدنا عيسى عليه السلام ورفضه كرسول وعدم الاعتراف به فحسب؛ بل عمدوا إلى الأناجيل الحاضرة وحرفوها إضافة للتحريف الذي أحدثه بولس اليهودي في النصرانية حيث قلبها رأساً على عقب نكايّة في المسيحيين وكراهية لهم . فقد برهن ل / أحمد عبد الوهاب في كتابه : "إسرائيل حرفت الأناجيل" على ما فعلته إسرائيل في الأناجيل الحاضرة وأوضح أنها حرفت لتخدم أغراضها وتساندها في سلوكها وتصرفاتها في الوقت الحاضر وقد اتبع في ذكره للتحريفات النقد العلمي القائم على :

- ١ - المقابلة بين النسخ : فقد قابل بين النسخة المعتمدة من الأناجيل وبين النسخة الإسرائيلية التي حرفها اليهود .
- ٢ - إظهار التحريفات المتعلقة باليهود ومزاعمهم . فقد ركز في نقده على إظهار أوضح التحريفات التي لها صلة مباشرة باليهود ليدلل على ما يخدم الغرض الموضوع من أجله الكتاب وهو " اختراع أسطورة السامية وعدم معاداة اليهود .

- ٣ - التفصيل بعد الإجمال وسار في سرده للتحريفات على الطريقة الإجمالية في ذكر ما تشتمل عليه الترجمة من تحريفات في كل إنجيل على حدة فأحصي عددها الإجمالي ثم فصل القول في بعض النماذج من هذه التحريفات .

وهو في نقده هذا يكشف المخططات اليهودية التي تهدف إلى الحفاظ على الهوية اليهودية والتميز العنصري للشعب اليهودي فجاء نقده في هذا الكتاب نقداً مبنياً على أسس علمية واضحة . وقد التزم فيه بالحيدة التامة والموضوعية . وقال إن عملية التحريف سارت على خطة عامة منها ما يلي^(٣) :

(١) جهود الامامين ص ٢٧٧ .
(٢) تاريخ الإنجيل والكنيسة : أ / أحمد إدريس ، ص ٦١ ط دار حراء للنشر والتوزيع - مكة المكرمة - . بدون .
(٣) انظر : إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية ل / أحمد عبد الوهاب ص ٤٥ ط مكتبة وهبة ط ٢ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

- ١- محو كلمة " يهود " من أسفار العهد الجديد واستبدالها بكلمات أخرى مثل مواطني ولاية اليهودية - وفيهم اليهود وغير اليهود - ؛ واستبدلوها بكلمة " الرعاع " أو المنعزلين أو العامة .
 - ٢- محو ما يتعلق بالشعب اليهودي باعتباره جماعة دينية ترتبط بـ " الناموس " و " المجمع " ويقوم على رأسها " الشيوخ " و رؤساء الكهنة " . ففي النسخة الإسرائيلية نجد " الناموس " قد استبدل بـ " الكتاب المقدس " واستبدل " المجمع " بالمحكمة ، والشيوخ بالمتشرعين ، ورؤساء الكهنة بالقسس أو الكهنة .
 - ٣- التخلص من كلمة " الصلب " وما يشتق منها واستبدلوا كلمة " صلبه " بكلمة خذه أو أبعده أو انفه أو " شنقه "
 - ٤- محو الفقرات التي تلقي مسئولية دم يسوع على اليهود وأولادهم من بعدهم واستبدالها بكلمات أخرى تحمل المصلوب وزر دمه المراق .
 - ٥- تحميل الرومان مسئولية حادث الصلب بعد تخليص اليهود منه ، وذلك بتحريف الفقرات التي تلصق تلك المسئولية باليهود أو بالشعب اليهودي وإصاقها بالحاكم الروماني بيلاطس^(١) . وغير ذلك من الأمور التي ساقها ل/ أحمد عبد الوهاب .
- أما أ/ مصطفى السعدني في كتابه " الفكر الصهيوني والسياسة اليهودية " قد أرجع سبب فشل اليهود في حمل رسالة التوحيد إلى العالم بسبب أنانيتهم وفهمهم الخاطئ للألوهية وأنهم يعتبرون أنفسهم أمة متميزة عن باقي الأمم والإله لهم وحدهم دون غيرهم ، وقد فشلوا مرة ثانية بسبب عصيانهم المتكرر وتمردهم فعوقبوا بالتشرد في أنحاء العالم ومن أسباب فشلهم أيضاً رفضهم رسالة السيد المسيح عليه السلام^(٢) .
- يوم صرخ اليهود أمام بيلاطس قائلين : " ليس لنا ملك إلا قيصر "^(٣) ويوم أن قالوا : " دمه علينا وعلى أولادنا "^(٤) .
- حكموا على أنفسهم بالهلاك وتحقق قول الإنجيل : " هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا "^(٥) . ورفضهم لرسالة المسيح بالطبع يترتب عليه رفض الكتاب الذي أنزله الله عليه . فاليهود لم يعترفوا بسيدنا عيسى عليه السلام كرسول وبالتالي لم يعترفوا بما أنزل عليه من عند الله أما عن موقف اليهود من القرآن الكريم :
- فالدكتور / المطعني في كتابه : "افتراءات المستشرقين" بين مزاعم اليهود حول القرآن فعرض مقولتهم الباطلة ثم نقدها نقداً علمياً قائماً على :

١- المقابلة بين أصول الإيمان في التوراة والإنجيل والقرآن .

٢- نقد بعض الأجزاء التشريعية مثل الربا وغيرها .

٣- المقابلة بين القصص النبوي في التوراة والإنجيل والقرآن .

(١) هو : وال أقامته الحكومة الرومانية نائباً أو حاكماً على اليهودية لسنة ٢٩ مسيحية واستمر حكمه إلى ما بعد صعود المسيح

(٢) (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠٧ ، ٢٠٨)

(٣) انظر : الفكر الصهيوني والسياسة اليهودية أ/ مصطفى السعدني ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٤) يوحنا : (١٥/١٩) الحكم بصلب يسوع .

(٥) متى : (٢٥/٢٧) أمام بيلاطس .

(٥) متى : (٣٨/٢٣) يسوع يرثي أورشليم .

فيقول : إنهم يقولون : إن القرآن صياغة جديدة لما ورد في التوراة أو العهد القديم ولما ورد في الإنجيل (الأناجيل) أو العهد الجديد ومعنى هذا عندهم أن القرآن الكريم ليس له مصدر سماوي مستقل ، ويقولون إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم استقي فكرة القرآن من أهل الكتاب يهوداً ونصارى ^(١) .

ثم ينتقد د/ المطعني هذه الأوهام ويفندھا بناءً على المعايير السابقة فيقول : مهما يكن من أمر فإن دعوى المستشرقين هذه محض افتراء وأدلة زيفها وبطلانها أكثر من أن تحصى منها : أن واقع القرآن يختلف تماماً عن واقع التوراة والإنجيل وتفصيل ذلك على سبيل المثال : في أصول الإيمان يختلف القرآن عن كل من التوراة والإنجيل في عقيدة التوحيد فهي في القرآن الركيزة الأولى والله فيها موصوف بكل كمال ومتره عن كل نقص وقد مر اليهود في حياتهم بمرحلتين كانوا في الأولى موحدين وفي الثانية مشركين ودلالة ذلك في التوراة تسمية الله " إلهوهم " جمع " إله " وقد مر تفصيل ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل .

والقرآن لا يفرق بين الرسل في وجوب الإيمان بهم وبما أنزل عليهم من حيث المبدأ واليهود لا يؤمنون إلا برسولهم ، والقرآن يدعو إلى الإيمان باليوم الآخر في معظم سورته والعمل له والتوراة تخلو تماماً من هذه العقيدة - باستثناء بعض الإشارات إليه كما سيأتي تفصيل ذلك في مبحث عقيدة الإيمان باليوم الآخر - وغير ذلك من القضايا ^(٢)

وعقيدة التوحيد في الأناجيل معدومة فالله عندهم ثلاثة ، ونسبوا لله سبحانه صاحبة الولد وجردوه من سلطان الألوهية ووضعوا ذلك السلطان في يد عيسى عبد الله ورسوله وفي بعض الأناجيل وصف للرسل الذين سبقوا عيسى عليه السلام بأنهم لصوص وقتلة والإيمان النصراني يفرق بين الرسل فيؤمن ببعض ويكفر ببعض فكيف يستقيم القول بأن القرآن صياغة جديدة للتوراة والإنجيل صاغه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المعلومات التي تلقاها عن أهل الكتاب ^(٣) .

أما عن التشريع فإن الأناجيل تكاد تخلو منه ^(٤) لأنها عبارة عن تصوير حياة المسيح من خلال وجهة نظر كاتبها ، والتشريع التوراتي لا صلة له بالتشريع القرآني مثل الربا فهي حرام فيما بينهم حلال إذا أخذوها من غيرهم وفي القرآن الربا محرمة بجميع صورها حتى ولو كان التعامل بين المسلم ويهودي أو نصراني أو غيرهما والقصص القرآني يتشابه مع القصص التوراتي في بعض الأمور إلا أنه يختلف عنه كثيراً فهو بين النقص تارة والاضطراب تارة أخرى ^(٥) .

(١) انظر : افتراءات المستشرقين على الإسلام " عرض ونقد " : د/ المطعني ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ ، ١٤ بتصرف .

(٣) افتراءات المستشرقين : د/ المطعني ، ص ١٤ ولزيد من التفصيل انظر : موسوعة مقدمات العلوم والمناهج : / أنور الجندي ، ١٧٧/٥ - ١٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٦ .

المحور الثاني: تحريف التوراة وكتب الأنبياء " العهد القديم " :

في هذه القضية يكاد يتفق جميع علماء المسلمين في الماضي والحاضر على أن اليهود قد حرفوا الكتب التي بين أيديهم وقالوا إن التحريف بقسميه اللفظي والمعنوي واقع في التوراة وكتب الأنبياء " العهد القديم " وفي الصفحات التالية أعرض للمحاولات النقدية لبعض علماء المسلمين - فترة البحث - حول هذه القضية ويبرز في مقدمة هذه الجهود القيمة ما قام به العلامة رحمة الله الهندي بصورة موسعة و موثقة بالشواهد من العهد القديم التي تثبت وقوع التحريف فيه وقد سبقه في ذلك أيضاً - من علماء فترة البحث - شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وجهودهما في إثبات التحريف تتميز بالمحاولات العقلية الرائعة مما يدل على عمق الفهم وبراعتهما في إثبات ما ورد في الكتاب المقدس من تحريف .

ولقد ادعى اليهود عدم تحريف الكتب المنزلة السابقة وكان لشيخ الإسلام ابن تيميه جهداً قيماً تميز بالبلاغة والإيجاز في الرد على هذه الدعوى التي تبناها أهل الكتاب فقام بتنفيذها عن طريق الجدل الهادف البناء والحوار العقلي المنطقي المستقي من وجهة النظر الإسلامية مع تأكيد هذا الحوار الجدلي بالمقدمات المنطقية السليمة التي تؤدي إلى بطلان الدعوى ثم يستدل على صحة ما يقول بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيقول رحمه الله :

(إذا عرف أن جميع الطوائف من المسلمين واليهود والنصارى يشهدون أنه قد وقع في هذه الكتب تحريف وتبديل في معانيها وتفسيرها وشرائعها فهذا القدر كاف ... والمسلمون يثبتون بالدلائل الكثيرة أنهم - اليهود - بدلوا معاني التوراة والإنجيل والزبور وغيرهم من نبوات الأنبياء وابتدعوا شرعاً لم يأت به المسيح ، ولا غيره ولا يقوله عاقل مثل زعمهم أن جميع بني آدم من الأنبياء والرسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان لأجل أن أباهم آدم أكل من الشجرة وأنهم إنما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح)^(١).

ثم يرد على هذا الزعم بقوله :

وآدم عليه السلام وإن كان أكل من الشجرة - فقد تاب الله عليه واجتبه وهداه فقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾^(٢) وقال تعالى أيضاً : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣) وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته ، وإنما قد يقول قائلهم إنا لا نعلم أنه تاب أو ليس عندنا توبته وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه ، وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر ففي التوراة ما ليس في الإنجيل وفيهما ما ليس في الزبور وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة ، وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب . والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيهما ، فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والإنجيل وقد بين الله تعالى فضله عليهما في غير موضع كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾^(٤) .^(٥)

(١) الجواب الصحيح : ٤٢١/١ . (٢) سورة طه : (١٢١ ، ١٢٢) . (٣) سورة البقرة الآية ٣٧ . (٤) سورة الزمر الآية ٢ . (٥) الجواب الصحيح لابن تيميه ٤٢٢/١ ، ٤٢٣ وانظر : إظهار الحق ٥٥٤/٢ .

ويرى شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : أن التبديل والتحريف إنما وقع في باب الإخبار إذ لا مانع من وقوع ذلك إنما الممتنع في رأيه أن يكون التحريف في باب الأمر والنهي ^(١) .

وكذلك الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، رفض القول بتبديل التوراة كلها والاستهانة بها كما رفض القول بامتناع ذلك فيها بقوله : والحق أحق ما اتبع ، فلا تغلو غلو المستهينين بها المتمسخرين فيها بل معاذ الله من ذلك ولا نقول إنها باقية كما أنزلت من كل وجه كالقرآن ^(٢) ، ثم بعد أن ذكر الأحداث التي مرت بها التوراة المتزلة على سيدنا موسى ﷺ من عند الله تعالى يوضح نقطة في غاية الأهمية وهي أن :

(علماء اليهود وأخبارهم يعتقدون أن هذه التوراة التي بأيديهم ليست هي التي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى ﷺ بعينها لأن موسى ﷺ صان التوراة عن بني إسرائيل خوفاً من اختلافهم من بعده في تأويلها المؤدي إلى تفرقهم أحزاباً وإنما سلمها لعشيرته أولاد لآوى قال : ودليل ذلك قول التوراة ما هذه ترجمته :

" وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى أئمة بني لآوى " ^(٣) .

ويذكر الإمام ابن القيم : أن اليهود هم الذين حرفوا التوراة وبدلوا فيها حروفاً كثيرة فقال : واليهود تقرر أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم " ^(٤) .

ثم أقام الحجة عليهم بقوله :

(ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله ، فلا يؤمن منه تحريف غيره ؛ واليهود تقرر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا والسامرة تدعي ذلك عليهم) ^(٥) .

ثم ذكر الإمام ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ما يدل على أن التوراة التي بأيديهم - أي اليهود - فيها من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذوو بصيرة ، والتوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ بريئة ^(٦) من ذلك وسوف يتضح ذلك في مبحث عقيدة اليهود في النبوة والأنبياء .

ثم انتهى من سرد بعض التحريفات في التوراة إلى حقيقة هامة وهي : أن التوراة التي بأيديهم ليست هي التوراة المتزلة من عند الله ﷻ .

(١) انظر : الجواب الصحيح (٤٢٧/١) .

(٢) إغاثة اللهفان : لابن قيم الجوزية (٣٥٨/٢) ط / مكتبة عاطف القاهرة . بدون .

(٣) المرجع السابق : (٣٥٨/٢) ، ثنية (٩/٣١) قراءة التوراة .

(٤) هداية الحيارى : ص ٢٠١ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٠١ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٠٢ .

أما العلامة رحمة الله الهندي قد تناول قضية التحريف في العهد القديم بالشرح والبيان وبين أن التحريف قسمان لفظي ومعنوي وقال إن القسم الثاني لا نزاع بيننا وبين المسيحيين فيه لأنهم يسلمون صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات ، التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح ، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود ، أما القسم الأول ينكره علماء البروتستانت إنكاراً شديداً^(١) .

والملاحظ على المؤلفات النقدية لعلماء المسلمين أنها قد استفادت كثيراً من الطريقة النقدية التي قام بها العلامة الهندي في إظهار الحق ولا أكون مبالغاً حينما أقول إن معظم العلماء في العصر الحاضر يعتمدون عليه في أغلب القضايا لا سيما قضية التناقض والتحريف فهو المرجع الذي لا غني عنه للباحثين في الأديان .

وأمام إنكار علماء البروتستانت للتحريف اللفظي في العهد القديم والحديد قد اجتهد العلامة رحمة الله الهندي في إثبات وجوده في الكتاب المقدس بقسميه الزيادة والنقصان وقد اتبع في نقده :

أولاً : طريقة المقابلة بين النسخ المتعددة والمعتبرة عند اليهود والنصارى : وقال إن النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ :

- ١ - العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء البروتستانت .
- ٢ - اليونانية وهي التي كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن ١٥ من القرون المسيحية .
- ٣ - السامرية وهي المعتبرة عند السامريين وهذه النسخة هي النسخة العبرانية لكنها تشتمل على سبعة أسفار من العهد العتيق فقط^(٢) .

ثانياً : الاستشهاد بما يقوله النقاد الغربيون من تعليقات نقدية على النصوص : وعن طريق المقابلة بين هذه النسخ في النص الواحد في قضية ما من بين القضايا المتعددة في العهد القديم يظهر التحريف جلياً سواء أكان هذا التحريف بتبديل الألفاظ أم بزيادتها ونقصانها .

وقد أورد العلامة رحمة الله الهندي في كتابه ما يدل على وجود التحريف اللفظي بالتبديل في التوراة فذكر إحدى وثلاثون شاهداً على ذلك أذكر منها بعض الأمثلة خشية الإطالة :

- ١ - في العبرانية نص يقول : " فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً "^(٣) . وهو في النسخة السامرية يقول : " فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل جرزيم "^(٤) ، وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآية ١٢ ، ١٣ من الإصحاح ٢٧ تنثية وكما يفهم من الآية ٢٩ من الإصحاح ١١ من تنثية - فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى - ~~الشيخ~~ أمر ببناء الهيكل أعني المسجد علي جبل عيبال ومن النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جرزيم وبين اليهود والعبرانيين والسامريين سلفاً وخلفاً نزاع مشهور وتدعي كل فرقة منهما أن الفرقة الأخرى حرفت التوراة في هذا المقام وكذلك علماء البروتستانت "^(٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٢٠٥/٢) .

(١) إظهار الحق : (٢٠٥/٢) .

(٤) تنثية : (٢٧/٣) المذبح على جبل عيبال

(٣) تنثية : (٢٧/٤) النص في النسخة الحالية " حين تعبرون الاردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم " .

(٥) إظهار الحق : (٢٠٩/٢) .

٢- النص في العبرانية يقول : " ونظر بئراً في الحقل وثلاثة قطعان غنم رابضة عندها لأن من تلك البئر كانت تشرب الغنم وكان حجر عظيم على فم البئر فقالوا ما نستطيع حتى تجتمع الماشية " ^(١) فقد حدث تحريف في لفظي قطعان غنم ، الماشية والصحيح لفظ الرعاة بدلها كما في النسخة السامرية واليونانية والترجمة العربية ^(٢) .

٣- وقع في أخبار الأيام الأول ٣٥/٩ في النسخة العبرانية " وكان اسم أخته معكاة " والصحيح أن يكون لفظ الزوجة بدل الأخت ^(٣) .

وقد استدل العلامة رحمة الله الهندي على ذلك بما قاله بعض مفسري الكتاب المقدس حيث قال : وقع في النسخة العبرانية لفظ الأخت ، وفي اليونانية واللاتينية والسريانية لفظ الزوجة وتبع المترجمون هذه التراجم ^(٤) . أما عن إثبات وجود التحريف بالزيادة في العهد القديم فقد ذكر العلامة الهندي ستة وعشرون شاهداً على وجود هذا النوع من أنواع التحريف اللفظي في العهد القديم منها :

١- وقع في سفر التكوين ١٤/٢٢ زيادة والنص يقول : " كما يقال في هذا اليوم في جبل الله يجب أن يترأى الناس " ولم يطلق على هذا الجبل جبل الله إلا بعد بناء البيت الذي بناه سليمان عليه السلام بعد أربعمئة وخمسين سنة من موت موسى عليه السلام وقال إن هذه الجملة إلحاقية باعتراف مفسري الكتاب المقدس ^(٥) .

٢- جاء في الآية ٢ من سفر التثنية الإصحاح ٢٣ مانصه : " لا يدخل ابن زنى جماعة الرب حتى الجيل العاشر " وهذا الحكم لا يمكن أن يكون من جانب الله ، وما كتبه موسى عليه السلام وإلا يلزم أن لا يدخل داود عليه السلام وآبؤه إلى فارص في جماعة الرب لأن داود بطن عاشر من فارص كما يفهم من الإصحاح الأول من إنجيل متى ، وفارص ولد الزنا كما في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين ومفسري الكتاب المقدس حكموا بأن هذه الألفاظ " وحتى الجيل العاشر إلحاقية " ^(٦) .

٣- جاء في ذيل الآية ٩ / ٤ من سفر يشوع : " إلى هذا اليوم هناك " ، وأمثالها وقعت في أكثر أسفار العهد العتيق والأغلب أنها إلحاقية ، فحكموا بإلحاق هذه الجملة، وإلحاق كل جملة تكون مثلها في العهد العتيق ^(٧) . أما عن التحريف بالنقصان فقد أثبت العلامة رحمة الله الهندي - وقوعه في العهد القديم وأورد على ذلك خمسة عشر شاهداً منها :

١- جاء في سفر الخروج (٢٢/٢) مانصه : " فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال : كنت نزيلاً في أرض غريبة " ولكن هذا النص في الترجمة اليونانية واللاتينية وبعض التراجم القديمة في آخر الآية المذكورة هذه العبارة : " وولدت أيضاً غلاماً ثانياً ودعا اسمه العازر فقال : من أجل أن إله أبي أعاني وخلصني من سيف فرعون " فقال المفسرون : لا توجد هذه العبارة في نسخة من النسخ العبرانية ^(٨) .

(١) تكوين : (٨-٢/٢٩) يعقوب عليه السلام (٢) إظهار الحق : (٢١٠/٢) . (٣) المرجع السابق : (٢١٠/٢) .

(٤) انظر : المرجع السابق نفس الجزء ونفس الصفحة ولزيد من التفصيل يراجع : إظهار الحق : (٢١٠/٢ - ٢٢٠) .

(٥) انظر : المرجع السابق (٢٢٥/٢) . (٦) إظهار الحق : (٢٢٩/٢) .

(٧) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة . (٨) المرجع السابق : (٢٤٧/٢) .

٢- جاء في سفر العدد (٦/١٠) مانصه : " وإذا ضربتم هتافاً ثانية ترتحل المحلات النازلة إلى الجنوب . هتافاً يضربون لرحلاتهم " وتوجد في آخر هذه الآية في الترجمة اليونانية هكذا " وإذا نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام الغربية للارتحال وإذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال " فالمتن العبراني هاهنا ناقص باعتراف المفسرين ^(١) .

٣- جاء في سفر التكوين (١٧/٧) في النسخة العبرانية مانصه : " وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض " وهذه الجملة في كثير من النسخ اللاتينية وفي الترجمة اليونانية هكذا : " وكان الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض " وعلى ذلك فالنص في العبرانية ناقص ^(٢) .

هذا بالنسبة للعلماء القدامى كابن تيمية وابن القيم والمحدثين كالعلامة رحمة الله الهندي أما بالنسبة للعلماء المعاصرين وكيفية تناولهم لإثبات التحريف في العهد القديم فبقراءة متأنية لما وقع تحت يدي من مؤلفات نقدية معاصرة يتضح لي من خلال الاستقراء والتتبع لتلك الجهود النقدية أن دراسة هؤلاء العلماء الأفاضل قامت على النقد العلمي في إثبات الحقائق وإقامة الحجة على من يدعي سلامة الكتاب المقدس من التحريف وإن كانت لم ترتق إلى مستوى دراسات القدامى من العلماء إلا أنها محاولات جادة وجهود قيمة في هذا الميدان من هؤلاء على سبيل المثال ل/ أحمد عبد الوهاب ، د/ أحمد حجازي السقا ود/ محمد دياب ... وغيرهم .

أما م/ أحمد عبد الوهاب ، في كتابه: "اختلافات في تراجم الكتاب المقدس" قد سار على نهج العلامة رحمة الله الهندي في مقابله بين النسخ والتراجم المتعددة للكتاب المقدس والتي أثبت من خلالها وجود الاختلاف الواضح بين النسخ وأكد أن هناك شواهد وفيرة على أن الكتبة غيروا بقصد أو بدون قصد في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها أو نقلها وأرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

- ١- الخطأ في القراءة أو في سماع بعض الكلمات أو في هجائها .
- ٢- الخطأ في التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات وما يجب أن يكون تركيباً واحداً .
- ٣- النسيان أثناء النسخ " الكتابة " فقد كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين وأحياناً ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها .
- ٤- التغيير في النص عن عمد فتغييرهم في النص الأصلي عن قصد قد مارسوه مع فقرات بأكملها حين كانوا يتصورون أنها مكتوبة خطأ في صورتها التي بين أيديهم .
- ٥- الحذف أو الزيادة كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات أو يزيّدون على النص الأصلي فيضيفون فقرات توضيحية .

(١) انظر : إظهار الحق (٢٤٧/٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٢٤٦/٢) .

٦- طول فترة الكتابة فقد طالت الفترة التي كتبت فيها النصوص الحالية ونقلتها أجيال متعددة من الكتب والنساخ من القرن ١١ ق.م إلى القرون الأولى ق.م. وأخذت صورتها النهائية في القرن الأول الميلادي .

٧- أخطأ النساخ الذين نقلوا من ترجمة إلى ترجمة أخرى^(١) . ثم ذكر ل/ أحمد عبد الوهاب أمثلة على هذه الاختلافات التي وجدت في تراجم الكتاب المقدس منها :

ما حدث في أول الوصايا العشر في التراجم المتعددة . تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : " تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً : " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"^(٢) وبهذا تقول التراجم الإنجيلية والفرنسية ولا يكن لك آلهة أخرى أمامي " لكن ترجمة الكتاب المقدس للكاتوليك وترجمة التوراة للكاتوليك تقول : " ولا يكن لك آلهة أخرى تجاهي " فإذا كان هناك داع لتعديل الترجمة التي تقول : " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي " فلتكن : " لا يكن لك آلهة أخرى إلا أنا " وهذا يتفق مع الصيغة الفرنسية الأخيرة^(٣) .

وبالنسبة لمحاولة د/ أحمد حجازي السقا - النقدية التي تضمنها كتابه نقد التوراة فإنه في هذا الكتاب سار على طريقة العلامة رحمة الله الهندي في الاستدلال على وقوع التحريف في التوراة فبين كيف تتم عملية التحريف خصوصاً فيما يتصل بالنص الذي يشير إلى ظهور نبي من وسط إخوتهم وأنه يكون مثل موسى عليه السلام وقام بالرد على زعمهم الفاسد في تأويلهم لهذا النص بأن المقصود بهذا النبي هو المسيح الذي ينتظرونه وأنه لم يكن عيسى عليه السلام ولا نبينا صلي الله عليه وسلم ، وبين بالأدلة العقلية والنقلية أن المقصود بهذا النبي الذي يكون مثل موسى هو رسولنا صلي الله عليه وسلم ثم بين أنواع التحريف التي وقعت في العهد القديم وحسم الخلاف الذي دار بين العلماء في نوعية هذا التحريف^(٤) .

ود/ محمد أحمد دياب ، في كتابه " أضواء على اليهودية " ناقش قضية التحريف في إشارات سريعة وانتهى إلى حقيقة هامة وهي : أن التحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في التوراة ، وأنها كتب غير متواترة ، فالتوراة التي كتبها موسى عليه السلام وأخذ العهد والميثاق على بني إسرائيل بحفظها^(٥) .

تقول : فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملتي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم : لأنني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم ، قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي ، اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليكم السماء والأرض ، ولأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيكم به ، ويصيبكم الشر في آخر الأيام ، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيطوه بأعمال أيديكم^(٦) .

(١) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ل/ أحمد عبد الوهاب ص ١٩ - ٢١ .

(٢) خروج : ٢٠ / ١ - ٢ الوصايا العشر . (٣) المرجع السابق : ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) ينظر : نقد التوراة د/ السقا ص ١٤٣ - ١٨٣ . (٥) انظر : أضواء على اليهودية د/ محمد أحمد دياب ص ١٣٢ .

(٦) تثنية : (٢٩-٣١ / ٢٩) التنبؤ بتمرد شعب إسرائيل .

الخور الثالث : وهو ابتداء كتب جديدة والزعم أنها من عند الله مثل : " التلمود " :

يحتل التلمود عند اليهود منزلة عظيمة إذ أنهم يعتبرونه من قديم الزمان كتاباً متراً مثل التوراة ما عدا بعض المعاندين فإنهم لا يعتقدون ذلك بالطبع^(١).

(وتعود أهمية التلمود إلى أنه سجل للتشريعات الدينية المنظمة للحياة اليهودية فمن خلاله أخذت الجوانب الشعائرية والتشريعية الدينية شكلها النهائي واستمرت حية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وفي مقابل الاهتمام بالنواحي الخاصة بالعبادة من طقوس وشعائر ومناسبات دينية وأحكام تشريعية فإن التلمود لم يهتم بصياغة العقائد والمفاهيم الدينية في مصطلحات عقائدية ثابتة ومحددة ورغم ذلك فإن اليهودية التلمودية تقوم على أسس متينة من يهودية العهد القديم^(٢) .

ويعتبر التلمود هو المصدر الثاني للتشريع اليهودي والمصدر الأول للسياسة الصهيونية ولا يوجد منه إلا عدة مخطوطات قديمة منها التلمود البابلي - الذي جمع في بابل بالعراق سنة ٥٠٠ م - والتلمود الأورشليمي - الذي جمع بفلسطين في القرن الثاني للميلاد^(٣) .

وخلاصة ما سبق :

١- أن الإيمان بالكتب المتزلة من عند الله ركن أساسي من أركان الإيمان فمن آمن ببعض الكتب وكفر بالبعض الآخر فهو ضال بعيد الضلال فيقول تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٤) .

٢- أنكر اليهود الإنجيل والقرآن ولم يعترفوا بهما مطلقاً ليشبوا أن شريعتهم هي الشريعة الخاتمة ؛ بل وامتدت أيديهم لتحريف الأناجيل لتخدم أغراضهم السياسية وغيرها ، أما القرآن فقد باءت محاولاتهم نحوه بالفشل فهو محفوظ من التبديل والتحريف فيقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٥) .

٣- تحريف اليهود للتوراة وكتب الأنبياء عن عمد إما بالزيادة أو بالنقصان وقد أثبت علماء المسلمين وقوع التحريف اللفظي والمعنوي في التوراة وكتب الأنبياء " العهد القديم " من واقع أقوال علمائهم أنفسهم ومن خلال نظرهم المتأنية للنصوص التوراتية ومقابلتهم النسخ بعضها ببعض .

٤- ابتداء اليهود كتباً جديدة ما أنزل الله بها من سلطان مثل التلمود ولكنها من وحي عقولهم الفاسدة واتخذوها مصدرًا أساسيًا من مصادر التشريع عندهم وهو في المرتبة الثانية بعد التوراة .

(١) الكثر المرصود في قواعد التلمود د/ يوسف نصر الله ص ٥٠ طبعة دار القلم - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م (٢) تاريخ الديانة

اليهودية أ / محمد خليفة حسن ص ٢١٣ ط / دار قباء القاهرة ط / ١٩٨٨ م .

(٣) التطرف اليهودي د/ عبد الراضي ص ٥٢ ولزبد من التفصيل انظر : التطرف اليهودي ص ٥٣ - ٥٦ ، والكثر المرصود ص ٤٧ ، ٤٨ ، واليهودية

د/ أحمد شلي ص ٢٦٥ - ٢٧١ ، وجهود الإمامين أ / سميرة عبد الله ص ٢٧٣ - ٢٧٦ ونقد التوراة د / السقا ص ٢٤ .

(٥) سورة الحجر الآية : (٩) .

(٤) سورة النساء جزء من الآية : (١٣٦) .

المبحث الرابع نقد تصور العهد القديم للنبوة والأنبياء

قبل الحديث عن تصور العهد القديم للأنبياء لابد من بيان حقيقة النبوة في العهد القديم وما الذي تحتمله هذه اللفظة " النبوة " من معان ومن هو النبي في وجهة نظر اليهود من خلال نصوصهم المقدسة في زعمهم .

١. حقيقة النبوة والأنبياء عند اليهود :

من أجل بيان هذه الحقيقة قد أسهم أ.د / سعد الدين صالح بإسهامات رائعة في نقد العقيدة اليهودية في النبوة والأنبياء وقد ربط في كتابه بين ما يعتقد اليهود في الإله وفي الأنبياء وبين تصرفاتهم في الماضي والحاضر فجاءت إسهاماته واقعية وموضوعية في نفس الوقت يزينها المنهج العلمي الذي سار عليه في نقده لهذه العقيدة وذلك يرجع إلى تخصصه الدقيق في الأديان فله إنتاج متميز في نقد اليهودية والنصرانية وقد بين فضيلته حقيقة النبوة في العهد القديم من خلال رؤية اليهود للنبوة وللأنبياء وأشار إلى أنهم حَمَلُوا لفظة النبوة أكثر مما تحتمل فأدخلوا تحتها ما ليس منها مما أوقعهم في مخالفات كثيرة جدًا فقال تحت عنوان مفهوم النبوة عند اليهود :

(المفهوم الصحيح للنبوة والرسالة : هو أنها اصطفاء من الله تعالى واختصاص منه لعبد من عباده يوحى إليه الحق من السماء سواء أمره بالتبليغ أو لم يأمره . ولكن النبوة عند اليهود كان لها مفهوم آخر فهي لا تقتصر على من اختارهم الله لذلك وإنما تتسع لكي تشمل كل من يدعي النبوة من الكهنة والسحرة والمخادعين والكاذبين^(١) .

ويقول : د/ عوض الله حجازي :

(وكلمة نبي في عرف اليهود واسعة المدلول فهي تشمل الأنبياء الذين اختارهم الله تعالى لرسالته وأنبأهم بوحيه لإصلاح حال المجتمعات التي وجدوا فيها كما تشمل الكثير من أدعياء النبوة الذين كان منهم الساحر والمنجم والمنافق وغيرهم وإلى هذا يشير حزقيال " قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب هكذا قال : " الرب ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً . أنبياءك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرب ... القائلون وحي الرب والرب لم يرسلهم^(٢)"^(٣) .

(١) العقيدة اليهودية أ.د / سعد الدين صالح ص ٣٢٢ وانظر الإسلام في مواجهة الاستشراق د/ المطيعي ص ١٢١ ، وانظر : أضواء على اليهودية من خلال مصادرها د/ محمد أحمد دياب عبد الحافظ ص ٧٣ ط دار المنار ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

(٢) الإصحاح : (١٣/٦ - ٦) نبوة ضد الأنبياء الكذبة .

(٣) مقارنة الأديان أ.د/ عوض الله حجازي ص ١١٧ ط دار الطباعة المحمدية - القاهرة - بدون . وانظر : جهود الإمامين أ/ سميرة عبد الله ص

(والأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم يقسمهم اليهود إلى قسمين :

(١) أنبياء كبار مثل : أشعياء - أرمياء - دانيال .

(٢) أنبياء صغار مثل : هوشع - عاموس - يونان .

وفي الوقت ذاته يدعون أن النبوة بدأت بموسى عليه السلام وانتهت بملاخي أما من كان قبل موسى من أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب فيسموهم الآباء أو البطارقة - أي العلماء - (١) .

ويؤكد أ.د/ سعد الدين صالح هذا الرأي بقوله :

(وهذا التقسيم لا أساس له من الصحة فليس هناك نبي صغير ونبي كبير بل الأنبياء كلهم سواء ، قد يُفضل بعضهم على بعض كأولى العزم من الرسل أما تقسيم اليهود لهم لا يليق بمكانة الأنبياء) (٢) .

٢. رؤية العهد القديم للأنبياء :

لقد وقف النقاد من علماء المسلمين مع رؤية العهد القديم للأنبياء وقفة متأنية فاحصة وربطوا بين نظرة اليهود للإله وبين نظرهم إلى الأنبياء وأهم بنفس درجة الانحراف في عقيدتهم في الإله قد انحرفوا في عقيدتهم في الأنبياء فيقول أ.د / عبد الغني عبود في نقده لعقيدة الأنبياء عند بني إسرائيل :

(تعامل بنو إسرائيل بنفس الأسلوب الذي تعاملوا به مع إلههم فأرادوا أن يسوقوا الأنبياء أمامهم لتحقيق أغراضهم ومطامعهم بدلاً من أن يقودهم هؤلاء الأنبياء إلى الطريق الذي يجب أن يسلكوه ، وإذا كانت وظيفة إله بني إسرائيل محددة في أن يحقق لهم النصر على الأعداء فقد تحددت وظيفة الرسل عندهم في أن يكونوا واسطة بينهم وبين هذا الإله) (٣) .

(١) مقارنة الأديان أ.د/ عوض الله حجازي ص ١١٧ .

(٢) العقيدة اليهودية : ص ٢٢٣ .

(٣) اليهود واليهودية أ.د/ عبد الغني عبود ص ٣٩ .

ويقول د/ صفوت مبارك عن تدني نظرة اليهود إلى الأنبياء لدرجة وصفهم بارتكاب الجرائم وحاشا لله أن يكونوا كذلك فهم صفوة الله من خلقه :

يلاحظ على أسفار العهد القديم أنها حين تتحدث عن الأنبياء لا تنظر إليهم بوصفهم صفوة الله من خلقه وأمنائه على تبليغ وصاياه للبشر ، وهم القدوة والأسوة الحسنة لغيرهم من الناس ، وهم من أجل ذلك يجب أن يتصفوا بكل الكمالات البشرية ، ويتزهوا عن جميع النقائص والمثالب ، وعند مراجعة أسفار العهد القديم يتضح أن هذا الكتاب المقدس عند اليهود لا يتورع عن أن يلصق بالأنبياء كل نقيصة ، يكاد يشمل بذلك جميع الأنبياء ، وقد كان رد الفعل الطبيعي لذلك أن بالغ المسيحيون بعد ذلك في تزيه المسيح عن كل نقص بشري ، وغالوا في ذلك حتى رفعوه إلى مقام الألوهية^(١) .

٣. ألقاب الأنبياء في العهد القديم :

بين د / حسن ظاظا ، أ/ محمد خليفة حسن والباحثة / سميرة عبد الله ، ألقاب الأنبياء والرسل في العهد القديم ووظائفهم من هذه الألقاب :

النبى ، رجل الله ، الرائي : حيث جاء في سفر صموئيل : (قديماً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل رؤيم عند ذهابه ليسأل الله " هل نذهب إلى الرائي ، لأن النبي اليوم كان يدعي سابقاً الرائي ")^(٢) وقد كان الرائي يخبر بما سيكون وينبئ بالغيب حسب علامات معروفة تلقى دلالاتها وتأويلاتها نقلاً عن سابقيه ، كما كان حكيماً وساحراً وعرافاً^(٣) .

وفي بيان أ / سميرة عبد الله ، لمفهوم النبوة وأنه قد اتسع مدلولها في العهد القديم ليشمل شخصيات متعددة من هؤلاء نساء نبيات والأنبياء الكذبة كما تعتقد اليهود وأما النساء النبيات مثل مريم أخت هارون " فأخذت مريم النبوة أخت هارون الدف بيدها " ^(٤) " ودبورة " ودبورة امرأة نبيّة زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت " ^(٥) وخلدة امرأة شلوم " فذهب حلقي الكاهن وأحيقاص وعكبور وشافان وعسايا إلى خلدة النبوة امرأة شلوم بن تقوة ^(٦) " وغيرهن .

(١) مدخل لدراسة الأديان د/ صفوت مبارك ص ١٣٠ بتصرف .

(٢) صموئيل الأول : (٩ : ٩) مجيء شاول إلى صموئيل وانظر : أبحاث في الفكر اليهودي د/ حسن ظاظا ص ٦٢ .

(٣) ينظر : جهود الإمامين ص ٣٧٧ ، أبحاث في الفكر اليهودي ص ٦٢ وينظر : تاريخ الديانة اليهودية أ/ محمد خليفة حسن ص ١١٨ .

(٤) خروج : (٢٠/٢١ - ٢١) ترنيمة موسى ومريم .

(٥) قضاة : (٤/٤) دبورة وباراق .

(٦) ملوك الثاني : (١٤/٢٢) العثور على كتاب الشريعة .

وينتقد د/ محمد على البار نظرة العهد القديم إلى الأنبياء فيقول مؤكداً الرؤية النقدية السابقة : يفاجأ من يطالع العهد القديم بالأعداد الكبيرة للأنبياء وهم يطلقون لفظ نبي على كل شخص يتنبأ بأمور المستقبل ووظيفة النبي عندهم تشبه وظيفة المنجمين حتى إنهم زعموا : أن لكل من ملوك بني إسرائيل مجموعة كبيرة من الأنبياء يتنبأون له عما ينبغي أن يفعله : هل يقاتل أم لا ؟ هل يخرج لملاقاة العدو أم يمكث في المدينة ... ؟ وكان لكل معبد من المعابد - بالإضافة إلى الكهنة - مجموعة من الأنبياء ^(١) .

ثم تحدث عن النبيات من النساء مستدلاً بالنصوص سالفة الذكر عن مريم ودبورة وخلدة وقال إنه من الغريب حقاً أن التوراة لم تصف موسى ولا هارون عليهما السلام بالنبوة ووصفت هؤلاء النسوة بالنبوة ^(٢) .

الأنبياء الكذبة :

وبنظرة نقدية تحمل في طياتها التعجب لما ورد في العهد القديم من الإخبار عن وجود أنبياء كذبة يقول د/ محمد على البار :

إذا كانت أسفار العهد القديم قد اهتمت أنبياء الله الصادقين بكل نقيصة فما بالك بصفات الأنبياء الكذبة وقد تحدثت أسفار العهد القديم عن ظهور أعداد كبيرة من المتنبيين وأشار إلى النصوص التي تؤكد هذا الكلام ^(٣) .

أما ل.م/ أحمد عبد الوهاب في كتابه: «النبوة والأنبياء» قد أخذ جولة بين أقوال النقاد الغربيين للكتاب المقدس وبمنظرة نقدية تنم عن متبحر في هذا الجانب وباحث له باع طويل في دراسة الكتاب المقدس والمقارنة بين تراجمه المتعددة جاءت حصيلة جولته النقدية حول موضوع النبوة والأنبياء تقرر الحقيقة التالية :

(أنه لا يوجد معيار حقيقي لتمييز حقيقة الظواهر التي اقترنت بكل من الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذابين ويتبين ذلك مما نقرأه في سفر التثنية " إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم كي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ^(٤) ") ^(٥) .

(١) المدخل لدراسة التوراة د/ محمد على البار ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ بتصرف بالحذف .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٢٢٣ .

(٣) تثنية : (١٨/٢٠-٢٢) ، تثنية : (١٣/٥) ، ملوك الأول : (٢٢/١٠-٢٣) ، ملوك الأول : (١٨/١٧-٢٥) ، ملوك الأول : (١٨)

(٤٠-٢٦) ، أرميا : (١٤/١٤) ، أرميا : (٢٣/١١-٣٥) ، حزقيال : (١٣/١٣) ، (ميخا ١/٣-٥) وينظر : المدخل لدراسة التوراة د/ البار ص ٢٢٧-٢٣٠ وانظر : تاريخ الديانة اليهودية أ/ محمد خليفة حسن أحمد ص ١٤٤ - ١٤٧ .

(٤) الإصحاح : (١٣/٣) .

(٥) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ل/ أحمد عبد الوهاب ص ١٦ مكتبة وهبة ط ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

وقدم أ/ آدم الألورى رؤية نقدية لنظرة اليهود للأنبياء من خلال نصوص العهد القديم فقال :

إن اليهود لم يعطوا النبوة حقها ؛ بل لم يعترفوا ببعضهم كأنبياء وبالتالي برروا لأنفسهم أن يلصقوا بهم التهم والزور والبهتان ، ومما يؤكد عدم المعرفة هذه أنهم اعتبروا نوحًا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى أنبياء ورغم ذلك لم ينصفوهم ولم يترلوهم المكانة اللائقة بهم واعتبروا يوسف وداود وسليمان ملوكًا فناصرهم العداء وقتلوا معظم الأنبياء الذين أرسلهم الله ﷻ إليهم (١) .

و د/ محمد البار ، عرض المخالفات التي نسبتها التوراة للأنبياء ونقدها ، وفي نقده لهذه المخالفات قدم الرؤية النقدية على النصوص وبين الرؤية الإسلامية للأنبياء كل على حدة فيقول :

ونحن نبرئ الأنبياء عليهم السلام جميعًا من هذه التهم ... ونعتقد اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه أن الأنبياء هم صفوة البشر وأنهم لم يبلغوا هذه المكانة عبثًا ، فهم على أعلى درجة من الخلق والانضباط . ولا تجوز أن تحدث منهم الصفات فضلاً عن الكبائر والكفر والعياذ بالله كما تنسب لهم التوراة ونرى أيضاً أن الأنبياء معصومون عن ارتكاب المعاصي (٢) .

وأكثر من نقل النصوص التوراتية التي تقدح في الأنبياء وذويهم وترميهم بما يناهى الأخلاق والذوق السليم وبين أنها افتراء وكذب على رسل الله الذين هم صفوة الله من خلقه . ومن كثرة ما نقل من نصوص بعيدة عن العفة تصيب من يقرأها بالألم النفسي والغثيان استوقف قلমে في منتصف عرض النصوص وقال :

الأمر فظيع فظيع ... ولم تعد أعصابنا تحتمل مواصلة قراءة هذه التوراة المحرفة والتي كانت هدىً ونوراً عندما أنزلها الله تعالى ، فأصبحت بعد التحريف رجساً وظلمات بعضها فوق بعض بسبب تحريف اليهود وأكاذيبهم (٣) .

ثم تتبع الأسفار مبيئاً ما تحتويه من مخالفات تجاه الأنبياء وفي نهاية حديثه عن الأنبياء في العهد القديم بين دور اليهود في العصر الحديث في انتشار الجرائم الأخلاقية وقدم إحصائيات لهذه الجرائم في العالم .

(١) انظر : تاريخ الدعوة إلى الله - آدم الألورى ص ٧٥ .

(٢) المدخل لدراسة التوراة د/ محمد علي البار ص ٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٤ .

وقد أرجع د/ البار انتشار هذه الجرائم إلى تطبيق اليهود لهذه النصوص التي تشير إلى الانحراف تطبيقاً حرفياً .

وخلاصة هذه المحاولة الجادة التي قام بها د/ محمد على البار في كتابه تُظهر بوضوح وجلاء المسلك الذي اتبعه في دراسة التوراة والعهد القديم وهو :

- (١) تقديم الرؤية النقدية على النصوص .
- (٢) العنونة للنصوص بما تحتويه .
- (٣) الإكثار من نقل النصوص دون التعليق عليها إلا النذر اليسير .
- (٤) الربط بين النص والواقع . ففي نهاية عرض النصوص يربط بين النص والواقع بالأدلة والإحصائيات .
- (٥) ضبط العملية النقدية بمنظور الإسلام .

أما د/ محمد دياب عبد الحافظ الأستاذ بجامعة الأزهر قد فند مفهوم النبوة عند اليهود وبين أن رؤية الكتاب المقدس للنبوة ليست رؤية صحيحة فهي فيه نبوءة السحر والرؤيا والأحلام والكهانة وغير ذلك وكلها مما يدعيه المتنبيون ، وبين أيضاً : أن اليهود لم يعرفوا النبوة الحقيقية - بمعناها الصحيح - إلا بعد احتكاكهم بالعرب بعد عودتهم من مصر بقيادة سيدنا موسى عليه السلام ، وقال : إنهم رغم معرفتهم للنبوة الإلهية مازالوا يخلطون بين مطالب السحر والتنجيم ومطالب الهداية الإلهية ويجعلون الاطلاع على المغيبات امتحان لصدق النبي في دعواه أصدق وألزم من كل امتحان ففي أخبار صموئيل أنهم كانوا يقصدونه ليدلهم على مكان الماشية الضائعة ويعطونه أجره على ردها ^(١) فتقول التوراة :

" خذ معك واحد من الغلمان وقم اذهب فتش على الأتن ... هو ذا نذهب فماذا نقدم للرجل ؟ لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا وليس من هدية نقدمها لرجل الله ماذا معنا : فعاد الغلام يقول هو ذا يوجد بيدي ربع شافل فضة فأعطيته لرجل الله فأخبرنا عن طريقنا ^(٢) .

(١) انظر : أعضاء على اليهودية د/ محمد أحمد دياب ص ٧٥ مرجع سابق .

(٢) صموئيل الأول : (٩-٣/٧) .

ومن خلال استقراء وتتبع جهود العلماء حول بيان مقام الأنبياء عليهم السلام في العهد القديم وجدت المحاولات النقدية للعلماء تتميز بالسلمات التالية :

١. النقد الإجمالي :

من العلماء من يتسم نقده بالنظرة الإجمالية دون الدخول في التفاصيل نظراً للتشابه في نصوص التوراة حول ما ألصق بالأنبياء تفادياً للتكرار واكتفي بعرض النص لوضوح المخالفة فيه مع الإشارة إلى موضع الخلل في هذا النص أو التناقض والتعارض وهذه السمة تظهر أحياناً في نقد د/ بدران في كتابه: "التوراة" وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والألوسي - رحمهم الله جميعاً - .

٢. التفصيل والتوضيح :

وذلك من خلال إبراز التناقض وتقويمه وقد تناول بعض العلماء نقد ما يقدح في النبوة والأنبياء بتقديم رؤية نقدية واضحة ومفصلة مبينا مكانتهم اللاتقة بهم وما يقره العهد القديم من صفات حسنة لهم ويتبع ذلك بيان افتراءات العهد القديم عليهم وانحراف اليهود فيما يعتقدون فيهم ، وبعد ذلك يلقي نظرة تقويمية لما استدل به من نصوص من خلال المنظور الإسلامي لمقام النبوة والأنبياء ومن هؤلاء د/ الهاشمي والباحثة / سميرة عبد الله .

٣. الوحدة الموضوعية في المعالجة النقدية :

وهذه السمة تظهر جيداً في البحث العلمي المعاصر الذي يمتاز بحسن التوبيب والترتيب وتنظيم المعلومات تحت عناوين رئيسة ومفاهيم محددة ويراعي فيها الوحدة الموضوعية فيأتي بالنص موضع الشاهد ويذكر ما يعضده من نصوص أخرى في ذات الموضوع من سائر أسفار العهد القديم ثم يناقش هذا الموضوع مناقشة موضوعية ومن هؤلاء : د/ عبد الوهاب المسيري ود/ الهاشمي ، ود/ المطعني ، ود/ صفوت مبارك ، ود/ عبد الراضي محمد وغيرهم .

٤. الدراسة التحليلية التي تعتمد على المناقشة والاستنتاج :

وظهور هذه السمة في جهود العلماء هدفها الأساسي الوصول إلى ما تهدف إليه مفردات النص بعيداً عن التأويل الذي يصرفه عن وجهه الأصلي وبيان الملاحظات التي تؤخذ على النص التوراتي من حيث التفسير الخاطئ للنص من قبل مفسري الكتاب المقدس ، وهذه السمة ظهرت بوضوح في جهود العلامة رحمة الله الهندي ود/ المطعني .

وبعد بيان بعض السمات التي تتميز بها الجهود النقدية لعلمائنا الأفاضل في تقديمهم لما ورد في حق الأنبياء
أبين هذه الجهود من خلال العناوين التالية :

- ١- المقام الحسن لكل نبي من الأنبياء في العهد القديم .
- ٢- بيان افتراءات العهد القديم على الأنبياء .
- ٣- عرض لجهود العلماء في الرد على تلك الافتراءات .
- ٤- التقويم .

وعند تتبع جهود علمائنا الأفاضل حول النبوة والأنبياء في العهد القديم يتبين أنهم قد أماطوا اللثام عن أمور خطيرة ألصقت بالأنبياء عليهم السلام . ونقدوها نقدًا علميًا من خلال نصوص العهد القديم التي تثبت عكس ما يدعون ويطلق بعضها بعضًا ؛ لما فيها من التناقض والتعارض الذي يظهر عند المقابلة بين الأسفار من جهة وبين النصوص في السفر الواحد من جهة أخرى . مع ملاحظة أن بعض الكتاب قام بدراسات موسعة عن بعض الأنبياء ولم يتوسع في البعض الآخر ويرجع ذلك إلى كثرة النصوص التوراتية عنهم .

ولما كان تناول جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم فيه شيء من التطويل رأيت أن أذكر بعضًا من الأنبياء الذين ذكرهم العهد القديم ولكنه لم يعطهم حقهم من الإجلال والاحترام وذلك على النحو التالي :

١. سيدنا نوح عليه السلام :

المقام الحسن لسيدنا نوح عليه السلام في العهد القديم : ذكرت الباحثة / سميرة عبد الله النصوص التي تصف نوحًا عليه السلام بالرجل البار بمسيرته على أوامر الله عز وجل وجميع أهل بيته وقد أنقذه الله وجميع أهل بيته لبره وصلاحه في السفينة التي أمره بصناعتها من هذه النصوص :

- ١- " وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب وكان نوح رجلًا بارًا كاملاً في أجياله وسار نوح مع الله" ^(١) .
- ٢- "وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأنني إياك رأيت بارًا لدي في هذا الجيل" ^(٢) .
- ٣- "وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء" ^(٣) ^(٤) .

(١) تكوين : (١٠-٨/٦) الطوفان .

(٢) تكوين : (١/٧) بدون .

(٣) تكوين : (٢-١/٩) عهد الله مع نوح .

(٤) جهود الإمامين : ص ٣٨٦ .

ب- افتراءات العهد القديم علي سيدنا نوح عليه السلام :

١. زعموا أنه سكر حتى تعرى والنص يقول : " وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ^(١) .

٢. زعموا أن نوحاً عليه السلام يلعن كنعان بن حام لذنوبه لم يقتطفه بل وقع فيه والده عن غير قصد فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر إخوته خارجاً فأخذ سام وياث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى السوراء ، وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته وقال : " مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم ، ليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم ^(٢) " ^(٣) .

ج- جهود العلماء في الرد على هذا الافتراء :

ينتقد د/ بدران هذا الافتراء الذي افترته التوراة على سيدنا نوح عليه السلام فيقول متسائلاً : لماذا أسكرته التوراة ؟ وما أهمية ذكر مثل هذه الواقعة في كتاب مقدس . وأجاب على ذلك بقوله قد يرجع السبب في هذا : إظهار الحقد الدفين في قلوبهم تجاه الفلسطينيين وهذا تشويه لصورة سيدنا نوح عليه السلام ^(٤) .

ويرد ل.م/ أحمد عبد الوهاب على هذا الزعم بقوله :

من الواضح أن هذه أول بذرة لما يعرف بـ " السامية " باعتبارها عرقاً جنسياً يتعالى عن بقية البشر ، ولو كانوا أخوة " أبناء أب واحد " وإذا كان علماء اليوم على إدراك تام بأن الحديث عن السامية لا يعني مدلولاً عرقياً ، وإنما يمكن أن يعطى مفهوماً لغوياً بمعنى أن الشعوب التي عاشت في منطقة الشرق الأوسط تكلمت لغات بينها أواصر قرى وتعرف بمجموعة اللغات السامية — نسبة إلى سام بن نوح — ^(٥) .

وثمة تساؤل يلح عن الظلم الفادح الذي أصاب كنعان بسبب تصرف نُسب إلى أبيه حام ، إذ من الواضح أن كنعان بريء تماماً من كل خطية تورثه اللعنة والعبودية أو حتى ما هو أقل منهما بمراحل كاللوم والتقريع . وإذا كان هناك من يدان فهو بلا شك شخص آخر غير كنعان وأبيه حام ^(٦) .

(١) تكوين : (٢٠/٩ - ٢١) أولاد نوح .

(٢) تكوين (٢٢/٩ - ٢٧) السابق .

(٣) وينظر : جهود الإمامين ص ٣٨٦ ، ٤١١ .

(٤) التوراة : د/ بدران ص ٤٨ .

(٥) النبوة والأنبياء ل.م / أحمد عبد الوهاب ص ٣٣ ، والمنجد في اللغة والأعلام ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٦) المرجع السابق ص ٣٣ ، ٣٤ .

ويعلق د/ عبد الراضي محمد على هذه التهمة التي ألصقت بنوح عليه السلام ويأخذ عليها أنه كيف يؤخذ الابن بذنب أبيه فيقول : (والعجيب أن الذي أذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان ، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان ، وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل وهذا وجه آخر من وجوه التطرف اليهودي)^(١) .

ويتعجب د/ الهاشمي أيضاً في نقده لهذه الفرية فيقول : (لم هذه اللعنة ؟! إنها يجب أن تنصب أولاً على من يسكر ويتعري وهو نوح عليه السلام - في زعمهم - لا على من يرى عورة السكران المتعري ! والرائي هو حام الأب والملعون هو كنعان الولد الثالث لحام وهل تُستجاب دعوة السكران المتعري ؟ وكيف يكون النبي كذلك ؟)^(٢) .

(ثم لو صحت اللعنة وقبلت فلم لم تقع على الرائي وهو حام - الأب - وتقع على ولده كنعان الذي لم ير العورة ؟ إنه الخبث والدهاء في الواقعة ، بل الغباء في الاتهام ، لأن كنعان أبو العرب وذريته الكنعانيون هم سكنة فلسطين الأصليون والشرعيون وأعداؤهم التقليديون في فلسطين طيلة تواجدهم فيها حتى زمن أوسع مملكة لهم فيها : " مملكة داود وسليمان " عليهما السلام " لذا لا بد لليهود في توراتهم من استبعاد ذرية حام - الكنعانيين - ومن يحمل عليهم من المصريين والسودانيين والأحباش والعرب جميعهم ملعونون في توراتهم من غير أي سبب إلا ليكون العرب الكنعانيون أعداء تقليديين قدماء ومعاصرين لهم في فلسطين)^(٣) .

وبناءً على سبق

فإن ما ادعاه العهد القديم في حق سيدنا نوح عليه السلام هو من الأباطيل والخرافات إذ كيف يتصور أن نبي الله يشرب الخمر حتى يسكر ويتعري ثم بعد أن يفيق ويعلم ما حدث يفرق بين أولاده فيدعو على كنعان ويبارك سام ويافث ، وقد تبين من خلال نقد العلماء أن الدافع وراء تفضيل سام ويافث هو كراهية الفلسطينيين والعرب عموماً لأن كنعان أبو العرب وبهذا تتم عندهم أفضلية النسل الأعجمي على النسل العربي وقد فند العلماء هذه الأكاذيب وبرؤا ساحة نبي الله نوحاً عليه السلام الذي أخبر الله ﷻ بأنه كان نبياً يوحى إليه فقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(٤) وكان رسولاً يدعو إلى التوحيد ويحذر من أهوال يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٥) . وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾^(٦) . وغير ذلك من الآيات التي تبين مقام سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم^(٧)

(١) التطرف اليهودي د/ عبد الراضي ص ٣٢ . (٢) فلسطين في الميزان د/ الهاشمي ص ١١٢ . (٣) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٤) سورة النساء الآية : (١٦٣) . (٥) سورة الأعراف الآيتان : (٥٩) . (٦) سورة نوح الآية : (٥) .

(٧) انظر: النبوة والأنبياء : ص ٣٤-٣٦ .

سيدنا إبراهيم عليه السلام :

أ. المقام الحسن لسيدنا إبراهيم عليه السلام في التوراة :

ذكر د/ الهاشمي والباحثة / سميرة عبد الله بعض ما ورد في العهد القديم من نصوص تدل على الصفات

الحسنة التي كان يتمتع بها سيدنا إبراهيم عليه السلام منها :

١. هو أمة كمقامة في القرآن : " وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ، ويتبارك به جميع أمم الأرض " (١) .
٢. امتازت حياته بالكرم (٢) ، وضيافة الأعراب (٣) ، والإخلاص والوفاء والأمانة والحنو والرفقة والعاطفة (٤) وغير ذلك من النصوص (٥) .

ب- افتراءات التوراة على سيدنا إبراهيم عليه السلام :

١. ترغم التوراة : أن إبراهيم عليه السلام حين كان راجعاً من شرق الأردن إلى فلسطين أخرج له ملكها " ملكي صادق " خبزاً وخمراً لإنعاشه وإنعاش جنوده الذين معه فأكلوا وشربوا " (٦) .

٢. وترغم : أن إبراهيم عليه السلام يخالف تعاليم الله ﷻ في الميراث بما ينم عن ... خروجه عن طاعة الرب فقد نص سفر التثنية على أن إبراهيم عليه السلام ورث ماله كله لإسحاق وحرّم منه إسماعيل : " وأعطي إبراهيم إسحاق كل ما كان له وأما بنوا السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي " (٧) .

٣. وتزعم : أن إبراهيم عليه السلام يرضي بظلم سارة وذلكها لهاجر زوجته الثانية ويقول لها افعلّي بها ما يحسن في عينيك : " فقال إبراهيم لساراي هو ذا جاريتك في يدك افعلّي ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي فهربت من وجهها " (٨) .

(١) تكوين : (١٨/١٨) صلاة إبراهيم من أجل سدوم .

(٢) انظر : تكوين : (٩/١٣) ، (٢٣/١٤) إبراهيم ينقذ لوطاً .

(٣) انظر : تكوين : (٨-٢/١٨) الزوار الثلاثة .

(٤) انظر : تكوين : (١٤/١٤ ، ٢٤) ، (٢٣-٣٢) ، (٢/٢٣) موت سارة .

(٥) انظر : فلسطين في الميزان ، د / الهاشمي ، ص ٣٠ ، جهود الإمامين ، ص ٣٨٧ .

(٦) انظر : تكوين : (١٨/٤) قايين وهابيل .

(٧) تكوين : (٦-٥/٢٥) موت إبراهيم .

(٨) تكوين : (٦/١٦) هاجر وإسماعيل .

٤. تنازله عن زوجته مرتين - مرة لفرعون - بحجة خوفه من القتل ثم ربح بها هدايا ثمينة من ذهب وفضة وجوار وحير وجمال وغنم وبقر ... غير أن فرعون لم يمسسها ^(١) . والنص يقول : قال إبراهيم لزوجته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك ، قولي إنك أختي ليكون خير بسببك .. ونحيا نفسى من أجلك ^(٢) ثم تنازله عن هذه الزوجة للمرة الثانية لأبيمالك فلم يمسسها بسبب رؤيا حذرته منها ثم أرجعها إلى زوجها إبراهيم مع هدايا نفيسة ^(٣) .

ج- جهود العلماء فى الرد على هذه الافتراءات :

وينتقد العلامة رحمة الله الهندي ما لفته كتبه العهد القديم لسيدنا إبراهيم عليه السلام بطرحه أسئلة استفهامية يستنكر من خلالها هذه الافتراءات فيقول : كيف يجوز للعقل أن يرضى إبراهيم بترك حريمه وتسليمها ولا يدافع عنها ، ولا يرضى بمثله من له غيره ما ، فكيف يرضى مثل إبراهيم الغيور ^(٤) .

وانتقد صاحب تفسير الميزان قصة إبراهيم عليه السلام فى التوراة نقداً إجمالياً بعد ما عرضها دون أن يدخل فى التفاصيل فقال :

هذه القصة فيها من التدافع بين جملها والتناقض بين أطرافها مما يدل على أن هذا الكتاب المقدس لعبت به أيدى التحريف فلقد أهملت التوراة ذكر مجاهداته فى أول أمره وحجاجاته لقومه وما قاساه منهم من المحن والأذى وهى طلائع بارقة لماعة من تاريخه عليه السلام ولقد أهملت أيضاً ذكر بنائه الكعبة المشرفة وما يتعلق بها وليس إهمال ذكره إلا لترعه إسرائيلية من كُتّاب التوراة ومؤلفيها دعته إلى الصفح عن ذكر الكعبة ! وإحصاء ما بناه من المذابح ... ونسبت إليه أيضاً ما لا يلائم مقام النبوة ^(٥) .

أما د/ بدران : له مآخذ على ما ورد فى التوراة حول قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فيقول : لقد شوّهت التوراة صورته ... ويبدو أن كتبه التوراة أقاموا حلفاً مع الشيطان وأخذوا معه العهد على تلويث صورة الأنبياء العظماء ... فألصقوا لإبراهيم خليل الله أشياء لا تليق بمكانته .. ولا بنبوته بل لا تليق مطلقاً بإنسان له كرامته ^(٦)

(١) تكوين : (١٢/٤-١٥) دعوة إبراهيم .

(٢) تكوين : (١٢/١١-١٣) إبراهيم فى مصر .

(٣) ينظر : القصة كاملة فى تكوين : (١٢/١٠-٢٠) ، (١٣/١-٣) ، (١٥/١-٢٠) إبراهيم وأبيمالك .

(٤) إظهار الحق : (٥٥٦/٢) .

(٥) العلامة محمد حسين الطباطبائي : (٢٢٥/٧) بتصرف بالحذف .

(٦) التوراة : د/ بدران ص ٥٠ .

وعن موقفه الذي تنازل فيه عن زوجته لفرعون يقول د/ بدران : هكذا صورت التوراة إبراهيم عليه السلام وألصق له كتبته أشياء غير أخلاقية وجعلته يؤثر الأشياء الدنيوية على شرفه ... ألصقوا به الخوف وعدم الاهتمام بالشرف لجحد أن يملأ بطنه ، وماذا عن موقف فرعون ^(١) ؟ تقول التوراة :

" إن فرعون اتخذ سارة زوجة له .. ولما عرف أن سارة زوجة إبراهيم دعاه وقال له : " ما هذا الذي صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت هي أختي ؟ حتى أخذتها لي لتكون زوجتي ؟ والآن هو ذا امرأتك . خذها واذهب " ^(٢) .

(وهكذا كان موقف فرعون أسمى وأنبل من موقف إبراهيم عليه السلام هكذا أوقفت التوراة إبراهيم عليه السلام موقفًا خسيسًا يرضى لزوجته أن تكون لغيره) ^(٣) وحاشا لله أن يصدر ذلك من أبي الأنبياء و خليل الرحمن وكل ما نسبته له التوراة كذب وافتراء .

وينتقد د/ محمد دياب ما نسب لسيدنا إبراهيم عليه السلام في التوراة بقوله : هكذا يحوى كتاب اليهود المقدس الكثير من اللغو والعبث والهذى فينسب ل خليل الرحمن الاتجار بالعرض والشرف كما يصفه بالكذب عندما قال عن سارة لما سأله أيمالك - من هذه ؟ قال أختي - ^(٤) .

موقف القرآن الكريم من سيدنا إبراهيم عليه السلام .

إن ما نسبته التوراة إلى إبراهيم - عليه السلام - زور وبهتان ومحض افتراء على خليل الرحمن فهو أعلى منازل الأنبياء بعد رسولنا - ﷺ - فقال تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ ^(٥) بل إنه أمة بميزان القرآن الكريم وهو فرد فقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ ^(٦) وهو من أولى العزم من الرسل قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ ^(٧) . وهو باق الكعبة ومطهرها من الأصنام فقال تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ ^(٨) . وغير ذلك من الآيات التي تبين مقامه الرفيع عند الله سبحانه وتعالى .

(١) التوراة : د/ بدران ص ٥٠ .

(٢) تكوين : (١٢/١٨-٢٠) إبراهيم في مصر .

(٣) التوراة : د/ بدران ص ٥٠ .

(٤) أنظر : أضواء على اليهودية د/ محمد دياب ص ٨٣ .

(٥) سورة النساء الآية : (١٢٥) .

(٦) سورة النحل الآية : (١٢٠) .

(٧) سورة الأحزاب الآية : (٧) .

(٨) سورة البقرة الآية : (١٢٧) وانظر : فلسطين في الميزان د/ الهاشمي ص ٢٩ .

سيدنا لوط عليه السلام :

ذكرت الباحثة / سميرة عبد الله ما يدل على المقام الحسن لسيدنا لوط عليه السلام في التوراة فقالت : لقد وجد لوط عليه السلام نعمة في عيني الرب فأرسل ملائكته لإخراجه هو وأصهاره وبنيه وبناته من مدينة سدوم التي أرسلوا لإهلاكها ومن فيها لشرور أنفسهم وقبائح أعمالهم ونص ذلك :

" وقال الرجلان وهما - من الملائكة - للوط من لك أيضاً هاهنا ؟ أصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك في المدينة اخرج من المكان لأننا مهلكان هذا المكان " (١) . فلا بد أن يكون لوط باراً تقياً للرب ليستحق نجاة الرب له ومن خطاب لوط لربه يثبت ذلك حيث إنه يقول : " وهو ذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إليّ باستبقاء نفسي " (٢) .

ب. افتراءات العهد القديم على نبي الله لوط عليه السلام :

برهن علماء المسلمين على افتراء العهد القديم على نبي الله لوط عليه السلام بالنص التالي : " ثم إن لوطاً ... سكن في الجبل وابنتاه معه ... فسكن المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : " أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقى أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحبي من أبينا نسلاً " ، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، وحدث في الغد أن اضطجعت الصغيرة معه ... فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه " موآب " وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه " بن عمي " وهو أبو بني عمون إلى اليوم " (٣) .

ج- جهود العلماء في نقد هذه الافتراءات والرد عليها :

يقول د / الهاشمي :

ومن يقرأ التوراة لا سيما سفر التكوين يجد مؤلفيها قد سفهوا جميع الأقوام وأنبياءهم ما عدا قناة واحدة تمتد من نوح إلى يعقوب إسرائيل عليه السلام وألصقوا بسوى هذه القناة من الأنبياء وأسرههم وشعوبهم شتى المساوي والمخازي لينتهوا بالنتيجة إلى إسرائيل وبنيه - البورثة الموعودين الشرعيين لأرض الميعاد إذ بزعمهم كذا ! فأغرقوا البشر أجمع إلا نوحاً وأهله وأولاده ثم أبعدهم من ولد " نوح " ولديه ، وأبقوا الامتياز لسام - جدهم الأعلى على زعمهم ثم أبعدهم لوطاً من الساميين ليبقى إبراهيم عليه السلام وحده في الميدان ثم أبعدهم " إسماعيل " عليه السلام جد العرب وجد نبينا ﷺ الأعلى لينتهوا إلى إسحاق عليه السلام ثم أبعدهم عيسو توأم يعقوب عليه السلام ليخلوا لهم المجال الشرعي بزعمهم في تملك فلسطين إلى أولاد يعقوب بني إسرائيل وحدهم دون العرب والناس أجمعين (٤) .

(١) تكوين : (١٢/١٩) وانظر : جهود الإمامين ص ٣٨٨ .

(٢) تكوين : (١٩/١٩) وانظر : جهود الإمامين ص ٣٨٨ .

(٣) تكوين : (٩ / ٣٠-٣٨) .

(٤) فلسطين في البزان : د/ الهاشمي ص ٩٩ .

ثم يعود د/ الهاشمي ويوضح هذا السبب في موضع آخر من كتابه " فلسطين في الميزان " فيقول :
وبعد أن استتب الوضع للساميين ، نظرياً في التوراة التي شوهها اليهود ، ظهر لوط عليه السلام من الساميين ،
وهو نبي جليل ابن أخو إبراهيم عليهما السلام فلا بد من لصق قهم فظيعة تستبعده من الطريق المرسوم لبني
إسرائيل فذكروا أن لوطاً طاب له المقام في سدوم وعمورية بلدى الجنس المباح بانحرافاته وشذوذه ثم أنه سكر
وزنى بابتنتيه - في زعمهم - وأنجبنا منه - موآب وعمون - فتلوث شرف الموآبيين والعمونيين - أشد خصوم
الإسرائيليين في الأردن صرامة وشجاعة في الحروب إذ هم أولاد زانية وأية زانية من أيهما وهذا أكبر مثلبة تصيب
المرء ^(١) .

وقد رصد الإمام ابن القيم هذه الحادثة وقال إنها دليل واضح على التحريف والتبديل الذي وقع في التوراة
وبرأ ساحة النبوة وأنه لا يجوز نسبة هذه الأمور إلى أحد منهم ولا يشك في ذلك ذو بصيرة وأن التوراة المتزلة على
سيدنا موسى عليه السلام بريئة من ذلك ثم ذكر القصة باختصار وعقب عليها بسؤال تعجبي يبين استحالة ما تدعيه
التوراة وبالتالي براءة سيدنا لوط عليه السلام من هذه الجريمة فيقول :
(فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره ،
ثم يذيعها عنه ويحكيها للأمم ^(٢)) .

ويضيف العلامة رحمة الله الهندي : إن " موآب " ، " وابن عمي " الذين ولدا بواسطة الزنا ما قتلها
الله ، وقتل الولد الذي ولد بزنا داود ^(٣) " امرأة أوريا ، لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بالبنات عندهم بل
هما كانا من المقبولين عند الله - في زعمهم - " ^(٤) .

أما د/ على خليل في كتابه " التعاليم الدينية اليهودية " ذكر القصة كما وردت في التوراة وعلق عليها
بقوله : إنها من الحوادث اللاأخلاقية التي تدعيها التوراة على الأنبياء ^(٥) .

(١) فلسطين في الميزان : ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) هداية الحيارى - لابن القيم ص ٢٠٢ .

(٣) انظر : صموئيل الثاني : (١٢/٧-١٥) أمنون وثامار .

(٤) إظهار الحق : (٥٥٧/٢) .

(٥) التعاليم الدينية اليهودية د/ على خليل ص ٢٦ رسالة ضوئية على الإنترنت موقع المركز الفلسطيني للإعلام .

www.Palestine.inbo.Org .

والدكتور / بدران يحلل النص بتدخله أثناء سرده ليوضح ما يريده النص ويلفت النظر إلى بشاعة ما تقوله التوراة وقبل أن يذكره يقدم ملاحظته على النص فيقول : (وهذا نبي الله لوط عليه السلام لوثته التوراة هو الآخر ورمته بالزنا ومع من ؟ مع ابنتيه)^(١) .

ويقول أيضًا : والقصة تبدأ من بعد أن أمطر الله النار والكبريت على سدوم وعمورة بلد لوط .. ومات القولة الكفرة لأفعالهم القذرة وخرج لوط مع ابنتيه وسكن الجبل .. وما كان من ابنتي لوط إلا أن فكرتا في إنجاب الأطفال من أبيهما .. لأن الجبل موحش فسقياه خمرًا حتى غاب عن الوعي وضاجعتاه وأنجبتا منه ذكرين . ثم ذكر النص الكامل للقصة^(٢) .

موقف القرآن الكريم من سيدنا لوط عليه السلام .

إن ما نسبته التوراة إلى سيدنا لوط عليه السلام هو من الأباطيل وأسوأ الخرافات التوراتية وهو برئ مما نسب إليه من سوء وافستراء إذ جاء في القرآن الكريم أنه عليه السلام نهي قومه عن اقتراف هذه الفعلة الشنعاء فقال تعالى : ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾^(٣) .

(١) التوراة : د/ بدران ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥١ .

(٣) سورة الأعراف الآيات : (٨٠-٨٢) .

سيدنا إسحاق عليه السلام :

أ- المقام الحسن لسيدنا إسحاق عليه السلام فى التوراة :

رصد د/ الهاشمي والباحثة / سميرة عبد الله ، بعضاً من النصوص التوراتية التي تدل على ما يحتله إسحاق عليه السلام من مقام حسن فى العهد القديم ^(١) منها :

١- ولادته معجزة وتكريم لوالديه العجوزين " فضحكت سارة زوجته وقالت : سيدي قد شاخ ، وأنا شخت ، أفى الحقيقة ألد ؟ " ^(٢) .

٢- قصة الذبيح تنسبها التوراة إليه ، وتصفه بالوحيد - فى حين أن الابن الوحيد هو إسماعيل - إذ بقى وحيداً ١٤ سنة حتى ولد إسحاق إذ كان عمر والده ٨٦ سنة " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق " ^(٣) فى قصة الذبيح بينما لم يكن الولد الوحيد وإنما الوحيد إسماعيل بقى ١٤ سنة وحيداً لأبيه قبل ولادة إسحاق .

٣- " وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي فبنى هناك مذبحاً ودعا باسم الرب " ^(٤) .

ب- افتراءات العهد القديم على نبي الله إسحاق عليه السلام :

١. تخلّيه عن زوجته " رفقة " افتراء عليهما لأبيمالك بنفس عذر والده المفترى عليه بسبب جمالها الفتان كذلك ، كما افترت التوراة على أبيه إبراهيم عليه السلام " فأقام إسحاق فى " جرار " ^(٥) وسأله أهل المكان عن امرأته فقال " هي أختي " لأنه خاف أن يقول " امرأتى " لعل أهل المكان " يقتلونني من أجل رفقه ؛ لأنها كانت حسنة المنظر " ^(٦) .

٢. الادعاء أنه الابن الوحيد لسيدنا إبراهيم عليه السلام " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه - إسحاق " ^(٧) .

(١) نظر : فلسطين فى الميزان ص ٣٨ ، نظر : جهود الإمامين ص ٣٨٨ .

(٢) تكوين : (١٧/١٧) ، (١٣/١٨) الزوار الثلاثة .

(٣) تكوين : (٢٢/١٢ ، ١٦) امتحان إبراهيم .

(٤) تكوين : (٢٦/٢٤-٢٥) إسحاق وأبيمالك .

(٥) هي : مدينة قديمة شهيرة فى جنوب فلسطين على بعد ثمانية أميال جنوب شرقي غزة : (تكوين ٩/١٠) ، (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٤) .

(٦) تكوين : (٢٦/٧-٦) إسحاق وأبيمالك .

(٧) تكوين : (٢/٢٢) .

ج- جهود العلماء في نقد هذه الافتراءات :

وحول هذه القصة يقول د/ على خليل :

(مثل هذا السلوك لم يألفه الكنعانيون إنه انحطاط في القيم الأخلاقية ، ويعتبره الكنعانيون ذنباً وعاراً فهم يخافون الله ، ومن هذا المبدأ كان موقف أبيمالك من إبراهيم ومن ابنه إسحاق ، ومن هذا السلوك عموماً)^(١) .

وعلى هذا الافتراء الواضح الذي ألصقته التوراة بإسحاق عليه السلام يقول د/ عبد الراضي محمد ود/ محمد دياب : (لقد نسبت اليهود الكذب إلى إسحاق عليه السلام كما نسبوه إلى أبيه إبراهيم من قبل ، وفي ظروف مشابهة لظروف أبيه وهي الخوف على الزوجة من الرجال أصحاب المكان)^(٢) .

وهذا (لم ينج إسحاق عليه السلام من اتهام الكتاب المقدس له بالكذب والاتجار بامرأته)^(٣) ويضيف د/ بدران محمد بدران إلى ما تقدم ذكره - يضيف بعداً نقدياً آخر - فيقول : (هذا هو الموقف المذري الذي أوقفته التوراة لإسحاق عبد الله الصالح وأوقفت الوثني أبيمالك موقفاً مشرفاً ... ولكن ما هي صلة القرابة بين إسحاق ورفقه ؟ إنها ليست أخته لا من أبيه ولا من أمه ، ولكنها ابنة عمه وقد زوجها له عبد إبراهيم أبيه بناء على وصية إبراهيم . هذا يعني أن إسحاق النبي كاذب)^(٤) .

وحاشا لله أن يكون نبي من أنبياء الله كاذباً وبذلك يتبين انحراف التوراة في نظرتها للأنبياء وفي إلصاقها إليهم ما يتنافى مع عصمة النبوة ، أما ادعاء أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليه السلام فقد أفاض علماء المسلمين في نقد هذا الادعاء وبينوا من خلال نقدهم للكتاب المقدس أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وأيدوا ذلك بالأدلة القوية والبراهين القاطعة من العهد القديم والقرآن الكريم أيضاً ولكل من الإمامين ابن تيمية^(٥) وتلميذه ابن القيم^(٦) جهود قيمة في كشف زيف هذه الدعوى وبيان بطلانها .

(١) التعاليم الدينية اليهودية د/ على خليل ص ٢٦ .

(٢) التطرف اليهودي د/ عبد الراضي محمد ص ٣٦ .

(٣) أضواء على اليهودية : د/ محمد دياب ص ٨٤ .

(٤) التوراة : د/ بدران ص ٥٣ .

(٥) هو : شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي إمام الأئمة الشهير بابن تيمية ، ولد بحران يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول ٦٦٠ هجرية نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم واشتغل رجالها بالتدريس والإفتاء والتأليف ، تتلمذ على يد والده وزين العابدين أحمد بن عبد الدائم وجمال الدين بن يحيى بن زكريا الصيرفي توفي في ٢٠ ذي القعدة ٧٢٨ هجرية (انظر : شذرات الذهب لابن العماد (٦/٨٠-٨٥) ط دار الآفاق الجديدة - بيروت .

(٦) هو : عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ولد في السابع من صفر عام ٦٩١ ، والذي اشتهر بلقب (قيم الجوزية) هو والده الشيخ أبو بكر ابن أيوب الزرعي حيث كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق ، ولد من أبوين صالحين ونشأ في بيت علم ودين وورع وصلاح وقد تتلمذ على يد والده وشيخ الإسلام ابن تيمية والشهاب النابلسي وغيرهم وتوفي عام ٧٥١ هجرية (انظر : شذرات الذهب ٦/١٦٨) .

أما عن جهود الإمام ابن تيميه وموقفه من هذه الدعوى فهي كما يلي :

يرد ابن تيميه على من سأله عن الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق ؟ بإمارة اللثام عن حقيقة ذلك مبيناً فساد ما يزعمه اليهود ومن وافقهم في الزعم بأن الذبيح إسحاق عليه السلام متخذاً من آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة أنصع الأدلة اليقينية على وجوب القطع بأنه إسماعيل ثم يتعرض لتحريف اليهود لهذه المسألة في كتبهم بزيادتهم للفظ " إسحاق " ليصلوا من وراء ذلك لشرف الانتساب إلى إسحاق دون إسماعيل كذباً وبهتاناً وادعاءً فيكشف زيفهم فيما يعتقدونه ^(١) .

فيقول رحمه الله : (إن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل وهذا هو الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب) ^(٢) .

وذكر ما جاء في التوراة من قول الرب لإبراهيم : " اذبح ابنك ووحيدك وفي ترجمة أخرى بكرك " ^(٣) وأكد على أن إسماعيل هو الذي كان وحيداً وبكره باتفاق المسلمين لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق فتلقى ذلك عنهم من تلقاه ^(٤) ثم شرع رحمه الله بعد ذلك في الرد على اليهود مستدلاً بما ورد في القرآن الكريم من أدلة بطلان ذلك والتأكيد على كون الذبيح إسماعيل عليه السلام بطريقتين لهما أهميتهما القصوى في التدليل على الحقيقة وهما " إجمالية وتفصيلية " ^(٥) .

(١) جهود الإمامين ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيميه : فصل الاعتقاد بمحمد (٣٣١/٤) طبعة ٢ ، ١٣٩٩ هـ .

(٣) تكوين : (٢٢-١) امتحان إبراهيم ، وانظر : مجموع الفتاوى ابن تيميه (٣٣١/٤) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٣٣٢/٤) .

(٥) جهود الإمامين ابن تيميه وابن القيم ص ٣٠٣ أما الأدلة الإجمالية استدلت بقوله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وقال أن هذه البشارة فيه ثلاثة أدلة وهي : (١) أن الولد غلام ذكر . (٢) وأنه يبلغ الحلم . (٣) وأنه يكون حليماً . ومما يدل على حلمه حين عرض عليه أبوه الذبيح فقال له : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ . فعلق بطلان ادعائهم على هذه الأمور الثلاثة ، أما الأدلة التفصيلية أذكر منها ما يلي :

١ . الإخبار بالبشارة بالذبيح وإيراد قصته أولاً ثم بعد ذلك بالبشارة الثانية وهي البشارة بإسحاق .

٢ . أن البشارة بالذبيح كونه غلاماً حليماً وأما البشارة بإسحاق فكونه غلاماً عليمًا ولما كان الحلم هو مناسب للصبر دل ذلك على

أنه هو خلق الذبيح وأنه إسماعيل وقد وصفه الله تعالى بالصبر فقال : ﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ الأنبياء ٥٨ ولمزيد من التفصيل راجع : " مجموع الفتاوى (٣٣١/٤ - ٣٣٥) ومنهاج السنة - ابن تيميه (٣٥٣/٥ -

٣٥٥) ط دار الكتب العلمية بيروت . بدون .

وقد وافق الإمام ابن تيمية تلميذه ابن القيم في رد هذه الدعوى وبيان بطلانها فقال : (وفيها - التوراة - أن الله قال لإبراهيم : " اذبح ابنك بكرك إسحاق " وهذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله تعالى فقد جمعوا بين النقيضين فإن بكره هو إسماعيل فإنه بكر أولاده ، وإسحاق إنما بُشِّر به على الكبر بعد قصة الذبيح)^(١) .

وأكد أن الذبيح إسماعيل وليس إسحاق بعدة وجوه منها ما يلي :

١ . أن بكره باتفاق جميع الملل الثلاث هو إسماعيل عليه السلام وكوّنهم جمعوا بين ذبح بكره وتعيينه بإسحاق فهذا جمع بين النقيضين .

٢ . أن أمر الله ﷻ لإبراهيم أن ينقل زوجته هاجر وابنها إسماعيل عن زوجته الأخرى سارة لتسكن في مكة كان خوفاً من غيرة سارة فلما كان أمره بإبعاد السرية هاجر دفعاً لأذى الغيرة عن سارة . كان أمر الله بعد ذلك بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية مما لا تقتضيه الحكمة .

٣ . لم يقدم إبراهيم بإسحاق إلى مكة أبداً ولم يفرق بينه وبين أمه أبداً وقد كان موضع ضررها في مكة فكيف يأمره الله بذبح إسحاق بموضع ضرة أمه في بلدها ؟

٤ . رزق إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهو في عنفوانه قوته ، ورزق بإسحاق عليه السلام على الكبر والعادة أن القلب يتعلق بأول الأولاد وهو أميل وأحب من الثاني فكان هو المأمور بذبحه حتى يثبت امتثال إبراهيم لأوامر ربه وتعلق قلبه به وأنه ليس لغيره وأنه ليس من مزاحم فيه معه ^(٢) .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يثبت أن إبراهيم عليه السلام رزق بإسماعيل أولاً وهو في سن ست وثمانين سنة ^(٣) ثم رزق بإسحاق وهو في شيخوخته في سن مائة سنة ^(٤) ويزعمون أن إسماعيل عليه السلام سخر من أخيه الصغير في الوليمة التي أقيمت بمناسبة فطام إسحاق وكان عمر إسماعيل حينئذ السادسة عشرة من عمرة ، فألحت سارة على إبراهيم بطرد هاجر وابنها ^(٥) .

وهذا أثبت أن إسماعيل عليه السلام هو البكر وأنه ظل وحيداً أربعة عشر سنة حتى رزق إبراهيم بإسحاق ، فأصبح المقصود بأمر الذبح إسماعيل عليه السلام فهو البكر الوحيد حتى جاء إسحاق والغاية أن اليهود حرفوا التوراة بالزيادة في الألفاظ ^(٦) .

(١) هداية الخيارى : ص ٢٠٢ .

(٢) انظر: إغاثة اللهفان - لابن القيم - ٣٥٧-٣٥٥/٢٠ باختصار .

(٣) تكوين : (١٦-٣/١٦) هاجر وإسماعيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤) .

(٤) تكوين : (٨-١/٢١) مولد إسحاق . قاموس الكتاب المقدس ص ١٠ .

(٥) تكوين (١٤-٨/٢١) مولد إسحاق وطرد هاجر وإسماعيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤) .

(٦) جهود الإمامين ص ٣٠٧ وانظر في هذه القضية أيضاً : التطرف اليهودي د/ عبد الراضي محمد ص ٣٤ - ٣٥ .

وبهذا يتبين سعة أفق الإمامين رحمهما الله فقد أحاطا بهذه القضية من كل جوانبها وأكثر من ذكر الوجوه والأدلة القاطعة التي تبين بطلان ما يدعيه كتبة التوراة .

ولقد وقف د/ أحمد شلبي ، د/ بدران ، د/ صفوت مبارك مع هذه القصة وقفة متأنية منتقدين ما تدعيه التوراة المحرفة متخذين من التاريخ شاهداً على ما يقولون ومن الأحداث التي مر بها بيت إبراهيم عليه السلام دليلاً قوياً يؤكد نظرهم النقدية فيقول د/ صفوت مبارك : إن النص الوارد في العهد القديم والذي يتعلق بشخصية الذبيح يفيد بأن الذبيح هو إسماعيل وليس " إسحاق " ^(١) فقد ورد في سفر التكوين ما يلي :

١ . " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق " ^(٢) .

٢ . وفي نص آخر " فلم تمسك ابنك وحيدك عني " ^(٣) .

٣ . وفي نص ثالث يقول الرب : " إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة " ^(٤) .

فهذه النصوص الثلاثة تفيد أن الذبيح هو الابن الوحيد لإبراهيم وإسحاق لم يكن وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام . فالعهد القديم ينص على أن : " إسحاق قد ولد بعد إسماعيل بأربعة عشر عاماً " ^(٥) وينص أيضاً على أن إسماعيل قد بقي حياً إلى وفاة أبيه إبراهيم وأنه قد اشترك مع أخيه إسحاق في دفن أبيهما إبراهيم ببدة حبرون ^(٦) " ^(٧) .

(١) انظر : مدخل لدراسة الأديان ص ١٣١ .

(٢) الإصحاح : (٢/٢٢) امتحان إبراهيم .

(٣) الإصحاح : (١٢/٢٢) السابق .

(٤) الإصحاح : (١٦/٢٢) السابق .

(٥) تكوين : (١٦/١٧) عهد الختان ، والنص يقول : " ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك منها ابناً أباركها فتكون أمّاً " .

(٦) هي : مدينة في أرض يهوذا الجبلية (يشوع ٤٨/١٥ ، ٥٤) كانت موجودة في وقت مبكر في أيام إبراهيم الذي سكن بعض الزمن في جوارها تحسب بلوطات ممرا (تكوين ٨/١٣ ، ٢٧/٣٥) وماتت سارة هناك واشترى إبراهيم مغارة المكفيلة لتكون قبرا وقد اشتراها من الحثثيين الذين كانوا يملكون المدينة حينئذ (تكوين ٢٣/٢-٢٠) (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٦) .

(٧) تكوين : (٩/٢٥) موت إبراهيم . وانظر : مدخل لدراسة الأديان ص ١٣٢ ، ١٣٣ مرجع سابق والنص يقول : " ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي أمام ممرا " (تكوين ٩/٢٥-١٠) .

أما ابن إبراهيم الذي كان وحيداً لأبيه فهو " إسماعيل " قبل مولد " إسحاق " وواضح في النص الأول : التزوير والتحريف ؛ لأن العبارة متناقضة حيث قد ثبت بصريح عبارة العهد القديم نفسه أن " إسحاق " لم يكن إطلاقاً وحيداً لإبراهيم ويبدو أن العبارة كانت هكذا : " خذ ولدك وحيدك الذي تحبه إسماعيل فجاء من تناول هذه العبارة بالتحريف ، فرفع اسم إسماعيل ووضع مكانه اسم إسحاق ولم يفتن إلى أن العبارة تكون بهذه الصورة متناقضة ^(١) .

ويضيف د/ بدران محمد بدران : توضيحاً لهذه القصة فيقول :

" في نصوص التوراة السابقة (الخاصة بهذه القضية) بعض المغالطات يجب مناقشتها : أولاً : أن التوراة تنص : " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه " ثم عادت وقالت : " إسحاق " وهذا لا يتمشى بحال من الأحوال مع تسلسل الأحداث في التوراة لأن إسماعيل أكبر من إسحاق .. حيث ولدت هاجر إسماعيل عندما كان إبراهيم ابن ستة وثمانين سنة ^(٢) . وأنجبت سارة إسحاق لإبراهيم عندما بلغ إبراهيم مائة عام ^(٣) وهذا يعني أن إسماعيل أكبر من إسحاق بأربع عشرة سنة .. لذا فإن كلمة التوراة " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق " خطأ تماماً .. وعلى هذا لا يمكن أن يكون إسحاق وحيداً لإبراهيم في أي وقت من الأوقات إلا في حالة واحدة .. وهي موت إسماعيل قبل هذه الواقعة وهذا الاحتمال محال لأن إبراهيم مات قبل إسماعيل بزمان طويل ، تقول التوراة أن اللذين دفنا إبراهيم هما ابناه " إسماعيل وإسحاق " في مغارة تسمى مغارة " المكفيلة " في حقل عفرون بن صوحر الحثي - وهي الآن ضمن الحرم الإبراهيمي في الخليل - " ^(٤) .

ثانياً : ويمكن الاستنتاج من أولاً أن النص : " خذ ابنك وحيدك " لا ينطبق إلا على إسماعيل وحده لأن إسماعيل هو بكر إبراهيم ... وظل وحيداً له طيلة أربعة عشر سنة .

ثالثاً : يتخيل البعض أن كلمة " ابنك وحيدك " تنطبق على إسحاق وحده لأن إسماعيل كان ابن الجارية المصرية هاجر ... وهذا التخيل أو التصور ضعيف ؛ بل خطأ كل الخطأ لأسباب عدة منها :

(١) ينظر : اليهودية د/ أحمد شلي ص ١٣٦ ، ومدخل لدراسة الأديان ص ١٣٣ .

(٢) تكوين : (١٦/١٦) هاجر وإسماعيل .

(٣) تكوين : (٥/٢١) موت إبراهيم .

(٤) تكوين : (٩/٢٥) ، وينظر : التوراة د/ بدران ، ص ٢١٥ ، قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩١١ .

١- أن أربعة من أسباط إسرائيل أبناء جوارى اثنان منهم " دان و نفتالي " ابنا بلهة جارية راحيل زوجة يعقوب الثانية والآخرا " جاد وأستير " ابنا زلفة جارية ليثة زوجة يعقوب الأولى وإن كان التخييل السابق صحيحاً .. فيكون أسباط إسرائيل ثمانية فقط .. وهذا مالا تنص عليه التوراة .. بل تتمسك التوراة بأن الأسباط اثنا عشر أي تعترف بأبناء الجوارى وعلى هذا لا يكون إسحاق وحيداً لإبراهيم .

٢- أن إسماعيل اسمه فى التوراة " إسماعيل بن إبراهيم " وليس إسماعيل بن هاجر المصرية . كما تنص التوراة على أن الأسباط الأربعة ، أبناء الجوارى دان بن يعقوب ، نفتالي بن يعقوب ، وهكذا ولم تقل أن أحداً منهم ابن الجارية كذا وأعتقد أن كلمة " ابنك وحيدك إسحاق " تعبر عن الحقد الدفين فى قلوب بني إسرائيل تجاه المصريين وذلك لأن المصريين أذلوا بني إسرائيل طيلة وجودهم فى مصر فأثروا رفع اسم إسماعيل من هذا الشرف العظيم لأن للمصريين جانباً كبيراً منه لأنه ابن هاجر المصرية ^(١) .

وغير ذلك من الأسباب التي ذكرها المؤلف تؤكد خطأ الدعوى القائلة بأن الابن الوحيد هو إسحاق ويقول : يمكن الاستنتاج أن كتبة التوراة قد أزدادوا " إسحاق " بعد كلمة : " خذ ابنك وحيدك الذي تحبه " حتى يكون لهم شرف هذا العمل العظيم الذي قام به إبراهيم ويسقطوا هذا الشرف عن المصريين وعن أبناء إسماعيل ^(٢) .

وعلى الرغم من محاولة اليهود سلب إسماعيل شرف البكورة والتضحية والفداء فى قصة الذبح ، وجعلها على إسحاق إلا أن إسحاق لم ينج من فظائع التطرف اليهودي التي لاحقته ورمته بالكذب والغباوة وسهولة الاحتيال عليه حتى إن حاكم الفلسطينيين يعاتبه على الكذب ^(٣) تقول التوراة :
" فأقام إسحاق فى " جرار " وسأله أهل المكان عن امرأته فقال : هي أختي " لأنه خاف أن يقول : " امرأتى " لعل أهل المكان : " يقتلونني من أجل رفقه ؛ لأنها كانت حسنة المنظر " ^(٤) .

(١) انظر : التوراة د/ بدران ص ٢١٥ - ٢١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٨ .

(٣) التطرف اليهودي : د/ عبد الراضى محمد ص ٣٥ ، ٣٧ .

(٤) تكوين : (٧-٦/٢٦) إسحاق وأيمالك .

سيدنا يعقوب عليه السلام :

أ- المقام الحسن لسيدنا يعقوب عليه السلام في التوراة :

لا يزال د/ الهاشمي والباحثة / سميرة عبد الله هما المتفردان بذكر محاسن الأنبياء في التوراة فيقول د/ الهاشمي

عن المقام الحسن لسيدنا يعقوب عليه السلام في التوراة :

١- (مع أنه " إسرائيل " وإليه ينتسب بنو إسرائيل " الإسرائيليون " حتى الآن ودولة إسرائيل المسماة باسمه كذبًا وزورًا غير أن محاسنه في التوراة قليلة منها : ظهور الله ليعقوب ثلاث مرات - في زعمهم - وفي إحداهما صارعه وصرع يعقوب الله - أستغفر الله - وهذه من المساوي ولكن التوراة تعتبرها قمة الامتياز ليعقوب إذ منحه الله لقب " إسرائيل " أي الأقوى من الرب المنتصر عليه)^(١) .

٢- مديح الله تعالى له : " والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب ، وجابلك يا إسرائيل لا تخف لأني فديتك ، دعوتك باسمك أنت لي .. " ^(٢) .

٣- ينعم الرب عليه ويدرك سر هذه النعمة الإلهية في رعايته له منذ وجوده في الحياة وفي إنقاذه له من كل الشرور والآثام فيقول لابنه يوسف حين باركه : " وبارك يوسف وقال الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحاق الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين " ^(٣) . وغير ذلك من النصوص التي ذكرها .

ب- افتراءات العهد القديم علي سيدنا يعقوب عليه السلام :

١- يقول اليهود : إن يعقوب حصل على النبوة بالغش والكذب والخداع وتنطق بذلك توراههم إلى يومنا هذا ، وهذا دليل قوى من سلسلة الأدلة التي تثبت أن اليهود إلى الآن يجهلون معنى النبوة والأنبياء ^(٤) .

وقد استدل د/ المطعني ، د/ سعد الدين صالح ، د/ الهاشمي على هذه الفرية بما ورد في التوراة : أن إسحاق بن إبراهيم أخو إسماعيل عليهم السلام ولد ولدين في بطن واحدة من زوجه رفقه بنت بنوئيل وسمي إسحاق أول الولدين نزولا من البطن " عيسو " وسمي الثاني " يعقوب " فأحب إسحاق عيسو وأحبت رفقه يعقوب وحين شاخ إسحاق وكبر قال لابنه عيسو : " إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاقي فالآن خذ عدتك وجعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيدًا واصنع لي أطعمة كما أحب وأتني بها لأكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت " ^(٥) .

(١) انظر : تكوين (١٠/٣٥) ، وانظر : مصارعه في تكوين (٣٢/٢٤-٣٣) ، وانظر : فلسطين في الميزان د/ الهاشمي ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) أشعيا : (٤٣-١/٢) وانظر : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) تكوين : (٤٨-١٥/١٦) وانظر : جهود الإمامين أ/ سميرة عبد الله ، ص ٣٨٩ .

(٤) الإسلام : د/ المطعني ، ص ١١٩ وانظر : العقيدة اليهودية د/ سعد الدين صالح ، ص ٣٢٦ - ٣٢٩ وفلسطين في الميزان ص ٤٣ .

(٥) تكوين : (٢٧-١/٤) إسحاق يبارك يعقوب .

ثم تقول التوراة بعد ذلك :

وكانت رفقه سامعه لما قاله زوجها إسحاق لابنه الأكبر عيسو فأرادت أن تكون البركة ليعقوب الذي تحبه فأعلمت يعقوب بالخبر وأمرته أن يذهب إلى الغنم ويأتيها بجدين فصنعت منهما أطعمة لإسحاق كما يحب وهو لا يعلم وأعطت الأطعمة إلى يعقوب ليقدمها إلى أبيه إسحاق على أنه عيسو فتقدم يعقوب من أبيه وكان إسحاق قد كُف بصره وقدم له الطعام قائلاً له هاأنذا ابنك الأكبر عيسو أقدم لك الطعام الذي طلبت قم وكل وباركني ثم باركه وقال له : " فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ليكون ملعونين ومباركوك مباركين " (١).

ج- جهود العلماء في نقد هذه الافتراءات والرد عليها :

وحول هذا الافتراء تنوعت جهود العلماء في تفنيده والرد عليه ويبرز في مقدمة هذه الجهود جهد د/ بدران محمد بدران ود/ المطعني ود/ الهاشمي ود/ صفوت مبارك والباحثة / سميرة عبد الله وغيرهم وجميعهم قد أكد أن النبوة لا تُنال بالحيلة والكذب فهي مقام شريف يمنحه الله ﷻ لمن يصطفيه من عباده وهو سبحانه الذي يؤهله لذلك وقد برعوا ساحة النبوة عن هذه الخصال وقد اتسم المنهج الذي اتبعوه في دحض هذه الفرية بالتحليل لمفردات النص التوراتي ورده إلى الأصول الثابتة التي يحتكم إليها في مقام النبوة والأنبياء من هذه الأصول أن النبوة وحي واصطفاء .

فيقول د/ بدران :

وهذه صورة مشوهة رسمتها التوراة ليعقوب ويبدو أن كتبة التوراة معجبون أشد الإعجاب بالنصب والاحتيال لذلك جعلوا من أبيهم إسرائيل نصاباً كبيراً .. وأول عمليات النصب هذه هي سرقة البركة .. وعاونته أمه رفقة في هذه السرقة فتقول التوراة أن يعقوب سرق بركة أبيه من أخيه وتوأمه عيسو ودبرت أمه كل شيء (٢) .. وذكر نص القصة .

ويقول أيضاً : (وحسب تطور الأحداث في التوراة .. يمكن الاستنتاج بأن بني إسرائيل كانت لن تقوم لهم قائمة لو أن هذه البركة حلت على عيسو .. هكذا يحاولون الإيهام .. ويبررون ما وقعوا فيه من أخطاء أثناء كتابتهم للتوراة) (٣) .

(١) تكوين : (٢٧/٢٨-٢٩) إسحاق يبارك يعقوب .

(٢) انظر : التوراة : د / بدران ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٢ .

ويقول د/ صفوت مبارك :

إن العهد القديم يصف يعقوب ~~الشيخ~~ بالمكر والدهاء وسعة الحيلة ، وأنه احتال ليحصل على حقوق أخيه البكر " عيسو " الذي يصفه العهد القديم بالسذاجة وسلامة الطوية . وأن يعقوب قد حصل على حقوق أخيه البكر في مقابل أكلة قدمها إليه وأخوه جائع ^(١) .

وقد نقد د/ المطعني هذه القصة وأضاف أبعاداً نقدية جديدة أوضحت ما على هذه القصة من مآخذ حيث ذكر في كتابه: "الإسلام في مواجهة الاستشراق" تحت عنوان مآخذ على قصة يعقوب في التوراة ما يلي :

- ١- (أن النبوة ليست من الله وإنما هي كلمات يتمم بها نبي سابق فتنتقل من خلالها النبوة إلى نبي لاحق .
- ٢- أن المعصية دفعت يعقوب والخيانة جعلته نبياً فقد انتحل شخصية أخيه " عيسو " وقام بأشنع عملية خداع لأبيه من أجل أن يصبح نبياً .
- ٣- أن الطاعة تسقط " عيسو " إلى الهاوية لقد خدع يعقوب أباه فصار نبياً ، وأطاع " عيسو " أباه فصار ساقطاً منبوذاً وبهذا تكون التوراة قد قلبت موازين العدل الإلهي فرفعت الكذبة الدجالين إلى أعلى عليين وأنزلت الطائعين الصادقين إلى سجين ذلك هو منطق التوراة المقدسة .
- ٤- أن إسحاق نبي مخدوع وشارب خمر ، إذ أنه قدم له يعقوب الخادع خمرًا بعد الطعام فشرب منه إسحاق ، بل إن إسحاق قد دعا لابنه يعقوب وهو يباركه أن يرزقه الله حب حنطة وخمرًا ، والخداع والمكر كلاهما محظوران في حق الأنبياء ولكن التوراة قد رمتهم بكل نقيصة ، ولو كان الأنبياء كما تصوره التوراة للناس لما احترمهم أحد ولما بعث الله منهم أحداً ... ولكن الأنبياء في حاجة إلى أنبياء آخرين يهدوهم سواء الصراط ^(٢) .

وتبرئة لساحة النبوة من أن يلصق بها ما يقدح فيها لابد من إعطاء كل نبي من أنبياء الله حقه من القداسة والتشريف اللائقين بمقامه والدفاع عنه ونفى التهم الموجهة إليه في التوراة المحرفة وتطبيقاً لهذا المبدأ فإن د/ المطعني بعد ما وقف مع قصة يعقوب وقفة نقدية قويمة أردف كلامه بقوله لا إسحاق مخدوع ولا يعقوب خادع وتحت هذا العنوان قال :

(١) مدخل لدراسة الأديان ص ١٣٣ .

(٢) الإسلام : د/ المطعني ، ص ١٢٨ ، وانظر في ذلك الموضوع أيضاً : التطرف اليهودي د/ عبد الراضي محمد ، ص ٣٦-٣٨ .

(إنه من الإنصاف لهدين النبيين الجليلين عليهما السلام ألا نتركهما لأوهام التوراة وأن نقر هنا أنهما بريئان مما تنسبه التوراة إليهما فليس إسحاق مخدوعاً ولا يعقوب خادعاً ، فالنبوة من الله وحده هو الذي شرف بها إسحاق وهو الذي كرم بها يعقوب وإذا جاز أن يخدع أحد من خلق الله فإن الخداع على الله محال ، والنبوة ليست عقدًا ماليًا يبرم ... وإنما هي حكمة وتدبير ليس لله فيهما شريك فقال تعالى : " الله أعلم حيث يجعل رسالته " ولكن هذه المعاني كلها لا بعضها مهذرة في التوراة المقدسة " (١) .

٥- سوء أدب اليهود مع سيدنا يعقوب عليه السلام وزعمهم أنه صارع الله حتى طلوع الفجر . جاء في تعليق الباحثة / سميرة عبد الله وهي تقدم لهذه الفرية ما نصه : لقد زعمت اليهود أن نبي الله يعقوب عليه السلام صارع الرب وكانت الغلبة له عليه الأمر الذي لا يليق أن يكون بين العبد وسيد من البشر لا يعقل أن يكون بين نبي كريم ورب عظيم (٢) .

وخلاصة القصة : أنها صراع بين يعقوب والله على شكل ملاك ليلة كاملة ، لم يقدر الله فيها على يعقوب فانخلع حق فخذ يعقوب ، بمصارعته مع الرب فأمسك يعقوب به ، وما استطاع الله أن يفلت من يده وقد طلع الفجر ! فالتمس به الرب أن يفكه حذرًا من الفضيحة في النهار ، فأجابه يعقوب : لا أدعك تذهب حتى تباركني . أي تعترف بانتصاري عليك . فقال الرب ما اسمك ؟ قال يعقوب قال الرب : لا تسمي بعد اليوم يعقوب بل " إسرائيل " لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " أي أن منحك اسم إسرائيل إنما هو وسام انتصارك على الله (٣) .

وهذا الافتراء قد رده النقاد من علماء المسلمين وعدوه من الأباطيل والانحرافات التي ملأت التوراة وتؤكد مدى تحاملهم على الأنبياء عليهم السلام فيقول الإمام ابن القيم : وهو يستدل على وجود التحريف في التوراة - يقول : وفيها - أي التوراة - (أن الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض) (٤) .

ويعقب العلامة رحمة الله الهندي على هذا النص تعقيباً مختصراً جاء فيه : (وهذا المصارع كان ملكاً لما عرفت ، وإذا لم نقل ذلك يلزم أن يكون إله بني إسرائيل في غاية العجز والضعف حيث صارع يعقوب الذي هو مخلوقه إلى الفجر ولم يغلبه إلا بالحيلة) (٥) .

(١) الإسلام : د/ المطعني ، ص ١٢٩ ، والآية الكريمة من سورة الأنعام : رقم (١٢٤) .

(٢) جهود الإمامين ، ص ٤٣٣ .

(٣) انظر : تكوين : (٣٢-٢٤/٣٣) وفلسطين في الميزان ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) هداية الحيارى ص ٢٠٣ .

(٥) إظهار الحق : (٣٢١/١) .

ومثله قال الإمام الألوسي : وأكد أن الذي ظهر ليعقوب عليه السلام ملك من الملائكة ^(١) وقد ذكر العلامة الهندي ما يؤكد تعقيبه من أن الذي رآه سيدنا يعقوب ملكاً بما ورد في التوراة " في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه ... وهناك تكلم معنا " ^(٢) .

موقف القرآن الكريم من سيدنا يعقوب عليه السلام .

إن ما نسبته العهد القديم لسيدنا يعقوب عليه السلام باطل وزور وهتان باتفاق نقاد العهد القديم من علمائنا الإجلاء ويؤكد على حدوث التحريف والتبديل إذ كيف يتصور كتبة العهد القديم أن يحتال أحد من الناس ليحصل على النبوة في حين أنها شرف يؤتاه الله من يشاء من عباده ويؤيده بالمعجزات التي تؤيد صدق دعواه ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ ^(٣) .

وكيف يتسنى لهم أن يتخيلوا ظهور الإله في صورة بشر ضعيف عاجز يصرعه يعقوب حاشا لله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

ولسيدنا يعقوب عليه السلام منزلة عالية في القرآن - منها حب الله له وتكريمه وابتلاؤه بفقد ولده وصبره عليه واستجابته لدعائه ورد بصره إليه وجمعه بيوسف عليه السلام مع بقية أولاده في مصر واتصال قلبه بالله وعدم اليأس من رحمته حين فقد ولده فقال تعالى : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ ^(٤) وكان صبوراً في فقد أخا يوسف الصغير فتجمل بالصبر فقال تعالى : ﴿ فصبر جميل ﴾ ^(٥) وغير ذلك من الآيات ^(٦) .

(١) الجواب الفسيح : ١٧٥/١ .

(٢) يوشع : (١٢/٣-٤) خطية إسرائيل .

(٣) سورة الأنعام جزء من الآية : (١٢٤) .

(٤) سورة يوسف الآية : (٨٧) .

(٥) سورة يوسف الآية : (١٨) .

(٦) انظر : فلسطين في الميزان ، ص ٤١ .

✽ سيدنا داود عليه السلام :

أ- المقام الحسن لسيدنا داود عليه السلام في العهد القديم :

ذكر د/ الهاشمي ما يثبت مكانة سيدنا داود عليه السلام عند الله عز وجل وما يتمتع به من صفات حسنة على النحو

التالي :

١- (سلوكه مع ربه : كاستقامته مع الله ، وحسن صلته بربه وخشوعه في الدعاء وصدقه فيه ^(١) وله في العهد القديم سفر (المزامير) وهو أوسع سفر في العهد القديم واسمه في القرآن الكريم (الزبور) .

٢- منزلته عند ربه :

- هو في التوراة - ابن الله البكر - " أنا أجعله بكرًا " ^(٢) .
- تحوطه رحمة الله وتحوط نسله إلى الأبد ^(٣) .
- هو رجل الله ورجل الدعاء ! هكذا تمدحه التوراة ^(٤) .
- هو أعلى ملوك الأرض في أبد الدهر ^(٥) .

٣. من صفاته الشخصية :

- شجاعته القتالية ، وقوة جسمه ^(٦) (^(٧)) .

ب- افتراءات العهد القديم على سيدنا داود عليه السلام :

رصد العلماء كثيراً من الافتراءات التي نسبها العهد القديم لسيدنا داود عليه السلام منها :

- ١- زعموا أنه : رقص أمام الرب عارياً وأمام شعبه ^(٨) .
- ٢- زعموا أنه : زنا بزوجة جاره وجنديه - أوريا الحثي - وإنجابه منها بالزنى فتقول التوراة : وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريريه وتمشي على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ... فأرسل داود وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة ... فأرسل داود إلى يوباب يقول :

(١) وما أكثر ذلك في سفر المزامير وصموئيل الثاني والملوك الأول .

(٢) مزامير : (٢٤/٨٩) .

(٣) سفر المزامير : (٢٩/٨٩ ، ٣٣) .

(٤) سفر المزامير : (٢٦/٨٩) .

(٥) سفر المزامير : (٢٨-٢٧/٨٩) .

(٦) سفر المزامير : (٢٦-٢٥/٨٩) .

(٧) فلسطين في الميزان ص ٦٤ .

(٨) صموئيل الثاني : (١٧-١٥/٦) إصعاد التابوت إلى أورشليم .

أرسل إلى أوريا الحثي ... فأتي أوريا إليه ... وقال له : انزل إلى بيتك ... فنام أوريا على باب بيت الملك ولم يترل إلى بيته ... فقال داود لأوريا : لماذا لم تترل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : " إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوباب عبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب ... لا أفعل هذا الأمر " ثم دبر داود حيلة لقتل أوريا ^(١) .

٣. زعموا : أن الله غضب عليه ومنعه من بناء الهيكل - بيت الله - ^(٢) .
وغير ذلك من النصوص التي ذكرها د/ الهاشمي ، الباحثة / سميرة عبد الله وغيرهما .

ج- جهود العلماء في نقد هذه الافتراءات والرد عليها :

وحول القصة الملققة لسيدنا داود عليه السلام وأوريا الحثي وزوجته وقف العلماء أمامها وانتقدوها كما انتقدوا غيرها من القصص ولهم عليها علامات استفهام ومآخذ كثيرة الأمر الذي يؤدي إلى بطلانها واختلاقها .
ويُتبع د/ بدران هذه القصة بعد أن ذكرها بطولها بعدة أسئلة تعجبية تثبت كذب الكتاب المقدس في تصويره عن الأنبياء وما يفتره على داود عليه السلام فيقول : (تُري من تكون المرأة التي زنا بها داود ؟ إنها " بتشبع " ^(٣) أم سليمان الحكيم .. سليمان بن داود والنبي والملك وهكذا يقول الكتاب المقدس نبي يزي وينجب من الزانية نبياً ، هل هذه حقيقة أخلاق داود الذي قال الله عنه في نفس الكتاب المقدس " أنا أكون له أباً .. وهو يكون لي ابناً " ^(٤) كما تقول المزامير على لسان داود : " قال لي (الله) أنت ابني أنا اليوم ولدتك " ^(٥) فهل أبناء الله يزنون ؟ ^(٦) .

ولكن العلامة رحمة الله الهندي وقف مع هذه القصة وقفة متأنية مستخرجاً ما فيها من أخطاء وقع فيها الكتاب المقدس وبيّن تلك الافتراءات التي ألصقها الكتاب المقدس بنبي الله داود عليه السلام وهو لاشك بريء منها وفي تنفيده لتلك القصة يقول : صدر عن داود ثمان خطيئات أذكرها باختصار نقلاً عنه :
الأولى : أنه نظر إلى امرأة أجنبية بنظر الشهوة وقد جاء في إنجيل متى " إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زني بها في قلبه " ^(٧) .

(١) انظر : صموئيل الثاني : (١١-٩/٢) ، (٢٨-٢/١١) داود وبشبع

(٢) انظر : أخبار الأيام الأول : (٢٢/٨ ، ٢٨/٣) الإعداد لبناء الهيكل .

(٣) هي : ابنة اليعام وامرأة أوريا الحثي (صموئيل الثاني ١١) شغف داود بها الملك - في زعمهم - واحتال على زوجها فقتل ، فتزوجها وجعل ابنها سليمان وريث ملكه (ملوك الأول : ١١/١-٥٣) ، (قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٢) .

(٤) صموئيل الثاني : (١٤/٧) وعد الله لداود .

(٥) مزمو : (٧/٢) .

(٦) التوراة : د/ بدران ص ٩٧ .

(٧) الإصحاح : ٢٨/٥ ، الزنا .

الثانية : أنه ما اكتفي بالنظر ولكنه طلبها وزني بها وحرمة الزنا قطيعة ومن الوصايا العشرة "لا تزن" (١) .

الثالثة : أن هذا الزنا كان بزوجة الجار ، وهو أشد أنواع الزنا كما ورد في الوصايا العشر .

الرابعة : ما أجرى حد الزنا لا على نفسه ، ولا على هذه المرأة وقد ورد في التوراة ما يدل على أن حد الزنا القتل : " وإذا زنى رجل مع امرأة ... فإنه يُقتل الزاني والزانية " (٢) .

الخامسة : لم يذهب أوريا إلى بيته مراعيًا لديانته أما حال أنبياء بني إسرائيل ارتكاب الفواحش هكذا ولم يراعوا ديانتهم مثل مراعاة العوام لديانتهم .

السادسة : أمر داود بقتل أوريا وفي التوراة ما يدل على حرمة قتل البريء : " ولا تقتل البريء والبار " (٣) .

السابعة : أنه لم يتنبه على خطئه ، ولم يتب ما لم يعاتبه ناثان النبي عليه السلام .

الثامنة : أنه وصل إليه حكم الله بأن هذا الولد الذي ولد من زنا يموت ومع هذا دعا لأجل عافيته ، وصام وبات على الأرض (٤) .

ويعلق د/ أحمد شلي على هذه القصة بقوله : إن هذه القصة فيها أحداث موهلة في القسوة وبعيدة عن العفة (٥) .

ويرد د/ السقا : نظرة التوراة إلى داود عليه السلام وبقية الأنبياء إلى وجهة نظر اليهود والنصارى في الأنبياء التي تقول : إن الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ الرسالات ، وليسوا بمعصومين فيما عدا ذلك من شئون حياتهم الخاصة والعامة ، بل هم كسائر البشر يجوز عليهم الصواب والخطأ ويجوز أن يفعلوا الخير والشر ، ويجوز عليهم أن يذنبوا ذنوبًا كبيرة أو صغيرة عمدًا أو سهوًا (٦) . وما تقدم ذكره أمثلة تؤكد هذه الوجهة التي ذكرها د/ أحمد حجازي وقولهم هذا تبرير لما ورد في التوراة من جرائم أخلاقية وغير ذلك من أمور مخالفة تصدر عنهم فيما عدا تبليغ الرسالات .

(١) تثنية : (١٨/٥) الوصايا العشر .

(٢) لاويين : (١٠/٢٠) عقوبات الخطية .

(٣) خروج : (٧/٢٣) أحكام العدل والرحمة .

(٤) نظر : إظهار الحق (٥٦٨/٢ ، ٥٦٦) .

(٥) اليهودية د/ أحمد شلي ص ١٧٣ .

(٦) نقد التوراة : د/ أحمد حجازي السقا ص ١٩٣ .

وينتقد العلامة رحمة الله الهندي هذه الدعوى التي تبناها البروتستانت - عصمة الأنبياء في التبليغ وعدم عصمتهم فيما عدا ذلك - فيقول :

(ما ادعوه لا أصل له من كتبهم وإلا لما صار تحرير - ما كتبه - عزرا عليه السلام ومساعدية حجي وزكريا الرسولين عليهما السلام غير مصون عن الخطأ) ^(١) .

* موقف القرآن الكريم من سيدنا داود عليه السلام .

إن ما رمته التوراة به يتنافى تماماً مع مكانة النبوة وهو من الزور والبهتان في حقه عليه السلام وقد بين الله ﷻ مقامه الرفيع عنده وبين الأنبياء عليهم السلام فقد أنزل الله ﷻ الزبور فقال تعالى : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً ﴾ ^(٢) . وأما عن أخلاقه في القرآن الكريم يقول الله ﷻ : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ ^(٣) . وغير ذلك من الآيات ^(٤) .

(١) إظهار الحق : (٢١٥/١) .

(٢) سورة الإسراء الآية : (٥٥) .

(٣) سورة ص الآيات : (١٧-٢٠) .

(٤) انظر : فلسطين في الميزان ، ص ٦٣ ، جهود الإمامين : ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

*** سيدنا سليمان عليه السلام :**
أ- المقام الحسن لسيدنا سليمان عليه السلام فى العهد القديم :
 سليمان عليه السلام مع الله :

- عمق إيمان وصلة وثيقة به " فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر " (١).
- إيمانه المطلق بهدي ربه وجزائه (أما النصره فمن الرب) (٢).
- بناؤه الهيكل بيت الله : " وهو يبنى بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد " (٣).
- مترلته عند ربه هو ابن الله : " أنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابناً ... كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد " (٤).
- وغير ذلك من النصوص التي ذكرها د/ الهاشمي والباحثة / سميرة عبد الله في كتابيهما (٥).

ب- افتراءات العهد القديم على سيدنا سليمان عليه السلام :

- ١- يزعم العهد القديم أن سيدنا سليمان عليه السلام فيه شبهة ابن زنى كما يدعون إذ أنه ابن بتشبع زوجة أوريا الحثي التي زنا بها والده داود (٦) - فى زعمهم - .
- ٢- انحرافه عن التوحيد إلى الشرك بسبب كثرة نسائه الوثنيات " وكان زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة النار " (٧) .
- ٣- زعم العهد القديم أنه كان فى عصمته ألف امرأة - منهن ٧٠٠ زوجه ، ٣٠٠ سرية - جارية - ! حتى أملن قلبه عن ذكر الله (٨) .
- ٤- نشيد الإنشاد (٩) سفر كامل لسليمان عليه السلام فى العهد القديم . غزل داعر مكشوف بينه - وهو مخمور - وبين حبيبته كما يدعون - وهذا لا يليق بأي إنسان عادى فكيف بالنبي عليه السلام وغير ذلك من النصوص التي ذكرها د/ الهاشمي (١٠) .

(١) الملوك الأول : (٣٢/٨ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢) صلاة سليمان .

(٢) الأمثال : (٣١/٢١) أمثال سليمان .

(٣) صموئيل الثاني : (١٣/٧) وعد الله لداود .

(٤) صموئيل الثاني : (١٤/٧ - ١٦) السابق .

(٥) انظر : فلسطين في الميزان ص ٧١ ، ٧٢ ، جهود الإمامين ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٦) صموئيل الثاني : (٢٤/١٢) ناثان يوبخ داود .

(٧) الملوك الأول : (٨-٥/١١) زوجات سليمان .

(٨) الملوك الأول : (٦-٣/١١) السابق .

(٩) سفر نشيد الإنشاد .

(١٠) فلسطين في الميزان : ص ٧٢ ، ٧٣ .

وقد رصد د/ صفوت مبارك أيضاً من العهد القديم أن : " سليمان عليه السلام " أقام أصناماً لزوجاته على المرتفعات المحيطة بأورشليم وكن يذبحن لهذه الأصنام ^(١) ويذكر العهد القديم أيضاً أنه من أجل ذلك عاقب الله سليمان بأن أخرج الملك من نسله ^(٢) .

ج- جهود العلماء في نقد هذه الافتراءات والرد عليها :

ويعلق د/ صفوت على هذه القصة قائلاً :

(نحن لا ننظر أن سليمان عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله - يضعف بهذه الصورة أمام زوجاته حتى يقيم بنفسه أصناماً لمن - فكيف يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد بينما يقيم بنفسه أصناماً ؟) ^(٣) .

(نحن المسلمين نرفض هذه الصورة المزيفة لسليمان عليه السلام كما نرفض كل ما يشوه صورة جميع الأنبياء - فسيدنا سليمان عليه السلام كما نعرفه من القرآن الكريم هو ذلك النبي التقي الورع شديد المراقبة لربه فقال تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ ^(٤) .

فالذي يثور بهذه الصورة فيقطع سوق الخيل وأعناقها لأن استعراضها قد شغله عن الصلاة حتى غربت الشمس ، والذي يراقب ربه بهذه الصورة الدقيقة لا يُتصور منه إطلاقاً هذا الذي ينسبه إليه العهد القديم ^(٥) .

(١) يشير إلى الملوك الأول : (١١/٦-٨) زوجات سليمان .

(٢) الملوك الأول : (١١/١٣-١١) زوجات سليمان .

(٣) مدخل لدراسة الأديان ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) سورة ص الآيات : (٣٠-٣٣) .

(٥) مدخل لدراسة الأديان ص ١٣٧ . وانظر : العقيدة اليهودية ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

هوشع النبي :

الافتراء على هوشع النبي :

ذكر د/ الهاشمي ما تفتريه التوراة على هوشع النبي فتقول : " إن هوشع النبي - يأمره الرب في التوراة - كذباً على الله سبحانه أن يتخذ لنفسه امرأة زانية زوجة له ، ولها أولاد زنى ، إذ هي زانية مشهورة بين اليهود " أول ما كلم الرب هوشع : قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب ، فذهب وأخذ جומר الزانية .. فحبلت وولدت له ابناً " (١) .

جهود العلماء في نقد هذا الافتراء :

ويعلق د/ عابد الهاشمي على النص بقوله : (فكيف يأمر الرب أن يتزوج نبي بزانية ، ومعها أولاد غير شرعيين ، بل إنه أول أمر إلهي إلى هذا النبي ، بل هو أول آية من هذا السفر لأهمية هذا الأمر الإلهي المكذوب بعقيدة التوراة) (٢) .

وفي سياق آخر مفترى يؤمر هوشع أن يتخير امرأة أخرى فاسقة ليقيم معها علاقة آثمة وهي امرأة محبوبة لغيره ، ليعاشرها معاشرة أزواج " وقال الرب لي - هوشع - اذهب أيضاً أحب امرأة حبيبة صاحب ، وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل ... فاشترىها لنفسي ... وقلت لها تقعين أياماً كثيرة ، لا تزني ، ولا تكوني لرجل ، وأنا كذلك " (٣) هكذا تفتري النصوص التي تبيح العهر والفساد على الرب وتشوه صور الأنبياء في التوراة (٤) .

الرؤية التقويمية لما ألصق بهوشع النبي :

إن (ما نسب زوراً إلى الخالق جل وعلا من عدم التأكيد على العفة ... ، والأمر بزعمهم لهوشع بالزواج من تلك الزانية ، أوامره باتخاذ عشيقة لها عشيق آخر ، فهو محض كذب وافتراء فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فالله جل وعلا حاشاه أن يبيح الزنى لأحد من عباده ، وقد حرمه تحريماً أكيداً في سائر كتبه يقول تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ (٥) (٦) .

(١) هوشع : (٣-٢/١١) زوجة هوشع وأبناؤه .

(٢) التربية في التوراة د/ عابد الهاشمي ص ١٢٦ .

(٣) هوشع : (٤-١/٣) مصالحة هوشع مع زوجته .

(٤) التربية في التوراة ص ١٢٦ بتصرف .

(٥) سورة الإسراء الآية : (٣٢) .

(٦) التربية في التوراة : ص ١٢٨ بتصرف .

سيدنا موسى وهارون عليهما السلام :

أرسل الله ﷻ سيدنا موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل فهو الشخصية الأولى عندهم يعترفون به نبياً ، وياليتهم حافظوا على هذا الاعتراف وأعطوه من القداسة والاحترام ما يليق بحقه كني من أنبياء الله ﷻ .

والم تأمل في كتابات علمائنا الإجلاء يلحظ أنهم قد أماطوا اللثام عن تلك الحقائق التي طمست وأزاحوا تلك الأباطيل التي ألصقت بسيدنا موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام بالأدلة القوية والبراهين الساطعة من القرآن الكريم ، وبينوا مكانته اللائقة ومقامه الرفيع عند الله سبحانه وتعالى ولم يغفلوا مقامه الحسن في العهد القديم مما يجعل كتاباتهم تتسم بالحيدة والموضوعية ، ومن النصوص التي استدلووا بها على ذلك :

١ - ما يدل على أنه أفضل نبي جاء إلى بني إسرائيل : " ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الله وجهاً لوجه " (١) .

٢ - ما يدل على أنه رجل الله ومصدر البركة لشعبه : " وهذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته " (٢) .

٣ - نزول التوراة عليه وكلها هدي ونور - التوراة الأصلية - (٣) .

افتراءات العهد القديم على سيدنا موسى وهارون عليهما السلام :

يفتري كتبة العهد القديم على سيدنا موسى وهارون عليهما السلام النبيين الكريمين الافتراءات التالية :

(١) الخيانة وعدم الإيمان .

(٢) الجبن والسرقة والقسوة .

(٣) الكفر وصناعة الأصنام .

(١) تثنية : (١٠/٣٤) موت موسى .

(٢) تثنية : (١/٣٣) موسى يبارك الأسباط .

(٣) انظر : فلسطين في الميزان : ص ٤٧ ، ٤٨ .

جهود العلماء في نقد هذه الافتراءات والرد عليها :

وقد تنوعت ردود العلماء في تقديم هذه الافتراءات كما يلي :

(١) ما يتعلق ببطلان الزعم الذي يقول أنهما خائنان ولم يؤمنا بالله :

فقد نقد د/ الهاشمي ود/ عبد الراضي ، ل/ أحمد عبد الوهاب - نظرة التوراة المحرفة إلى سيدنا موسى عليه السلام وبينوا أنها تظهره في صورة مشينة فمرة تصفه بأنه خائن وكافر بالله هو وهارون أخوه - عليهما السلام - وبالتالي فهما محرومان من دخول فلسطين^(١) والنص يقول : " لأنكما خنتما في وسط بني إسرائيل ... إذ لم تقدساني " ^(٢) . فقال الرب لموسى وهارون : " من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها " ^(٣) .

(٢) الجبن والقسوة والسرقة :

ومرة أخرى تصفه التوراة بأنه جبان يخاف شعبه : " وعطش هناك الشعب إلى الماء وتذمر الشعب على موسى ... فصرخ موسى إلى الرب قائلاً : ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجعونني " ^(٤) . ومرة تصفه بأنه جزار البشرية لاسيما لعرب فلسطين : ومن وصاياه : " ... فُحرموا فلا تكون عليهم رافة ، بل يبادون كما أمر الرب موسى " ^(٥) . وما أكثر ما ترد هذه الوصية " فلا تستبق منهم نسمة " أبادوهم لم يبقوا منهم نسمة كما أمر الرب موسى عبده ، هكذا أمر موسى يشوع وهكذا فعل يشوع لم يهمل شيئاً من كل ما أمر به الرب موسى ^(٦) .

ومرة تصفه بأنه سارق يأمر شعبه كله بسرقة المصريين قبيل مغادرتهم مصر وخروجهم منها " فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارقتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبوا المصريين " ^(٧) ^(٨) .

(١) انظر : النبوة والأنبياء ل/ أحمد عبد الوهاب ص ٤٨ ، فلسطين في الميزان د/ الهاشمي ص ٤٩ ، والتطرف اليهودي د/ عبد الراضي ص ٣٩ .

(٢) تثنية : (٥٤ ، ٥٠/٣٢) الرب ينبئ موسى بموته على جبل بنو .

(٣) عدد : (١٣ ، ١٢/٢٠) ماء من الصخرة .

(٤) خروج : (١٧-٣/٤) السابق .

(٥) يشوع : (٢٠/١١) هزيمة ملوك الشمال .

(٦) يشوع : (١٦-١٤/١١) السابق .

(٧) خروج : (٢٢-٢١/٣) موسى والعليقة المشتعلة .

(٨) انظر : فلسطين في الميزان د/ الهاشمي ص ٤٩ والتطرف اليهودي د/ عبد الراضي ص ٣٩ .

(٣) مشاركة هارون لبني إسرائيل فى الكفر :

فيذكر ل/ أحمد عبد الوهاب أن التوراة قد سجلت على هارون عليه السلام أنه شارك الشعب الإسرائيلي كفره إذ صنع بيده العجل الذي عبده ونصب نفسه كاهنًا فقد بين الإمام ابن القيم افتراء اليهود على هارون عليه السلام إذ نسبوا إليه صناعة العجل فيقول :

(وفيها - أي التوراة - أن هارون هو الذي صاغ لهم العجل وهذا إن لم يكن من زياداتهم وافتراءاتهم فهارون اسم السامري الذي صاغه ليس هو بهارون أخي موسى)^(١) .

ويعلق د/ بدران على قصة هارون عليه السلام قائلاً :

(هكذا جعلوا من هارون ذلك الإنسان القريب من النبوة صانع الأصنام عابدًا لها ؛ بل لقد زاد افتراءهم عليه وقالوا إنه عمل مذبذبًا للصنم الإله الجديد كما حدد أعياده)^(٢) فبني له مذبذبًا وجعل له في الغد عيدًا ، ومعاذ الله أن يكون هارون النبي كذلك فلقد تكفل القرآن ببراءة هارون من هذا الجرم الشنيع الذي لا يمكن الاعتذار عنه فقرر أن الذي صنع العجل إنما هو شخص آخر غير هارون كما سجل رفض هارون لتلك الفكرة الخبيثة وتنديده بها^(٣) .

وأيضًا يعتبر اليهود سيدنا موسى عليه السلام وثنيًا يصنع الحية النحاسية لعبادتها وتقديسها مع بني إسرائيل : " وسحق (حزقيا) حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها " ^(٤) .

(١) هداية الحيارى لابن القيم ص ٢٠٢ .

(٢) التوراة د/ بدران ص ٦٧ ، وانظر : العقيدة اليهودية د/ سعد الدين صالح ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) النبوة والأنبياء ل/ أحمد عبد الوهاب ص ٤٧ ، ٤٨ وقد استدل على ما يقول بقوله تعالى : ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أ فطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ، قالوا ما أخلفنا موعداك بملكنا ولكننا حملنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري ، فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فسني أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ﴾ .

(٤) الملوك الثاني : (٤/١٨) ، وانظر: التطرف اليهودي ص ٤٠ .

موقف القرآن الكريم من سيدنا موسى عليه السلام .

وبهذا يتبين ميل اليهود عن الحق في نظرهم لسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام ومما يؤكد مقامه الرفيع عند الله ﷻ ما ورد في حقه من آيات فهو كليم الله فقال تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ ^(١) .

وهو من أولى العزم من الرسل وهو الذى أخلصه الله له : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصًا وكان رسولاً نبياً ﴾ ^(٢) .

وهو مصطفى ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾ ^(٣) .

وتلقى الألواح التى كتبها الله له فقال تعالى : « وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظةً وتقييداً لكل شئ فخذها بقوة ، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ^(٤)
واصطبرناه الله على عينه وأحبه فقال تعالى : « وألقيت عليك محبة منى ، ولنضجع على عيني » ^(٥) وهو مقرب إلى الله تعالى فقال سبحانه : « وقرّبناه نجياً » ^(٦)
وغير ذلك من الآيات .

(٤) سورة الأعراف الآية : (١٤٥) .
(٥) سورة طه الآية : (٣٩) .
(٦) سورة مريم الآية : (٥٤) .

(١) سورة النساء الآية : (١٦٤) .
(٢) سورة مريم الآية : (٥١) .
(٣) سورة طه الآية : (١٣) .

سيدنا عيسى عليه السلام :

تنوعت الرؤى النقدية لعلماء المسلمين حول هذا الموضوع - المسيح عليه السلام في العهد القديم - ومعظم من تكلم فيها ربط فكرة المسيح المنتظر بالناحية السياسية والقومية لليهود وبين مدى ارتباط هذه الفكرة بفكرة المجيء الثاني للمسيح وأرض الميعاد ، وهذه الرؤية تأخذ طابع التحليل السياسي لرأي اليهود في المسيح عليه السلام .
وبعمق التحليل وفهم النصوص والدراسة التاريخية تناول د/ عبد الوهاب المسيري هذه القضية بالمناقشة مبيناً مدى الخلاف بين اليهودية والمسيحية في المسيح عليه السلام فيقول : (يُشار إلى المسيح (عيسى ابن مريم) بكلمة " يشو " العبرية .. أما كلمة " ماشيح " فإنها تشير إلى المسيح المخلص اليهودي الذي سوف يأتي في آخر الأيام)^(١) .

وثمة خلاف بين العقيدتين (اليهودية والمسيحية) حول فكرة المسيح فيبينما تري اليهودية المسيح " الماشيح " باعتباره شخصية سياسية قومية سيقود شعبه إلى صهيون ويعيد بناء الهيكل ويؤسس المملكة اليهودية مرة أخرى ... وقد تبدي كل هذا في شكل صراع تاريخي حقيقي ، فقد رفض اليهود المسيح (عيسى ابن مريم) ولا زالوا يرفضونه ويلوم الآباء المسيحيون الأوائل اليهود باعتبارهم مسئولين عما حاق بالمسيحيين الأولين من اضطهاد ... وهم المسئولون عن صلب المسيح .. ومن ثم فإن العلاقة بين اليهودية والمسيحية علاقة عدائية متوترة إلى أقصى حد)^(٢) .

بينما يؤكد د/ عبد الراضي محمد أن رفض اليهود للمسيح عليه السلام سببه أنه جاء ليزيل تشدد اليهود وقسوتهم وأنه جاء ليقوض الأصول الدينية القومية لدى اليهود معتمداً في نقده لهذه الفكرة - المسيح المنتظر - على وجهة نظر بعض علماء النصارى ومتبنياً لها وكثيراً ما أضاف إليها ما يشفي الغلة ويوفي القضية حقها فيقول نقلاً عن هؤلاء : عندما ظهر المسيح عليه السلام ودعا اليهود إلى اتباعه رفض اليهود منذ البداية الإقرار بنبوته والاعتراف بأنه المسيح المنتظر الذي بشرت به التوراة وكتب الأنبياء ، وذهبوا في جحودهم لنبوته إلى أبعد مدى ، فاعتبروه تائراً خارجاً على اليهودية يستحق القتل والرجم ومن ثم فقد بدءوا بالكيد له ولأتباعه لدى " بيلاطس " الحاكم الروماني وعقدوا له محاكمة دينية خاصة أمام مجلس السنهدريم أعلى هيئة قضائية في اليهود ووجه إليه اتهام بأنه نبي مزيف وأنه كان ساحراً ... وأنه كان يقوض الأصول الدينية القومية وادعي زوراً أنه المسيا المنتظر ... ويعتبرونه ابناً غير شرعي شريراً .. مضللاً وغير ذلك من التهم التي ألصقوها به^(٣) .

(١) اليهود واليهودية والصهيونية د/ المسيري ٣٤٠/٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤١ ، ٣٤٢ بتصرف بالحذف .

(٣) ينظر : التطرف اليهودي د/ عبد الراضي ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف بالحذف ، وانظر : الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة أ/ زكي على السيد أبو غضة ص ١٠٥ طبعة دار الوفاء - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، وانظر : اليهود واليهودية والإسلام د/ عبد الغني عبود ص ١١٧ .

وفي معالجة د/ حسن ظاظا لعقيدة اليهود في المسيح المخلص يطرح في رؤيته النقدية أبعاد تطور هذه الفكرة عبر العصور وكيف تعلق اليهود بهذا الحلم ومازالوا ينشدونه وينتظرون تحقيقه لأنه لم يأت بعد ، وأرجع د/ ظاظا تعلقهم بالمسيح المنتظر إلى أمرين :

١- العصبية القومية .

٢- ما حدث لهم من تشريد وضياع في السبي البابلي وبعده .

فيقول د/ ظاظا : تأتي فكرة انتظار المخلص أو المسيح مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب أو فكرة " العهد الجديد " عندئذ تتجدد أمة الله لتصبح جديدة بالله وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن يقيم فيها الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل ، وتزول فيها الأحقاد ، بل ويموت فيها الموت نفسه وفي وسط هذه الآمال المركزة على إسرائيل لا ينسي مروجو تلك البشارات أن يجعلوا فيها نصيباً للإنسانية من غير بني إسرائيل يقول أشعيا : " يصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن ... ويقال في ذلك اليوم " هو ذا إلهنا انتظرناه فخلصنا هذا هو الرب انتظرناه نبتهج ونفرح بخلاصه لأن يد الرب تستقر على الجبل " ^(١) . ويكاد المعلقون على أمثال تلك النصوص يتفقون على أمر واحد هو أن مبعثها - فكرة المخلص - إنما كان تعصباً قومياً ضيق الأفق شديد الحقد وتعلقاً بفكرة الحق الإلهي في السلطة الدينية " ^(٢) .

وعن تطور هذه الفكرة عبر العصور يضع د/ ظاظا يده على بداية ظهورها وسار معها حتى بين في أي وقت تأكدت عندهم وأصبحت عقيدة ملازمة لهم حتى الآن وأصبحت من الثوابت العقائدية التي تتمركز حولها سائر أفعال اليهود في العصر الحاضر فيقول :

٣- بدأت كلمة " مسيح " بالعبرية " ماشيح " حياتها اللغوية بمدلول مادي عادي فالفعل " مسح " كان يستعمل لمبايعة الملوك إذ يأتي الكاهن الأكبر الذي يقوم بطقوس التتويج ويأخذ على كفه بعضاً من الزيت المقدس فيمسح به مقدم رأس الملك ثم يضع التاج وهكذا كان كل ملك عند العبريين يسمى في القدم " مسيحاً " أي أنه متوج بطريقة شرعية وممسوح بالزيت المقدس ^(٣) .

(١) الإصحاح : (١٠-٦/٢٦) أنشودة حمد . مع الحذف .

(٢) الفكر الديني اليهودي : د/ حسن ظاظا ، ص ٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(ومع الحوادث الجسام التي تعرض لها اليهود في إبان السبي البابلي أصبح حلم الأنبياء والمصلحين والكثرة الكثيرة من اليهود أن يأتي ملك فذ من نوعه مخلص معه القوة والبركة معجز يعيد الأبحاد السالفة فيكون هو الملك بحق وهو " المسيح " وهذه الفكرة واضحة في قول أشعيا : " لأنه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه " (١) (٢) .

واستدل د/ أحمد شلي بالنص السابق ونصوص أخرى مثل " العذراء تحبل وتلد ابناً اسمه "عمانوئيل" (٣) ثم علق عليها بقوله : وفيما الرأي العام اليهودي لهذا المسيح ، وكان توقعه يتجدد كلما نزلت باليهود البلايا والحن ، وظهر عيسى ابن مريم عليه السلام وأعلن أنه المسيح الذي ينتظره اليهود لكن أكثرية اليهود رفضوا هذا الادعاء وقاموا بدعوة سيدنا عيسى عليه السلام وألقوا القبض عليه وحكموا عليه بالإعدام (٤) .

وقد علل د/ ظاظا عدم إيمان اليهود بدعوة سيدنا عيسى عليه السلام أنهم يقولون عنه بأنه : (لا تتحقق فيه الشروط التي وردت عند الأنبياء السابقين حول المسيح المنتظر وزمانه فإن النبي إيليا لم يزل مرهصاً له ولم يعد من السماء قبل مجيئه معلناً عن بعثته ، ثم إنهم يقولون إن النبي أشعيا يصف هذا المسيح المنتظر فيقول : " ويخرج قضيب من جذر يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب ... إلى آخر تلك الشروط التي وردت فيه " (٥) (٦) .

ثم يقرر د/ ظاظا في نهاية مناقشته لهذه القضية أن عقيدة المسيح المخلص تأكدت مع السبي البابلي ثم مع النكبات المتعاقبة التي حلت باليهود ومازالت أملاً يراودهم حتى أصبحت من أركان العقيدة اليهودية العامة وسميت عند كثير من مؤرخي تطور الفكر الإسرائيلي باسم " المسيحية " ... والواقع أن هذا الحلم المسيحي لم يكف عن مداعبة خيال اليهود منذ السبي البابلي وحتى القرن العشرين (٧) .

ولأهمية هذه العقيدة عند اليهود لما رأوا أنه قد مرت فترة طويلة دون أن يجيء المسيح الذي ينتظرونه انتهز بعضهم الفرصة وادعي أنه المسيح المنتظر وحدث ذلك أكثر من مرة عبر التاريخ وكل واحد منهم يعد اليهود بعودة فلسطين وتحقيق آمالهم .

(١) الإصحاح : (٦/٩) ولد لنا ولد .

(٢) الفكر الديني اليهودي ص ١٠٩ .

(٣) أشعيا : (١٤/٧) آية عمانوئيل .

(٤) اليهودية د/ أحمد شلي ص ٢١٤ .

(٥) أشعيا : (١١-١٠) جذع يسي .

(٦) الفكر الديني اليهودي : ص ١١٠ .

(٧) المرجع السابق : ص ١١٠ - ١١٢ بتصرف بالحذف .

وقد ذكر د/ أحمد شلي بعضاً من هؤلاء الذين ادعوا كذباً - كل منهم على حدة أنه المسيح - وكذلك د/ ظاظا ذكر بعضاً من هؤلاء مبينين في عرضهما لهؤلاء الكذبة فشلهم الذريع في عدم إمكانية تجميع اليهود وعدم القدرة على تحقيق آمالهم . بل إن بعضهم لما ظهر لليهود عدم صدقه أعلن إسلامه إثارةً للسلامة ^(١) .

بينما أكد ل/ أحمد عبد الوهاب أن لفظ المسيح قد أطلق على أكثر من نبي في العهد القديم فيقول : (ظهر في بني إسرائيل مسحاء كثيرون كانوا يحظون بهذا اللقب بمجرد أن يمسحهم أحد الأنبياء بالزيت المقدس فهكذا كان الحال مع شاول الذي مسحه النبي صموئيل " ... فكان المسيح هو اللقب الذي حظي به شاول كما أعلن صموئيل لكل إسرائيل : اشهدوا علىّ قدام الرب وقدام مسيحه ... " ^(٢) .

وبعد شاول قام صموئيل بمسح داود فتحول إلى مسيح آخر ، قال الرب لصموئيل : قم امسحه ... فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه ^(٣) وقبل أن يصعد إلياس إلى السماء فإنه مسح تلميذه اليسع نبياً من بعده " وقال الرب لإيلياء : اذهب وامسح اليسع بن شافاط نبياً عوضاً عنك " ^(٤)) ^(٥) .

(وأخيراً جاء المسيح عيسى عليه السلام أعظم مسيح ظهر في بني إسرائيل والذي سمي في الإنجيل مسيح الرب " وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان ... وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب فأتى بالروح إلى الهيكل وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعيه وبارك الله " ^(٦)) ^(٧) .

وخلاصة ما وقف عليه نقاد العهد القديم من علمائنا الاجلاء في هذه القضية ما يلي :

- ١- عدم اعتراف اليهود بالمسيح " عيسى ابن مريم عليه السلام " ومعنى ذلك أنهم يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض وذلك هو الكفر والضلال بعينه .
- ٢- عدم قصر العهد القديم لفظ المسيح على عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك لتميع القضية وليكون ذلك تبرير لهم في اعتقادهم في عيسى ابن مريم عليه السلام إذ أنهم يعتبرونه ملكاً وليس نبياً كداود وشاول وغيرهم .
- ٣- يدعي اليهود أن هناك مسيحاً آخر غير عيسى ابن مريم عليه السلام ينتظرون مجيئه ليقودهم إلى فلسطين ليعيد بناء الهيكل ويحكم من جديد .

(١) انظر : اليهودية : د/ أحمد شلي ، ص ٢١٤ ، ٢١٧ . الفكر الديني اليهودي : د/ ظاظا ص ١١٢ وما بعدها .

(٢) صموئيل الأول : (٣-١/١٢) خطاب صموئيل الوداعي .

(٣) صموئيل الأول : (١٣-١٢/١٦) صموئيل بمسح داود ملكاً .

(٤) ملوك الأول : (١٧-١٥/١٩) الرب يظهر لإيليا .

(٥) النبوة والأنبياء : ل/ أحمد عبد الوهاب ، ص ٥٧ .

(٦) لوقا : (٢٨-٢٥/٢) ختان الطفل يسوع وتقديمه في الهيكل .

(٧) النبوة والأنبياء : ص ٥٨ .

وفي نهاية هذا البحث يتبين ما يلي :

- ١- اضطراب مفهوم النبوة والأنبياء في العهد القديم .
- ٢- يزعم اليهود أن الأنبياء غير معصومين فيما دون الوحي .
- ٣- يعترف اليهود ببعض الأنبياء ونبوهم ويعتبرون البعض الآخر ملوكاً وليسوا أنبياء .
- ٤- لم يترك العهد القديم نبياً من الأنبياء إلا وألصقوا به التهم ولوثوا سيرته بل وقتلوا كثيراً منهم حتى سيدنا موسى عليه السلام لم يسلم منهم .
- ٥- الحيدة والموضوعية في ردود علماء المسلمين على الافتراءات الواردة في العهد القديم التي قد نسبت زوراً وبهتاناً إلى الأنبياء عليهم السلام .

المبحث الخامس تصور العهد القديم عن اليوم الآخر

تمهيد :

عقيدة الإيمان باليوم الآخر من العقائد الثابتة التي جاء بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد دعا إليها موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لُتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾^(١).

وقف علماء المسلمين وقفة نقدية مع العهد القديم حول هذه القضية وبينوا فيها عدم ذكر الجزاء الأخروي فيه وأن الوارد فيه الجزاء الدنيوي فقط وبالتالي كان الاهتمام بالدنيا يحتل المقام الأول في التصور اليهودي ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾^(٢) أي حياة كانت بصرف النظر عن نوعية هذه الحياة وشرعيتها ولذلك يجتهد اليهودي في إفناء حياته في المتع والشهوات ولو على حساب الآخرين فإذا جاء الموت فلا حياة بعد ذلك كما يدعون .

ويمكن حصر جهود علماء المسلمين حول نقد عقيدة اليوم الآخر في العهد القديم تحت العناصر التالية :

- (١) غلبة ذكر الجزاء الدنيوي على الأخروي في نصوص العهد القديم .
- (٢) خلو العهد القديم من ذكر اليوم الآخر باستثناء بعض الآيات .
- (٣) الأسباب وراء خلو العهد القديم من ذكر اليوم الآخر .
- (٤) بداية ظهور عقيدة البعث واليوم الآخر وتطورها .

(١) تغليب ذكر الجزاء الدنيوي على الأخروي في العهد القديم :

عند التأمل في هذا العنصر واسترجاع المراحل التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل يلاحظ تغليب الناحية المادية على الجانب الروحي عندهم ولذلك يري د/ أحمد غلوش :

أن هذه الفكرة المادية - غلبة الجزاء الدنيوي على الأخروي - هي التي أوحى للفكر اليهودي أن يأتي اليهود إلى فلسطين على أساس أنها جنة اليهودي ومتعته ، وبقي اليهود على هذا الاتجاه حتى صار جزءاً من معتقدتهم العام يعيشون له وبه والسعيد فيهم من تمكن من العيش في فلسطين وكل من لم يتمكن من ذلك يعيش متعلقاً بها مشتاقاً إليها وفي عزمه أن يأتي إليها يوماً من الأيام^(٣) .

(١) سورة طه الآيات : (١٣-١٥) .

(٢) سورة البقرة الآية : (٩٦) .

(٣) انظر : دراسات في الأدیان د/ أحمد غلوش ص ١١٦ بتصرف يسير .

وبتحليل هذه الرؤية النقدية يتبين للباحث أن د/ غلوش قد غاص داخل النفسية اليهودية وحلل ميولها من خلال قرائته للواقع اليهودي المعاصر قراءة متأنية وبناءً على ذلك أسس رأيه السابق في هذا الموضوع .

ويري د/ صفوت مبارك :

أنه لا يوجد في التوراة التي بين أيدينا اليوم ذكر لليوم الآخر وما فيه بل إن الذي يقرأها يتبين له أن الجزاء فيها دنيوي بحث فمن آمن وعمل صالحاً فإنه يثاب على ذلك وثوابه إنما يكون في هذه الحياة الدنيا ؛ ومن كفر وعصى فإنه يعاقب على ذلك وعقابه إنما يكون في هذه الحياة الدنيا ، أما الآخرة فلا توجد إشارة إليها من قريب أو بعيد ، أما فيما يتعلق بالثواب على الإيمان والعمل الصالح فهو أيضاً دنيوي (١) .

وذكر د/ صفوت أدلة كثيرة تدل على ذلك منها ما يلي : " وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مستعليًا على جميع قبائل الأرض ... مباركًا تكون في المدينة ومباركًا تكون في الحقل .. ومباركًا تكون في دخولك ومباركًا تكون في خروجك " (٢) .

وما جاء في سفر اللاويين " إذ سلكتكم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتكم بها أعطيت مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها .. فتأكلون خبزكم للشبع وتكونون في أرضكم آمنين ... وأسير بينكم وأكون لكم إلهًا وأنتم تكونون لي شعباً " (٣) .

وأما فيما يتعلق بالعقوبة التي يعاقب الرب بها العصاة الذين يخالفون أوامره ووصاياه ، فيلاحظ أنها كلها كوارث ومصائب ونوازل دنيوية وليس من بينها أي عقاب أخروي (٤) ذكر أدلة كثيرة تدل على ذلك منها : (١) " ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك ... تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدرلك ملعونًا تكون في المدينة وملعونًا تكون في الحقل ملعونة تكون سلتك ومعجنتك ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك ... ملعونًا تكون في دخولك وملعونًا تكون في خروجك " (٥) .

(٢) " لكن إن لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا ... فإني أسلط عليكم رعبًا وسلًا وحمى تفني العينين وتتلف النفس وترعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم ... أطلق عليكم وحوش البرية ... وأصير مدنكم خراباً " (٦) .

(١) انظر : مدخل لدراسة الأديان ص ١٣٨ ، ١٣٩ بتصرف يسير .

(٢) تثنية : (١٧-١/٢٨) بركات الطاعة .

(٣) الإصحاح : (١٢-٣/٢٦) مكافأة الطاعة .

(٤) مدخل لدراسة الأديان ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٥) تثنية : (١٩-١٥/٢٨) لعنات العصيان .

(٦) لاويين : (٣١-١٤/٢٦) عقوبة العصيان .

(٢) خلو العهد القديم من ذكر اليوم الآخر :

يقرر الإمام ابن تيمية خلو العهد القديم من ذكر اليوم الآخر وما فيه فيقول :

(إن التوراة - التي بأيدي اليهود - ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعافية والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء)^(١) .

وفي طرح د/ مشرح على ، لهذه القضية يبين ما طرأ على التصور اليهودي من فكر خاطئ وفهم معوج حول اليوم الآخر والبعث بعد أن كان سليماً في بدايته فيقول :

(كان اليهود في أول نشأتهم يعتقدون كما يعتقد غيرهم من أهل الأديان بالبعث وبالجنة والنار والحساب والعقاب على ما يقدم الإنسان في الدنيا من خير أو شر غير أن هذه العقيدة سرعان ما تلاشت عندهم واضطربت وماتت وصار اعتقادهم أن الموت خاتمة كل شيء)^(٢) .

ويبين د/ فرج الله عبد الباري ، مدى ما وصلت إليه العقيدة اليهودية من تعقيد وغموض لخلوها من ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته فيقول :

(إن عقيدة اليوم الآخر عند اليهود من الأمور البالغة التعقيد وقد خلت التوراة الحالية من الحديث عن اليوم الآخر ، وأن الإشارات إليه تأتي عابرة مختلفاً حولها منها :

١- ما ورد في سفر أشعيا : " تحيا أمواتك تقوم الجثث ، استيقظوا ترغموا بإسكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة " ^(٣) .

٢- ما ورد في سفر حزقيال : " أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلدًا وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أنا الرب " ^(٤) ^(٥) .

(١) الجواب الصحيح : ٣٠٠/١ .

(٢) اليهودية دراسة مقارنة د/ مشرح على (الأستاذ بجامعة الأزهر فرع المنصورة) ، ص ٢٢٩ . ط/ بدم

(٣) الإصحاح : ١٩/٢٦ ، أنشودة حمد .

(٤) حزقيال : (٦-٤/٣٧) وادي العظام اليابسة .

(٥) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د/ فرج الله عبد الباري (الأستاذ بجامعة الأزهر فرع طنطا) ، ص ٥٤ ، ٣٣٢ .

ط/ دار الوفاء بالمنصورة ، ط/ ٢ ، ١٤٢٢ هـ - ١٩٩٩ م .

وفي تعليق د/ فرج الله على هذين النصين يقول :

(إنهما يشيران إلى البعث الجسدي والروحي معاً لليهود في الآخرة ويلاحظ على ذلك ما يلي :

١- أن الإشارات عن الآخرة غير وافية ولا تعطي تفصيلاً لكثير من الجوانب عن اليوم الآخر .

٢- أن أسفار موسى الخمسة تخلو تماماً من أي إشارة إلى اليوم الآخر وما فيها ^(١) .

ويؤكد ذلك د/ مصطفى حلمي فيقول :

(إن هناك اضطراباً وغموضاً في عقيدة اليهود في اليوم الآخر فهي أقرب إلى الإنكار منها إلى الإقرار والإيمان

ويرجع ذلك إلى اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة في التوراة ^(٢) .

أما د/ عابد توفيق الهاشمي في كتابه " التربية في التوراة " في نقده لهذه العقيدة وبيان وجودها من عدمه في

نصوص العهد القديم تناول مناقشتها تحت أمرين هما :

١- عدم وضوح معنى الآخرة في نصوص التوراة .

٢- احتمال الإشارة إلى الآخرة في بعض النصوص .

أما عن الأمر الأول فيقول :

إن النصوص القليلة في التوراة التي ذكرت فيها كلمة الآخرة ، غير واضحة المعنى ولا تدل على الآخرة بمعناها

الاصطلاحي المعروف ، بل ربما أشار المعنى إلى نهايات الأعمال وتتبع بدقة لفظة الآخرة في التوراة الحالية فوجدها

في نصوص لا صلة لها بالدار الآخرة من هذه النصوص :

١- " فرأى الرب ورذل من الغيظ بنييه وبناته ، وقال احجب وجهي عنهم ، وانظر ماذا تكون آخرتهم ، إنهم

جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم ^(٣) أي ما نتيجة أعمالهم في الدنيا .

٢- " إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ، لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم ^(٤) . أي آخرة أعمالهم في

الدنيا كذلك .

٣- " صار في الأرض دهش وقشعريرة ، الأنبياء يتنبئون بالكذب والكهنة تحكم على أيديهم وشعبي هكذا

أحب ، وما تعملون في آخرتها ^(٥) أي في نهاية هذه الأعمال .

وأكد بعد سرده لهذه النصوص أن مدلول كلمة الآخرة يعني آخرة أعمالهم ونتائجها في هذه الحياة الدنيا

وأكد أيضاً خلو التوراة الحالية من ذكر الآخرة بمدلولها الاصطلاحي بل وردت نصوص تنكرها من هذه

النصوص الصريحة في الإنكار :

(١) اليوم الآخر د/ فرج الله ص ٣٣٢ .

(٢) الإسلام والأديان دراسة مقارنة د/ مصطفى حلمي ص ١٧٧ ط - دار الدعوة ١٩٩٠ م .

(٣) تنبيه : (٣٢/٢٠ - ٢١) نشيد موسى .

(٤) تنبيه : (٣٢/٢٨ - ٢٩) السابق .

(٥) أرميا : (٣٠/٥) لا يوجد بار .

٤- " لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون ، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم قد نسي " (١) فهذا إنكار صريح للآخرة ، بأن الميت لا جزاء له ولا عقاب ، ولا حساب ! (٢) .

أما عن الأمر الثاني :

هاهو العالم الجليل الشيخ رحمة الله الهندي يقول عن عقيدة الآخرة في التوراة والتي كُتبت بعد سبعة قرون من وفاة موسى سيدنا ﷺ : (فلا ذكر للآخرة فيها ، ولكن الأسفار الخمسة فيها مواعيد دنيوية للمطيعين وتهديدات دنيوية للعاصيين وهكذا توجد في مواضع كثيرة) (٣) .

ويؤكد أن خلو التوراة من ذكر عقيدة اليوم الآخر دليل من الأدلة القاطعة على التحريف الذي طرأ على التوراة ذلك أن الله تعالى جعل عقيدة اليوم الآخر جزءاً أساساً في الدين الحق الذي أنزله على الناس من لدن آدم ﷺ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٤) .

وذكر/ الهاشمي أن هناك نصوصاً يفهم منها الإشارة إلى يوم القيامة من هذه النصوص :

١- " قريب يوم الرب العظيم ... ذلك اليوم يوم سحق ، يوم ضيق وشدة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقاتم ... لأنه يصنع فناءً باغثاً لكل سكان الأرض " (٥) .

٢- فلنسمع ختام الأمر كله : اتق الله واحفظ وصاياه ... لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً " (٦) . وهذا النص ربما كان أوضح النصوص التي تشير إلى يوم القيامة لأن الدينونة تعني الحساب حيث يدين الله كل إنسان على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر (٧) .

وفي نظرة د/ الهاشمي التقويمية لما سبق من عرض نقدي لإغفال الإيمان بالآخرة في التوراة يقول :

(إن ما ذكر من نصوص يبين عدم تأكيد التوراة لعقيدة الآخرة وإن هذا الإغفال أمر يعرفه كل من درس التوراة دراسة دقيقة وعرف حياة اليهود عبر تاريخهم (٨) .

(١) الجامعة : (٥/٩) الوقوف بحية أمام الرب .

(٢) انظر : التربية في التوراة د/ الهاشمي ، ص ٧٩-٨٠ .

(٣) إظهار الحق : ٧٨/٢ .

(٤) سورة النساء الآية : (١٣٦) .

(٥) صفنيا : (١٤/١) النهاية ، يوم الرب العظيم .

(٦) الجامعة : (١٤-١٣/١٢) ختام الأمر .

(٧) انظر : التربية في التوراة ، ص ٨١ .

(٨) التربية في التوراة ، ص ٨٢ .

والباحثة / سميرة عبد الله عرضت ما يتعلق بتصور اليوم الآخر في التوراة وباقي أسفار العهد القديم في نقاط مجملة ثم فصلت ذلك الإجمال وناقشته وأضافت إلى ما ذكره د/ الهاشمي من أدلة - نصوصاً أخرى - بينت سيطرة المادة على قلوب اليهود ولذلك فلا مكان للروحانيات عندهم واقتصرت التوراة على ذكر الموت في هذه الدنيا بصورة مادية مجتة ، تاركة ذكر مصير الإنسان بعد الموت بدون بيان جلي صريح فنهاية آدم عليه السلام تختتم بالموت ولا شيء بعد الموت ونص ذلك : " لأنك تراب وإلى التراب تعود " (١) ... أما الحديث عن الحياة الأخرى والجنة والنار بعد البعث فالتوراة خالية من ذلك تماماً وجعلت مناط الطاعة والمعصية هو الإثابة والعقوبة في الدنيا المتمثل في البركات واللعنات المادية التي تصيب الإنسان (٢) .

٣. الأسباب وراء خلو العهد القديم من ذكر اليوم الآخر :

ولقد أُرْجِع بعض العلماء خلو العهد القديم من ذكر اليوم الآخر (٣) للأسباب التالية :

١- (لعل السبب في ذلك وجودهم بين المصريين مدة ٤٣٠ سنة كما جاء في سفر الخروج " وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة " (٤) واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عاقلة كثيراً بأذهان المصريين فانتقلت منهم إلى بني إسرائيل وأصبحت عندهم من الأمور التي لا يترددون في قبولها فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيراً فاكثفت كتبهم بالإشارة إليها أحياناً (٥) .

٢- أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها أن الناس كانوا في تلك الأزمنة قصيري الإدراك متبلدي الشعور وخصوصاً اليهود ذوي الرقاب الصلبة كما جاء في سفر الخروج " وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صُلْبُ الرقبة (٦) " فلذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة انفعالها بالمواعيد العاجلة التي أكثرت كتبهم من ذكرها لهم لغلظ قلوبهم وقسوتها فلما كثر بين الناس الشك في هذه العقيدة وارتقسي إدراكهم ورق شعورهم عن ذي قبل جاء سيدنا عيسى عليه السلام لتبيين هذه العقيدة العظمي واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بني إسرائيل (٧) .

(١) تكوين : (١٩/٣) وجهود الإمامين ، ص ٥١٤ .

(٢) انظر : تشنية : (١٦-١/٢٨) ، تشنية : (٤٦-١٦/٢٨) وانظر : جهود الإمامين ، ص ٥١٦-٥١٧ .

(٣) اللهم إلا بعض إشارات طفيفة كما في سفر التشنية : (٣٩/٣٢) ، دانيال : (٣-٢/١٢) وغير ذلك .

(٤) الإصحاح : (٤٠/١٢) الخروج .

(٥) نظرة في كتب العهد الجديد د/ محمد توفيق صدقي ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ مطبعة المنار بمصر ١٣٣١ هـ .

(٦) الإصحاح : (٩/٣٢) العجل الذهبي .

(٧) نظرة في كتب العهد الجديد ص ١٦٥ مرجع سابق .

ويضيف د/ كامل سغفان أكثر من بُعد توضيحي لهذه القضية فيقول :

١- من خلال دراسة العهد القديم نجد أنه لم يمس العالم الآخر من قريب أو بعيد وكأنه اكتفى بالعقوبات الشديدة التي تنزل بالجرمين أو لعله تأسى بديانة أخناتون دون ما سبقها من الديانات المصرية التي كانت تؤمن بالحياة بعد الموت ، حيث يحتل إلى الأبدية (أوزوريس) مكاناً رئيساً بين الآلهة ... فإذا كان موسى (العهد القديم) من رجال أخناتون أو أحد دعاة ، وإذا كان (الخروج) تم في عهد أعداء أخناتون فقد كان على كُتاب العهد القديم أن يراعوا هذه العلاقات السياسية^(١) .

٢- ويقول أيضاً : ولكننا نجد في سفر الجامعة - الإصحاح الثالث : " إن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة ... كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل ، إلى الأرض ... إنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله ، لأن ذلك نصيبه "^(٢) وهذا قول لا يفيد شيئاً عن البعث والحساب .

٣- أما أول إشارة إلى البعث فلا نكاد نجدها قبل (سفر دانيال ١٢)^(٣) مما يفيد تحولاً في العلاقات السياسية والثقافية ، أو هو دليل على ما أصاب (التوراة) من تحريف وتزييف ، إذ أنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية زمن الأسر الطويل ، وإبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش (المخلص) ... وجاء عصر السيد المسيح وما يزال الخلاف بين الطوائف الإسرائيلية حول الحياة الآخرة وفقاً للإيمان ببعض الأسفار دون الأخرى^(٤) .

٤. بداية ظهور عقيدة اليوم الآخر وتطورها في الفكر اليهودي :

وضع علماء المسلمين أيديهم على سبب ظهور عقيدة اليوم الآخر عند بني إسرائيل وأرجعوا ذلك إلى ما حدث لهم في فترة التيه والتشريد التي عاشوها وكذلك إلى فترة السبي البابلي وما ذاقوه من ويلات في هذه الفترة التاريخية كل ذلك كان له أكبر الأثر في وقوف اليهود مع أنفسهم مما جعلهم يعيدوا التفكير فيما وراء هذه الحياة الدنيا من أمور غيبية .

(١) اليهود تاريخاً وعقيدة : د/ كامل سغفان ، ص ٢٢٣ ، ط/ دار الاعتصام ١٩٨٨ م .

(٢) الإصحاح : (٢٢-١٩/٣) لكل شيء زمان .

(٣) والنص يقول : " كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدى " (دانيال : ٣-٢/١٢) أزمنة النهاية .

(٤) اليهود تاريخاً وعقيدة : د/ كامل سغفان ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

ولذلك يري د/ حسن ظاظا في كتابه: "الفكر اليهودي" :

(أن اليهود لم يفكروا في الغيبات إلا بعد أن تعرضوا للسي البابلي ثم التشتت في الأرض على أيدي الرومان)^(١) .

ويحدد في موضع آخر من كتابه مفهوم الغيبات الذي اتجه تفكير اليهود إليه فيذكر : (أن التفكير في الغيبات كان يتخذ اتجاهين محددين هما : نهاية العالم والخلاص على يد المسيح المنتظر)^(٢) .

ويؤكد د/ صفوت مبارك على ذلك بقوله :

(بعد الأسر البابلي ، وحلول الكوارث بيني إسرائيل - بدأ بنو إسرائيل يتذكرون الحياة الآخرة ؛ لأن الحياة الدنيا لم تعد تسير على هواهم ، فظهرت أسفار تتحدث عن الجزاء الأخروي منها " سفر دانيال " الذي يتحدث عن البعث والحياة الأبدية فيقول : " وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للزدرء الأبدى والفاهمون يضيئون ، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور ، أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام)^(٣) ")^(٤) .

ويقول د/ أحمد شلي من خلال اطلاعه الواسع على تاريخ اليهود وتفحص طباعهم ونوعياتهم - يقول : إن يهود الماضي ليسوا كيهود الحاضر ولذلك يري أن اليهود يرون أنفسهم قسمين : قسم تمتع بحياته الدنيا وطيباتها ولم يتعرض للأسر والتشرد ، وهؤلاء قد استوفوا حظهم من الثواب الإلهي فلم يعد هناك داع لأن يحيا حياة أخرى وهذا هو القسم الذي تناولته التوراة التي لم تتحدث عن الجزاء الأخروي حيث اعتبرت بني إسرائيل الذين عاشوا مع سيدنا موسى ~~عليه السلام~~ قد استوفوا ثوابهم في هذه الحياة الدنيا)^(٥) .

(أما القسم الثاني : فهم الذين عاشوا تحت سلطان الشعوب الأخرى أسرى أو مشردين ، فهؤلاء يري اليهود أنهم لم يستوفوا جزاءهم ، ولم يثابوا على أعمالهم الصالحة ، ولذا فإنهم يبعثون بعد موتهم ليوفوا جزاءهم وينالوا حظهم من النعيم)^(٦) .

(١) الفكر اليهودي أطواره ومذاهبه د/ حسن ظاظا ص ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٩-١١٠ .

(٣) الإصحاح : (١٢/٢-٣ ، ١٣) أزمنة النهاية .

(٤) مدخل لدراسة الأديان : ص ١٤٢ .

(٥) اليهودية د/ أحمد شلي ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة .

ولعل هذه الفكرة كانت وراء الدعوة إلى الإيمان بالبعث والدار الآخرة التي ظهرت بعد الأسر البابلي وتناولتها أسفار العهد القديم التي ظهرت آنذاك ومما يؤكد هذه الفكرة أن العبارة التي وردت في سفر "دانيال" والتي تقول "كثيرون من الراقيدين في تراب الأرض يستيقظون" ولم يقل: "إن جميع الراقيدين يستيقظون" ولكن بقي أن هذا النص لا يتحدث فقط عن ثواب أخروي بل يتحدث أيضاً عن عقاب أبدى في الدار الآخرة في حين أن رأى هؤلاء ينحصر في الحديث عن الثواب الأخروي^(١).

وأياً ما كان الأمر فقد ظهرت "فرقة الفريسيين"^(٢) وهي إحدى الفرق اليهودية التي ظهرت بعد الأسر البابلي ومن مبادئها الإيمان بالبعث والدار الآخرة ورغم جهاد هذه الفرقة في محاولة نشر هذه الفكرة بين اليهود منتهزة فرصة الصدمة التي أصابتهم بعد زوال ملكهم من فلسطين غير أن هذه الفكرة لم تجد أي صدى لها عند اليهود وأنكرتها الفرق الأخرى^(٣).

ويضيف د/ صفوت بُعداً توضيحياً لمبادئ الفريسيين فيقول:

(إنهم يعتقدون أن الصالحين من الأموات فقط هم الذين سيعثون وأن بعثهم يكون على هذه الأرض وثوابهم يتحقق بالحياة في مملكة "المسيح المنتظر" وهو من نسل داود ويأتي في آخر الزمان ليدخل الناس في دين موسى ~~الذي~~ ويملا الأرض سلاماً وعدلاً كما يدعون فالجزء الأخروي عندهم يكون على هذه الأرض وهو للصالحين فقط أما - الكفار والعصاة فلا يبعثون بل يموتون موتاً أبدياً - وهذا عقابهم على كفرهم وفسقهم وتمردهم)^(٤).

إضافة إلى ما سبق ومن خلال استقراء وتتبع الباحثة / سميرة عبد الله لهذا الموضوع رصدت نصوصاً من باقي أسفار العهد القديم تدل دلالة واضحة على الاعتراف باليوم الآخر، ووصفه وما يتم فيه من حساب الخلائق والقضاء بينهم وبجازاتهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولكنها لم تذكر التوقيت الذي ظهرت فيه هذه النصوص مثلما حددها أغلب النقاد.. ومن القضايا التي ذكرتها وعرضتها بالأدلة قضية البعث^(٥) والحشر^(٦) والعرض^(٧) والحساب والقضاء بين الناس والجزاء^(٨) والجنة^(٩) والنار^(١٠).

(١) مدخل لدراسة الأديان: ص ١٤٢.

(٢) هم: الذين ألفوا أسفار التلمود ويعتقدون بصحة البعث بعد الموت، وأن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الحياة الدنيا ليشركوا في ملك المسيح المنتظر (انظر: تاريخ الدعوة إلى الله - الألورى ص ٧٤).

(٣) مدخل لدراسة الأديان ص ١٤٣.

(٤) المرجع السابق: نفس الصفحة

(٥) مزامير: (١٥/١٧)، أشعيا: (١٩/٢٦) أنشودة حمد.

(٦) أشعيا: (٢٤-٢١/٢٤) الرب يدمر الأرض.

(٧) جامعة: (١٤-١٣/١٢) ختام الأمر.

(٨) أمثال: (١٨-١٧/٢٣) بدون.

(٩) تكوين: (١٠/٢)، (١٠/١٣) انفصال إبراهيم عن لوط.

(١٠) انظر: عدد: (٢٣-٢٠/١٦)، خروج: (١٧-١٤/٣١)، عاموس: (٢/٩)، مزامير: (٥/٦)، تكوين: (٣٥/٣٧).

وبناءً على ما سبق من آراء علماء المسلمين حول عقيدة اليوم الآخر في العهد القديم يلاحظ الباحث ما يلي :

١- يكاد يتفق العلماء على أنه لم يكن هناك تصور واضح عن اليوم الآخر في العهد القديم لخلو أسفاره من ذكر البعث والجزاء خاصة أسفار موسى الخمسة باستثناء بعض الآيات التي تحتوى على إشارات طفيفة له .

٢- تحول اليهودية بعد الأسر البابلي تحولاً عقائدياً وسياسياً خطيراً ترتب عليه التفكير في الغيبيات وما بعد هذه الحياة الدنيا .

٣- سيطرة الروح المادية على نصوص العهد القديم .

٤- يعتقد اليهودي أن جزاءه على أعماله يستوفيه في الدنيا ومن ثم يفني حياته في التمتع بالملذات والشهوات ويحرص على ذلك حرصاً شديداً .

المبحث السادس نقد عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في العهد القديم

اهتم بعض المعاصرين من علماء المسلمين بالحديث عن القضاء والقدر في العهد القديم ، وفي دراستهم لهذا الموضوع بينوا حقيقة القضاء والقدر في أسفار العهد القديم وألقوا الضوء على النصوص التي تثبت مراتب القضاء والقدر ثم أردفوها بذكر النصوص التي تقدح في كمال هذه المراتب ، وبالتالي أثبتوا مدى التناقض والتعارض في عقيدة اليهود في هذا الموضوع .

وقد اتبعوا في تقديم أسلوب الإثبات والنفي بعرض النص الذي يثبت هذه العقيدة ثم يذكروا بعد ذلك النص الذي ينفيها أو يقدح فيها وهو ما يسمي في اللغة بأسلوب التضاد ، وبذلك تظهر المخالفة جيداً ويتضح التناقض في النصوص التوراتية التي تتحدث عن القضاء والقدر ويتبين الاضطراب العقائدي في قضية هي من أخطر القضايا العقائدية إذ هي من الأركان الأساسية للإيمان .

ويمكن إجمال ما يتعلق بالقضاء والقدر تحت العناصر التالية :

- ١- إثبات مراتب عقيدة القضاء والقدر بنصوص من العهد القديم .
- ٢- انحراف اليهود في عقيدة القضاء والقدر ونقد العلماء لها .

أولاً : مراتب القضاء والقدر في العهد القديم (١) :

أ - العلم الأزلي المسبق :

توجد نصوص في العهد القديم تنص على أن الله **وَعَلَّمَ** وسع كل شيء علماً ، من هذه النصوص : " مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يفعل قائلاً رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي وقد تكلمت فأجريه قضيب فأفعله " (٢) .

ب- كتابة الأشياء قبل كونها :

ينص العهد القديم على أن الله تعالى كتب كل شيء قبل الخلق من بدء الخلق حتى تقوم الساعة من ذلك : " رأيت عينك أعزائي وفي سفرك كلها كتبت يوم تصورت إذ لم يكن واحد منها " (٣) . وقول التوراة : " لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت : للولادة وقت ... ، وللموت وقت ، قد عرفت أن كل ما يعمل الله أنه يكون إلى الأبد لا شيء يُزاد عليه ولا شيء يُنقص منه ... ما كان فمن القدم هو ، وما يكون فمن القدم قد كان " (٤) .

(١) جهود الإمامين من ص ٥٦٩ - ٥٨٠ باختصار .

(٢) أشعيا : (١١-١٠/٤٦) وانظر : أشعيا : (٨-٦/٤٤) ، أيوب : (٧/١٠) ، مزمور : (١٣٩-١/٥) .

(٣) مزمور : (١٦/١٣٩) بدون .

(٤) جامعة : (١٤-١/٣) لكل شيء زمان .

ج - مشيئة الأشياء قبل كونها :

جاء في التوراة أن الله تعالى فعال لما يريد ، ومشيئته نافذة لا يرد لها شيء ... ولا شيء خارج عما أراد من هذه النصوص : " من ذا الذي يقول فيكون والرب لم يأمر " ^(١) ، " كما قصدت يصير وكما نويت يثبت " ^(٢) .

د - خلق الأشياء بأمره :

أشارت بعض النصوص إلى خلق الله وإيجاده لكل المخلوقات بمجرد إرادته وبكلمة منه من هذه النصوص : " بكلمة الرب صُنعت الأرض وبنسمة فيه كل جنودها ... لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة ، لأنه قال فكان ، هو أَمْرُ فصار " ^(٣) .

فما سبق يثبت مراتب القضاء والقدر في العهد القديم ويبدو أن هذه النصوص من بقايا الحق التي مازالت موجودة فيه وهي دليل إدانة لليهود حينما ينكرون عقيدة القضاء والقدر .

ثانيًا : انحراف اليهود عن الإيمان بمراتب القضاء والقدر وجهود العلماء في نقدها والرد عليها :

ذكرت الباحثة / سميرة عبد الله ما يعارض إثبات المراتب السابقة للقضاء والقدر حيث ذكرت النصوص التي تصف الإله بصفات لا تليق بذاته المقدسة وقد أشرت إلى بعض هذه الصفات في المبحث الأول من هذا الفصل ^(٤) . من هذه الصفات التي ألصقوها بالإله :

نفي العلم الإلهي " الجهل " .. والذي يدل على ذلك من التوراة : قصة آدم وحواء وأكلهما من شجرة معرفة الخير والشر إذ اختبأ آدم من أمام وجه الإله حين سمع صوت مشيه داخل الجنة فلم يره الإله ولم يعرف مكان اختبائه حتى عرفه آدم وأخبره بذلك ^(٥) .

والجدير بالذكر أن المسلم (يؤمن أن قدر الله كله خير ، وأن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى مباشرة تأدبًا مع مقام الربوبية ؛ لأن علم الله تعالى ومشيئته وكتابه وخلقته للأشياء عدل كله ورحمة وخير وحكمة بالغة) ^(٦) .

(١) مراثي أرميا : (٣٧/٣) توبة ورجاء .

(٢) أشعياء : (٢٤/١٤) نبوة ضد آشور .

(٣) مزمو : (٩٠-٣٣) بدون .

(٤) مراجع : ص ١١٠ من هذه الدراسة .

(٥) انظر القصة كاملة في : تكوين : (١٢-٦/٢) آدم وحواء .

(٦) جهود الإمامين : ص ٥٧٧ .

وبين د/ أحمد شلي أن اليهود يخالفون هذه العقيدة المستقيمة في القضاء والقدر فيقول :
 إنهم ينسبون الشر لله ﷻ وأن الإنسان مجبر في أفعاله وبالتالي فإن صدور الشر عنه أمر طبيعي ؛ لأنه خلقه وقد
 ركبت فيه هذه الطبيعة الشريرة وأن المنحرف من البشر لا يمكن له بأي حال من الأحوال أن ينصلح حاله أبدًا
 ولا يمكن له أن يُقوّم ويؤكد ذلك ما تعتقده الطوائف اليهودية : فطائفة "الفريسيون" لها رأى في القضاء والقدر
 فهم يرون أن الأفعال يمكن أن تتأثر بالقضاء والقدر ولكنها غير واقعة بها ^(١) .

وطائفة "الصدوقيون" لا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان
 لا لله ^(٢) .

وطائفة "القراؤون" ذهبت إلى القول بالجبر المطلق ونفي الاختيار أو تأثير أفعال العبد ^(٣) .

ويؤكد د/ الهاشمي ، هذه النظرة — من أن الإنسان مجبر في أفعاله لا مخير — فيقول :
 إن عقيدة الجبر هي المهيمنة على أهل التوراة يهودًا أو نصارى ، وهذه العقيدة تؤمن أن الله ليس فقط
 خالق الخير والشر ؛ بل تزعم أنه الذي أجبر الإنسان على السلوك الذي يتجاوب مع ما أودع فيه من شر ، فلا
 يقدر الإنسان أن يسلك سلوكًا خيرًا فتقول التوراة : " لماذا أضللتنا يا رب عن طريقك ؟ ، قسيت قلوبنا عن
 مخافتك ^(٤) .

يضاف إلى ذلك نسبة الشر صراحة إلى الله في عقيدة التوراة : " أنا الرب وليس آخر : مصور النور
 وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه " ^(٥) . ولقد غالت التوراة في عقيدة الجبر
 للحد الذي زعمت فيه أن الله يتزل الروح الرديء ليقترح النبي فيؤدي به إلى الجنون " وكان في الغد أن الروح
 الرديء من قبل الله اقتحم شاول وجن في وسط البيت ^(٦) " ^(٧) .

(١) اليهودية د/ أحمد شلي ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٣٠ .

(٣) جهود الإمامين : ص ٥٨٣ .

(٤) أشعياء : (١٧/٦٣) تسبيح وصلاة .

(٥) أشعياء : (٧/٤٥) رسالة الله لكورش .

(٦) صموئيل الأول : (١٠/١٨) غيرة شاول من داود .

(٧) التربة في التوراة : د/ الهاشمي ، ص ٥٧ .

وأن اعتقاداً كهذا في الجبر يشل الحياة فلا تطور ولا تحسن حتى إن النبي سليمان عليه السلام ينسب له ذلك :
" ما كان فهو ما يكون ، والذي صنع فهو الذي يصنع فليس تحت الشمس جديد " ^(١) ولا إرادة للإنسان في أي
تغيير ، إذ هو سلب الإرادة " الأعوج لا يمكن أن يقوم ، والنقص لا يمكن أن يجبر " ^(٢) ^(٣) .

التقويم :

تلخص طبيعة النفس البشرية في التوراة المحرفة فيما يلي :

- ١- أن الله خلق الإنسان نفسه وقلبه مليئاً بالشر والخداع منذ حدوثه حتى مماته .
 - ٢- النفس الإنسانية في عقيدة التوراة في ظلام دامس ... فهي الشر بأوسع مداه ولا تقدم للحياة ولا خير ولا حضارة ولا إرادة في تغيير الأعوج وإكمال الناقص .
 - ٣- أما مقام الإيمان في هذه العقيدة ، فهو مجرد شعور بوجود الله ، لا يدفع إلى العمل ، لأن باب العمل مسدود بطبيعة هذه النفس ومغلق بعقيدة الجبر التي تشل العقل والجسد ^(٤) .
- وبعد بيان التضارب الذي أثبتته العلماء في هذه العقيدة التي تتأرجح بين الإثبات تارة والنفي تارة أخرى يتضح لدى الباحث بطلان عقيدة اليهود في القضاء والقدر .

(١) جامعة : (٩/١) الكل باطل .

(٢) جامعة : (١٥/١) ، (١٤/٣) ، (١٥) لكل شيء زمان .

(٣) التربية في التوراة : د/ الهاشمي ، ص ٥٧ .

(٤) المرجع السابق : ص ٦١ .

المبحث السابع

نقد عقيدة أرض الميعاد في العهد القديم

عقيدة أرض الميعاد من الثوابت الرئيسة في العقيدة اليهودية المحرفة ، تلك الأرض التي تنتج لبنًا وعسلًا^(١) كما يصفونها في بعض نصوص التوراة ، وأصبح الذهاب إليها والعيش فيها حلم يراود كل يهودي في شتي بقاع الأرض ، وصار هذا الحلم أملاً يداعب خيالهم ، متى يذهبون إلى أرض فلسطين ومتى يتحقق الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام - في زعمهم - ولذلك هم يعملون بخطط مرسومة بدقة على تحقيق إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات التي يتجمع فيها اليهود بعد شتاتهم وتفرقهم .

وحتى يسوغ اليهود لأنفسهم سنداً قانونياً يرتكزون عليه في التهجير إلى أرض فلسطين وتملكها وطرد أهلها منها فإن أبواً للإبادة الشاملة لهم حتى تكون وطناً بلا سكان ينازعونهم ويلاحقونهم فيها لشعب بلا أرض قد عانى كثيراً من التشرد . من أجل ذلك كله وضعوا في توراتهم نصوصاً تخدم هذا الغرض وتضفي عليه الشرعية والقداسة وهي بلا شك شرعية مزعومة ومفتراة لإثبات هذا الحق .

ولقد اجتهد علماءنا الإجلاء - فترة البحث - في إبطال هذه العهود المفتراة التي تثبت لبني إسرائيل الحق في تملك أرض فلسطين ، وقد تميز جهد د/ عابد توفيق الهاشمي في تفنيد هذه المزاعم في كتابه " فلسطين في الميزان " وكذلك قام د/ سعد الدين صالح في كتابه " العقيدة اليهودية " بمعالجة عصرية رائعة تتحلى بالمنهج العلمي المبني على أسس ومعايير واضحة فقام بعرض السند القانوني المخلتق الذي يستندون عليه من نصوص العهد القديم المحرفة وناقشه مناقشة علمية منهجية وأيضاً د/ محمد أبو زيد في بحثه " أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية " ^(٢) " ناقش هذه العهود وأتبع المناقشة بنظرة تقويمية من منظور إسلامي لهذه العهود .

وأيضاً يبرز من بين هذه الجهود ما قام به د/ عبد الوهاب المسيري في موسوعته . وبقراءة متأنية لهذا الموضوع في الموسوعة يتبين أنه قد ربط بين الأصول اليهودية والفكر الصهيوني الحديث من خلال التحليل السياسي للنصوص التوراتية . وتفنيد هذه العقيدة يقوم على ما يلي :

- ١- الاستدلال والمناقشة واستخلاص الحكم في نهاية المناقشة .
- ٢- رد الفهم الخاطئ للنصوص إلى الفهم الصحيح وتأكيد ذلك بالأدلة .
- ٣- الاعتماد على الجانب التاريخي الصحيح لسيرة أنبياء بني إسرائيل .

(١) والنص الذي يشير إلى ذلك يقول : " ولكي تظيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لأبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم ، أرض تفيض لبناً وعسلًا " تثنية : (٩/١١) أحبب الرب وأطعه .

(٢) هذا البحث منشور في مجلة التراث العربي - دمشق - وهو مسجل أيضاً على الإنترنت علي موقع المركز الفلسطيني للإعلام وهو كالتالي :

www.Plaestine.info د.١/ محمد أبو زيد أستاذ التفسير بكلية الآداب جامعة تعز - اليمن .

٤- بيان الأخطاء التاريخية التي حرفها اليهود (إبطال نظرية الحق التاريخي) .

٥- الموضوعية في المعالجة النقدية لهذه العقيدة .

٦- التسليم الجدلي للخصم فيما يدعى ثم التدرج إلى إبطال ما يدعو إليه .

٧- إثبات التناقض والتعارض بين النصوص .

وفي بيان زيف هذه الدعوى المزعومة " أرض الميعاد " يمكن حصر ما قام به العلماء في دراستهم النقدية لها

تحت العناصر التالية :

١- عرض مقولتهم الباطلة في أحقيتهم لتمكن أرض الميعاد .

٢- الأدلة والعهود المفتراة التي تقضي لليهود بتمكن أرض فلسطين وجهود العلماء في نقدها والرد عليها .

٣- التقويم .

مقولتهم الباطلة في أحقيتهم لتمكن أرض الميعاد :

ارتبطت فكرة أرض الميعاد في أذهان اليهود بفكرة المسيح المنتظر الذي ينتظره اليهود ولذلك يجمع العلماء على أن عقيدة أرض الميعاد قضية سياسية في المقام الأول ولقد حاول اليهود أن يصبغوها بالصبغة الدينية حتى تتمكن من نفوس الشعب اليهودي^(١) فيحاول تحقيقها .

ولقد نادى بهذه الفكرة السياسيون منهم قبل المتدينين :

١- يقول ابن غوريون رئيس الوزراء اليهودي الأسبق عام ١٩٤٨م بعد أن وقف ممثلاً لليهود في الأمم المتحدة : " قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني ، ولكنها حق لنا على أساس ديني فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل ولذلك وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين وأن كل يهودي يقي خارج إسرائيل بعد إنشائها ، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي^(٢) .

٢- ويصرح مناحم بيجين في خطابه ١٩٥٠/٤/٧م : " لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب مادما لم نحرر وطننا بأجمعه بعد...ولو وقعنا معاهدة صلح " (٣) .

٣- ويؤكد موشي ديان لصحيفة صنداي تايمز في ١٩٦٧/٩/١٠م : " إن هناك مليون يهودي جاءوا محل العرب ، سواء اعتبر هذا العمل أخلاقياً أم لا ، فالحقيقة أنه لا يوجد مكان في إسرائيل للعرب " (٤) .

٤ - ويقول ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل في خطاب له أمام أعضاء جمعية " ناي بريث " الأمريكية الصهيونية في مدينة القدس يوم ١٩٦٧/١٠/٢٨م حث فيه يهود العالم على القيام بهجرة جماعية من البلدان الغربية لزيادة عدد سكان ما أسماه بـ " إسرائيل الكبرى " =

(١) انظر : العقيدة اليهودية : د/ سعد الدين صالح ص ٣٧٨ . (٢) أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية : ص ١ نقلاً عن العقيدة اليهودية في

فلسطين ونقدها د/ عابد توفيق الهاشمي ص ٢٢ ط ١ دار اقرأ - اليمن ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٣) انظر : إسرائيل فتنة الأجيال " العصور القديمة : أ/ إبراهيم خليل أحمد ص ١٨٣ ط مكتبة الوعي العربي ١٩٦٩م .

(٤) انظر : المرجع السابق : ص ١٨٣ .

= التي تشمل الأراضي العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ م^(١) . وغير ذلك من أقوال الساسة الغربيين .

٥ - وحول اختلاف اليهود على حدود ملكية الأرض يحاول بعض الحاخامات أن يزيل التعارض والتناقض بين النصوص التي حددت أرض الميعاد فيقولون : " إن النصوص التي حددت ملك إسرائيل بفلسطين فقط تعد منحة مخفضة من الله لبني إسرائيل ، لكن هذا لا يعني أن هذه الأرض فقط هي حق إسرائيل ، فحقهم في الأرض هو أوسع من ذلك بكثير ، فالله قد وعد اليهود وعداً مشروطاً ووعود الله المشروطة لا تلغي أبداً ؛ بل يحتفظ بها لكي تتحقق في المستقبل " (٢) .

و حين ينادي السياسيون بهذه العقيدة فهم يركزون على خلفية دينية ويتحركون في تنفيذ مخططاتهم لتحقيق هذا الوعد من منطلق عقائدي وعندما يتضح أن هذه الخلفية الدينية مزيفة ومفتراة فإن هذه اللافات التي يرفعها الساسة والحاخامات ما هي إلا أقنعة سوداء تحجب وراءها نفوساً استمرأت التحريف واعتادت عليه في شتى المجالات خدمة لأغراضها التي تتعارض مع العقل والنقل والواقع . ولقد ذكر علماء المسلمين الأدلة التي يستند عليها اليهود في تأصيل هذه العقيدة - أرض الميعاد - على النحو التالي :

أولاً : أدلة اليهود على عقيدة أرض الميعاد وحدودها - في زعمهم -

يقول د/ سعد الدين صالح إن اليهود اختلفوا فيما بينهم اختلافاً بيناً حول هذه العقيدة وبالتحديد حول حدود الأرض الموعودة على النحو التالي :

الفريق الأول : يرى أن حدود أرض الميعاد هي أرض كنعان فقط - أرض فلسطين^(٣) - واستدل هذا الفريق بمجموعة من النصوص التي وردت في التوراة منها :

أ - ما جاء في سفر التكوين من خطاب الله لإبراهيم : " أنا الله القدير ... أجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم ... وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً^(٤) " .

ب - ومنها : " وكلم الرب موسى قائلاً : أوصي بني إسرائيل وقل لهم : إنكم داخلون إلى أرض كنعان ، هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيباً أرض كنعان بتخومها^(٥) " .

ويلاحظ أن هذا النص يضيف أرض كنعان إلى أرض الميعاد^(٦) .

الفريق الثاني : يرى أن حدود أرض الميعاد من النيل إلى الفرات : واستدل هذا الفريق أيضاً بنصوص من التوراة المحرفة منها :

(١) انظر : إسرائيل فتنه الاجيال ص ١٨٣ .

(٢) العقيدة اليهودية : د/ سعد الدين صالح ص ٣٦٩ - ٣٧٠ نقلاً عن وثائق القضية الفلسطينية ٢٩٠/١

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وانظر : فلسطين في الميزان : د/ الهاشمي ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) الإصحاح : (١٧/٨ -) عهد الختان مع الحذف

(٥) عدد : (١/٣٤ ، ٢) حدود كنعان .

(٦) العقيدة اليهودية : ص ٣٦٨ .

أ . ما جاء في سفر الملوك : " وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر " الفرات " إلى أرض فلسطين إلى تخوم مصر ^(١) " .

ب . وما جاء في سفر أخبار الأيام : " وكان لسليمان أربعة آلاف مزود خيل ومركبات واثنان عشر ألف فارس ... وكان متسلطاً على جميع الملوك من النهر إلى أرض فلسطين إلى تخوم مصر ^(٢) " .

ج . وما ورد في سفر التثنية : " يطرد الرب جميع الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم ، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم ^(٣) " .
جهود العلماء – فترة البحث – في نقد هذه الأدلة والرد عليها :

لقد أثبت د/ سعد الدين صالح – التناقض والتعارض بين الأدلة التي استدلت بها كل من الفريقين فيقول :
١- إن أدلة هذه العقيدة محرفة وموضوعة بأيدي اليهود أنفسهم والدليل على ذلك هذا التناقض الظاهر بين النصوص ، فهناك نصوص حددت الأرض الموعودة بفلسطين ، وهناك نصوص أخرى ضاعفت هذه الأرض أضعافاً مضاعفة ، فوصلت بها إلى كل أرض لمستها أقدام اليهود وخصوصاً شبه جزيرة سيناء ، بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها على موسى ، والوجه البحري من مصر حتى نهر النيل بزعم أن بني إسرائيل قد عاشوا في دلتا النيل بمصر فترة طويلة وأن موسى نشأ في مصر ، ويبالغ بعضهم فيضيف إلى الأرض الموعودة أجزاءً من سوريا والعراق بحجة أن هذه الأجزاء كانت تقع تحت حدود مملكة داود وسليمان وأن إبراهيم عليه السلام كان يقيم بأرض العراق فالتناقض ليس من سمات النصوص الإلهية فإله لا يتناقض مع نفسه ولا يكذب نفسه وإنما هذا هو شأن الفكر البشري ^(٤) .

٢- ولو سلمنا جدلاً بصحة النصوص التي استدلت بها اليهود فإنها لا تعطيهم مدعاهم في أحقيتهم بهذه الأرض ، ذلك أن الوعد من الله كان لنسل إبراهيم ، فمن هم نسل إبراهيم ؟ المعروف أن إبراهيم أنجب إسماعيل ثم إسحاق وإسماعيل هو جد العرب وإسحاق هو جد بني إسرائيل ومن هنا يكون لبني إسماعيل نفس الحق في أن يرثوا هذه الأرض مثلهم في ذلك مثل أبناء إسحاق ويعقوب ، ولكن من الأحق منهم بوراثة الأرض ؟ لقد بينت التوراة أن الوعد بهذه الأرض إنما يكون لقوم مؤمنين محافظين على وصايا الله وتعاليمه ... وهذا ما تحقق بالفعل حين آمن بنو إسرائيل واثقوا الله أورثهم الأرض فقال تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ ﴾ ^(٥) .

(١) ملوك الأول : (٢١/٤) مؤونة سليمان اليومية .

(٢) أخبار الأيام الثاني : (٢٥/٩ ، ٢٦) عظمة سليمان .

(٣) الإصحاح : (٢٣/١١) أحب الرب وأطعه .

(٤) انظر : العقيدة اليهودية : ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٥) سورة الأعراف الآية : (١٣٧) .

(٦) انظر : العقيدة اليهودية : ص ٣٧٣ بتصرف بالحذف .

(ولكن حين انحرف اليهود عن الوحي الإلهي وحرفوا كتبهم انتزع الله منهم هذه الأرض وشردهم وأعطاهما لمن يستحقها من الأمم الملتزمة بعبادة الله وتوحيده التي لم تنحرف عن ملة إبراهيم وهي الأمة الإسلامية ، فمن نسل إبراهيم عليه السلام جاء إسماعيل جد العرب الذين حملوا لواء التوحيد والالتزام بملة إبراهيم ، ففتحوا أرض الرومان واستعادوا فلسطين وما حولها محققين بذلك وعد الله لإبراهيم أن يجعل هذه الأرض لنسله من نهر مصر إلى نهر الفرات (١) . وهذا ما يتمشى مع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ومن هنا استحق العرب أبناء إسماعيل - أرض فلسطين - لأسباب كثيرة منها :

- (١) أنهم هم الذين اتبعوا ملة إبراهيم وساروا على نهجه .
- (٢) أنهم أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل .
- (٣) أنهم أول من دخل هذه الأرض وعمرها قبل أن يراها بنو إسرائيل .
- (٤) أنهم هم الذين أقاموا فيها طيلة حياتهم ولم يفارقوها بينما كان اليهود على النقيض من ذلك كله (٣) .

ثانياً : العهود المفتراة التي تقضي لليهود بتملك أرض فلسطين وجهود العلماء في تفنيدها :

(إن العهود التوراتية الموجودة في التوراة الحالية التي بأيدي اليهود تنص على أن هناك أرضاً أعطاه الله لبني إسرائيل أيام رسلهم ، ويدعي اليهود اليوم أن هذه العهود تنطبق عليهم وأن هذه الأرض عطاء إلهي لهم يعتبر فوق القانون مهما كان نوع هذا القانون وفوق إرادة الشعوب مهما كانت هذه الشعوب حتى لو كانت صاحبة الأرض التي يطالب بها اليهود (٤) .

ولذلك (يخادع اليهود أنفسهم ، كما يخادعون العالم المسيحي وغيره بأحقيتهم في تملك فلسطين من العرب ويغمطون حقهم فيها ، وذلك من خلال العهود والمواثيق المفتراة في توراتهم المحرفة على أنبيائهم (٥) .

ولقد رصد كل من د/ عابد الهاشمي ، د/ محمد أبو زيد هذه العهود في كتابيهما وأتبعها بالنقد والتحليل المزوج بالتفسير الصحيح للتاريخ خاصة سيرة أنبياء بني إسرائيل ولقد أبطلوا من خلال تقديمهم نظرية الحق التاريخي المزعومة بتمليك أرض فلسطين لليهود ، من هذه العهود ما يلي :

(١) عهد الله لإبراهيم عليه السلام :

تقول التوراة : " فلا يدعي اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأنني أجعلك أباً لجمهور من الأمم ... وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً ... وأعطي لنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً " (٦) .

(١) اليهودية د / أحمد شلي ص ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية : (٦٨) .

(٣) العقيدة اليهودية : ص ٣٧٥ .

(٤) أرض الميعاد د/ محمد أبو زيد ص ١ .

(٥) فلسطين في الميزان : ص ٢٥ .

(٦) تكوين : (١٧/٨ - ٨) عهد الختان .

والرؤية النقدية لهذا العهد تدور حول موطن الشاهد منه وهو قول التوراة : " وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ... أرض كنعان " .

وفي نقد د/ محمد أبو زيد وهو يفند هذا العهد تاريخياً بمنظور الإسلام يقول : (الواقع يشهد بأن الإله الذي وعد إبراهيم بهذا العهد لم يف بعهده لأن إبراهيم لم يملك شيئاً من أرض كنعان (وهي فلسطين) وكان فيها غريباً ، وكما تذكر التوراة نفسها أن إبراهيم عندما ماتت سارة في فلسطين لم يكن يملك مكاناً في فلسطين ليدفنها فيه حتى استعطف بني حث هناك فباعوه قبراً لها ^(١) .

وطلب إبراهيم ^(٢) شراء مغارة في طرف الحقل فكافؤه بالحقل والمغارة كرمًا فاشتراهما بأربعمائة شاقل من الفضة ولم يكن يملك إبراهيم غير ذلك الحقل والمغارة في جميع أرض فلسطين وسوريا ولم تشر التوراة ولو إشارة واحدة إلى تملك إبراهيم في تلك البلاد غير ذلك ! بل كان غريب الأهل والعشير وهو وحيد في فلسطين بشهادة التوراة ، وحين مات إبراهيم ^(٣) عن عمر (١٧٥) سنة دفن في نفس المغارة التي دفن فيها زوجته ، وما كان يملك من فلسطين حين موته إلا تلك المغارة والحقل معها ، اللذين اشتراهما بنقد فضي كما تذكر التوراة ^(٤) ، ولم يكن هبة من الله كما وعد افتراءً عليه ^(٥) .

وفي جملة نقد د/ الهاشمي لعهد إبراهيم ^(٦) تاريخياً يؤكد إبطال هذا العهد المزعوم بالتحليل التالي الذي صدّره بقوله : ليس لإبراهيم نصيب من حكم أو ملك أو أرض أو أهل في فلسطين .

أما نسبته إلى فلسطين فنسبة باطلة لأنها ليست وطنه ، لا ولادة ولا ملكاً ولا حكماً ، ذلك أن ولادته في مدينة " أور " على نهر الفرات في جنوب العراق وكانت مدينة كلدانية عريقة عمرها أكثر من ٣٠٠٠ سنة ق . م وهو من العبرانيين - والعبرانيون مشتقة من " عبر " أي اجتاز من مكان إلى آخر ، فهم العابرون إلى أرض فلسطين ، عبروا نهر الفرات حتى وصلوا الشام ففلسطين - أما الكنعانيون - فمشتقة من " كنع " أي استقر ومكث وهذا ^(٧) .

فهم السكان الثابتون المستقرون في فلسطين منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح أي منذ خمسة آلاف سنة حتى اليوم ... ثم استقر في حاران الواقعة على الحدود السورية التركية حيث توفي والده عن عمر (٢٠٥) سنة ... وتعترف التوراة أن إبراهيم حين غادر حاران على الحدود التركية متجهًا إلى بلاد الشام ، كان الكنعانيون - العرب - هم سكان البلاد مستوطنين فيها " وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض " ^(٨) .

(١) انظر : تكوين : (١٦-١/٢٣) انظر: أرض الميعاد ص ١ .

(٢) انظر : تكوين : (١١-٩/٢٥) والنص يقول : " ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون ... الذي أمام ممر الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته " .

(٣) فلسطين في الميزان : د/ الهاشمي ص ٣٣ .

(٤) يشوع : (٢/٢٤) .

(٥) تكوين : (٦/١٢) دعوة إبراهيم .

(٦) انظر : فلسطين في الميزان : ص ٣٢ ، ٣٣ بتصرف بالحذف .

تقويم هذا العهد بمنظور الإسلام :

يقول د/ محمد أبو زيد في بحثه المشار إليه قبل ذلك وكذلك يوافقه في هذا التقويم د/ الهاشمي هذا العهد يصطدم عقدياً مع الإسلام صداماً مباشراً ، لأن الوعد لم يتحقق ولم يملك إبراهيم أرض الميعاد ملكاً أبدياً ، ولأن خلف الوعد لا يليق أن يكون من صفات الإله الحق فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(١) . وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾^(٢) .

لذلك فإن هذا العهد من تحريفات اليهود التي أضافوها إلى التوراة لتوافق هوي في نفوسهم وسياستهم ... وعلاقته ببلاد الشام أنها كانت ملجأ له عندما نجاه الله من النمرود في العراق قال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) والمقصود فيها بالإجماع بلاد الشام^(٤) ، ولا يوجد دليل قطعي على تخصيص مكان معين في بلاد الشام ، ومن المعلوم أن فلسطين من بلاد الشام ، بل نجد في القرآن نبياً لليهود والنصارى عن إقحام إبراهيم فيما يخصهم بغير دليل واضح^(٥) .

والشيء الغريب في عهد إبراهيم أن الأصل أن يكون لإسماعيل من بعده باعتباره الابن الأكبر لإبراهيم بل كان وحيداً وقت هذا العهد وكان عمره ١٣ سنة ولم يكن إسحاق قد ولد بعد ولا يوجد أي مبرر لإقصاء إسماعيل غير أنه جد العرب وجد رسولهم ﷺ^(٦) .

وخلاصة تفنيد هذا العهد

- ١- أنه وعد مكذوب ومفترى على الله ﷻ وإبراهيم عليه السلام .
- ٢- إبطال نظرية الحق التاريخي للملكية سيدنا إبراهيم عليه السلام لأرض الميعاد إلا موضع قبر بئمن .
- ٣- أثبتت النصوص التوراتية أن العبرانيين ومنهم إبراهيم عليه السلام مروا فقط بأرض فلسطين بعد أن عبروا النهر ولم يكتثروا فيها طويلاً وعليه فليسوا هم السكان الأصليون لتلك البلاد .
- ٤- أثبتت النصوص أيضاً أن الكنعانيين هم السكان الأصليون لتلك البلاد .

(١) سورة الرعد جزء من الآية : (٣١) .

(٢) سورة إبراهيم الآية : (٤٧) .

(٣) سورة الأنبياء الآية : (٧١) .

(٤) جامع البيان : لابن جرير الطبري : ج ١٧ ص ٤٧ دار الفكر في لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

(٥) انظر : أرض الميعاد : ص ١ بتصرف بالحذف . وانظر : فلسطين في الميزان : ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٦) انظر : أرض الميعاد : ص ١ .

٢- عهد الله لإسماعيل عليه السلام :

رصد كل من د / الهاشمي ، د / محمد أبو زيد أيضًا ما يتصل بعهد إسماعيل عليه السلام حيث تقول التوراة :
" وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمه وأكثره كثيرًا جدًا ... ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي
تلده سارة في هذا الوقت في السنة الآتية ... وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته ^(١) .
ينتقد د/ الهاشمي هذا العهد تاريخيًا فيقول : لا نصيب لإسماعيل عليه السلام في فلسطين ، وليس في التوراة نص
صريح يعطي لإسماعيل الحق فيها ! لأنه عربي ، في حين أن العرب هم أهل فلسطين الأصليون سكنوها قبل إبراهيم
عليه السلام بألفي سنة ، وقبل الميلاد بخمسة آلاف سنة ، واستمروا هم "والعمالقة" ^(٢) "والفلسطينيون" ^(٣) "والفينيقيون" ^(٤)
وهم جميعًا عرب ، استمروا في العيش في فلسطين بأغلبية حتى بعد غزوهم من قبل الإسرائيليين ، واستمروا إلى ما بعد
حكم سليمان عليه السلام بأغلبية سكانية في فلسطين ، كما تنص التوراة في الحديث عن عهده عليه السلام بعد استئصال بني
إسرائيل من فلسطين ^(٥) .

فلا عهود ولا موثيق ربانية صريحة لتملك إسماعيل لفلسطين بسبب كونه أبا العرب حتى لا تعطي التوراة حقًا
لهم في فلسطين ، لتخلو لهم وحدهم غير أن فيها إشارات إلى حق إسماعيل وأولاده العرب في تملكها ... هكذا صاغ
اليهود توراتهم ^(٦) .

وخلاصة ما يتصل بهذا العهد :

١. تدعي التوراة أنه لا حق لإسماعيل عليه السلام في فلسطين وهذا محض افتراء وكذب وتحريف .
٢. وتدعي أيضًا أنه لا حق للعرب عمومًا في تملك أرض فلسطين لأنهم من نسل إسماعيل العربي .
٣. استبعاد إسماعيل وذريته من هذا الحق لتخلوا الأرض لبني إسرائيل وحدهم كما تدعي التوراة .

٣- عهد الله لإسحاق عليه السلام :

ذكره أيضًا د/ الهاشمي ، د/ محمد أبو زيد وانتقده نقدًا تاريخيًا من وجهة نظر قرآنية فتقول التوراة : " وظهر
له الرب وقال لا تنزل إلى مصر ، اسكن في الأرض التي أقول لك ... لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأني
بالقسم الذي قسمته لإبراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء ... وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل
أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي : أوامري وفرائضي وشرائعي فأقام إسحاق في جرار " ^(٧) .

(١) انظر : تكوين : (٢٠/١٧ - ٢٦) عهد الختان . مع الحذف .

(٢) هم : شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن ذرية عيسو (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٦) .

(٣) هم : شعب عظيم في أيام خروج بني إسرائيل ، غزاهم العبرانيون القادمون من مصر واستولوا على مدنها ثم استرد الفلسطينيون هذه المدن
(قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٣) .

(٤) هم : قوم هاجروا من الخليج العربي عن طريق سورية إلى سواحل كنعان وقيل هاجروا عبر الصحراء الغربية الشمالية (قاموس الكتاب المقدس
ص ٧٠٥ ، ٧٠٦)

(٥) فلسطين في الميزان د/ الهاشمي ص ٣٧ .

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٧) تكوين : (٢٦/٥ - ٥) إسحاق وأبيمالك .

ففى نقد د/ محمد أبو زيد لهذا العهد يبرز مواطن الخلل والتناقض فيه فيقول :

(العهد الذي نسبته التوراة لإسحاق عليه السلام ذكر أن جميع الأمم تتبارك بنسله وهذا خلل واضح في التوراة ؛ لأن اليهود مبغوضين من كل أمم الأرض ولم يتبارك أحد بهم ؛ بل لا يكاد ينجو من شرهم كل من ربطته بهم علاقة ما قرية أم بعيدة ! لذلك تراهم يخشون الناس ويخشاهم الناس) (١) .

وبناء على هذا الخلل الواضح فإن العهد لا يستقيم لليهود ولم يتحقق وعد الله لإسحاق كما تدعي التوراة أنه يعطي له ولنسله الأرض .. وعلى كل حال لم يملك شيئاً من بلاد الشام وهذا يتناقض مع عهود التوراة ويتفق مع القرآن لأن القرآن لم يذكر أي عهد لإسحاق (٢) .

فما نصيب إسحاق عليه السلام من فلسطين ؟

ليس له من نصيب فيها ذلك أنه ولد في جرار وهي خارج فلسطين وكان يحكمها أبيمالك العربي ... فجرار أرض غريبة ، وإسحاق الجد الأعلى لبني إسرائيل ، لم يتمتع بأية حقوق في أرض فلسطين ، لم يملك حق الولادة فيها ، إذ ولد في أرض غريبة يحكمها حاكم عربي خارج فلسطين ، وعاش فيها فترة ضيفاً على أهلها ، ولم يملك حق الدم ، إذ أنه " كلداني " (٣) بسبب أن أبويه إبراهيم وسارة كلدانيان ثم رحل إسحاق إلى " فدان آرام " على الحدود السورية التركية ما بين " الخابور " (٤) والفرات و " رفقة " زوجته والدة يعقوب من أصل كلداني لأنها من نسل إبراهيم عليه السلام أي لم تكن فلسطينية كما أنها لم تولد في فلسطين وإنما جيء بها من بلدان كلدان - أرض ما بين النهرين ، أرض العراق ، وما ملك أرضاً ولا نال حكماً ولا نسباً يهودياً بحكم التوراة والتاريخ والقرآن ولم يكن يهودياً ، إذ لم تنزل التوراة إلا بعده بخمسة قرون وتوفي إسحاق في حبرون - حيث تغرب إبراهيم وإسحاق فمات غريباً في حبرون في جنوب فلسطين على حدود صحراء " النقب " (٥) والنص يقول : " جاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى حبرون ، حيث تغرب إبراهيم وإسحاق وكانت أيام إسحاق ١٨٠ سنة فأسلم إسحاق روحه ومات ودفنه عيسو ويعقوب - ابناه " (٦) .

وبناءً على ما سبق :

(فالعهد الربانية والمواثيق لإسحاق في تملك فلسطين له ولذراريه إلى الأبد في أكثر من ثلاثة مواضع في التوراة : لم يتحقق منها شيء قط كما تقول التوراة وكما يشهد التاريخ ولم يذكر القرآن تملكهم أو حكمهم فيها ، فلا بد أن كاتي التوراة كاذبون وحاشا لله أن يكذب أو أن يخلف الميعاد ، في عهود مفتراة ومواثيق مكذوبة - تنقضها التوراة نفسها إذ تذكر العهود ولا تذكر تنفيذها ولا تحقيق شيء منها) (٧) .

(١) أرض الميعاد : د/ محمد أبو زيد : ص ٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٣) كان الكلدانيون يسكنون " كلدان " في جنوب بابل وكانوا هم الجنس الغالب في بابل وكانوا يشغلون مناصب السلطة والسيادة فيها (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٥) .

(٤) هو : نهر في أرض الكلدانيين استقر على ضفتيه بعض المسيبيين اليهود وهو قناة كبيرة في جنوب شرق بابل (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٤) .

(٥) فلسطين في الميزان : ص ٣٩ .

(٦) تكوين : (٣٧/٣٥ ، ٣٨) عودة يعقوب إلى بيت إيل . (٧) فلسطين في الميزان : ص ٣٩ .

٤ - عهد الله ليعقوب عليه السلام :

وفي هذا العهد تقول التوراة : " ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك ... الرب إلهك تتقي إياه تعبد به وباسمه تحلف لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم ... اعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك ... وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة ... لأنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم " (١).

تفنيدهذا العهد تاريخياً :

يقول د/ الهاشمي : ليس ليعقوب نصيب من حكم أو ملك أو أرض في فلسطين ، فقد ولد من أبوين غربيين عن فلسطين وهما إسحاق ورفقة فهما كلدانيان ، وجميع أولاد يعقوب ولدوا وعاشوا عشرين سنة في فدان آرام - خارج فلسطين بين نهر الخابور والفرات - على حدود سوريا وتركيا اليوم ولم يولد منهم واحد في فلسطين ، ثم انتقل جميع نفوس بيت يعقوب السبعون إلى مصر (٢) باختيارهم من غير إكراه ثم عاشوا في البلاط الفرعوني عند ولده يوسف الصديق عليه السلام سبع عشرة سنة وعاش نسلهم أربعة قرون أو قرنين ومات في مصر - أي خارج فلسطين - (٣).

ويقول د/ محمد أبو زيد : التمكين في الأرض مشروط بالصالح مع الله ومع عباده فإن انتفي هذا الشرط فلا تمكين ولا تملك لهذه الأرض (٤).

ويؤكد هذه النظرة أيضاً د/ الهاشمي في تقويمه لهذا العهد فيقول :

لما كان شرط العهود والمواثيق التقوى فقد نقضها يعقوب نفسه بنصوص التوراة فيه ، وشعبه المشرك ، لذا فلا قيمة لهذه المواثيق المفتراة التي عقدها الله كذباً عليه مع يعقوب ، بسبب عصيانه الله إذ جمع الشرك وعبادة الأصنام والغش والسرقعة ولعنة الله وشتائم الناس ، ومصارعته لله وانتصاره عليه إلى غير ذلك من الاتهامات التي ألصقت به في نصوص التوراة المحرفة (٥).

(ولو صحت هذه المواثيق والعهود في توراتهم الحالية وهي لا تليق به أن يمنحه إياها ولو احتكمنا إلى واقع يعقوب في التوراة والتاريخ لوجدناه ولد خارج فلسطين من أبوين غير فلسطينيين وعاش خارجها هو وأهله وأولاده ثم هاجروا جميعاً إلى مصر ، ومات خارجها في مصر ، فأين تحقيق هذه العهود له ولأولاده في فلسطين إنهم لم يملكوا شبراً واحداً ، ويعقوب هو " إسرائيل " الذي ينتسب إليه جميع اليهود في عمر التاريخ !! فأين حقهم التوراتي في فلسطين ؟ إنه الغش والخداع والدجل على التوراة وعلى التاريخ وعلى العقول (٦).

(١) تنبيه : (١٨-١٠/٦) ، (١٨/٨-٢٠) لا تنسي الرب إلهك .

(٢) تكوين : (٢٧/٤٧) يوسف والمجاعة والنص يقول : " وسكن إسرائيل في أرض مصر ، في أرض جاسان وتملكوا فيها وأثروا وكنوا جداً " .

(٣) انظر : فلسطين في الميزان : ص ٤٥ .

(٤) انظر : أرض الميعاد : ص ٢ .

(٥) فلسطين في الميزان : ص ٤٥ .

(٦) انظر : المرجع السابق : ص ٤٤ .

خلاصة تنفيذ هذا العهد :

- (١) ليس ليعقوب عليه السلام حق في أرض فلسطين .
- (٢) مخالفة نص العهد للتاريخ والواقع والعقل .
- (٣) الكذب والافتراء على الله في نسبة هذا العهد إليه .

٥- عهد الله لموسى عليه السلام :

تقول التوراة : " وأما موسى فصعد إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلاً هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل ... فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب . فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون مملكة كهنة وأمة مقدسة " (١) .

تنفيذ هذا العهد :

دلالتة واضحة حيث علق إقامتهم بالأرض المقدسة طالما هم يعبدون الله ويحسنون إلى خلقه (٢) .

وموسى عليه السلام - ليس يهوديا - من زاوية العرق إذ ليس من نسل بني إسرائيل فليس له أي صلة بالنسب اليهودي ، بل هو مصري كما تقول التوراة الحالية أما القرآن فيعتبره من نسل يعقوب فيقول تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) . أما التوراة المتزلة فلها مترتها السامية في القرآن ، ... وهي دين موسى عليه السلام غير المحرف الذي يلتقي مع هدي القرآن لذا فإن دين موسى عليه السلام في القرآن الكريم هو " الإسلام " ... وليس له صلة بالتوراة الحالية ولا بالدين اليهودي المحرف (٤) .

ولم يدخل فلسطين عقابا له من الرب ويؤكد القرآن عدم دخول موسى عليه السلام فلسطين فقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (٥) أي من بعد وفاته ، وتصرح التوراة أن الله سمح لموسى أن يري فلسطين بالنظر إليها عن بعد ومنعه من الدخول إليها حيث تقول : " وقال له الرب : قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك إلى هناك لا تعبر " (٦) .

وبعد هذا النص مباشرة تذكر التوراة موته " فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب - في الأردن - مقابل أريحا - حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره حتى اليوم " (٧) . حتى قبر موسى عليه السلام غير معروف في التوراة وهو خارج فلسطين (٨) .

(١) خروج : (١٩-٦) ، (٢٠-٧-١٧) . وينظر أرض الميعاد ص ١ .

(٢) انظر : أرض الميعاد : ص ٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية : (٨٤) .

(٤) سورة الإسراء : جزء من الآية : (١٠٤) .

(٥) فلسطين في الميزان : ص ٥٠ .

(٦) التثنية : (٣٤/٤) موت موسى

(٧) المرجع السابق : ص ٥١ .

(٨) فلسطين في الميزان : ص ٥١ .

وفي نهاية تفنيد د/ الهاشمي لهذا العهد يقول :

إن موسى عليه السلام - حسب عقيدة اليهود - نبيهم الذي أتاهم بالتوراة ليس إسرائيلياً ولم يولد ولم يعيش ولم يموت في فلسطين بل ولم يدفن فيها فأبي حق لهم في شرعية تملكها في العهد المفتراة على الله تعالى ثم عليه ، بل هو مصري لم ينحدر من يعقوب " إسرائيل " ولا من يهوذا وزوجته عربية بنت كاهن مديان - يثرون - وهو شعيب في القرآن وهو نبي عربي ^(١) .

وخلاصة تفنيد هذا العهد ما يلي:

- ١ - إن موسى عليه السلام لم يكن يهودياً ولا من نسل إسرائيل .
- ٢ - ليس له عليه السلام نصيب في أرض فلسطين .
- ٣ - الكذب والافتراء على الله تعالى في نسبة هذا العهد إليه .
- ٤ - أن موسى عليه السلام لم يدخل أرض فلسطين ومات ودفن خارجها .

ولقد ذكر علماؤنا الأجلاء كثيراً من العهود والمواثيق المفتراة على الله تعالى وعلى الأنبياء والتي تثبت عدم أحقية اليهود لشبر واحد في فلسطين وقد أبطلوا هذه العهود وتأكدوا من عدم صحتها وأنها تعارض القرآن والتاريخ الصحيح والمنطق السليم.

(١) فلسطين في الميزان : ص ٥١

محاسبون يتبين ما يلي :

- ١- أن العرب هم السكان الأصليون لأرض فلسطين .
 - ٢- تحريف اليهود للنصوص التوراتية ليثبتوا من خلالها أحقيتهم في تملك أرض فلسطين .
 - ٣- أن فكرة أرض الميعاد فكرة سياسية قامت على أساس مزيف وباطل .
 - ٤- مخالفة هذه العقيدة للعقل والمنطق والتاريخ .
 - ٥- أبطل علماء المسلمين هذه العقيدة بالأدلة القوية والبراهين الساطعة مما لا يدع مجالاً للشك في أن أرض فلسطين عربية إسلامية .
 - ٦- التوجهات اليهودية في الماضي والحاضر تنطلق نحو إبادة الشعب الفلسطيني لتخلو لهم الأرض وتصبح وطناً لهم بدون منازعين .
- من أجل ذلك كله يقنن الحاخامات والساسة اليهود على مر العصور القوانين ويرسمون الخطط وينادون بالهجرة إلى أرض الميعاد لانتظار النبوة التوراتية . بمجيء المسيح المنتظر الذي يقودهم لبناء هيكل سليمان .

خلاصة جهود العلماء في نقد العقائد في العهد القديم :

تكاد تتقارب اتجاهات العلماء في نقد العهد القديم ، فيلاحظ أن معظم من تناول العقائد فيه بالدراسة النقدية ، أفرد للألوهية جزءاً كبيراً من نقده باعتبار أنها من أسس الاعتقاد ، ولكن دون تفصيلات لأصول التوحيد الثلاثة ، أما في حديثهم عن النبوة والأنبياء ، فقد أسهبوا كثيراً في نقد نظرة العهد القديم لهم ، واستوعبوا كل ما يتعلق بالأنبياء ، ونفي التهم التي ألصقت بهم وبذويهم ، وإثبات التحريف الذي وقع فيما يتعلق بالنبوة والأنبياء .

وقد أخذ العلامة الهندي ، النصيب الأوفر من بين الكتاب في دراسة هذه العقيدة ، والملاحظ على كتابات علمائنا الأجلاء ، مجدهم قد أطنبوا الحديث عن الإيمان بالكتب المنزل ، في العهد القديم ، وكذلك القضاء والقدر واليوم الآخر ، إذا ما قورن نقدهم ، بما نقدوه في جانب التوحيد والنبوة .

الفصل الثاني

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد

التشريعات في العهد القديم

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية :

- المبحث الأول : تشريعات خاصة بالطهارة والنجاسة .
- المبحث الثاني : تشريعات خاصة بالكهنة والقرايين .
- المبحث الثالث : تشريعات خاصة بالأسرة والزواج .
- المبحث الرابع : تشريعات خاصة بغير اليهود .
- المبحث الخامس : الجرائم والعقوبات في التشريع اليهودي .

تمهيد :

للقناد من علماء المسلمين جهود قيمة في إبراز المخالفات التشريعية في العهد القديم إذ أها تشريعات تصطدم مع الفطرة الإنسانية ؛ لأنها من وضع البشر وفيها تشريعات تتعارض مع العقل وتخالف الحقائق العلمية الثابتة .

وبالقراءة الفاحصة والتدقيق فيما كتبه بعض علمائنا الأجلاء حول التشريعات اليهودية يلاحظ أن المنهج الذي اتبعوه في دراستهم النقدية للتشريع في العهد القديم يقوم على الأمور التالية :

- ١ . إثبات التناقض والتعارض بين النصوص ، وقد اتبع ذلك د/ بدران في نقده .
- ٢ . الربط بين النص والواقع الذي يحياه اليهود اتضح ذلك في جهود د/ على خليل في كتابه التعاليم اليهودية ، د/ الهاشمي .
- ٣ . الاستقراء والتتبع لأسفار العهد القديم . ظهر ذلك في نقد د/ كامل سعفان ود/ على خليل .
- ٤ . العرض النقدي للتشريعات الذي يوضح مدى التعقيد والتشدد الذي وصلت إليه . اتضح ذلك في عرض د/ بدران ، د/ الهاشمي ، د/ كامل سعفان .

ويتضح تطبيق هذا المنهج من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول

نقد التشريعات الخاصة بالطهارة والنجاسة

وضع علماء المسلمين أيديهم على مواطن كثيرة في العهد القديم تتعلق بالطهارة والنجاسة ونقدوها نقدًا علميًا موضوعيًا ، وبينوا إلى أي مدي وصلت إليه الطهارة في العهد القديم من التعقيد والتكلف الذي لا فائدة منه ، والذي يصيب النفس بالملل والضيق وذلك لأنه تشريع بشري لا يتلائم مع الطبيعة البشرية لأن التشريع البشري مهما بلغ واضعه من البراعة والذكاء فإنه لا يحيط بجوانب النفس الإنسانية ولا يعرف ما يصلحها وما يفسدها بخلاف التشريع الإلهي فإنه يتلائم مع الفطرة فالله سبحانه وتعالى يعلم ما يضر الإنسان وما ينفعه وما يصلحه وما يفسده وبالتالي يحيط التشريع الإلهي بجميع جوانب النفس الإنسانية .

ويمكن حصر ما يتعلق بالطهارة والنجاسة تحت العناوين التالية :

١ . نظرة التوراة إلى المرأة من حيث الطهارة والنجاسة .

٢ . نجاسة الرجل " ذو السيل " .

٣ . نجاسة الأبرص .

٤ . ملامسة جثث الموتى .

٥ . إذا مات إنسان في خيمة .

٦ . نجاسة من مس جثة حيوان لا يؤكل .

أولاً : نظرة التوراة إلى المرأة من حيث الطهارة والنجاسة :
أ. الحائض والاستحاضة :

أشار د/ كامل سغفان : (إلى العناية الكبيرة في التوراة بالنجاسة والطهارة إلى حد أن يصبح الأصل هو النجاسة وتؤدي للطهارة طقوس معقدة حتى يمكن تحقيقها بعد تقديم القرابين اللازمة)^(١) .

ويلقي د/ عابد الهاشمي الضوء على المدة التي تكون فيها المرأة نجسة وما الذي يجب عليها أن تفعله كي تتطهر من هذه النجاسة فيقول :

(تذكر التوراة أن المرأة تكون نجسة بنجاسة حسية لعدة أيام خلال فترة حيضها وفي هذه المدة تنتقل عدوى نجاستها إلى كل من يمسها أو ما تلمسه هي ، أو ما تجلس عليه)^(٢) واستدل على ما يقول بالنص التالي من سفر اللاويين :

" وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دما في لحمها فسبعة أيام تكون في طمئتها ، وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجسًا وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا ، من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا حتى المساء ، وكل من مس متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء وإن كان على الفراش أو المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسها يكون نجسًا إلى المساء " ^(٣) .

(وتبقي هذه النجاسة للمرأة ، ليس فقط في فترة الحيض ، بل حتى في حالة خروج الدم من غير حيض " الاستحاضة " تكون المرأة نجسة كذلك وبالتالي تؤثر نجاستها في كل ما تتصل به سواء أكان ذلك إنسانًا أم متاعًا أم غير ذلك) ^(٤) .

ويشير د/ الهاشمي ، إلى ذلك بما جاء في سفر اللاويين ما نصه :

" وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أيامًا كثيرة في غير وقت طمئتها أو إذا سال بعد طمئتها فتكون كل أيام سيلانها نجاستها كما في أيام طمئتها إنها نجسة ، كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمئتها وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمئتها وكل من مسهن يكون نجسًا فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء ، وإذا ظهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع " ^(٥) .

(١) اليهودية تاريخًا وعقيدة د/ كامل سغفان ص ٢٥٤ .

(٢) التربية في التوراة د/ الهاشمي ص ١٣٥ .

(٣) الإصحاح : (١٩/١٥ - ٢٤) شريعة ما يفرزه الجسد .

(٤) التربية في التوراة ص ١٣٥ مرجع سابق .

(٥) الإصحاح : (٢٩-٢٥/١٥) شريعة ما يفرزه الجسد .

ويعلق د/ عابد الهاشمي على ذلك فيقول :

(فيما يتعلق بما جاء في التوراة عن نجاسة المرأة الذاتية حال مدة حيضها يتنجس كل من يلامسها فإن هذا ربما كان يسبب تشدد اليهود مع المرأة فقد كانوا إذا حاضت المرأة يتركون الأكل والشرب معها وكانوا لا يجتمعون بها في البيت أثناء الحيض . فلما سأل الصحابة النبي ﷺ عن ذلك قال : " جامعوهن - أي اجتمعوا بهن وخالطوهن في البيوت - واصنعوا كل شيء إلا النكاح - الجماع " ^(١) ، وبهذا نفى الحديث النجاسة الذاتية عن المرأة وأباح التعامل معها فترة الحيض تماماً كما يكون ذلك قبل حيضها ، ومنع الجماع قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ^(٢)) ^(٣) .

وعلى هذا فالمرأة في الشريعة اليهودية تلقي المهانة والذلة وينفر الناس منها بسبب الحيض أو الاستحاضة وتتأذى نفسياً حين تعلم أنها مصدر النجاسة في أيام حيضها أو استحاضتها في حين أن النجاسة في هذه الحالة معنوية لا حسية فإذا مست أي شيء أو جلست عليه لا يتنجس وعندما تتأمل في النصوص السابقة بنجدها تتعارض مع العقل إذ أنه عندما ينقطع دم الحيض تطهر المرأة فلماذا تذهب إلى الكاهن وتقدم القرابين وما دخل الكاهن في هذا الأمر الخاص بالمرأة فقط ؟ .

ب. حكم المرأة الحامل إذا ولدت ذكراً أو أنثى " النفساء " :

يذكر كل من د/ كامل سعفان ، د/ بدران ، نصوصاً تتعلق بهذا الأمر وعلقا عليها وقد استدلا بالنص التالي من سفر اللاويين الذي يقول :

" إذا حبلت المرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث علتها تكون نجسة وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثاً وثلاثين يوماً في دم تطهيرها وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين في طمسها ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها " ^(٤) .

ويتساءل د/ كامل سعفان عن هذه الحالة قائلاً :

(فلماذا تختلف النجاسة مع الذكر عنها مع الأنثى ؟ وهل تختلف أيام الطمث أو النفساء مع المرأة الواحدة باختلاف ما تلد ؟) ^(٥) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها (٢٤٦/١) برقم (٣٠٢) طبعة دار إحياء الكتب العربية .

(٢) سورة البقرة الآية : (٢٢٢) .

(٣) التربية في التوراة : ص ١٤٠ .

(٤) الإصحاح : (١٢/٧-١٢) التطهر بعد الإنجاب .

(٥) اليهود تاريخاً وعقيدة ص ٢٥٦ مرجع سابق .

ويقول د/ بدران :

(إن هذا الأمر يتعارض مع العلم إذ أن الأطباء لهم رأى في مدة نزول الدم ويتساءل متعجباً قائلاً : أهذا معقول؟! وما رأى أهل الطب هنا ؟ .. هل يظل الدم أربعين يوماً إن كان المولود ذكراً وثمانين يوماً إن كان المولود أنثى ؟)^(١) .

(أسئلة كثيرة حول النجاسة والطهارة تحتاج إلى دراسة نفسية لهذا الشعب المختار .. أمرُ ذلك إلى الخوف أو التسامي ؟ أهى وسيلة الكهنة للسيطرة حين أراد عيسى عليه السلام أن يقضي على سلطان الكهنة قال : " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هو ينجس الإنسان " ^(٢) ، فلما ازدادت شراسة اليهود في محاربة المسيحيين قال بولس : " ليس شيء نجساً بذاته ، إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس " ^(٣) . لعل موقف عيسى وبولس من النجاسة إشعار بأن الكهنة اتخذوا منها وسيلة قيد وإعنات ، لتظل النفوس رهن الإحساس بالإثم ، ولا تجد خلاصها أو ما يشبه الخلاص على أيدي الكهنة ، ومن ثم يظل سلطان الكاهن يلاحق الرعية حيثما وجدوا) ^(٤) .

نجاسة الرجل " ذو السيل " ^(٥) :

يقول د/ بدران :

(وماذا عن الرجل ذو السيل ؟ إنه يظل نجساً طوال أيام سيله ، كل مكان يجلس فيه نجس ، من يمس فراشه نجس ، ومن يمس ثيابه نجس .. فقد جاء في سفر اللاويين :

" كل رجل يكون له سيل من لحمه فسيله نجس ... كل فراش يضطجع عليه الذي له السيل يكون نجساً وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً ، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ... وإن بصق ذو السيل على طاهر يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ... وإناء الخزف الذي يمسسه ذو السيل يُكسر وكل إناء خشب يغسل بماء وإذا طهر ذو السيل من سيله يحسب له سبعة أيام لطهره ويغسل ثيابه وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بماء حي فيطهر وفي اليوم الثامن يأخذ لنفسه يمامتين أو فرنجي حمام ويأتي أمام الرب إلى باب خيمة الاجتماع ويعطيها للكاهن " ^(٦)) ^(٧) .

(١) التوراة والعقل والعلم والتاريخ ص ١٦٨ مرجع سابق .

(٢) متى : (١٥/١٠-١١) الطاهر والنجس .

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية : (١٤/١٤) .

(٤) اليهود تاريخاً وعقيدة د/ كامل سغفان ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ مرجع سابق .

(٥) السيل : إفرازات الذكورة والأنوثة معجم الكلمات الصعبة للعهد القديم ص ٢٤ ط دار الكتاب ط / ٣ ، ١٩٩٨ في نسخة الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

(٦) اللاويين : (١٥-١/١٥) شريعة ما يفرزه الجسد - مع الحذف .

(٧) التوراة : د/ بدران ، ص .

ويتساءل د/ كامل سعفان منتقداً تلك الأمور التي يحتوى عليها هذا النص قائلاً :
(لماذا تظل النجاسة حتى المساء ؟ ولماذا يُكسر الوعاء الخزفي ؟ ولا يكفي معه الغسل ، مع أن جودة صنعه قد تختفى معها المسام فضلاً على أنه يطلى بطلاء أملس)^(١) .

ثالثاً : نجاسة الأبرص :

يقول د/ كامل سعفان عن هذا :
(أما طهر الأبرص فيكاد يصل إلى الشعوذة والدجل ، ويلاحظ أن موضوع البرص يشغل من شريعة الرب ثلاثة إصحاحات في سبع صفحات)^(٢) :

رابعاً : ملامسة جثث الموتى :

يقول عنها د/ المسيري :

(أعلي درجات النجاسة في الشريعة اليهودية ملامسة جثث الموتى وهذه تتطلب رش الماء المخلوط برماد بقرة صغيرة حمراء يستخدم رمادها لتطهير الأشخاص والأشياء التي تدنست بملامسة جثث الموتى ويجب أن تكون البقرة " حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعمل عليها نير " ^(٣) فقد جاء في سفر العدد ما نصه :
" من مس ميتاً ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً كل من مس ميتاً ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر ينحس مسكن الرب فتقطع تلك النفس من إسرائيل لأن ماء النجاسة لم يُرش عليها تكون نجسة . نجاستها لم تزل فيها " ^(٤))^(٥) .

(١) اليهود تاريخاً وعقيدة د/ كامل سعفان ص ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٥ ، لاوين : (١٣ ، ١٤) وبعد الاطلاع وجدت الأبرص يشغل إصحاحين وليس ثلاثة كما يقول المؤلف .

(٣) عدد : (٢/١٩) ماء للتطهير ، والنير : خشبة توضع على عنق ثورين لجعلهما يسيران معاً وهما يحرثان (معجم الكلمات الصعبة للعهد القديم ص ٤٠) .

(٤) عدد : (١٩/١١-١٣) ماء للتطهير .

(٥) اليهود واليهودية والصهيونية : د/ المسيري ٢٤٣/٥ .

خامساً : إذا مات إنسان في خيمة :

يقول د/ بدران عن هذا الأمر :

(وهذه عجيبة أخرى من أعاجيب النجاسة من الأفضل أن نترك التوراة ترويها دون تعليق فهي تعلق على نفسها : " هذه هي الشريعة ، إذا مات إنسان في خيمة ، فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام ، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس ، وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام ^(١) ") ^(٢) .

(هذا عن النجس والنجاسة أما عن تطهير هذا النوع من النجاسة فيقول إله إسرائيل : " فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية الذي يقدمها النجس ويجعل عليه ماءً حياً في إناء ، ويأخذ رجل طاهر "زوا" ^(٣) ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذي مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر ، ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع ، ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً في الماء " ، أما إذا لم يتطهر الإنسان النجس حسب أوامر إله إسرائيل وجب عليه القتل والفناء : " وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة (بني إسرائيل) لأنه نجس مقدس الرب ماء النجاسة لم يرش عليه ، إنه نجس " ^(٤)) ^(٥) .

سادساً : نجاسة من مس جثة حيوان لا يؤكل :

فيقول د/ كامل سعفان :

(لم تقتصر النجاسة على ما سبق ، " فكل من مس جثة حيوان لا يؤكل يكون نجساً إلى المساء ، ومن حمل جثته يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء " ^(٦) ، ويدهش المرء إذا علم أن الجمل والحمار والارنب مما لا يؤكل وكان الحمار وسيلة الانتقال قبل أن يعرفوا الجمل ، فكيف ينجس من مسه ؟ ولماذا تظل النجاسة حتى المساء ؟) ^(٧) .

(١) عدد : (١٦-١٤/١٩) ماء للتطهير .

(٢) التربية في التوراة : د / بدران ، ص ١٦٩ .

(٣) هو : نبات بري يرجح أنه الزعتر وكان يستخدم عادة للتطهير (معجم الكلمات الصعبة للعهد القديم ص ٢٣) .

(٤) عدد : (٢٠-١٧/١٩) ماء للتطهير .

(٥) انظر : التوراة : د/ بدران ، ص ١٧٠ .

(٦) يشير إلى اللاويين : (٢٦-٤/١١) الطعام الطاهر والنجس .

(٧) اليهود تاريخاً وعقيدة ، ص ٢٥٦ .

وحول الطهارة والنجاسة عموماً يعلق د/ المسيري قائلاً :

(يعود اهتمام الشريعة اليهودية الحاد بمشاكل الطهارة والنجاسة إلى الطبقة الحلولية داخلها التي تتبدى في محاولة دائمة للفصل بين اليهود المقدسين والأغيار المدنسين وتنص الشريعة اليهودية على عدة مصادر أساسية للنجاسة الشعائرية أهمها أجساد الموتى ^(١) والأشخاص الذين يتصلون بالأشياء النجسة قد ينقلون نجاستهم إلى الآخرين ، والأشياء المقدسة التي تنجس مثل القرايين التي تقدم من ذبائح وحبوب يجب أن تحرق وينبغي على الأشخاص غير الطاهرين ألا يلمسوا الأشياء المقدسة وألا يدخلوا الهيكل أو ملحقاته ^(٢) .

إلى هذا الحد من التعقيد وصل الأمر بالشريعة اليهودية المخرفة في باب النجاسات فما بالنا بعملية التطهير من هذه النجاسات تُري هل تكون أخف وطأة من التنجس أم لا ؟
ولذلك يوضح د/ المسيري عملية التطهير بقوله :

(وتختلف شعائر التطهر باختلاف مصدر النجاسة فالحمام الطقوسي كان يُعد كافياً للتطهر من النجاسة الناجمة عن الجماع أو القذف ، بينما يجب تقديم القرايين الحيوانية للتطهر من النجاسة الناجمة عن الولادة وغيرها ^(٣) .

وخلاصة هذا المبحث :

١. هذه الطقوس التي يفرضها كهنة بني إسرائيل ويزعمون أنها من أوامر الإله لسيدنا موسى ^{عليه السلام} تؤكد أن النفسية اليهودية تحرص على الانعزالية دائماً ، ومن ثم يسهل الفصل بين اليهود الذين يدعون القداسة والطهارة وبين غيرهم من الشعوب الأخرى ، كما يدعون .
٢. اتسام الشريعة اليهودية بالتشدد والتعقيد إلى حد يجعل الأصل عندهم هو النجاسة والطهارة فرع عنه ، وذلك من شدة الأوامر الصارمة التي تتأذى منها النفس البشرية السوية وتتصادم مع العقل السليم .

(١) والنص الذي يوضح ذلك يقول : " من مس ميتاً ، ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام يتطهر به في اليوم الثالث " عدد : (١٩/١١-١٢) .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية ٢٤٣/٥ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

المبحث الثاني

نقد التشريعات الخاصة بالكهنة والقرايين

تمهيد :

اهتم النقاد من علماء المسلمين بتعرية السلطة الكهنوتية وكشف زيفها والمبالغات والعجائب التي تحيط بالكهنة في الشريعة اليهودية ، واهتموا أيضاً بتوجيه سهام النقد إلى تلك الأمور الغريبة التي يطلبها إله إسرائيل من سيدنا موسى عليه السلام كما تزعم التوراة - ومن خلال هذه الطلبات يتضح استغلال الطبقة الكهنوتية لشعب إسرائيل وابتزازهم .

من هؤلاء العلماء د/ بدران ، د/ كامل سعفران ، قد فصّل الحديث حول الكهنة في التشريع اليهودي وبينوا من خلال نقدهم أن هذه التشريعات تتعارض مع العقل والحقائق العلمية الثابتة وبينوا أيضاً أن التشريع اليهودي قد تأثر كثيراً بالتشريعات الوثنية القديمة .

ويمكن حصر هذه التشريعات التي نقدها العلماء تحت العناوين التالية :

(١) عبادة العجل وتقديم القرابين .

(٢) القرابين وأنواعها .

(٣) تابوت العهد .

(٤) المائدة والمنارة .

(٥) مسكن الشهادة والمذبح وثياب الكهنة .

(٦) مراسيم الكهانة والكفارات ومناسباتها .

يقول د/ كامل سغفان في بداية نقده للتشريعات اليهودية :

(قد يثير الدهشة أن الرب - في كثير من أسفار التوراة وكتب الأنبياء - يستغل استغلالاً قاسياً في سيطرة طبقة أو في ابتزاز خيرات الشعوب لصالح سبط من الأسباط " فريضة دهريّة " - أي أبدية - ويتخذ " تابوت الرب " الذي هو نصب من الأنصاب بمثابة شرك للإيقاع بالشعب المخدوع بين أنياب ومخالب لا تشبع ولا ترتوي فإذا كان " هارون " عليه السلام في عبارة القرآن الكريم فصيحاً شجاعاً وشريكاً في أداء الرسالة فقال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ ^(٢) فإنه في عبارة العهد القديم يهودي قبل أن يكون ربانياً ^(٣) .

فماذا صنع هارون ؟ وما هي البداية التي انحرف من عندها بني إسرائيل ؟ هذا ما سيتضح في السطور التالية :

(١) عبادة العجل وتقديم القرابين :

وحول هذه القضية استدل د/ كامل بالنص التالي :

" لما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أضعفنا عن أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيككم واثثوني بها . فترع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعفتك من أرض مصر فلما نظر هارون بني مذبحاً أمامه ونادي هارون وقال : غداً عيد الرب فبكروا في الغد ، وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح السلامة " ^(٤) .

ومضي د/ كامل في سرد ما حدث لهذا العجل الذهبي وطحن موسى عليه السلام له عندما عاد وذراه على وجه الماء وسقي به بني إسرائيل ^(٥) .

(١) سورة القصص الآية : (٣٤) .

(٢) سورة طه الآية : (٣١ ، ٣٢) .

(٣) اليهود تاريخاً وعقيدة ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٤) خروج : (٣٢/١-٦) العجل الذهبي .

(٥) خروج : (٢٠/٣٢) السابق .

ثم يعلق د/ كامل على صناعة العجل وعبادته بقوله :

(طلب الشعب إلهاً مصنوعاً ، وكان بوسع هارون أن يجعله من طين ، أو من خشب ، أو من نحاس مثلاً ، لكنه أراد من ذهب في صورة الإله المصري القديم - قبل عهود الذل والعبودية في مصر - وصنعه بيده لا بيد أخرى وبني له مذبحاً وجعل له عيداً ، وأصعد المحرقات - وقدم الذبائح ، ويلاحظ أن عبادة (العجل) تتكرر وتتجدد في حياة بني إسرائيل ... " فقد عمل يربعام ^(١) " عجلي ذهب ليعبدهما أتباعه في دولة إسرائيل ، وحتى لا يحتاجوا للذهاب إلى الهيكل الذي يقع في دولة يهوذا برئاسة " رَحْبَعَام ^(٢) " ^(٣) ^(٤) .

ويقول أيضاً : " وملك " بعشا بن أخيا " ^(٥) على جميع إسرائيل ، وسار في طريق يربعام في خطيئته التي جعل بها إسرائيل يخطئ " ^(٦) .

ويقول : " وكذلك فعل " عُمرى " ^(٧) وجاء أخاب بن عمري ، فتزوج ابنة ملك الصيدونيين ، وعبد العجل وسجد له ، وأقام مذبحاً " ^(٨) .

كما يلاحظ أن الإله من ذهب دائماً ، كأنما هو للتعبير عن القوة في عرف اليهود ^(٩) .

وفي نهاية حديثه عن عبادة العجل قال عن تخطيطه : (أراد موسى أن يحطم الوثنية فأجراها في دمائهم ذرات ذهبية صارت نسيج أبدانهم وميراث أجيالهم) ^(١٠) .

(١) هو : ابن ناباط من سبط افرايم وصروعة ولد في صردة في وادي الأردن وهو الملك الأول في المملكة الشمالية بعد انقسام مملكة سليمان في أيام رجبام وملك حوالي ٢٢ سنة (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٥٩) .

(٢) هو : ابن سليمان من نعمة العمونية قامت الحرب بينه وبين يربعام ملك مملكة إسرائيل واستمرت طويلاً وانتشرت العبادة الوثنية في مملكة إسرائيل منذ بدايتها ... ملك حوالي ١٧ سنة ومات حوالي ٩١٥ ق.م (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠١) .

(٣) ملوك الأول : (٢٨/١٢) إسرائيل يتمرّد على رجبام .

(٤) اليهود تاريخاً وعقيدة ، ص ٢٣٤ .

(٥) هو : بعشا بن أخيا من سبط يساكر ، تأمر علي ناداب بن يربعام وضربه في جثون التي للفلسطينيين وملك عوضاً عنه عشرين سنة ومن أجل ألا يعارضه أحد قتل كل عائلة يربعام وسلوك بعشا في طريق يربعام وعمل الشر في عيني الرب وكانت الحروب والاضطرابات كل أيام ملكه (قاموس الكتاب المقدس ص ١٨١) .

(٦) الملوك الأول : (٣٤-٣٣/١٥) بعشا يملك على إسرائيل .

(٧) هو : أحد ملوك إسرائيل وكان قبل توليه العرش قائداً لجيش بني إسرائيل في زمن الملكين بعشا وأيلة ولم يعمل عمري المستقيم في عيني الرب وعبد الأصنام التي عبدها يربعام وعمل من الشر ما لم يعمله أي ملك آخر من قبله من ملوك إسرائيل (قاموس الكتاب ص ٦٣٩) .

(٨) الملوك الأول : (٣٣-٢٩/١٦) أخاب يملك على إسرائيل .

(٩) اليهود تاريخاً وعقيدة ص ٢٣٤ مرجع سابق .

(١٠) المرجع السابق ٢٣٥ .

وينتقد د/ بدران عبادتهم لهذا العجل قائلاً :

(إن عبادة الإسرائيليين من أعجب العبادات وإلههم من أغرب الآلهة كما أنها من أجهز العبادات تكليفاً . عبادة يبدو أنها مخلوقة للأثرياء فقط ، الأغنياء القادرون على اقتناء الذهب والفضة)^(١) .

وقد ذكر د/ بدران في كتابه : (أن إله إسرائيل (المزعوم) يأمر موساهم بأشياء غاية في العجب والغرابة وبتفاصيل أكثر عجباً وغرابة ، ويقف أى قارئ للتوراة مشدوهاً أمام هذه الفخفخة الإلهية ، هذا بالإضافة إلى الخرافات التي لا تخطر على بال)^(٢) .

وفصل القول فيما يتعلق بالقرايين والمقدس والطقوس الكهنوتية على النحو التالي :

١. قربان التقديم أول شروط إله إسرائيل ليهبط ويكلم موسى وجهاً لوجه :

إن أول ما طلبه " يهوه " من موسى أن يقدم شعب إسرائيل تقديم من ذهب وفضة وغيرها ... كل ذلك حتى يسكن إله إسرائيل في وسطهم^(٣) .

واستدل على ذلك بما جاء في سفر الخروج : " وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقديم من كل من يحته قلبه تأخذون تقديمي وهذه هي التقديم التي تأخذونها منهم ذهب وفضة ونحاس وإسمنجوني وأرجوان وقرمز وبرص وشعر معزي وجلود كباش حمرة وجلود تحس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة ترصيع للرداء والصدرة فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم"^(٤) .

٢. تابوت العهد أو تابوت الشهادة :

ذلك التابوت الذي وضعوا فيه اللوحين اللذين أعطاهما الله لموسى وهذه مواصفاته التي أمر بها إله إسرائيل^(٥) : " فيصنعون تابوتاً من خشب السنط ، طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج تغشيه وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع . على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان ، وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما ، تبقي العصوان في حلقات التابوت ، لا تزعان منها وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك ، وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك على الغطاء من بين الكرويين الذين على تابوت الشهادة"^(٦) .

(١) التوراة : د/ بدران ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣ .

(٤) الإصحاح : (٢٥/١-٨) التقديمات لخيمة الاجتماع .

(٥) التوراة د/ بدران ص ١٥٣ .

(٦) خروج : (٢٥/١٠-٢٢) تابوت العهد وغطاؤه مع الحذف .

ثم يعلق د/ كامل على هذا الوصف المطول بقوله :

(نلاحظ أن التابوت لا يخرج عن صندوق فيه لوحا الشهادة وقاية لهما ، وكان بوسع " الرب " أن يؤكد على صيانة اللوحين ، وعلى شعبة المختار أن يختار الطريقة التي تتناسب مع ظروف حياتهم ، كأن تحفظ التعاليم وترتل ، أو تكتب منها نسخ مختلفة حتى يكون عهد الطباعة ، فتطبع آلاف النسخ أو ملايينها لكن " الكهنة " أرادوا شيئاً أو صنماً ، يلتف حوله الشعب أو أرادوا حقل تجارب لمعرفة إمكانيات الشعب وقدرته على الحركة داخل اقتصاديات الشعوب المستغلة لهذا لزم أن تبقى العصوان في حلقات التابوت لا تترعان منها رمزاً للحركة المستمرة)^(١) .

٣. المائدة التي سيجلس عليها إله إسرائيل والمنارة :

(فهي بالمواصفات التالية حسب أوامر الإله لموسى - في زعمهم - : " وتصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وعرضها ذراعان وارتفاعها ذراع ونصف وتغشيها بذهب نقي وتصنع إكليلاً من ذهب حواليتها وتضع لها حاجباً على سبر حواليتها وتصنع لحاجبيها إكليلاً من ذهب حواليتها ")^(٢) إلى نهاية وصف هذه المائدة^(٣) .

ويقول د/ بدران :

(ولم ينس إله إسرائيل أن يأمر موسى بأن يصنع له منارة (شمعدان) من ذهب خالص حتى تكتمل للجلسة الإلهية أبحاثها وفخامتها ، والدليل على ذلك قول التوراة : " وتصنع منارة من ذهب نقي .. عمل الخراطة تُصنع المنارة قاعدتها وساقها تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها وستُ شُعبٌ خارجة من جانبيها من جانبها الواحد ثلاث شعب منارة ومن جانبها الثاني ثلاث شعب منارة إلى آخر وصف هذه المنارة ")^(٤))^(٥) .

وينتقد د/ كامل سجعان هذه النصوص التي اشتملت على وصف المائدة والمنارة ويحلل ما وراء هذه النصوص من أطماع اقتصادية قائلاً : (من أين هذا الذهب كله وقد جمعه هارون في العجل الذهبي الذي أحرقه موسى فصار رماداً فشراباً ؟ وإذا كان الرب قد صنع صورة هذا كله فلماذا لم يقدمها هدية إلى شعبه المختار ويعفيه من هذا الابتزاز الذهبي العجيب ؟ لكن يبدو أن سياسة " الرب " مستقبلية فهو يضع أسس المذاهب الاقتصادية التي ستنبثق في صورة إلهام من العقلية اليهودية فتركيز الثروة في يد " اللاويين " يعني سيطرة الطبقة أو السياسة الرأسمالية ، وأن تجتمع الثروة في يد (المشرعين) يعني عدم الملكية الفردية أو السياسة الشيوعية)^(٦) .

(١) اليهود تاريخاً وعقيدة د/ كامل ص ٢٣٦ .

(٢) خروج : (٢٣/٢٥ - ٣٠) مائدة خبز الوجوه .

(٣) التوراة : د/ بدران ، ص ١٥٤ ، اليهود تاريخاً وعقيدة د/ كامل سجعان ص ٢٣٧ .

(٤) خروج : (٢٥/٣٩ - ٣٩) المنارة .

(٥) التوراة : د/ بدران ، ص ١٥٤ .

(٦) اليهود تاريخاً وعقيدة : د/ كامل ، ص ٢٣٧ .

٤. مسكن الشهادة والمذبح وثياب الكهنة :

ذكر د/ كامل ، التفصيلات التي وردت في العهد القديم عن مسكن الشهادة والمذبح وثياب رئيس الكهنة وثياب بقية الكهنة وقد استغرق ذلك من العهد القديم عددًا من الإصحاحات في سفر الخروج . ففيما يتعلق بمسكن الشهادة فله مواصفات عجيبة وكثيرة ^(١) تبين اهتمام الرب ببيته فيقول :

(وإذا كان الرب قد اهتم ببيته هذا الاهتمام ، فإن عنايته بالقوامين عليه وبخدامه تبدو واضحة من خلال الأوصاف التي تتمثل فيهم والملابس التي يتحلون بها والحقوق التي كفلها لهم ، وفي هذا يقول الرب لهارون : " إذا كان رجل من نسلك في أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه ، لا رجل أعمى ، ولا أعرج ، ولا أفتس ، ولا زوائد ، ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ، ولا أحنط ^(٢) ولا أكشم ^(٣) ولا من في عينه بياض ، ولا أجرب ، ولا أكلف ^(٤) ولا مرضوض الخصى لئلا يدنس مقدسي " ^(٥)) ^(٦) .

وفيما يتعلق بالمذبح فله مواصفات عجيبة وغريبة أيضًا حسب أوامر إله إسرائيل ^(٧) . أما ثياب الكهنة والتكاليف الباهظة التي تشتمل عليها من ذهب وأحجار كريمة ورمانات وجلجل من ذهب نقي ^(٨) .

وينتقد د/ كامل هذه التكاليف الباهظة الخاصة بالمسكن والثياب قائلاً :

(يحار المرء - دون شك - في تكاليف هذه الثياب أكثر من حيرته في أوصافها هذا الذهب وهذه الحجارة الكريمة كلها ممن ؟ من شعب ضائع في الصحراء ؟ ولماذا ؟ من أجل المثل بين يدي الرب ؟ أي رب هذا الذي يستولي على كل ما يملك شعبه ، ليصنع ثياب أسرة لا شرف لها إلا الانتساب إلى موسى الرسول ^(٩) ويجعل هذه الثروة في بيتها وسيلة ترف وخداع ، بحسبان أن البيت بيت الرب ولا بد أن يتناسب المكان مع جلالة هذا الرب الذي يحتاج إلى أن يلبس من يدخل عليه رمانات وجلجل تحدث صوتًا ، حتى لا يفاجأ متلبسًا بما لا ينبغي ، فيغضب ، وتكون النتيجة موت من انكشف له ما لا ينبغي أن يرى !! ^(٩) .

(١) خروج : (٢٦/١-٢٧) خيمة الاجتماع .

(٢) هو : من برز صدره ودخل ظهره (معجم الكلمات الصعبة ، ص ٨) .

(٣) هو : ناقص الخلقة قزم (معجم الكلمات الصعبة ، ص ١٠) .

(٤) هو : الذي في بدنه بثور (معجم الكلمات الصعبة ، ص ١٠) .

(٥) اللاويين : (٢١/١٧-٢٤) شرائع الكهنة .

(٦) اليهود تاريخًا وعقيدة ص ٢٤٠ .

(٧) خروج : (٢٧/٨-١) مذبح المحرقة .

(٨) خروج : (٢٨/١٤-٢) ثياب الكهنة ، راجع : التوراة د/ بدران ص ١٥٥-١٥٧ .

(٩) اليهود تاريخًا وعقيدة ص ٢٤١ مرجع سابق .

٥. مراسيم الكهانة والقرايين والذبائح والمناسبات التي تقدم فيها هذه القرايين :

* أولاً مراسيم الكهانة :

يناقش د/ بدران ، د/ كامل سعفان ، هذه الأمور من خلال نصوص العهد القديم فيقول د/ بدران :
(للكهانة مراسيم أبدية يقوم بها الكهنة بعد الاغتسال وارتداء ثياب الكهنوت حيث يقدم ثوراً واحداً من البقر وكبشين صحيحين وفطير ورقاق ملتوت بالزيت من دقيق الخنطة واشترط إله إسرائيل أن توضع جميع هذه الفطائر في سلة واحدة ثم تجرى مراسيم الاحتفال)^(١) ، ثم عرض بعد ذلك هذه المراسيم وهي كالتالي :
أ. بالنسبة للثور : يضع رئيس الكهنة وأتباعه أيديهم على رأس الثور ثم يذبح ويؤخذ من دم الثور وتدهن قرون المذبح بالإصبع ويصب بقية الدم إلى أسفل المذبح ، وأما شحم الثور فيؤخذ على المذبح وأما اللحم والجلد فيحرق بعيداً لأنها ذبيحة خطية)^(٢) .

ب. الكبش الأول : يضع الكهنة أيديهم على رأس الكبش ثم يذبح ويرش دم الكبش في كل مكان ويقطع الكبش إلى قطعة ويغسل جوفه ثم يحرق الكبش بأكمله على المذبح لأنه رائحة سرور وقود الرب)^(٣) .
ج. الكبش الثاني : ويسمي كبش الملة ويذبح بعد أن يضع الكهنة أيديهم على رأسه ثم تمسح أذن رئيس الكهنة اليميني من دم الكبش وكذلك بقية الكهنة وتمسح كذلك أيديهم اليميني وأرجلهم اليميني ويرش الدم في كل ناحية في المذبح ثم تدهن ثياب رئيس الكهنة وأتباعه من الدم المتبقي ، ثم تؤخذ " إلية " الكبش وشحم جوفه وساقه اليميني (الخلفية) وزيادة الكبد والكلية بالإضافة إلى رغيف واحد من الخبز ورقاقة ويحرق كل هذا على المذبح لصنع رائحة سرور وقود الرب ، أما نصيب رئيس الكهنة من كبش الملة فهي : القص - أي الصدر - والساق الأمامية ، أما بقية الكبش فيطبخ ويأكله الكهنة بني هارون مع الذين قدموا الكبش كتكفير عن ذنوبهم ليملاً أيديهم ويصبروا مقدسين ، أما الأجزاء المتبقية من الطعام فلا يأكلها أحد بل تحرق جميعها بالنار لأنها مقدسة)^(٤) .

ويقدم الإسرائيليون كل يوم خروفان حوليان (أي عمرها عامان) الأول في الصباح والثاني في المساء لتتحرق على المذبح المقدس وقد أمرهم إلههم أن تظل المحرقة دائمة لتصنع رائحة سرور وقود الرب ووعدهم بأنهم لو فعلوا هذا سيسكن في وسطهم)^(٥) .

(١) التوراة د/ بدران ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) انظر : خروج : (٢٩-١٠/٢٤) تكريس الكهنة - بالمعني .

(٣) انظر : خروج : (٢٩-١٥/١٨) السابق .

(٤) انظر : خروج : (٢٩-١٩/٣٤) السابق باختصار ، انظر التوراة : د/ بدران ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٥) انظر : خروج : (٢٩-٣٨/٤٦) المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(أما الآنية التي يحرقون فيها البخور فيسميها إله إسرائيل " مذبح البخور " وقرر لها مواصفات خاصة أهمها أنها مصنوعة من الذهب ^(١) ويتدخل إله إسرائيل في كل شيء حتى المرحاض شكله ، مادته حتى مكانه والمستعملين له وهو من النحاس النقي وأمر بوضعه في خيمة الاجتماع وهو خاص بهارون وأبنائه - أي الكهنة فقط ^(٢)) ^(٣) .

ويعلق على ما سبق بقوله :

وهناك الكثير من مثل هذه الأشياء الباهظة التكاليف والتي لا يقدر عليها إلا الأثرياء فقط ، هذا بالإضافة إلى غرابة الأشياء نفسها ^(٤) .

وبذلك تتجلى الأطماع اليهودية التي لا تقف عند حد مع استغلال كل الوسائل الممكنة دون تقدير للظروف القاسية التي كان يمر بها الشعب ^(٥) .

✳ ثانياً : الكفارات والقرايين :

يقول د/ رفيقي زاهر :

أ. (تكثر الكفارات والقرايين في الديانة اليهودية ، كثرة ظاهرة وتدفع كلها إلى اللاويين الذين تخصصوا لخدمة الهيكل ، كمصدر أساسي لسد نفقاتهم ، ونفقات الهيكل على السواء وذكر منها : ذبيحة الإثم ، وهي ثور يقدمه المذنب إلى الكاهن بعد أن يعترف بخطيئته ^(٦) ، ذبيحة السلامة وهي للشكر ^(٧) ، والنذور وهي ما يلزم المرء بتقديمه للرب من قرايين دون أن تفرض عليه الشريعة ^(٨)) ^(٩) .

(١) انظر : خروج : (٨-١/٣٠) مذبح البخور .

(٢) انظر : خروج : (٢١-١٧/٣٠) مرحضة للاغتسال .

(٣) انظر : التوراة د/ بدران ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) المرجع السابق : ص ١٦٠ .

(٥) اليهود تاريخاً وعقيدة : ص ٢٤٥ .

(٦) انظر : لاويين : ١٠-١/٤) ذبيحة الخطية باختصار .

(٧) انظر : لاويين : (٥-١/٣) ذبيحة السلامة .

(٨) انظر : عدد : (١٤-١/٣٠) النذور باختصار شديد .

(٩) قصة الأديان " دراسة تاريخية مقارنة " د/ رفيقي زاهر ص ٨٩ باختصار ط الأولي ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، وانظر : التوراة د/ بدران ، ص

١٦٦-١٦٣ .

ب. قربان الزوجة الخائنة : وينتقد د/ بدران سيطرة الكهنة على الشعب حتى في أدق الأمور فيقول : (إن في التوراة أشياء لا تليق بعبادة الأوثان في العهود السحيقة ، يوم أن كان الظلام مخيم على الأرض ، ويبدو أن كهنة بني إسرائيل يحبون الظلام حتى تقوى سلطتهم على الشعب ويتحكموا فيه ويتدخلوا في دقائق أموره وتروى التوراة ^(١) :

" أنه إذا خانت زوجة زوجها ولم تعترف له بخيانتها أو إذا شك رجل - مجرد الشك - في زوجته يذهب للكهان ويكشف له عما في نفسه ويدعو الكاهن الزوجة المتهمه وعليها أن تقدم قربانا (يسمى مقدمة الغيرة) للكاهن وهي عبارة عن دقيق شعير ويحضر الكاهن الماء المقدس ويضعه في إناء خزفي ويضع عليه من تراب المعبد ويكشف الكاهن رأس المرأة المشكوك في أمرها ويسقيها من هذا الماء المقدس المترب ، ويحرق الكاهن القربان (دقيق الشعير) على المذبح ، فإذا كانت المرأة بريئة لا يصيبها ضرر وإن كانت خائنة فتتورم بطنها في الحال ويسقط فخذها وتصير امرأة ملعونة في وسط شعبها " ^(٢) .

ويحلل د/ بدران هذا الموقف مفنداً ما فيه من خرافات وأمور تعارض مع العقل وتتناقض مع الحقائق العلمية فيقول :

(أي عقل هذا الذي يقبل مثل هذه الخرافات والأباطيل والماء الذي يتكلمون عنه ، ويسمونه الماء المقدس عبارة عن ماء وزيت وتراب وأشياء أخرى غاية في الغرابة وتعتبر من أسرار الكهانة وهذا الماء مصلي عليه وطبيعي جداً أن تتقلص أمعاء كل من يشرب من مثل هذا الشيء العجيب والذي يسمونه بالماء المقدس بل إنه شيء طبيعي أن تمرض المرأة المتهمه وتنتفخ بطنها حتى لو كانت بريئة وتضيق بذلك نساء كثيرات بريئات لعب الشيطان برؤوس أزواجهن ، أليس من الأجدى هؤلاء الكهنة أن يقتفوا أثر الحقيقة وينصحوا ويغفروا بدلاً من تلك الأباطيل ؟ ، إن مثل هذا العمل يتنافى مع العقل والعلم ، وليس فيه من الروحانيات شيء يذكر فهل من العلم أن يشرب إنسان - أي إنسان - خليط من الماء والزيت والتراب وأشياء أخرى غريبة ويشم رائحة دقيق محروقة في مكان ضيق ولا يمرض ؟ وهل من الروحانيات أن يكشف شعر امرأة ؟ ^(٣) .

ج. قربان الولادة : يقول د/ فقي زاهر : منتقداً ما تفرضه الشريعة اليهودية على المرأة التي ولدت : تعتبر اليهودية الولادة من النجاسات التي لا تطهر منها المرأة إلا بالتكفير فعليها أن تقدم إلى الكاهن زوجاً من الحمام أو اليمام وبدون هذه الكفارة لا تتطهر من نجاستها ^(٤) .

(١) التوراة : د/ بدران ص ٦٨ .

(٢) عدد : (٢٨-١١/٥) اختبار الزوجة غير الأمينة .

(٣) التوراة : د/ بدران ص ٦٩ .

(٤) انظر : قصة الأديان د/ فقي زاهر ص ٨٨ ، بتصرف يسير ،

* ثالثاً : المناسبات التي تقدم فيها القرايين :

تنوعت هذه المناسبات التي تقدم فيها القرايين وقد ذكرها د/ بدران ، د/ رفقي زاهر كعيد الفصح الذي يرتبط بذكرى خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام ويقع في اليوم الرابع عشر من شهر أبيب (يوليو) ويستمر سبعة أيام يأكل فيه اليهود فطيراً غير مخمر تذكيراً بما كانوا يأكلونه أيام الخروج ولا يعملون فيه عملاً ويقربون القرايين إلى الهيكل كما يرفعون فيه الصلوات إلى الرب ^(١) ، ويوم التكفير ^(٢) ، ويوم التنظيف ^(٣) ، ويوم السبت ^(٤) ، ويوم الباكورة ^(٥) ، ويوم الإذلال ^(٦) ولم تكن هذه القرايين تطوعاً وتقرباً اختياريّاً بل كانت بناءً على أوامر إله إسرائيل نفسه حتى يباركهم وبعد أن قدم بنو إسرائيل هذه القرايين دخل موسى خيمة الاجتماع فوجد إله إسرائيل داخلها فتكلما معاً ^(٧) .

بعد كل هذا طلب إله إسرائيل من موسى أن يكلم قومه بأن يصنعوا بوقين من الفضة الخالصة لينادي بهما على بني إسرائيل : " وكلم الرب موسى قائلاً : اصنع لك بوقين من فضة مسحولين - أي منحوتين - تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة (بني إسرائيل) ولارتحال المحلات .. فإذا ضربوا بهما يجتمع إليك كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع وإذا ضربوا بواحد يجتمع إليك الرؤساء رؤوس ألوف إسرائيل ^(٨) ^(٩) .

(١) لاويين : (٢٣/٤ - ٨) الفصح والفطير .

(٢) وهو : يوم في العام يحاول فيه اليهودي أن يعبد الله لا كإنسان بل كملك والملك لا يأكل ولا يشرب ويمضي وقته كله في العبادة وتعظيم الله وتقع أيامه في الشهر السابع من شهور السنة اليهودية . انظر : اليهودية د/ أحمد شلي ص ٣٠٥ .

(٣) وهو : ثمانية أيام يسرجون في الليلة الأولى سراجاً وفي الثانية اثنين وهكذا في الثامنة ثمانية سرج وذلك احتفالاً باليوم الذي قتل فيه أحد ملوك اليونان الذي كان يدخل على بنات إسرائيل قبل زواجهن . قصة الأديان ص ٩٣ .

(٤) وهو : اليوم الذي تدعي التوراة فيه أن الله خلق الكون في ستة أيام واستراح في اليوم السابع وعلى هذا تحتم التوراة على بني إسرائيل ألا يمارسوا أي عمل من الأعمال في يوم السبت . سفر التثنية ٥ .

(٥) انظر : عدد (٢٨/٢٦ - ٣١) عيد الباكورة .

(٦) وهو : اليوم العاشر من الشهر السابع . انظر : (عدد ٢٩/٧ - ١١) يوم الكفارة .

(٧) عدد : (٨٩/٧) تقدمات عند تكريس خيمة الاجتماع .

(٨) عدد : (١٠/٩ - ٩) البوقان الفضيان .

(٩) انظر : التوراة د/ بدران ، انظر : قصة الأديان د/ رفقي زاهر ص ٩٠ - ٩٤ .

وبعد أن انتهى د/ بدران من سرد أنواع القرايين والمناسبات المختلفة التي تقدم فيها هذه القرايين بين يدي إله إسرائيل علق عليها منتقداً فقال :

(إن التوراة تحوي أشياء لا تليق إلا بعبادة الأوثان حيث يبتكر كهان الأوثان أشياء باهظة يأمرهم بها كافة الشعب ويقولون إنها أوامر الآلهة ليستمتعوا ويعيش الشعب حياة الفاقة والعوز ، ذلك كان حال بني هارون يأمرهم الشعب بأشياء عجيبة ذهب وفضة وثيران وكباش وخراف وتيوس ودقيق وزيت وبخور ... و ... إلخ . كل هذا مقابل الكهانة وليزيدوا من أهمية طلباتهم يزيدوا الأمور تعقيداً ولا مانع من حرق ثور أو كبش مقابل أن يأخذوا كباشاً وثيراناً)^(١) .

وبذلك يتضح مدى ما وصل إليه الكهنة من سلطان على بني إسرائيل إنه الخواء العقائدي والاضطراب التشريعي لأنه من وضع بشر ، ألم يتفكر أحد فيما يطلبه الكهان ؟ لماذا هذه المراسيم ولماذا هذه القرايين ؟ إنها عملية خداع ومكر يستعملها الكهان لإرهاب شعب بني إسرائيل حتى يحصلوا منهم على المال الوفير ليعيشوا في رفاهية ونعيم دائم يا له من شعب ضعيف يخاف الكهنة وشعوذتهم ويرضي بالذلة والمهانة تحت سلطانهم ، هذا أمر .

الأمر الثاني : يبدو أن هذه المراسيم والطلبات الذهبية التي يطلبها إله إسرائيل - كما يزعمون - تعتبر رافداً أساسياً من الروافد الاقتصادية التي تكمن وراء تكديس الثروات والتضخم المالي لدى اليهود .

الأمر الثالث : وحين تتضخم الثروات اليهودية يتمكن اليهود من الهيمنة والسيطرة على باقي الشعوب سياسياً واقتصادياً ، وبالتالي التحكم في مجريات الأحداث ، التي تخص غيرهم من الشعوب الأخرى غير اليهودية .

الأمر الرابع : تحيط بالتشريعات الخاصة بالكهنة والقرايين التي تقدم في المناسبات المختلفة من الخطاة والمذنبين ، علامات استفهام كثيرة ، ولا يسلم لها العقل ، فهي تتعارض مع المسلمات البديهية ، وتتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة .

(١) التوراة ص ١٦٨ مرجع سابق .

المبحث الثالث

نقد التشريعات الخاصة بالزواج والأسرة

عند فحص الإنتاج العلمي لعلماء المسلمين حول هذا الموضوع ، يتبين أن مغزى التشريعات الخاصة بالزواج والأسرة ، في العهد القديم يهدف إلى ما يلي :

- ١ . امتهان كرامة المرأة وإباحتها .
- ٢ . حرمانها من حقوقها الطبيعية .
- ٣ . تقييد حريتها وقهرها .

وسوف تتضح هذه الأمور جيداً من خلال انتقادات العلماء لتلك التشريعات التي تخص المرأة من حيث الزواج وحقوقها في الاختيار والضغط التي تُمارس عليها لإجبارها على مالا ترضاه ، وبالتالي تتعدد صور الامتهان والحرمان والقهر للمرأة في العهد القديم على ما يلي :

الصورة الأولى : حق المرأة في اختيار زوجها :

بين السقادة أن حق المرأة في اختيار زوجها له صورتان في العهد القديم : الصورة الأولى : لها الحق في اختيار الزوج ولكن بشروط . فالدكتور / الهاشمي يلفت النظر إلى تشدد التوراة وتقييدها لهذا الحق في نفس النص الذي يعطيها الحرية في الاختيار فيقول :

(يظهر من بعض النصوص أن للمرأة الحق الكامل في اختيار الزوج ، دون إكراه أو مذلة والنص التالي يمكن إيراد في هذا الصدد عن بنات صلفحاد ^(١) " اليهودي : " هذا ما أمر به الرب عن بنات صلفحاد قائلاً : من حسن في أعينهن يكن له نساء ، ولكن لعشيرة سبط آبائهن يكن نساء ^(٢) " ، غير أن هذه الحرية للمرأة في اختيار الزوج محددة في سبط واحد من أسباط بني إسرائيل لا تجاوزها إلى غيرهم : " فلا يتحول نصيب لبني إسرائيل من سبط إلى سبط بل يلزم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه ^(٣) " ^(٤) .

(١) هو : أحد أعقاب منسي في البرية ولم يعقب سوي بنات فحكم بأن ترث الإناث إذا لم يكن وارث سواهن من الذكور على شرط ألا يتزوجن خارج سبطهن (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٦ ، ٥٤٧) .

(٢) عدد : (٧-٦/٣٦) ميراث بنات صلفحاد .

(٣) عدد : (٧/٣٦) السابق .

(٤) التربية في التوراة د/ الهاشمي ص ١٣٦ .

الصورة الثانية : انعدام حق المرأة في اختيار زوجها وإجبارها على الزواج :

وقال د/ الهاشمي عن هذه الصورة :

إن هناك نصوصاً تبين انعدام فرصة المرأة في اختيار زوجها ، فالمرأة مجبرة على قبول أحد إخوان زوجها الميـت كزوج لها ولا حق لها في الرفض أو الاعتذار ، وليس له الحق في الرفض للزواج بها ، وهي وهو مكرهان على هذا الزواج ^(١) .

ابتذال المرأة وإباحتها في التوراة :

بالنسبة لهذا الأمر رصد علماء المسلمين مواضيع متعددة من التوراة تمتهن فيها كرامة المرأة وتبيحها جنسياً دون مراعاة لأدنى حق من حقوقها ، ود/ بدران ينتقد ما تشعه التوراة بالنسبة للمرأة غير المخطوبة فيقول :

(تعاليم دينية غاية في الغرابة ، وشريعة أعجب من العجب ذاته ، تلك التي تحويها التوراة حيث يروى سفر الخروج شيئاً عجيباً فيقول : إذا راود رجل فتاة عذراء لم تخطب بعد وضاجعها فليمهرها الرجل لنفسه وزوجه ، وليس في هذا عيب ، ولكن إذا رفض أبوها تزويجها له يعطيه الزاني فضة تساوى مهر العذارى " وإذا راود رجل عذراء لم تخطب بعد فاضطجع معها يمهـرها لنفسه وزوجه ، وإن أبي أبوها يعطيه إياها يزن له فضة كمهر العذارى ^(٢) ") ^(٣) .

ثم يعلق على هذا النص قائلاً : (ألم يحسب كتبة التوراة حساب ضعاف النفوس ؟ إنها بذلك تعطيهم تصريحاً بالفجور ، فيمكن لرجل أن يدفع بناته وخصوصاً إن كن جميلات إلى الزنا ويقبض من زناهن ؛ لأنه لن يرضي بتزويجهن لمن زنوا بهن ويأخذ في كل مرة فضة كمهر العذارى ، وهكذا ويثرى الرجل ضعيف النفس ولم تقل لنا التوراة ما هي عقوبة مثل هذا الأب ! ، وبالنسبة للطرف الآخر الزاني .. فإن التوراة في صفه .. وخصوصاً إن كان غنياً فيمكن لهذا الثري أن يزني كيفما شاء ، مادام قادراً على الدفع والتعويض) ^(٤) .

عجيب حقاً لشريعة تبيح الفجور وليس ذلك فحسب بل وتعطي عليه أجرة . هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الذي شرع هذا بشر وليس بشراً سَوِيًّا ، إذ يقنن الفجور بقانون يدعي أنه قانون إلهي ، وحاشا لله أن يشرع مثل هذا الانحراف .

(١) التربية في التوراة : د/ الهاشمي ص ١٣٦ ، ١٣٧ والنص يقول : " إذا سكن اخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه وزوجه ويقوم لها بواجب أخي الزوج " (تثنية ٢٥/٥-٦) واجب أخي الزوج نحو أرملة أخيه .

(٢) التوراة : د/ بدران ص ٦٥ .

(٣) خروج : (١٦/٢٢ ، ١٧) حماية الأملاك .

(٤) التوراة : د/ بدران ص ٦٥ .

ويضيف د/ عابد الهاشمي إلى ما سبق فيقول :

على الرغم من مشروعية الزواج في التوراة والحض على العفة الجنسية ، ورغم تبين أحكام الحل والحرمة في العلاقات الزوجية إلا أنه مع ذلك فإن الناظر في التوراة يجد ما يناقض ذلك ، فهناك نصوص كثيرة ^(١) تدعو إلى إباحة المرأة وإهدار كرامتها وإنسانيتها ^(٢) وذكر أمثلة من التوراة هي :

أ. تفترى التوراة النص التالي : " وشاخ الملك داود تقدم في الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ فقال له عبده : ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنه ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك ففتشوا على فتاة جميلة في تخوم إسرائيل فوجدوا " أبيشع الشمونية ^(٣) " فحاءوا بها إلى الملك ، وكانت الفتاة جميلة جدًا وكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها ^(٤) .

ب. التوراة تبيح خطف النساء : فقد جاء في سفر القضاة ما يلي : (فقال شيوخ الجماعة ... وأوصوا بني بنيامين قائلين : امضوا واكنموا في الكروم وانظروا فإذا خرجت " بنات شيلوة " ^(٥) " ليدرن في الرقص ، فاخرجوا أنتم من الكروم ، واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوة ، واذهبوا إلى أرض بنيامين ^(٦) ...) ^(٧) .

ج. التوراة تبيح - كذبًا على داود - اغتصاب الزوجات ، فتدعي : أن وسيط داود انتزع زوجة من رجلها الذي كان يسعى وراءها ويكي ويُطرد ، لتكون زوجته لداود التي خطبها لنفسه وهي متزوجة بمائة غلفة من الفلسطينيين ! أي بقتل مائة منهم ، وقطع غلغهم من ذكورهم ليقدمها مهرًا لزوجته المغتصبة من زوجها ، فكان الختان اليهودي الذي يمثل العهد المقدس اليهودي مهرًا لامرأة حرام ^(٨) .

(١) انظر : سفر التكوين : (٣٧-٣٠/١٩) (لوط وابنتاه) وفيها قصة الزنى المفتراة على النبي لوط ، وغير ذلك في مواضع أخرى .

(٢) التربية في التوراة د/ عابد الهاشمي ص ١٣٧ ، بتصرف يسير .

(٣) هي : المرأة التي اختيرت أمة لداود للعناية به ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٢) .

(٤) ملوك الأول : (١٤-١) أدونيا يعلن نفسه ملكًا .

(٥) هي : مدينة شمالي بيت إيل في منتصف الطريق بين بيتين ونابلس ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٣٥) .

(٦) هو : ابن يعقوب من امرأته راحيل ، وكان أصغر إخوته وسمى بذلك لأن أباه دعاه بنيامين أي ابن يميني ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص

١٩٢) .

(٧) الإصحاح : (١٦/٢١ ، ٢٢-٢٠) زوجات للباقيين من سبط بنيامين .

(٨) القصة الكاملة في سفر صموئيل الثاني : (١٧-١٤/٣) أبنيير ينضم لجيش داود .

د. تفترى التوراة على الرب أنه أباح انتهاك عرض نساء داود عليه السلام لأنه كما تكذب التوراة أخذ امرأة أوريا الحثي ، يقول النص : " هكذا قال الرب : هاأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نسائك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك ، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس لأنك أنت فعلت بالسر ، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس ^(١) " .

ثم يعلق على هذه النصوص منتقداً ويقول :
(فهذا دون شك مما أدخله كاتبو التوراة فيها وحرفوه خلافاً لتلك النصوص التي تؤكد على عفة المرأة ، وتدعو إلى الزواج الكريم الذي يحفظ للمرأة عفافها واستقامتها ^(٢)) .

زواج الأرملة (زوجة الأخ المتوفى) من أخيه :
يذكر د/ بدران ما يتعلق بهذه الأرملة وأنها لا بد وأن تتزوج من أخي زوجها ولا يحق لها أن تتزوج بغيره من خارج البيت فإن رفض ففي ذلك الذلة والمهانة ، تقول التوراة :
" إذا سكن إخوة ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي .. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة . ويقوم لها بواجب أخي الزوج . والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحي اسمه من إسرائيل ^(٣) " .

هذا تناقض واضح في الشريعة اليهودية ولأن هناك ما هو أهم حيث تقول التوراة مكملته للنص السابق :
" وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول : لقد أبي أخو زوجي أن يقسم لأخيه اسماً في إسرائيل .. لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج . فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه . فلإن أصر وقال : لا أرضي أن أتخذها . تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول : هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه فيدعي في إسرائيل بيت مخلوع النعل ^(٤) " .

(١) صموئيل الثاني : (١٢-١١/١٢) ناثان يوبخ داود .

(٢) التربية في التوراة : ص ١٤٢ .

(٣) تثنية : (٢٥/٥ ، ٦) واجب أخي الزوج نحو أرملة أخيه .

(٤) تثنية : (٢٥/٧-١٠) والتوراة د/ بدران ص ٧٥ .

وفي نظرة د/ بدران النقدية يحلل هذا الموقف تحليلاً عقلياً لإظهار ما فيه من أمور غير أخلاقية وإهدار لكرامة المرأة فيقول :

كيف يكون هذا العبث وحياً إلهياً ؟ وهل الوحي الإلهي بهذه الطريقة المنافية للأخلاق ؟ أين حياء تلك المرأة ؟ ألا تحمي الشريعة كرامتها ؟ إن مثل هذا الرجل الذي يرفض الزواج من أرملة أخيه يكون أمام أحد أمرين : إما أن يتقيد بامرأة لا رغبة له فيها - خشية الفضيحة التي قد تسببها له - وهذا ضد الدين وضد كرامته وكرامتها ، وإما التشنيع عليه من امرأة تجبرها شريعتها بجرأة ، وبلا حياء ^(١) .

ثم يضيف إلى ذلك التحليل التالي :

(١) إن مثل هذا الأمر يجعل الأخ - عندما يلعب الشيطان برأسه ويرغب في زوجة أخيه - متربصاً لأخيه .. ويود التخلص منه وإن لم يستطع يتمني له الموت .

(٢) إن كانت المرأة ترغب شقيق زوجها .. فهذا يجعلها تتصرف حتى تتخلص منه وعند الخلاص تحميها الشريعة ^(٢) .

✳ المرأة الأجنبية في الشريعة اليهودية :

انتقد علماء المسلمين التشريعات اليهودية الخاصة بالمرأة غير اليهودية الواردة في التوراة على النحو التالي :

أ. **زواجها :** ذكر د/ عابد الهاشمي موقفاً يدل على أن المرأة غير اليهودية إذا أرادت أن تتزوج بيهودي عليها أن تذلل نفسها حتى تصل إلى ما تريد فيقول : " إن المرأة إذا لم تكن يهودية . ورغبت بالزواج من أحد اليهود ، فعليها إذلال نفسها ، وإطراحها مضطجعة عند رجله حتى الصباح كما فعلت راعوث المואبية مع بوعز ^(٣) واستجدته أن يتزوجها وقد وافق على زواجها بهذه الطريقة المهينة ^(٤) .

ب. **إذا وقعت في الأسر :** ويذكر د/ المطعني كيف أن التوراة تحين المرأة الأجنبية إذا وقعت في الأسر واستدل على ذلك بالنص التالي : " وإذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم إهلك إلى يدك وسبيت منهم سبياً ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تخلق رأسها وتقليم أظافرها وتسترع ثياب سبيها عنها وتقعد في بيتك وتبكي أباه وأمه شهراً من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة ^(٥) .

(١) التوراة د/ بدران ص ٧٥ ، بتصرف يسير ، والتربية في التوراة ، ص ١٤١ ، ١٤٢ ، بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق ص ٧٥ .

(٣) هو : رجل من نسل يهوذا ، وأحد أسلاف ملوك يهوذا ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٩٥) .

(٤) انظر : راعوث (٣ ، ٤) ، راعوث وبوعز في البيدر ، بوعز يتزوج من راعوث ، التربية في التوراة ، ص ١٣٧ .

(٥) تثنية : (١٠/٢١ - ١٣) الزواج من امرأة أسيرة ، الإسلام : د/ المطعني ، ص ٢٢٩ .

وينتقد د/ المطعني هذا النص قائلاً تحت عنوان مُثْلَةٌ وطقوسٌ غير مفهومة :

(إن في هذا النص التشريعي المقدس مثلة بالمرأة الغربية - غير اليهودية - إذا ساقها القدر فوقعت أسيرة في أيدي اليهود ، لماذا تخلق المرأة شعر رأسها ؟ أليس المقصود من ذلك إذلالها طبعاً ؟ وإذا تجاوزنا شناعة هذا التمثيل بالأجنبيات فما معني أن تبكي المرأة أباهها وأُمها شهراً من الزمن قبل أن تكون زوجة لمن أسرها وما الحكم إذا لم تساعدنا عيناها على البكاء ؟)^(١) .

التقويم :

للدكتور / الهاشمي نظرة تقويمية فيما يتصل بفرصة المرأة في اختيار زوجها فيقول منتقداً ما تقرره التوراة في حق المرأة : (إن الزوجة لا تملك الحرية الكاملة في اختيار زوجها ، فإذا وجدت نصوصاً في التوراة تعطيها هذا الحق ، فإن التقييد يلاحقه ، وهذا يدل على تشدد التوراة الحالية مع المرأة وحرمانها من بعض حقوقها الطبيعية ، أما الإسلام فقد أعطي المرأة من الحقوق ما كفل لها حريتها وكرامتها ومن ذلك حق اختيار الزوج ... وقد أمر الإسلام باستئذان المرأة في الزواج ثيباً كانت أو بكرًا ففي الحديث : " لا تنكح الأيم - الثيب - حتى تُستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها قال : أن تسكت " ^(١))^(٢) .

وخلاصة ما سبق :

أن النصوص التوراتية التي تحمل بعض التشريعات المتعلقة بالمرأة تنص على :

١. ضياع حقوق المرأة وظلمها .
٢. إجبارها على الزواج ممن لا ترغب في الارتباط به .
٣. تناقض التوراة في إعطائها حق الاختيار في موضع ثم هي تقيد هذا الحق وتجبرها في موضع آخر .
٤. إباحة المرأة دون مراعاة لمشاعرها الإنسانية .
٥. إذلال المرأة غير اليهودية وإهانتها إذا وقعت في الأسر .

وهذه الأمور كلها ضد كرامة المرأة وإنسانيتها ، والملاحظ أن المرأة في التوراة تعتبر محور ارتكاز تدور حوله أحداثها .

(١) الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ، د/ المطعني ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، مرجع سابق .

(٢) أخرجه الإمام مسلم : في كتاب النكاح باب استئذان الثيب في النكاح والبكر في السكوت ١٠٣٦/٢ ، حديث رقم (١٤١٩) .

(٣) انظر : التربية في التوراة ، د/ الهاشمي ، ص ١٤١ ، ١٤٢ ، بتصرف بالحذف .

المبحث الرابع

نقد الجرائم والعقوبات في العهد القديم

تمهيد :

رصد علماءنا الأجلاء بعض الجرائم التي ورد ذكرها في نصوص العهد القديم ووقفوا معها وقفة فاحصة مبينين مقدار ما قررته تلك النصوص من عقوبات على هذه الجرائم ، وإذا كان الخروج على أحكام الشريعة في العهد القديم له عقابه الذي قد يصل إلى حد القسوة فإن المغالاة في العقاب لدرجة لا يرضاها عقل ولا دين قد صبغت معظم النصوص التشريعية في هذا الجانب ما بين جرائم قتل وإبادة على يد الرسل والأنبياء كما تدعي التوراة وبين قسوة ووحشية فلا رحمة ولا عدل حتى بالنساء والأطفال والشيخوخة .

وقد انتقد العلماء هذه التشريعات كلها ، ويمكن حصر ما انتقدوه تحت العناوين التالية :

١ . ارتكاب الجرائم والخروج على أحكام الشريعة .

٢ . أنواع العقوبات .

أ - عقوبات مادية .

ب - عقوبات معنوية .

١ - ارتكاب الجرائم والخروج علي أحكام الشريعة :

وإذا افترض فرضاً جدلياً بسلامة الشريعة في العهد القديم فهل التزموا بها أم أنهم خرجوا عليها ؟ يقول د/ كامل سعفان : (إن التوراة تعرض حالات كثيرة وصور العقاب عليها تميل إلي العدل الرادع الذي قد يصل إلى حد القسوة لكن مع هذا ، فإن أحداث إسرائيل الواردة في التوراة ، كثيراً ما تخرج على ما ورد في الشريعة فإن كان كل إنسان بخطيئته يقتل ^(١) . فماذا حدث لداود وقد قتل أوريا الحثي حتى يظفر بزوجه ؟ وكيف قتل أبشالوم بن داود أخاه أمنون ، ويكون للملك حق العفو عن القاتل ^(٢) ؟ ، ثم كيف تقول الشريعة : " لا يقتل الآباء عن الأبناء ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ^(٣) " ويقول الرب : " أفنقد ذنوب الآباء في الأبناء ، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي ^(٤) " . وتاريخ بني إسرائيل حافل بالقتل الجماعي ، رجالاً ونساءً وأطفالاً وبهائم وكل نسمة حية ، إذا حمي غضب الرب ، أو حمي غضب نبي من أنبيائه ، أو قائد من قادته ^(٥) .

ويقرر د/ بدران هذه الحقيقة البشعة من أن التوراة صورت الأنبياء خارجين عن المهمة الأساسية التي أرسلوا من أجلها فبدلاً من أن يكونوا سبباً في هداية الناس كانوا أداة في تشريدتهم وإبادتهم - كما يزعمون - فيقول :

(يرسل الله أنبيائه الأطهار ليظهر بهم الأرض ويملؤها بهم عدلاً ورحمة ويطرد بهم الظلمة ليحل مكانها النور ، ويهدي بهم أهل الأرض ، لم يرسلهم ليقتلوهم ويقتلوهم ولكن للتوراة وكتبته رأى آخر ويرون غير ذلك تماماً ، فتبيح الدم والعرض ، دم الأطفال والشيوخ والعجزة ، وعرض الأطفال والنساء وتروى قصصاً يقولون أنها حدثت على يد أنبياء الله قصص لا يجرؤ على فعل مثل أحداثها سوى مجرمي الحروب ، يقولون عنها أن الله هو الذي دبر أحداثها ، أي إله هذا ؟ ، وأي ديانة تلك ^(٦) . ثم استدل على ما قاله بما جاء في سفر التثنية من أن الله خاطب موسى بقوله : " حين تَقْرُب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك " ^(٧) .

(١) تثنية : (١٦/٢٤) بدون .

(٢) صموئيل الثاني : (١٤/١١) داود وبتشيع .

(٣) تثنية : (١٦/٢٤) بدون .

(٤) خروج : (٥/٢٠) الوصايا العشر .

(٥) اليهود تاريخاً وعقيدة ، ص ٢٥٢ .

(٦) التوراة : د/ بدران ، ص ٧٢ .

(٧) الإصحاح : (١٠/٢٠ - ١١) الخروج للحرب .

وينتقد هذا النص بقوله : " هل إله إسرائيل بهذه القسوة والوحشية ولكن صبراً ، فهذا قليل من كثير ، حيث يأمر (إله إسرائيل) نبيه بأشياء أكثر قسوة وعنفاً فيقول : " وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاه الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً أما مدن هؤلاء الشعوب القريبة منك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة " (١) .

ويعلق على ذلك بقوله : شريعة وحشية تقشعر لها الأبدان وترتجف منها الأطراف وتشيب لها الولدان ليس فيها من الرحمة أو العدل شيئاً شريعة يرفضها كل إنسان متحضر (٢) .

نقد العقوبات في العهد القديم :

لقد رصد كل من د/ بدران ، د/ كامل سعفان ، د/ المطعني ، مواضع متعددة في التوراة تبين مقدار العقوبات التي تطبق على المرتكبين للجرائم سواء أكانت جرائم قتل أو زنا أو سرقة ووقف كل واحد منهم مع ما استدل به من نصوص لبيان ما فيها من اعتدال أو تطرف في الشريعة اليهودية ، وبعد الاطلاع على ما كتبه حول هذا الموضوع يمكن تقسيم هذه العقوبات من خلال نقدهم إلى :

١ . العقوبات المادية .

٢ . العقوبات المعنوية .

أولاً : العقوبات المادية :

يقول د/ كامل سعفان : قدمت التوراة صوراً من العقوبات المادية ، يمكن أن تكون وسيلة إلى حماية الحقوق : " إذا رعي الإنسان حقلاً أو كرمًا ، وسرح مواشيه ، فرعت في حقل غيره ، فمن أجود حقله يعرض " (٣) ، " إذا خرجت نار وأصابت شوكتاً ، فاحترقت أكداًس زرع أو حقل ، فالذي أوقد الوقيد يعرض " (٤) ، " إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفاظ ، فسرق من بيت الإنسان فإن وجد السارق يعرض باثنين ، وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم ، هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه " (٥) ، " وإذا استعار إنسان من صاحبه شيئاً فانكسر ، أو مات صاحبه وليس معه يعرض وإن كان صاحبه معه لا يعرض " (٦) .

(١) تثنية : (١٧-١٢/٢٠) السابق ، انظر : التوراة د/ بدران ، ص ٧٣ .

(٢) التوراة : د/ بدران ، ص ٧٣ .

(٣) خروج : (٥/٢٢) حماية الأملاك .

(٤) خروج : (٦/٢٢) السابق .

(٥) خروج : (٨-٧/٢٢) السابق .

(٦) خروج : (١٥-١٤/٢٢) السابق .

ثم يعقب د/ كامل سعفان ، على هذه النصوص منتقداً لهذه العقوبات فيقول :
يؤخذ على هذه العقوبات وغيرها الكثير ، أنها تتحدث عن التعويض دون بيان ما إذا كان المعتدي لا يملك
ما يعرض به ، كما أن التعويض لا يلتزم بقاعدة مطردة ، فهو تارة بالمثل ، وتارة الضعف ، وقد يصل إلى خمسة
أضعاف ، مع أن (التكييف القانوني) متشابه إلا أن الأحكام ترتبط بحالات معينة ، لا بكل الحالات ^(١) .

وفي حديثه عن جريمة القتل يقول :

الأصل فيها : " ولا تقتل البريء والبار " ^(٢) وإذا حدث العدوان " فلا تشفق عينك ، نفس بنفس ، عين
بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل " ^(٣) ، " كل من قتل نفساً فعلي فم شهود يقتل القاتل ، وشاهد واحد
لا يشهد على نفس للموت ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل " ^(٤) . ثم يعلق على
ذلك بقوله - له حكم صارم لا يشوبه إلا أن " ولي الدم يقتل القاتل حين يصادفه " ^(٥) مما يساعد على مزيد من
القتلى ، لأنه يأخذ بطابع الثأر ، لا عدالة القصاص وإن كنا نجد في (خروج) أن الكهنة هم الذين يتولون
القصاص : " فمن عند مذبحي تأخذه للموت " ^(٦) فتبعية التغيير تقع على أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ،
دون إدراك لقداسة الكلمة ^(٧) .

عقوبة القتل الخطأ :

يستدل د/ كامل بالنص التالي :

(إن دفعه بغتة ، بلا عداوة ، أو ألقي عليه أداة ما دون تعمد ، أو حجراً ما مما يقتل به بلا رؤية أسقطه
عليه فمات ، وهو ليس عدواً له ، ولا طالباً أذيته ، تقضي الجماعة بين القاتل وولي الدم ، وتنقذ الجماعة من ولي
الدم ، وترده الجماعة إلى مدينة ملجئه التي هرب إليها ، فيقيم هناك إلى موت الكاهن العظيم الذي مسح بالدهن
المقدس ولكن إن وجده ولي الدم خارج حدود مدينة ملجئه ، وقتل ولي الدم القاتل فليس له دم) ^(٨) .

(١) اليهود تاريخاً وعقيدة ص ٢٥١ وتفصيل ذلك في خروج الإصحاح الثاني والعشرون كله .

(٢) خروج : (٧/٢٣) أحكام العدل والرحمة .

(٣) تثنية : (٢١/١٩) الشهود .

(٤) عدد : (٣٢-٢٩/٣٥) مدن الملجأ .

(٥) عدد : (٢١/٣٥) السابق .

(٦) خروج : (١٤/٢١) الضرر بالأشخاص .

(٧) اليهود تاريخاً وعقيدة ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٨) عدد : (٢٧-٢٢/٣٥) مدن الملجأ .

ثم ينتقد النص السابق بقوله :

(من هنا اختلط العدل بالجور فقضاء الجماعة بين القاتل خطأ وولي الدم قد يصل إلى دية مرضية، وإبعاد القاتل علاج نفسي يدعمه الحزن العظيم على الكاهن العظيم ، أما أن يلتقي ولي الدم بعد ذلك بالقاتل فيقتله ، دون عقاب فأمر ليس من العدالة في شيء وبخاصة أن من السهل تحقيق هذا اللقاء)^(١) .

ثانيًا : العقوبات المعنوية :

ذكر د/ المطعني بعض الفئات في التوراة قد أصدرت عليهم عقوبة معنوية ولكنها عقوبة في غير محلها ، وهذه العقوبة هي الحرمان الأبدي من الدخول في جماعة الرب وهذه الفئات كالتالي :

أ. المخصي والمحبوب :

واستدل على هذا النوع بالنص التوراتي الذي يقول : " لا يدخل مخصي بالرض أو محبوب في جماعة الرب " ^(٢) . وينتقد ذلك د/ المطعني قائلاً : (حرمان أبدي .. ولماذا ؟ المقصود من جماعة الرب هم المؤمنون ، والإيمان لا علاقة له بالأمراض العضوية مهما كان نوعها ، يكفي أن يكون لدي الإنسان فطرة سليمة ، وقلب طاهر ، وعقل مدرك فيصدق بكلمات الله ورسله وكتبه ووعدته ووعدته ، ويعمل بشريعته فيكون مؤمناً ويحق له الدخول في جماعة الرب ، ولكن التوراة تضع أمام إيمان المؤمنين عقبة كؤوداً فبعض المرضى كالمخصي والمحبوب لا يدخلون أبداً في حظيرة الإيمان ولماذا ؟ لأنهم محبوبون أو مخصيون ؟!)^(٣) .

ب. ولد الزنا :

واستدل بالنص التوراتي الذي يقول : " لا يدخل ابن زني في جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب " ^(٤) . ثم ينتقده بقوله : (وأبناء الزنى ما هو ذنبهم الذي جنوه حتى يطردوا من حظيرة الإيمان ؟ إن الجاني الحقيقي هنا هو الأب الزاني والأم الزانية ، لا من وُلد عن هذه العلاقة المحرمة فكان من الأولي ألا يدخل الزناة آباءً وأمهات في جماعة الرب) ^(٥) .

(١) اليهود تاريخاً وعقيدة ، ص ٢٥٢ .

(٢) تنبيه : (١/٢٣) المحذور انضمامهم إلى جماعة الرب .

(٣) الإسلام د/ المطعني ، ص ٢٣٠ .

(٤) تنبيه : (٣ ، ٢/٢٣) السابق .

(٥) الإسلام د/ المطعني ، ص ٢٣٠ .

ج. " المؤابي " ^(١) و " العموني " ^(٢) :

واستدل على عدم دخولهم جماعة الرب بالنص التوراتي القائل : " لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة السرب إلى الأبد من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر " ^(٣) . ثم ينتقد هذا النص بقوله : (ولا علاقة أيضاً للإيمان بالجنس أو اللون أو العنصر فكل الناس صالحون لأن يكونوا مؤمنين إذا توافرت لهم أسباب الإيمان ، ولكن التوراة تقضي هنا بأن العمونيين والمؤابيين لا يدخلون في جماعة الرب إلى الأبد لماذا ؟ لأنهم لم يقدموا لبني إسرائيل الطعام والماء حين خروجهم من مصر) ^(٤) .

د. الأبرص والذي به جرح يسيل دمًا أو قيحًا :

قدم د/ المطعني للنص الذي استدل به بقوله : " لأنه بهذه الأمراض يصبح المريض نجسًا فيطرد من المدينة المقدسة وفي هذا يقول سفر اللاويين : " فهو إنسان أبرص إنه نجس ، فيحكم الكاهن بنجاسته إن ضربته في رأسه والأبرص الذي فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ، ورأسه يكون مكشوفًا ويغطي شاربيه ، وينادي نجس ، نجس ، كل الأيام التي تكون الضربة فيه يكون نجسًا إنه نجس ، يقيم وحده ، خارج المحلة يكون مقامه " ^(٥) .

وينتقد د/ المطعني قائلاً :

(ما ذنبه ؟ مسكين والله ! ما ذنب المريض ببرص أو غير برص حتى يستوجب اللعنة والطرود من جماعة الطهارة ، ويا لشقاء الإنسان تحت وطأة الكهان ، والمريض في حاجة إلى مواساة ، تخفف عليه مرضه لا أن يُضاعف عليه الإحساس بالألم فنصدر حكمًا باسم الوحي بأنه ملعون ومطروود) ^(٦) .

(١) هو : بكر ابنة لوط من أبيها وهو أبو المؤابيين (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٧) .

(٢) هو : نسل ابن عمي ابن لوط الذي ولد في مجاورة صوغر ، وانتشرت ذريته في الشمال وسكنت جبال جلعاد بين نهر أنون ويوق ، وعمي .. اسم عبري معناه " شعبي " هو ما أمر به هوشع اليهود أن ينادوا اخوتهم به ، للدلالة على أنهم لا يزالون شعب الله (هوشع ١/٢) بعد أن سبق له أن سمي ابنه لو عمي أي ليس شعبي (هوشع ٩/١) (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٤٠) .

(٣) تننية : (٤/٢٣) المحذور انضمائهم إلى جماعة الرب .

(٤) الإسلام : د/ المطعني ، ص ٢٣١ .

(٥) الإصحاح : (٤٤/١٣ - ٤٦) فرائض الأمراض الجلدية المعدية .

(٦) الإسلام : د/ المطعني ، ص ٢٣٢ .

وخلصه هذا المبحث :

١. أن الجرائم والعقوبات عليها في العهد القديم فيها من التعارض والتناقض ما فيها ، ففي الوقت الذي ينهى فيه العهد القديم عن قتل الأبرياء والبررة ، توجد نصوص أخرى تؤكد حدوث مجازر وحشية راح ضحيتها أطفال ونساء وشيوخ لا ذنب لهم ، ولم يرتكبوا جريمة يستحقوا عليها ذلك سوى أنهم من أهل كنعان . حدث ذلك في البلاد التي لم تدخل مع بني إسرائيل في صلح ؛ بل حاربتهم ووقفت في وجههم ؛ لأنهم معتدون ، حتى أولئك الذين لم يحاربوا بني إسرائيل وعقدوا معهم صلحاً لم يسلموا من تسلطهم وقهرهم ، وكان الأمر في التشريع اليهودي بتسخيرهم واستعبادهم إلى الأبد ، هذا عن العقوبات المادية .

٢. أما عن العقوبات المعنوية ، يدعي كتبة العهد القديم أن جماعة الرب المقصود بها " بني إسرائيل " هم المؤمنون وحدهم ، وبالتالي قصرُوا هذا اللفظ على أنفسهم ؛ بل قد استبعدوا منهم المخصي والمحبوب وولد الزنا والأبرص والعموني والموآبي ، كل هؤلاء في نظر الشريعة اليهودية لا يجب أن يدخلوا ضمن جماعة الرب ، وفي هذا من الظلم والطغيان ما فيه .

المبحث الخامس

نقد التشريعات الخاصة بغير اليهود

تمهيد :

اجتهد علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد التشريعات التي تتعلق بغير اليهود والتي يسميها البعض منهم شريعة الأغيار في العهد القديم ، وأكد العلماء بنظرهم النقدية للنصوص التوراتية - أكدوا تمكن الترجمة العنصرية في الشريعة اليهودية - وهي من الثوابت التي يركز عليها الفكر اليهودي في الماضي والحاضر ، واعتقاد بني إسرائيل بأنهم شعب الله المختار ، جعلهم يتصورون أنهم فوق البشر ، وأن جميع البشر خلّقوا لخدمتهم فهم السادة وغيرهم عبيد عندهم ولكن يتضاءل هذا التصور ويتلاشى عندما يتبين أن الخلفية الدينية التي تكمن وراءه مستمدة من نصوص محرفة ، وأن هذه الخلفية خلفية مزيفة لا أصل لها ولا يخفي أبداً أن السر وراء ذلك كله هو الحقد والحسد الذي يحمله هؤلاء - بني إسرائيل - لغيرهم .

وفي هذا الموضوع يربط علماء المسلمين بين النص والواقع الذي يعيشه اليهود في العالم وعلى وجه الخصوص في فلسطين . وبقراءتهم لهذا الواقع جيداً وتتبعهم لتلك الترجمة العنصرية في أسفار العهد القديم وأنه لا يخلو سفر من الأسفار إلا وقد تشبع بالعنصرية المفرطة ، كل ذلك مكنتهم من دحض الفرية المزعومة وهي أنهم شعب الله المختار .

ولذلك أصاب د/ على عبد الواحد وافي ، عندما رصد أهم مظاهر الانحراف في الشريعة اليهودية فقال :
(إنها تقوم على التفرقة العنصرية ، وذلك أنها تجعل اليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه وفضله على العالمين وتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرهما إلى شعوب وضيفة في سلم الإنسانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس ، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شئون الاجتماع ^(١) ، واستدل على ما قاله بالأمثلة التالية والتي أيده فيها كثير من العلماء من هذه الأمثلة ما يلي :

١. غزو الشعوب والاستيلاء عليها واستعبادها .
٢. استرقاق الغير إلى الأبد وخاصة شعب كنعان .
٣. إباحة التعاملات الربوية مع غير الإسرائيليين .
٤. الرفع من شأن اليهودي والخط من شأن غيره .
٥. الطرد والإبادة لمن لا يطيعهم .
٦. سيطرة الترجمة العنصرية على أسفار العهد القديم .

(١) اليهودية واليهود : د/ على عبد الواحد وافي ، ص ٥٣ ، ط ، دار نضرة مصر للطبع والنشر ، بدون .

أولاً : غزو الشعوب والاستيلاء عليها واستعبادها :

ينتقد د/ وافي ، هذه الفكرة - الغزو والاستيلاء دون وجه حق - فيقول :

(إن الإسرائيليين محرم عليهم في هذه الشريعة أن يقتل بعضهم بعضاً ، أو أن يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم ، على حين أنه مباح للإسرائيليين بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى وخاصة شعب كنعان - فلسطين - وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف فلا يبقوا على أحد منهم ويسترقوا جميع نساءها وأطفالها ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع أو ينهبوه حسب تعبير أسفارهم)^(١) .

ويؤكد هذه النظرة د/ الهاشمي في نقده لتلك النصوص التي تحض على التمييز والعنصرية فيقول : (يعتقد اليهود - استناداً إلى دعوى التفوق والأفضلية - أنهم يملكون الحق في التسلط على غير اليهود ، قهراً لهم واسترقاقاً . والنصوص التوراتية التي تؤكد على ذلك كثيرة منها : " ما جاء في سفر أشعيا : " وبنو الغريب يننون أسوارك وملوكهم يخدمونك ")^(٢) . ومن يرفض الخضوع لهم فجزاؤه القتل والدمار : " لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تُبِيد ، وخراباً تخرب الأمم ")^(٣) ويستبيح اليهود استرقاق غيرهم في غير ظروف الحرب : " حين تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ")^(٤) إذاً فالاسترقاق يكون أصلاً لمن استسلم لهم من خصومهم فضلاً عن قاومهم وقتلهم)^(٥) .

ويذكر د/ الهاشمي نصاً آخر يؤكد أنه لا تحرير لهذه العبودية التي يدعيها العهد القديم فغير اليهود عبيد تحت أيديهم إلى الأبد ولا شيء يمحو هذه العبودية . والنص يقول : " أما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم ، منهم تقتلون عبيداً وإماءً ، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم فمنهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم ، وتملكوهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدوهم إلى الدهر ")^(٦) فلا تحرير للعبيد في شريعة اليهود)^(٧) .

(١) اليهودية واليهود : د/ وافي ، ص ٥٣ ، وهذا المعنى في سفر التثنية : (١٣/١٤ - ١٤) الخروج للحرب .

(٢) الإصحاح : (١٠/٦٠) إشراق مجد الله .

(٣) أشعيا : (١٢/٦٠) السابق .

(٤) تثنية : (٢٠/١٠ - ١٢) الخروج للحرب .

(٥) التربة في التوراة د/ الهاشمي ، ص ١٤٨ .

(٦) لاويين : (٢٥/٤٤ - ٤٧) سنة البوبيل .

(٧) التربة في التوراة : د/ الهاشمي ، ص ١٤٨ .

وينتقد د/ المطعني هذا النص متسائلاً في وقفته المتأنية التي تؤكد عمق نظراته النقدية لهذه القضية فيقول : كيف يتخذ اليهودي عبيداً وإماءً من الذكور والإناث وفتوى التوراة في هذا الموضوع تقول : إن مصدر الاستعباد الوحيد لليهود هو الشعوب المجاورة لهم أو بعبارة أوضح : كل الشعوب غير اليهود يصلحون أن يكونوا عبيداً لليهود رجالهم وأطفالهم ونساءهم ، وكذلك من نزح إلى ديار بني إسرائيل من هذه الشعوب وعاشوا بينهم على اليهود أن يتخذوا منهم ومن ذرياتهم الذين ولدوا بينهم عبيداً وإماءً يملكونهم مدى الحياة ، ثم تنقل ملكيتهم إلى أبناء اليهود ومن بعدهم فيكونون لهم عبيداً أبد الدهر ، أما استعباد اليهودي ليهودي آخر فحرام حرام وفي هذا تقدم التوراة المقدسة هذا القرار الصارم : " وأما إخوانكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف " (١) .

ثانياً : استرقاق الغير إلى الأبد وخاصة شعب كنعان :

يؤكد د/ وافي ، هذه التبعة. ويشير إلى تمكنها وتأصلها في الفكر الإسرائيلي بناءً على نصوص توراتية فيقول :

إن الإسرائيلي إذا باع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزة وحاجته إلى المال فإن رقه يكون موقوفاً بأجل يرجع بعده إلى الحرية على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلي يظل قائماً أبد الأبدن ؛ بل إن أسفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كُتب عليه في الأزل أن يكون رقيقاً لبني إسرائيل وأنه لا ينبغي لأفراد هذا الشعب وظيفة ما في الحياة غير هذه الوظيفة ، وهذا الوضع الذي فرض عليهم بسبب دعوة دعاها نوح على كنعان (٢) .

ثالثاً : إباحة التعاملات الربوية مع غير الإسرائيلي :

يشير د/ وافي إلى وجود الانحراف في المعاملات من قبل اليهود وأنهم يفرقون في التعامل بينهم وبين غيرهم من الأمم الأخرى فيقول :

ما كان يجوز للإسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلي ولا أن يأخذ منه رهناً بدينه ، وإذا أخذ منه في الصباح رهناً من المتاع الذي لا يستغني عنه في حياته اليومية كالرحى التي يطحن عليها قوته وجب أن يرده إليه في المساء ، أما غير الإسرائيلي فمباح للإسرائيلي أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش (٣) .

(١) الإسلام في مواجهة الاستشراق ، ص ٢٢٥ .

(٢) انظر : اليهودية واليهود د/ وافي ، ص ٥٣ - ٥٥ باختصار ، وانظر : لاوين : (٢٩/٢٥) ، تنية : (١٢/١٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، نفس الصفحات ، وانظر : تنية : (٣٥/٢٥) ، (٢٠/٢٣) .

وكذلك يؤكد د/ بدران أن إباحة الربا مع غير اليهود وتحريمه فيما بينهم من أبرز القضايا التي تؤكد معنى العنصرية في نصوص العهد القديم فيقول :

جاء في سفر التثنية أمر لإله إسرائيل في غاية الغرابة ، أمر لا يأمر به إلا كهنة معابد الأصنام ، حيث يأمر إله إسرائيل موساهم بأنه إذا أقرض الإسرائيلي إسرائيليًا قرضًا فلا يكون ربا أما إذا كان القرض لأحد غير بني إسرائيل (الأميين) فيكون القرض ربا حسب النص الذي يقول : " ولا تقرض أخاك ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض ربا . للأجنبي تقرض ربا ولكن لأخيك لا تقرض ربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها ^(١) .

ثم ينتقد د/ بدران بقوله :

إن شيئاً مثل هذا ينفر البشر من شريعتهم هذه ... لأنها ليست شريعة الله أبداً ، فشريعة الله لا تفرق بين عربي وأعجمي ، ولا بين أحمر ولا أبيض ولا بين أبيض ولا أسود ولكن ما يفرق بينهم هو التقوى والعمل الصالح ^(٢) .

أما د/ المطعني في نقده لهذه التعاملات الربوية التي تزكي الروح العنصرية عند اليهود وتقويها فيقول : الحلال حلال ، والحرام حرام ولا عبرة بحال الشخص المعامل بهما ... بصرف النظر عن عقيدته وجنسه ، ولكن التوراة تهدر تلك القيمة التشريعية من حساباتها وتبيح من حرمان الأجني - غير اليهودي - ما تجزم بحرمته بالنسبة لليهودي ، وقد جعلت التوراة إقراض الأجني ربا إحدى دعامتين تستوجبان البركة من الرب الإله ، والدعامة الثانية : هي أن يتلطف اليهودي مع أخيه اليهودي فيقرضه قرضًا حسنًا لا ربا فيه ^(٣) .

وعلى ذلك :

فإن ما قدمه العلماء من رؤى نقدية متنوعة حول قضية الربا في التشريع اليهودي يؤكد أن النصوص التوراتية في هذا الجانب هي الخلفية الدينية المحرفة التي تكمن وراء تكديس الثروات في اليهودية ، ووراء سيطرة اليهود على الاقتصاد العالمي في الوقت الحاضر ، وأن امتلاكهم لأسباب القوة المادية مرجعيته لهذه التعاملات الربوية .

(١) التوراة : د/ بدران ص ٧٦ ، وانظر : تثنية (٢٣/١٩-٢٠) ، اليهودية واليهود : د/ وافي ، (٥٣-٥٥) .

(٢) انظر : التوراة د/ بدران ص ، ٧٦ بتصرف بالحذف .

(٣) انظر : الإسلام في مواجهة الاستشراق ، د/ المطعني ص ٢٣٣ باختصار بالحذف .

رابعاً : الرفع من شأن اليهودي والخط من شأن غيره :

تأتي هذه القضية مكملة لغيرها من القضايا ذات التزعة العنصرية عند بني إسرائيل والتي تسيطر على أسفار العهد القديم ولذلك ذكر د/ المطعني في كتابه " الإسلام " نصوصاً تؤكد أن العهد القديم يرفع من شأن اليهودي ويصفه بالطهر أما غير اليهودي فهو نجس لا يأكل طعامهم حتى لا ينجسه ، واستدل على ذلك بما جاء في سفر اللاويين : " وكل أجنبي لا يأكل قدساً نزير كاهن وأجير لا يأكلون قدساً ... وإذا صارت ابنة كاهن لرجل أجنبي لا تأكل من ربيعة الأقداس ، وأما ابنة كاهن قد صارت أرملة أو مطلقة ولم يكن لها نسل ورجعت إلى بيت أبيها كما في صباها فتأكل طعام أبيها لكن كل أجنبي لا يأكل منه " (١) .

وكان للدكتور / المطعني ، هنا وقفة مع هذا النص يبرز ما فيه من معانٍ مخالفة وهي رؤية تحليلية نقدية جيدة فيقول :

(المراد من الأجنبي هنا هو غير اليهودي وكذلك نزير الكاهن وأجير من غير اليهود ، وحكم هذا الأجنبي أنه لا يأكل طعام كاهن اليهود ؛ لأن الأجنبي نجس ، وأكله من طعام الكاهن ينجس الطعام لا شيء إلا لأنه غير يهودي وتسرى هذه النجاسة من الأجنبي إلى بنت الكاهن إذا تزوجت من الأجنبي ، وهي مادامت زوجة للأجنبي لا تأكل من طعام أبيها حتى لا تنجسه ، ولكن إذا مات الأجنبي زوج ابنة الكاهن أو طلقها وعادت إلى بيت أبيها فإنها تأكل من طعامه ولكن بشرط مهم وهو ألا تكون قد أنجبت من ذلك الأجنبي ، أما إذا كانت قد أنجبت فإنها لا تأكل ؛ لأن نجاستها قد صارت أبدية والسبب أنها تزوجت وأنجبت من أجنبي غير يهودي) (٢) .

ويضيف د/ الهاشمي أنه بسبب الاعتقاد السابق - وهو نجاسة غير اليهودي - فالتوراة تمنع غير اليهودي من دخول المعابد اليهودية حتى لا ينجسها فيقول :

(تأمر التوراة اليهود بعدم السماح لغير اليهود بدخول أماكن عبادتهم ذلك لأنهم بعقيدة التوراة - ينجسون دور عبادتهم والنص يقول : " ابن الغريب أغلف القلب وأغلف اللحم ، لا يدخل مقدس من كل ابن غريب الذي من وسط بني إسرائيل " (٣) والنص التالي يعيب على اليهود سماحهم لغير اليهود بالدخول في بيوت العبادة إذ هم نجس وقذارة : " ... يكفيكم كل رجاساتكم يا بيت إسرائيل بإدخالكم أبناء الغريب الغلف القلوب الغلف اللحم ، ليكونوا في مقدسي فينجسوا بيتي " (٤) (٥) .

(١) الإصحاح : (١٠/٢٢ - ١٣) مع الحذف .

(٢) الإسلام في مواجهة الاستشراق : د/ المطعني ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) حزقيال : (٩/٤٤) الرئيس واللاويين .

(٤) حزقيال : (٦/٤٤ ، ٧) السابق .

(٥) التربية في التوراة د/ الهاشمي ص ١٤٨ .

خامساً : الطرد والإبادة لمن لا يطيعهم :

تأتي هذه الصورة من العنصرية لتؤكد استمرار المعاملة الفظة لغير اليهود وهذا ما رصده د/ عابد الهاشمي في كتابه مبيناً أن التوراة تبيح لليهود أن يطردوا الآخرين من ديارهم ، ويسفكوا دماءهم^(١) واستدل في هذا الموضوع بنصين من نصوص التوراة^(٢) .

النص الأول :

" فتطردون سكان الأرض من أمامكم ... تملكون الأرض وتسكنون فيها ، لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها ... وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها . فيكون أي أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم "^(٣) .

ثم ينتقد هذا النص قائلاً :

(ويلاحظ في هذا النص التهديد الذي ادعوا وروده من الرب لهم ، إن قصروا في النيل من أعدائهم ، وفي هذا كله تمكين مقيت للعنصرية اليهودية المستعالية على سائر الخلق)^(٤) .

النص الثاني :

تظهر فيه البشاعة بأوضح صورها في موقفهم ضد غيرهم ، فقد جاء في سفر صموئيل الأول : " قال صموئيل لشاؤول : فالآن اذهب واضرب عماليق - وهم عرب - وحرّموا كل ماله ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، وطفلاً ورضيعاً ، بقراً وغنماً وجملًا وحماراً " ^(٥) .

وبذلك يتضح أن جزاء الشعوب الأخرى إن عصت بني إسرائيل أن تطرد من الأرض ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يصل إلى الإبادة من الأرض .. يالها من قسوة ووحشية تدل على العنصرية ضد الآخرين بل تصل لدرجة العدوانية البغيضة تجاه شعوب الأرض .

(١) سوف تتضح هذه الروح العدوانية في الفصل القادم تحت نقد السلوك العدواني .

(٢) التربية في التوراة : ص ١٤٨ بتصرف يسير .

(٣) عدد : (٥٢/٣٣) مراحل مسيرة شعب إسرائيل .

(٤) التربية في التوراة : ص ١٤٩ .

(٥) الإصحاح : (٤-٣ / ١٥) الرب يرفض شاؤول ملكاً .

سادساً : سيطرة التزعة العنصرية على أسفار العهد القديم :

يقدم د/ على خليل ، في كتابه رؤية عصرية ذات أسلوب متميز حول المفهوم التوراتي لفلسطين المحتلة في الفكر اليهودي ، ومن خلال القراءة المتأنية لكتابه تتضح رؤيته النقدية التي انتهى إليها من خلال نظرة العهد القديم إلى الشعوب الأخرى ، وأهم ما يميز نقده لهذه التزعة العنصرية ما يلي :

١. أنه يربط بين النص التوراتي والواقع اليهودي المعاصر ، فاليهود يستلهمون التاريخ وينطلقون في تحركاتهم على أساس ديني ، وأنه لا يوجد فاصلاً بين ما يحمله العهد القديم من نصوص وبين الواقع الذي يعيشه اليهود في الماضي والحاضر مبيئاً أن ما يحدث في الواقع الحالي ما هو إلا واجهة أمامية لخلفية دينية مزيفة ، وأن التصرفات اليهودية في القديم والحديث ما هي إلا تطبيق حرفي لمبادئ الفكر العنصري العدواني الذي يستمد أساسياته من نصوص محرفة ، والذي يبنى انطلاقاته جميعها على تلك القواعد التي أرساها ملوك بني إسرائيل وأنبيأؤهم حسب الزعم التوراتي المحرف ، وبين أيضاً ، كيف نجح اليهود في توظيف هذه النصوص لخدمة أغراضهم وميولهم النفسية التي تفضل الانعزال والتفوق وكراهية الآخرين .

٢. الموضوعية التامة : حيث جمع كل ما يتعلق بالتزعة العنصرية من معظم الأسفار في حيدة تامة ، وبين سيطرتها على أسفار العهد القديم ، وقد استخرج من النصوص ما يدل على العنصرية صراحة أو ضمناً ، مبيئاً كيف اتخذ اليهود هذه النصوص أصلاً ثابتاً ينسب عليه التميز العنصري في الفكر اليهودي ، فيقول :

لقد ساهمت التزعة العنصرية في انغلاق اليهود وتعصبهم وتوجسهم من الأغيار واعتقادهم بأنهم الزرع المقدس والشعب المختار ، فالعنصرية في جوهرها نزعة عدوانية ، ولا يمكن أن تكون إلا كذلك نظراً لأنها تبني على التمييز والتميز والاختيار والتفوق والفرادة ، واليهودية تنص على أن اليهود يشكلون عنصراً مميزاً على سائر العناصر البشرية ، وشعباً متميزاً على كافة الشعوب بخصائصه وفرادته ، والتعاليم الدينية اليهودية تركز بقوة على العنصرية عبر تأكيدها على الاختيار والقداسة والتفوق وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم ، والكيان الصهيوني اليوم يربط كيانه السياسي بالدين ويجعل من الدين أساساً لوجوده ، وحجة في اغتصاب الأرض وامتلاكها^(١) .

(١) انظر : التعاليم الدينية اليهودية د/ على خليل ص ١٨ .

وقد تتبع د/ على خليل ، أسفار العهد القديم مُركّزاً على النصوص التي تشير إلى العنصرية ؛ بل وتدعوا إليها أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١. عنصرية إبراهيم عليه السلام حسب الزعم التوراتي :

كان إبراهيم الخليل عليه السلام ينتقل في أرض كنعان بحرية وأمان ، وحكام المنطقة يقدمون له كل التسهيلات الكفيلة بتأمين الإقامة والاطمئنان والكأ وحرية العمل والحركة والاحترام فنقرأ في سفر التكوين : " فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مور وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض فبني هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له ... ثم ارتحل ابرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب " (١) .

كان إبراهيم عليه السلام يتصرف بحرية وأمان ولم يتعرض له الكنعانيون ولم يهدموا المذبح الذي بناه ... وتركوا له حرية العقيدة والعبادة وصادقوه واحتضنوه بين ظهرانيهم واحترموا فتقول التوراة : " ثم انتقل إبراهيم إلى بلوطات ممرا التي في حبرون وأقام هناك وبني مذبحاً للرب وسكن بأمان وطمأنينة تحت راية ممرا الأموري وأخويه أشכול وعائر وكانوا أصحاب عهد مع إبراهيم " (٢) .

على الرغم من هذا التسامح والترحيب والانفتاح الذي أبداه الكنعانيون لبني إسرائيل فقد نظر الإسرائيليون إليهم نظرة تعصب وعنصرية وعدوانية لأن إلههم الخاص صور لهم الكنعانيين أعداء وكفرة ولذا ينبغي الانعزال عنهم وإذا أمكن إبادتهم واحتلال مناطقهم ، فالمصاهرة أمر مرفوض البتة فلا يجوز في عقيدتهم أن يستدس الزرع المقدس برجاسات الأمم . فرغم كل ما لاقاه إبراهيم من تكريم ومودة واحترام في كنعان من سكانها وبمختلف مناطقها التي سكن فيها فإنه لم يكن ليتخلى عن نزعته العنصرية كما نستشف من النص التوراتي وكأن كاتب النص يرغب أن يصور إبراهيم متعصباً عنصرياً انعزالياً مترفعاً (٣) .

إن إبراهيم رفض أن يتزوج ابنة إسحاق من بنات كنعان ، وأصر أن يأخذ بنتاً من عشيرته حصراً فنقرأ : " وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب إبراهيم في كل شيء وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له . ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم ؛ بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لأبني إسحاق " (٤) .

(١) تكوين : (١٢/٥-٩) دعوة إبراهيم .

(٢) تكوين : (١٣/١٤) إبراهيم ينتقد لوطاً .

(٣) التعاليم الدينية اليهودية ص ١٨ .

(٤) تكوين : (٢٤/١-٤) إسحاق ورفقة ، انظر : التعاليم الدينية ، ص ١٨ .

٢. عنصرية إسحاق عليه السلام حسب الزعم التوراتي :

يقول د/ على خليل : لقد ورث إسحاق عليه السلام عن أبيه إبراهيم عليه السلام هذه التبعة العنصرية حيث يكتب محرر النص التوراتي : " أن إسحاق أمر ابنه يعقوب أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان أيضاً فنقرأ : " فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له : لا تأخذ زوجة من بنات كنعان . قم واذهب إلى فدّان آرام ^(١) إلى بيت بتوئيل " أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان ^(٢) أخي أمك " ^(٣) . التزم يعقوب بالأمر خاصة وأن أمه " رفقة " كانت قد هددت أن تقتل نفسها إن تزوج من بنات كنعان حيث نقرأ : " وقالت رفقة لإسحاق مللت حياتي من أجل بنات حث . إن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حث مثل هؤلاء من بنات الأرض فلماذا لي حياة " ^(٤) .

٣. عنصرية أبناء يعقوب عليه السلام حسب الزعم التوراتي :

لقد دفعت العنصرية أبناء يعقوب لارتكاب جريمة بشعة بحق سكان منطقة شكيم الذين احتضنهم في أرضهم وأكرمهم ورحبوا حتى بالاختلاط معهم وكان سبب هذه الجريمة البشعة أن " شكيم " ابن حاكم المنطقة " حمور " أراد أن يتزوج من " دينة " ابنة يعقوب التي أحبها وأحبته وقد طلبها له والده رسمياً ووافق على كافة شروطهم ومنها ختان جميع الذكور في منطقة شكيم . ولم يكن ليدري حمور ولا ابنه شرط الختان كان خدعه وحيلة خطط لها أبناء يعقوب ليرتكبوا جريمتهم انتقاماً وتخلصاً من فكرة المصاهرة والاختلاط والتعايش السلمي .

لقد كانت رؤية حمور حاكم المنطقة الكنعاني حضارية فهو يؤمن بمجتمع تنصهر فيه الفوارق العنصرية والمساواة بين مختلف أفراد البيئة الواحدة أو بين شتي الشعوب المتجاورة حيث المحبة والتعاون والإنسانية فتقرأ خطابه ليعقوب وأبنائه : " ابني قد تعلقت نفسي بابتكم أعطوه إياها زوجة وصاهرونا ، تعطونا بناتكم وتأخذون لكم من بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها ، ثم قال شكيم لأبيها وإخوتها دعوني أجد نعمة في أعينكم فالذي تقولون لي أعطي ^(٥) وبعد أن تزوجها ذهب إخوتها وقتلوه وقتلوا أهله معه .

(١) هو : سهل آرام ، وهو موقع يوجد على ما يظهر في آرام النهرين (تكوين ١٠/٢٤ ، ٢٥/٢٥ ، ٢٨/٥) ، (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٧٢ .

(٢) هو : ابن بتوئيل وحفيد ناحور أخي إبراهيم وأخو رفقة ، سكن حران في فدّان آرام وبقي يعقوب عند خاله لابان عشرين سنة على الأقل خدمه مدة سبع منها أولاً لقاء الحصول على ابنته راحيل ولما خدعه خاله وأعطاه لينة عوضاً عنها خدمه سبع سنين أخرى للحصول على راحيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٠٤) .

(٣) تكوين : (٢٨/٢-٢) بدون .

(٤) تكوين : (٢٧/٤٦) إسحاق يبارك يعقوب .

(٥) تكوين : (٨/١١-٣٤) وبقية القصة في تكوين : (٢٩-٢٢/٣٤) وانظر : التعاليم الدينية اليهودية ، ص ١٨ .

وينتقد د/ بدران هذه القصة بقوله :

(فعلوا كل هذا لأن رجلاً زنى بأختهم ... ولكن لماذا فعلوا كل هذا بعد أن تزوجها الرجل بإرادتهم ؟ بل نفذ كل ما طلبوه منه وبالرغم من ذلك قتلوه وقتلوا أهله معه ، وإن كان الرجل زنى بأختهم وقتلوه فما ذنب أهله ؟ وما هي الجريمة التي ارتكبها الأطفال الصغار والنساء حتى يسبوا)^(١) .

حقاً إنها العنصرية المتعصبة من أولاد يعقوب (شعون ولاوي) .

ويناقش د/ سعد الدين صالح هذه التهمة العنصرية مبيناً فسادها ومخالفتها للعقل والنقل ودلالاتها على التحريف في العهد القديم فيقول :

يكفي في دحض هذه التهمة أن توجد في كتاب محرف هو التوراة فمجرد وجودها في التوراة دليل على بطلانها ؛ بل إن هذه العقيدة الباطلة هي من أقوى الأدلة على تحريف التوراة ودسها بالمشاعر التي كان يشعر بها اليهود أثناء التشرد والاضطهاد الذي حل بهم ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ليس قريباً لأحد ولا يحابي أحداً على حساب أحد فالكل أمامه سواء ولكن اليهود يحاولون بهذه الادعاءات الباطلة الطعن في عدالة الله حيث يميز جنساً على جنس وليته الجنس المطيع لله الملتزم بأوامره ، بل الجنس المعاند المكابر المكذب للرسل ، فلا يمكن قبول هذه الدعوى لا عقلاً ولا نقلاً ؛ لأن الله لا يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢) (٣) .

(١) التوراة : د/ بدران ، ص ٥٩ ، ص ٦٠ وهناك نماذج كثيرة ذكرها د/ على خليل في كتابه تدل على وجود التهمة العنصرية بكثرة في نصوص العهد القديم منها ما يلي :

١- عنصرية موسى التوراتي كما في سفر الخروج (١٥/٣٤) واللاويين (٢٦/٢٠) ، (تثنية ١٧/٢٣-٢٣) .

٢- عنصرية يشوع كما في يشوع : (١٣-١٢/٢٣) .

٣- عنصرية القضاة كما في قضاة : (٤/٨) ، (٢٨-٢٢/٨) وعنصرية جدعون (٤/٨) وعنصرية أبيمالك ، كما في قضاة : (٦-٣/٩)

٤- عنصرية عزرا كما في عزرا : (١٢ ، ٢-١/٩) .

٥- عنصرية نحميا كما في نحميا : (٣١-٢٨/١٠) انظر : التعاليم الدينية اليهودية ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة الحجرات الآية : (١٣) .

(٣) العقيدة اليهودية : د/ سعد الدين صالح ص ٣٥٣ .

وخلص هذا البحث :

ظهر من خلال العرض التقويمي السابق بالتشريعات الخاصة بغير اليهود أنه تعدد مظاهر الانحراف في الشريعة اليهودية منها ما يلي :

١. تقوم الشريعة اليهودية على التفرقة العنصرية بينهم وبين باقي البشر ، فتفرق بين اليهودي وغير اليهودي في التعامل ، وتعتبر اليهود فوق جميع البشر ؛ لأنهم شعب الله المختار - كما يزعمون - ومن ثم ينظرون لغيرهم نظرة ازدراء واحتقار .
٢. أباحت الشريعة اليهودية لليهود استغلال غيرهم ونهب ثرواتهم ، واسترقاقهم إلى الأبد ؛ لأنهم وحدهم الأسياد كما تقول توراتهم المحرفة وما سواهم عبيد وخدم .
٣. عدم الزواج من غير اليهود حتى لا يتدنس الزرع المقدس - كما يدعون - مثلما حدث في قصة زواج إسحاق عليه السلام كما ينص العهد القديم ، فقد رفض إبراهيم عليه السلام أن يزوج ابنه إسحاق من بنات كنعان وأصر أن يأخذ بنتاً من بنات عشيرته .
٤. تحريم دخول المعابد اليهودية لغير اليهود وذلك لأن التوراة المحرفة تدعي نجاسة غير اليهودي ، وهذه نظرة فيها انحراف وشطط ، إذ تصف اليهودي بالطهارة والنقاء ، وتصف غيره بأنه أغلف القلب واللحم نجس .

خلاصة الجهود النقدية للعلماء :

كان للدكتور / كامل سعفان ، الجهد الأكبر في نقد التشريعات في العهد القديم ، فلقد خصص لها جزءاً كبيراً من كتابه ، إلا أن نقده لها جاء في لمحات سريعة ، ولم يكن نقداً موسعاً لدقائق التشريع في العهد القديم ، ولم يقف مع النصوص كما ينبغي .

يليه في دراسة التشريعات د/ بدران محمد بدران ، فقد استوعب أغلبها بصورة عامة ، ولم يدخل في تفصيلات تشريعية ، أما د/ المسيري ، فقد استوعب ضمن موسوعته نقد بعض الأجزاء التشريعية في العهد القديم ، إلا أنه يغلب على نقده التحليل السياسي للنصوص ، وربط بين هذه النظرة النقدية وبين الفكر اليهودي والسياسة الصهيونية ، التي تبني تحركاتها بناءً على تلك النصوص ، ويعتبر د/ المسيري ، من ألمع العلماء المعاصرين ، وواحد من المشهود لهم في الكتابة عن اليهود واليهودية .

والملاحظة العامة على تناول العلماء للجوانب التشريعية في العهد القديم ، أن نسبة قليلة من بين جموع علماء المسلمين هي التي نقضت هذا الموضوع ، وذلك من خلال ما وقع تحت يدي من مؤلفات نقدية .

الفصل الثالث

جهود علماء المسلمين في نقد السلوكيات الأخلاقية

في العهد القديم

ويشتمل على المباحث التالية :

- المبحث الأول : المادية في أخلاق اليهود في العهد القديم
- المبحث الثاني : العدوانية في أخلاق اليهود في العهد القديم
- المبحث الثالث : الانحلال الخُلقي في العهد القديم
- المبحث الرابع : الغدر والخيانة في العهد القديم
- المبحث الخامس : الكذب والسرقة في العهد القديم

تمهيد :

من المعلوم الذي لا يقبل الشك أن المجتمع يكون متماسكاً إذا التزم أفرادُه بالأخلاق الكريمة ، أما إذا تخلى عنها أفرادُه فإنه بالتالي يحمل عوامل انهياره ولو بعد حين ولذلك فإن الأخلاق قوام الأمم والحضارات وهي من الأسس التي ينبنى عليها كل دين جاء من عند الله ﷻ بعد العقائد والتشريعات .

والالتزام بهذه الأخلاق التي يأمر بها الله ﷻ والاستقامة عليها مطلب رباني على لسان رسله الكرام ، وقد قام رسل الله عليهم السلام بأداء هذه الرسالة خير قيام ، والتزم من أتباع الرسل من التزم وخالف من خالف وكان من الذين خالفوا وانحرفوا عن الطريق المستقيم بنى إسرائيل ، فكذبوا الرسل وقتلوا منهم من قتلوا ، وتحريفهم للتوراة من أجل خدمة أغراضهم وتأييد أفعالهم ، وليكون ذلك تبرير لما يصدر عنهم من سلوكيات ، وقد اجتهد علماؤنا الأجلاء في بيان هذا الانحراف السلوكي ونقد التصرفات الغير أخلاقية ، وبينوا أن ما تعج به التوراة من نصوص تحكي وقائع لا أخلاقية هي نموذج يستحضره اليهود في تصرفاتهم الحاضرة ، ويفتخرون بما صنعه أجدادهم في الماضي من فساد وتدمير للأخلاق ، وحول هذا الموضوع تعددت الرؤى النقدية لعلماؤنا الأجلاء - فترة البحث - على النحو التالي :

١- رصد الظواهر السلبية :

اتباع بعض علماؤنا الأجلاء في نقدهم للجانب الأخلاقي في العهد القديم رصد الظواهر السلبية التي تلصقها التوراة بالأنبياء وذويهم تصل إلى حد إقرار الكبائر دون ما عقاب عليها وردوا هذه الاتهامات مبينين أن الأنبياء وبيوتهم بريئة ومترهة عن هذه الافتراءات من هؤلاء العلماء أ/ عبد الله التل في كتابه " جذور البلاء " .

٢- الالتزام بالموضوعية في معالجة الجانب الأخلاقي في العهد القديم :

من العلماء من تتبع أسفار العهد القديم مفتشاً فيها على ما يتصل بالجانب الأخلاقي ووقف مع الوقائع والأخلاقية التي تصل إلى حد التفريط والانحلال الخلقي وغير ذلك من مخالفات خُلقية ونقدها نقداً موضوعياً ، من هؤلاء ، د/ على خليل ، في كتابه التعاليم اليهودية .

٣- تحليل النص التوراتي :

من العلماء من يسرد القصة التوراتية أو النص ثم ينتقد ما يراه من مخالفات من أوجه متعددة تدل على باعه الطويل وخبرته وتمكنه من ناصية النص التوراتي فيحلله مستخرجاً ما فيه من أخطاء تدل على بشاعة ما تدعيه التوراة وتؤكد مدى الانحلال الخلقي الذي تدعو إليه أسفار العهد القديم من هؤلاء الأفاضل العلامة رحمة الله الهندي .

ولتوضيح تلك الرؤى النقدية المتعددة لعلماؤنا الأجلاء أبين في الصفحات التالية كيف وضع النقاد أيديهم على المواطن التي تشعر بعدم أخلاقية اليهود كما تصورها نصوص العهد القديم ، وذلك من خلال المباحث التي يشتمل عليها هذا الفصل :

المبحث الأول

المادية في أخلاق اليهود

تحت عنوان : اليهود موضع دراسة للآفات الأخلاقية ، تحدث د/ محمد سيد ندا في كتابه " جنایات بني إسرائيل " عن تلك الجنایات التي ارتكبتها اليهود ضد الأخلاق فقال :

(لقد عرف التاريخ في بني إسرائيل شر الجماعات التي تصلح أن تكون موضعاً لدراسة الآفات الإنسانية لمن شاء أن يدرس ويفكر ويعتبر ، ولقد حاول بنو إسرائيل ألا تكون طباعهم السيئة مقصورة عليهم ، بل شاءت لهم أهواؤهم وسوّلت لهم أنفسهم وشياطينهم أن يطرحوا الآخرين معهم في أتون أخلاقهم الفاسدة والمنكرات والردائل ، وذلك هو السبب في وصفهم بأنهم جناة على الأخلاق ، إذ كل رذيلة من رذائلهم المنطوية عليها صدورهم والجاري تعاملهم بها قد استطاعوا بمهارتهم وكيدهم أن يجروا الناس إليها ويطبعوهم عليها زرافات ووحدانا)^(١) .

وقد رصد د/ محمد ندا ، في كتابه جنایات متعددة على الأخلاق في العهد القديم وأبرز هذه الجنایات ظهور المادية بصورة واضحة في أخلاق اليهود فقال : إن اليهود لا يؤمنون إلا بالمادة ... أما المعاني الروحية فلا نصيب لها من نفوسهم ، والمعنويات العقلية لا يقيمونها لها وزناً فلا يهتمهم السمو الروحي ولا المبادئ الخلقية القائمة على الاتصال بين الناس ، فالمرءة والمودة والتراحم والصدق والوفاء والأمانة والحياء وغيرها صفات لا يعرفها اليهود ، وإنما يعرفون وحسب مقدار النفع المادي الذي يعود عليهم واللذة الوقتية لا الدائمة ترضي أهواءهم وتشبع نهمهم^(٢) .

ويرجع د/ مورييس بوكاي تقهقر اليهودية والمسيحية في العصر الحاضر لتلك المادية المفرطة التي تفرق الغرب في متاهاتها وبعد وصفه للمجتمع المادي الذي يسخر من فكرة الألوهية ويرد الأشياء إلى المادة فيقول :

(أمام هذه الموجة المادية وغزو الإلحاد للغرب يظهر عجز المسيحية واليهودية عن الصمود ، وكل منهما غارق في الحيرة ، ألا ترى من عقد لآخر تناقضاً خطيراً في مقاومة ذلك التيار الذي يهدد باجتفاف الكل ؟ إن المادي الملحد لا يرى في المسيحية الكلاسيكية إلا نظاماً ابتناه البشر منذ حوالي ألفي عام لإرساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها ، ولن يجد في الكتب المقدسة المسيحية لغة تتشابه مع لغته ، فهذه الكتب تحتوي على كثرة من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة)^(٣) .

(١) جنایات بني إسرائيل على الدين والمجتمع د/ محمد محمود سيد ندا ص ٢٠٩ طبعة دار اللواء . بدون .

(٢) المرجع السابق ص ٢١١ بتصرف بالحدف .

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم د/ مورييس بوكاي ص ١٢٣ طبعة دار الفتح للإعلام العربي ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

ثم يبين د/ محمد ندا المرجعية الدينية لليهود التي تدفعهم للسعي وراء المادة ويقدم لتلك الخلفية بقوله : ولما كانت الحياة الدنيا هي غاية همهم والمادية هي مبتغاهم الأسمى ؛ بل شعارهم الذي يسرون وراءه لا يضلون عنه ، فقد صاروا نفعيين أنانيين يهدمون المبادئ من أجل ذواتهم ويدوسون المصالح العامة في سبيل منافعهم الشخصية ، وحملتهم تلك الأنانية أن يسلكوا كل طريق منحرف للحصول على المال والمنافع فلم يتورعوا عن الكذب والخداع والغش والنفاق والتضليل ^(١) .

وأكد د/ محمد ندا كلامه بالنصوص التوراتية التالية :

١- " لأنهم - أي اليهود - من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب " ^(٢) .

وينتقد هذا النص بقوله : (أضافت التوراة هذا القول لله ، وحاشا لله أن يتهم نبيه بل حاشاه أن يبعث نبياً كاذباً يتخذ من الكذب وسيلة للربح ، غير أن كتبة التوراة لما كانوا على طبيعة ذويهم المادية فإنهم أحبوا أن يشركهم في هذا الأمر أنبياءهم وكهانهم ليكون ذلك أحد المسوغات لهم كي يفعلوا ما يشاءون وهاهي التوراة تقول مرة أخرى) ^(٣) .

٢- " وصار مرشدوا هذا الشعب مضلين ومرشدوه متبعين ، لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ولا يرحم يتماه وأرامله لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر وكل فم متكلم بالحماسة ... إلى أن تقول : بسخط رب الجنود تحرق الأرض ويكون الشعب كمأكل للنار لا يشفق الإنسان على أخيه يلتهم على اليمين فيجوع ويأكل على الشمال فلا يشبع ، يأكلون كل واحد لحم ذراعه . منسي ^(٤) أفرايم ^(٥) وأفرايم منسي وهما معاً على يهوذا " ^(٦) .

(١) انظر : جنايات بني إسرائيل ص ٢١٥ بتصرف .

(٢) أرميا : (١٣/٦) أورشليم تحت الحصار .

(٣) جنايات بني إسرائيل ص ٢١٦ مرجع سابق .

(٤) هسو : بكر يوسف ولما أشرف جده على الموت أخذ يوسف مع أخيه أفرايم إلى فراش يعقوب ليباركهما فتبناهما يعقوب وأنبأ برئاسة أفرايم على منسي ، ولما أتى العبرانيون إلى الأرض التي تقع شرقي الأردن وافتتحوها طلب نصف سبط منسي أن يحل فيها وسكن النصف الآخر غربي الأردن شمالي أفرايم (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٤) .

(٥) هو : ابن يوسف واسنات وقد ولد بمصر وأعطاه يوسف هذا الاسم " الأثمار المضاعفة " لأنه كان الابن الثاني (تكوين ٤١/ ٥٢) وعندما بارك يعقوب ابني يوسف وتبناهما وضع يده اليميني التي تدل على عظمة الكرامة على رأس أفرايم مشيراً بذلك إلى السبط الذي يأتي من نسل أفرايم ، وأفرايم اسم سبط من أسباط إسرائيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٠) .

(٦) أشعياء : (٢١-١٦/٩) غضب الرب على إسرائيل .

وينتقد هذه الأقوال قائلاً : (حرص قاتل وطمع وجشع لا رحمة فيهم ولا خير ، فهم مصدر الشر والحقاكة والكذب والنفاق وسيلتهم لإدراك المال والالتواء والغموض سبيلهم في هذه الحياة لجمع الحطام أو هكذا تصفهم التوراة وتحقرهم " جيل أعوج ملتو ، الرب تكافئون بهذا يا شعباً غيباً غير حكيم " (١) (٢) .
وبناءً على ذلك فإن المادية هي الأساس الذي تنطلق منه جميع التصرفات اليهودية في الماضي والحاضر .

(١) تثنية : (٦-٥/٣٢) نشيد موسى .

(٢) حنايات بني إسرائيل ص ٢١٦ مرجع سابق .

المبحث الثاني

نقد السلوك العدواني في العهد القديم

في جولة نقدية تتسم بالموضوعية الفائقة قام بها د/ على خليل في داخل نصوص العهد القديم واضعاً يده على المواطن التي تشعر بوجود الروح العدوانية في السلوك والأفكار موجهاً سهام نقده إلى تلك المخالفات التي تراحم بعضها بعضاً في نصوص العهد القديم والتي كانت ولا تزال سبباً مباشراً وراء الممارسات العدوانية والعنف والإرهاب الذي يمارسه اليهود في الماضي والحاضر خاصة على أرض فلسطين فيقول في كتابه " التعاليم الدينية " :
(إن ما قام به أسلاف اليهود من أعمال عدوانية تعتبر بطولات وأجساداً - في زعمهم - وعلى كل يهودي أن يلتزم بسلوكية هؤلاء الأسلاف ، وأن يكون من هذه السلوكية شخصيته المتميزة والمترفعة والمشبعة بالتوحش والعدوان ؛ ولهذا فإن نظام التعليم اليهودي يُركز على تعريف الطفل في سن الرابعة على هويته وأسلافه ويُدرّب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم وزرع فكرة القداسة والاختيار في عقله الباطن)^(١) .

وكان من نتائج جولته النقدية أنه قدم للقارئ رؤية نقدية جديدة تلك التي يربط فيها بين النص والواقع ويبين من خلال رؤيته هذه كيف تسير السياسة اليهودية في العصر الحاضر وأنهم يستلهمون الماضي ويستحضرون أفعال أجدادهم ويقتدون بها رغم مخالفتها للعقل والمنطق ، وسار مع الأسفار سفرًا سفرًا يذكر منها ما يؤكد ذلك " السلوك اللاأخلاقي " ^(٢) المشبع بالعدوان الذي يصف اليهود بالوحشية والقسوة تجاه الآخرين ويؤكد أن الروح العدوانية واضحة تماماً في السلوك والأفكار ^(٣) .

وقد تتبع د/ على خليل أسفار العهد القديم مبيناً ما فيها من سلوك عدواني مشين أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

(١) التعاليم الدينية اليهودية ص ٨ مرجع سابق .

(٢) السلوك : سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه يُقال : فلان حسن السلوك ، أو سيء السلوك ، وفي علم النفس : الاستجابة الكلية التي يديها كائن حي إزاء أي موقف يواجهه . انظر : المعجم الوسيط (٤٤٥/١) . الأخلاقي : هو ما يتفق وقواعد الأخلاق أو قواعد السلوك المقررة في المجتمع وعكسه لا أخلاقي ، وعلم الأخلاق : علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبيح المعجم الوسيط (٢٥٢/١) .

(٣) راجع : التعاليم الدينية اليهودية : ص ٨ .

السلوك العدواني في سفر التكوين :

فيقول د/ على خليل :

(إن سفر التكوين عبارة عن معمة من أعمال العنف والغدر والقتل والرديلة أراد منها الأحبار اليهود أن تكون منهجاً وسنة يقتضي اتباعها في كل زمان وأوان حيث إرادة الإله يهوه - كما يزعمون -)^(١) .

واستدل بما يدل على ذلك من سفر التكوين " من اعتداء أبناء يعقوب بن إسحاق " إسرائيل " على سكان منطقة شكيم التي كانوا يسكنون فيها ويلقون كل الاحترام والمحبة منهم ... فقد أحب " شكيم " بن حمور زعيم المنطقة ابنة يعقوب وأرادها زوجة له وقد طلبها من والدها وإخوتها لكن أولاد يعقوب غدروا بشكيم ووالده وبسكان المنطقة جميعهم بعد أن احتالوا عليهم وتمكنوا منهم وقتلهم ، ثم هربوا من المنطقة بعد أن هبوا البيوت جميعها وسبوا النساء والأطفال " ^(٢) .

ففي هذا النص انحراف ظاهر من أولاد يعقوب وتكذب عن الطريق الصحيح وابتعاد عن الأخلاق الفاضلة فكيف يكون جزاء من أراد الزواج من ابنتهم القتل هو وعشيرته بل وسكان المنطقة جميعاً .

السلوك العدواني في سفر الخروج :

(إن سفر الخروج يصور موسى بأنه كان قاسياً متشددًا إلى الدرجة التي لم يكن ليتوانى عن تنفيذ أية عقوبة حتى على شعبه المميز المختار من الإله يهوه فقد كانت نزعة العدوانية متفوقة على الرعة الإنسانية ، والأصح فإن كاتب السفر محي تمامًا كل ما يتعلق بالإنسانية لهذا كان موسى ينظم جماعته تنظيمًا خاصًا على أهم الشعب المقدس المختار صاحب الإله الخاص الذي لا يريد لهذا الشعب أن يختلط بالأمم الأخرى لأنه الأظهر والأنقى والأخص وكان يغذي فيهم ... الحقد تجاه الشعوب والأمم الأخرى . ففي سفر الخروج : " أرسل هبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين وأرسل أمامك الزناير فتطرد الحوئين والكنعانيين والحثيين من أمامك " ^(٣)) ^(٤) .

فالقسوة والشدة التي ألصقها كاتب سفر الخروج بموسى جعلت منه قائدًا يدرّب بني إسرائيل على الوحشية والعدوانية تجاه الشعوب الأخرى . فالمقصود هنا موسى التوراتي وليس هو سيدنا موسى النبي ﷺ .

(١) التعاليم اليهودية ص ٨ .

(٢) تكوين : (٣١-٢٥/٣٤) دينة وشكيم حمور ، وقد سبق ذكر النص في ص ٢٤٧ .

(٣) الإصحاح : (٢٨-٢٧/٢٣) فرائض السبت والأعياد السنوية الثلاث .

(٤) التعاليم الدينية ، ص ٩ .

السلوك العدواني في سفر العدد :

فخلال الفترة التي أمضاها موسى التوراتي في الصحراء يدرّب جماعته تدريجاً يتناسب وأفكاره العدوانية العنصرية كان دوماً يشي إلى ضرورة الانعزال وإبادة الآخرين من الأمم الأخرى والتمسك بمبادئ يهوه الناطقة باسمه ،وقد نجح موسى في زرع التزعات العدوانية في نفوس جماعته واستدل د/ على خليل بما ورد في سفر العدد والذي يروى عن غزو مديان والمجزرة التي ارتكبتها أتباع موسى في هذه المنطقة والتي يعتبرها كاتب السفر بطولات وواجب ديني وتنفيذاً لأوامر الإله يهوه ^(١) : والشاهد من قصة غزو مديان ما يلي : " وكلم الرب موسى قائلاً انتقم نقمة لبي إسرائيل من المديانيين ^(٢) ثم تظم إلى قومك : فكلّم موسى الشعب قائلاً جردوا منكم رجالاً للجدد فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان " ^(٣) .

" فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم وسي بني إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع مائتهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدّهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ... ، فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر فاقتلوهما " ^(٤) .

والواضح من النص السابق :

ظهور التزعة العدوانية التي زرعتها موسى التوراتي في نفوس أتباعه حسب زعم كاتب السفر وأنه لا وجود مطلقاً للرحمة والشفقة في قلوبهم على الأطفال والنساء ، ولا مجال لوجود الروح الإنسانية فيهم إذ يرتكبون هذه المجزرة البشعة وليس ذلك فحسب بل الأسر والسرقة والحرق والتخريب مما يدل على القسوة والوحشية والعدوانية المفرطة ولذلك يقول د/ على خليل في التعليق على هذه المجازر :

لقد نسي موسى أو تناسي أنه كان نزيلاً لدى المديانيين وأن زوجته مديانية وهي : " صفورة ابنة كاهن مديان يثرون " وأن المديانيين احتضنوه وعاش في كنفهم معزراً مكرماً ... وهذه المجزرة كانت تأكيداً واضحاً على سياسة الانغلاق والعنصرية والغدر والعدوان ، وطريقاً سار عليه أتباعه فيما بعد ولا يزال حتى الآن المنهاج الرئيسي للحياة اليهودية ^(٥) .

(١) التعاليم الدينية اليهودية ، ص ٩ .

(٢) هم : نسل مديان القاطنون في أرض مديان ، ومديان أحد أولاد إبراهيم من قطورة (تكوين ٢٥/٢ ، ٤) وقال بعضهم إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى مواب وطور سيناء ، وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر ، وسكن موسى مدة في مديان ، والمنطقة التي تقع شرقي خليج العقبة تسمى الآن " مديان " (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٠) .

(٣) عدد : (٣١-١) الانتقام من المديانيين .

(٤) عدد : (٣١-١٧) السابق ، باختصار .

(٥) التعاليم الدينية اليهودية ، ص ٩ .

إلى جانب ما سبق ذكره فقد تتبع د/ على خليل غالبية أسفار العهد القديم مشيراً إلى ما تحمله تلك الأسفار من الروح العدوانية واستمرارها بعد وفاة موسى فقد تسلمها يشوع من بعده ونفذها كما يريد إله بني إسرائيل ثم حمل لواءها القضاة بعد ذلك وأصبحت الأعمال العدوانية العسكرية غاية بالنسبة إليهم^(١).

ثم بين ما يأمر به صموئيل النبي من الحض على العدوان والسلوك العدواني الذي نفذه شاول وجماعته بتوجيهات من صموئيل النبي أو الكاهن الذي كان يؤكد دائماً أن الإله "يهوه" يرغب في ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان السلوك العدواني لأنبياء وملوك بني إسرائيل وأنهم دوماً كانوا وراء كل الأعمال العدوانية والانغلاق والتعصب والحقد تجاه الشعوب والأمم الأخرى^(٢).

وأما عن السلوك العدواني في بقية أسفار العهد القديم يقول: وفي الأسفار التوراتية الباقية: هوشع، صموئيل، عاموس، يونا، عوبديا، ميخا، ناحوم وحبقوق، صفنيا وحجي وزكريا وملاخي.. في هذه الأسفار نجد أيضاً الروح العدوانية التي لا تتحدث إلا عن القتل والتدمير والاستئصال والقطع والتخريب والسبي وغضب رب الجنود يهوه وتوعده الدائم بالإبادة وتهديده المستمر لشعبه الخاص إن حاول أن يتخلى عن هذه الروح العدوانية، وكل نبي من هؤلاء يشير في سفره أن يهوه سيفنى الشعوب والأمم من أجل بني إسرائيل سيدمر المدن ويقتل النساء والأطفال والشيوخ وأورشليم وحدها هي الباقية ويسكب الرب روحه على كل واحد من بني إسرائيل ويحكم جميع الأمم والشعوب بعد أن يرد سبي يهوذا وإسرائيل^(٣).

وقد أشار د/ بدران، د/ الهاشمي، أ/ عبد الله التل، في تقديمهم للسلوك العدواني في العهد القديم - إلى مظاهر هذا السلوك المتمثل في تلك المذابح البشعة التي رصدوها من أسفار العهد القديم، واضعين هذه المظاهر في الميزان النقدي الذي اتبعوه في تقديمهم للنصوص التوراتية، مبينين أنها تتنافى مع الدين الذي أساسه الرحمة، والإنسانية وتتعارض مع العقل أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

(١) انظر: يشوع (١٠، ١١، ٢٣)، قضاة (١-٨)، انظر: التعاليم الدينية اليهودية، ص ١٠، ١١.

(٢) انظر: صموئيل الأول: (٢٣، ٢٧)، صموئيل الثاني: (٨، ١٠)، انظر: التعاليم الدينية، ص ١٢.

(٣) انظر: التوراة د/ بدران، ص ٨٩ - ٩١، التربية في التوراة د/ الهاشمي، ص ١٢٥، ١٢٦، جذور البلاء: أ/ عبد الله التل،

ص ٢٦-٣٧.

القسوة والهمجية :

وضع أ/ عبد الله التل ، يده على مواطن الزلل ومجانبة الصواب في التوراة وبين أبشع وسائل العنف والإرهاب التي تروج لها التوراة من خلال تلك الممارسات التي وقعت على يد موسى التوراتي بأوامر من يهوه رب الجنود ، وبمنظرة علمية تتسم بالموضوعية التامة رصد مواضع متعددة في التوراة تشير إلى الأوامر الوحشية الصادرة من " يهوه " إلى موسى التوراتي بالإبادة المنظمة التي تربى اليهود على القسوة والهمجية حتى على أنفسهم وتوصل في نفوسهم روح البطش والعدوانية حتى إن الشعب المختار - في زعمهم - لم يسلم من هذه القسوة لذلك جاء في التوراة : " سبعة أيام تأكلون فطيراً اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل ^(١)"(٢) .

ثم أخذ جولة نقدية داخل أسفار العهد القديم رصد من خلالها ما يؤكد هذه الروح العدوانية ووجودها بكثرة في نصوص العهد القديم . والذي يؤكد القسوة والهمجية في العهد القديم ما يلي :

قسوة اليهود في الحروب :

وفي بيان منهج التوراة في الجانب الحربي بين د/ محمد سيد ندا ، ملامح هذا المنهج من خلال النصوص التوراتية التي تشعر بقسوة اليهود في الحروب وفي تعاملاتهم مع غيرهم ، ومن أبرز هذه الملامح اتباعهم سياسة معينة مع المدن القريبة وسياسة أخرى مختلفة تماماً مع المدن البعيدة ، ولذلك :

(ترسم التوراة لليهود أو يرسم اليهود لأنفسهم في التوراة شرعة من شرائع الحرب وهي أنهم إذا خرجوا للحرب واقتربوا من إحدى المدن فإن أهل تلك المدينة إما أن يقفوا مشمرين عن ساعد الجدد استعداداً للحرب وإما أن يصيبهم الفزع ويفروا من أمام بني إسرائيل فإن فروا من وجوهم فعلي اليهود ألا يكتفوا بهزيمتهم وفرارهم بل يجرمونهم ويضربونهم ولا يقطعون معهم عهداً ولا ميثاقاً ويهدمون كل ما عندهم مقدس فقد جاء في سفر التثنية ما نصه : " متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ... فإنك تُحرّمهم ، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم ... ^(٣)"(٤) .

(١) خروج : (١٥/١٢ ، ١٩) الفصح .

(٢) انظر : جذور البلاء أ/ عبد الله التل ، ص ٢٦ - ٣٧ .

(٣) تثنية : (١٧/٦ - ٦) طرد الأمم . مع الحذف .

(٤) حنايات بني إسرائيل ، ص ٢٥٩ .

(وتأمل كلمة " لتمتلكها " في الفقرة الأولى لتعلم أن شريعة الحرب عندهم ليست غاية سامية كالدفاع عن الدين أو الأوطان أو المحرمات أو تأمين الحدود ونحو ذلك من الغايات المشروعة ولكن غايتها التملك والاستعمار والاستعباد^(١) .

ويستكمل د/ ندا ، تلك النظرة الاستعمارية التي يتبناها اليهود بناءً على ما يحتويه النص المقدس - في زعمهم - ليبين أن اليهود إذا دخلوا أي حرب فليس أمامهم إلا الاستعمار أو الخراب والدمار فيقول :
(وإذا لم تفر هذه الشعوب من وجه اليهود واستعدوا للحرب ضد الإسرائيليين فعلي اليهود أن يدعوهم إلى الصلح فإما أن يستجيبوا وإما أن يرفضوا فإن استجابوا للصلح فقد كتبوا على أنفسهم ذل الدهر ومسكنة الحياة إذ يقدمون بذلك رقايم وكل ما تملكه أيديهم ليكون مسخرًا مستعبداً لليهود وإذا لم يستجيبوا لدعوة الصلح فقد كتبوا على أنفسهم القتل والخراب والدمار الشامل ، أمران أحلاهما مر .. استمع إلى سفر التثنية يقص عليك شريعة الرعب والأهوال فيقول : " حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير ويستعبد لك وإن لم تسالملك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريمًا ... " (٢) (٣) .

ويعلل الأستاذ عبد الله التل في كتابه جذور البلاء هذه القسوة والهمجية من يهوه رب الجنود ورجل الحرب إله إسرائيل القاسي الظالم المتوحش كما تصوره تورااة اليهود بأنه يرسم الخطط لنصب المجازر والإبادة ليعلم لشعبه الحبيب أرضاً بلا سكان ووطنًا قوميًا بلا منازعين ومشاعبين من السكان الأصليين^(٤) .

(١) جنائيات بني إسرائيل ، ص ٢٥٩ .

(٢) الإصحاح : (١٨-١٠/٢٠) الخروج للحرب .

(٣) جنائيات بني إسرائيل ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٤) جذور البلاء - عبد الله التل ، ص ٢٧ .

الإبادة الشاملة لأعدائهم :

ومما يزيد الأمر وضوحاً فقد أشار د/ عابد الهاشمي ، إلى نصوص في العهد القديم تحمل أوامر مفتراة على الرب تأمر اليهود بالإبادة الشاملة لأعدائهم بمختلف الوسائل الوحشية فيقول :

(إن حروبهم كما تصفها توراتهم - إبادات شاملة - وما أكثر ما تتردد هذه العبارة في وصف حروبهم " أبادوهم ، ولم يبقوا منهم شارباً ولا منفلاً " ويزعم اليهود أن هذه المجازر الرهيبة هي بأمر من إلههم ، كما تفترى عليه التوراة " أبادوهم لم يبقوا نسمة كما أمر الرب موسى عبده هكذا أمر موسى يشوع وهكذا فعل يشوع ، لم يهمل شيئاً من كل ما أمر به الرب موسى ^(١) " وإن من وصايا الرب المفتراة عليه ، أن الرحمة لا تنزل عليهم إلا من خلال كثرة القتل والذبح والحرق لأعدائهم " ^(٢) " فضرِباً تضرب سكان تلك المدينة - أريحا - بحد السيف ، ... وتحرق المدينة بالنار ، ... ، فتكون رحمة ترحمك ويكثر كما حلف لآبائك " ^(٣) .

وذكر د/ عابد ، أيضاً أن الرب أمر موسى عليه السلام في سفر العدد أن يصلب جميع رؤساء الأعداء الأسرى ويقتل منهم الألوفا ليصالح بهذه المجازر البشعة ربه " وقال الله لموسى : انطلق برؤساء الشعب كلهم وصلبهم قدام الله تلقاء الشمس فترتد شدة غضبي عن إسرائيل " ^(٤) . " وكان من مات من أعدائهم ٢٤٠٠٠ مصالحة لربهم " ^(٥) .

وقال د/ عابد أيضاً : ومن الوصايا المفتراة على الرب ألا يستبقي نسمة واحدة من الشعوب التي يحارها حين يقتحم مدنها " ... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيباً فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً ، كما أمر الرب إهلك " ^(٦) .

وكان موسى يسأل القواد الذين يرجعون إليه من تلك المجازر الرهيبة : " هل أبقيتم أنثى حية " ^(٧) . وذكر نصوصاً تحض على إبادة عشرات المدن واضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها ، لم يبق شارباً فحرمها وكل نفس بها ، ... وإحراقها بالنار " ^(٨) .

(١) يشوع : (١٧-١٥/١١) .

(٢) انظر : التربة في التوراة د/ عابد الهاشمي ص ١٢٥ مؤسسة الرسالة طبعة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٣) تثنية : (١٨-١٥/١٣) التعبد لآلهة أخرى مع الحذف .

(٤) عدد : (٤/٢٥) موآب يعثر إسرائيل وانظر : التربة في التوراة ص ١٢٥ .

(٥) عدد : (١٠ ، ٩/٢٥) السابق .

(٦) تثنية : (١٧-١٦/٢٠) الخروج للحرب .

(٧) عدد : (١٥/٣١) الانتقام من المديانيين .

(٨) يشوع : (٣٨-٣٧/١٠) غزو المدن الجنوبية .

" بالسيف يسقطون ، تحطم أطفالهم ، والحوامل تشق " وما أكثر ما يتردد الأمر بشق بطون الحوامل " (١) .
وغير ذلك من نصوص .

وفي تقويمه لهذه النصوص يقول د/ عابد : إن ما نسبته التوراة للخالق من أوامر في إزهاق الأرواح وإفناء المخالفين ... ذلك مجرد افتراء تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .. وذلك كله من فكر من صاغوا التوراة وحرّفوها ... فهم لدمويتهم لم يرحموا حتى الحوامل ، فدعوا إلى بقر بطونهن (٢) .

ويقول : إن ما جاء بالتوراة من الأمر بسفك دماء الأعداء يوضح الأسباب الخلقية الظاهرة التي يستند إليها اليهود حالياً في شدة عدائهم للمسلمين خاصة في فلسطين ، فقد قتلوا عشرات الآلاف منهم ، ودمروا المنازل حتى بعد استشهاد الشهداء وحطموا كثيراً من مقومات الأرض المحتلة صلفاً وعدواناً وبغياً ، بل إن هذه الخلفية الحاقدة هي التي كانت وراء بطشهم بالأبرياء في دير ياسين وصبرا وشاتيلا .. ومجزرة الحرم الإبراهيمي ، وما يزال اليهود يوالون غاراتهم الوحشية على جنوب لبنان على مدي عشرين عاماً (٣) .

ويذكر د/ محمد سيد ندا في كتابه أن : سفك الدماء وإشاعة العداوة والبغضاء بين الخلائق من جنایات بني إسرائيل التي تدل على البشاعة والعدوانية في أخلاقهم وينتقد هذه السلوكيات الخاطئة قائلاً :
(لقد تشبعت الأرض بدماء الأبرياء التي سفكوها ظلماً وعدواناً في سبيل مصالحهم ومآربهم الذاتية وفي كتابهم المقدس ما يسجل عليهم جريمة بشعة لا تصدر إلا ممن خلت قلوبهم من معالم الرحمة والشفقة لبني الإنسان خصص لهذه الجريمة سفرًا خاصاً من أسفارهم المزيفة يسمى سفر " أستير " يقع في عشرة إصحاحات فصولاً تحكي أدوار هذه الجريمة البشعة وما أستير هذه إلا امرأة منحها الله من الجمال قسطاً وافراً مكن اليهود من استغلاله لقتل الآلاف المؤلفة من البشر الأبرياء (٤) .

(١) التربية في التوراة :ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢٦ بتصرف يسير .

(٣) المرجع السابق : ص ١٢٩ بتصرف يسير .

(٤) جنایات بني إسرائيل على الدين والمجتمع : د/ محمد سيد ندا ، ص ٢٥٢ ، انظر : القصة في سفر أستير .

ويفسند د/ عبد الغني عبود ، هذه القصة مشيراً إلى أن المسألة الأخلاقية التي استغلت في قصة أستير لتحقيق هدف يهودي ليست هي المسألة الحيوية هنا وإنما الدم غير اليهودي الذي سال في القصة هو الذي دفع بأستير لتحتل هذه المكانة الدينية عند اليهود بالإضافة إلى الضياع اليهودي الذي تحول على يديها إلى مكان وإمكان^(١) .

(فكل ما يؤدي إلى رفع شأن اليهود وإذلال خصومهم أو القضاء عليهم هو مثل أعلى أخلاقي من وجهة نظر اليهود حتى ولو كان ذلك كذباً أو إفساداً أو تدميراً وقتلاً فالفساد في الأرض عند غير اليهود هو المثل الأعلى الأخلاقي عند اليهود ؛ بل إن هذه الأخلاق اليهودية تقترب من كمالها كلما زادت من العنف والتدمير والقسوة قرباً حتى إن الدم المراق يحتل في الفكر الديني اليهودي منزلة خاصة^(٢)) .

(١) انظر : اليهود واليهودية والإسلام ، د/ عبد الغني عبود ، ص ٧٨ بتصرف .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

المبحث الثالث

الانحلال الخُلقي في العهد القديم

تتبع علماء المسلمين - فترة البحث - أسفار العهد القديم وأخرجوا ما فيها من نصوص تدل على مدى ما وصل إليه اليهود من انحلال في الأخلاق وانحراف في السلوك ، وبينوا أن هذه النصوص لا تفرق في هذه السلوكيات بين الأنبياء وغيرهم بل إن ما تنسبه التوراة زوراً وبهتاناً إلى الأنبياء من الحوادث اللاأخلاقية أمر لا يقبله عقل ولا دين ويتنافى مع العصمة التي اختصهم الله بها ، وتعدد صور الاتهام للأنبياء وذويهم على النحو التالي :

أولاً : اتهام الأنبياء بما يتنافى مع العصمة التي اختصهم الله بها :

رصد العلامة رحمة الله الهندي والإمام ابن القيم ، د/ بدران ، د/ عبد الراضي محمد ، ما يتصل بالجانب الأخلاقي في العهد القديم ، وكذلك ينتقد د/ على خليل في كتابه " التعاليم الدينية " ، الأسفار التوراتية ويبرز في نقده انحراف التوراة في جانب الأخلاق والسلوك من خلال استقرائه وتبعه لأسفار العهد القديم .. وقد ذكر هؤلاء العلماء ما تفتريه التوراة على الأنبياء زوراً وبهتاناً وكذباً ويتنافى مع عصمتهم على النحو التالي :

ما تُسب زوراً وبهتاناً إلى سيدنا إبراهيم ، لوط ، إسحاق ، وداود ^(١) وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام وقد ذكرت ما يتصل باتهام التوراة للأنبياء في أخلاقهم هنا باختصار لأنه قد تقدم التفصيل في مبحث نقد عقيدة النبوة والأنبياء في العهد القديم ^(٢) .

ثانياً : تجريح بيوت الأنبياء وذويهم والتطاول عليهم :

١. رأوبين بن يعقوب :

إذا كان كتاب العهد القديم لم يراعوا حرمة الأنبياء وألصقوا بهم ما يتنافى مع عصمتهم فلم يتركوا نبياً إلا وبحثوا له عن شيء يجعله كالبشر العادي يصدق عليه ما يجري على البشر من خطأ وصواب لذلك عند التأمل فيما رصده علماء المسلمين حول هذه القضية يتضح أن بيوت الأنبياء أيضاً وأقربائهم لم تسلم من أيدي المحرفين الذين بدلوا وغيروا في النص التوراتي حسب أهوائهم ، فهذا رأوبين بن يعقوب انظر كيف صورته التوراة ابن نبي يهتك حرمة بيت أبيه ويدنس عرضه في غيابه .

(١) انظر : تكوين : (١٩-١٠/١٢) ، (٧-١/٢٠) ، (٣٧-٣٠/١٩) ، (١٠-٦/٢٦) وصموئيل الثاني : (٧-٢/١١) ، انظر : هداية

الحيارى ، ص ٢٠٢ ، إظهار الحق : ٥٥٦/٢ ، ٥٥٧ ، التوراة : د/ بدران ، ص ٥٠-٥١ ، ٥٣ ، التعاليم الدينية اليهودية : ص ٢٥-٢٧ والعقيدة اليهودية : د/ سعد الدين صالح ، ص ٣٢٥ ، التطرف اليهودي : د/ عبد الراضي ، ص ٣٦ ، وأيضاً التوراة د/ بدران ص ٩٥-٩٧ .

(٢) انظر : الفصل الأول من نقد المتن في هذه الدراسة المبحث الرابع من ص ١٤٣ إلى ١٧٦ ص .

وقد ذكر هذه القصة كثير من الكتاب منهم من ذكرها دون تعليق لوضوح المخالفة فيها ومنهم من علق عليها فقد قدم لها د/ على خليل ، بقوله نقرأ في سفر التكوين أن : (رأوبين بن يعقوب وهو بكره ، استغل غياب والده ودخل على امرأته بلهة وكان لها ولدان دان ونفتالي واضطجع معها)^(١) ، ثم ذكر النص وهو : " وحدث إذ كان إسرائيل ساكنًا في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه " ^(٢) .

ولكن العلامة رحمة الله الهندي علق عليها منتقدًا ما تقول التوراة بقوله : (فانظروا إلى رأوبين الولد الأكبر ليعقوب ^{عليه السلام} كيف زنى بزوجة أبيه ؟ ، وإلى يعقوب كيف لم يجر الحد أو التعزير ، لا على ابنه ولا على هذه الزوجة ، والظاهر أن حد الزنا في هذا الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار كما يفهم من الآية ٢٤ من الإصحاح ٣٨ من سفر التكوين ^(٣) ، ودعا لهذا الابن بالبركة والخير في آخر حياته كما هو مصرح به في الإصحاح ٤٩ من هذا السفر ^(٤) ^(٥) .

ويضيف د/ بدران ، بعدًا جديدًا زيادة ^(٦) على ما قاله العلامة رحمة الله الهندي فيقول : (هذا مع العلم بأن التوراة تحرم مجرد النظر لعورة زوجة الأب (لاويين ١٨/١) ^(٧) .

٢. ثامار (كنة يهوذا) ابن يعقوب الرابع :

تقول التوراة أن ثامار أخطأت مع حميها يهوذا وحبلت منه وولدت ولدين أسمت الأول (فارص) والثاني (زارح) والنص يقول : " وأن يهوذا زوج ابنه بكره " غير " امرأة اسمها ثامار " . وكان غير بكر يهوذا رديثًا بين أيدي الرب فقتله الرب . وقال يهوذا لابنه أونان : ادخل على امرأة أخيك ، وكن معها ، وأقم زرعًا لأخيك . فلما علم أونان أن الخلف لغيره كان إذا دخل على امرأة أخيه يفسد على الأرض لئلا يكون زرعًا لأخيه . فظهر ذلك منه سوء أمام الرب لفعله ذلك ، وقتله الرب ، فقال يهوذا لثامار كنته اجلسي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني ... فأعلموا ثامار قائلين هو ذا حموك صاعدًا إلى ثمة ليجز غنمه فطرح ثامار عنها ثياب الترميل وأخذت رداءً وتزينت ، وجلست في قارعة الطريق ، فلما رآها يهوذا ظن أنها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها لئلا تعرف ، ودخل عندها وقال لها دعيني أدخل إليك لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت له :

(١) التعاليم الدينية : ص ٢٦ .

(٢) تكوين : (٢٢/٣٥) موت راحيل وإسحاق .

(٣) النص يقول : " أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كئيبك ، وهامي حيلي من الزنى فقال يهوذا أخرجوها فتمرق " .

(٤) النص يقول : " وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم ، كل واحد بحسب بركته باركهم " .

(٥) إظهار الحق : ٢ / ٥٦٣ .

(٦) انظر : التوراة د/ بدران ، ص ٦٠ .

(٧) والنص يقول : " عورة امرأة أبيك لا تُكشف إنما عورة أبيك " .

ماذا تعطيني حتى تدخل عليّ ؟ ، فقال لها أنا أرسل لك جدياً ماعزاً من الغنم وهي قالت له : أعطني رهناً حتى ترسله فقال يهوذا : أي شيء أعطيك رهناً ؟ فقالت خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك فأعطهاها لها . ودخل عليها فحبلت منه وقامت فمضت وطرحت عنها لباسها ورداءها ولبست ثياب ترملة فلما كان بعد ثلاثة أشهر أخبروا يهوذا قائلين : زنت ثامار كنتك وهو ذا قد حبلت من الزنا فقال يهوذا أخرجوها لتحرق أما هي فلما خرجت أرسلت إلي حميتها قائلة : من الرجل الذي هذه له حبلى أنا فأعرف لمن هو الخاتم والعمامة والعصا ، فعرفها يهوذا وقال تبررت هي أكثر مني لموضع أبي لم أعطها لشيلة ابني ولكنه لم يعد يعرفها بعد ذلك وكان لما دنا وقت الولادة وإذ توأمان في بطنها فعند طلقها ، واحد سبق وأخرج يده فأخذت القابلة قرمزا وربطته في يده قائلة : هذا يخرج أولاً ، ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج فقالت لماذا اقتحمت ؟ عليك اقتحام . فدعي اسمه فارص ، وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعت اسمه زراح " (١) .

تنوعت نظرة النقاد إلى هذا النص فالعلامة رحمة الله الهندي بفكره الثاقب وتحليله الرائع للنصوص وبيان مآلها وما عليها واستخراج ما فيها من هنات ومخالفات يأخذ على هذه القصة الأمور التالية :

١ . (أن الرب قتل غيراً لكونه رديئاً ورداءته لم تبين أكانت هذه الرداءة أشد من رداءة عمه الكبير حيث زنى بزوجة أبيه ، ومن رداءة عميه الآخرين شمعون ولاوي حيث قتلا ذكور أهل البلدة كلهم ومن رداءة أبيه وجميع أعمامه حيث نهبوا أموال تلك البلدة وسبوا نساءها وأطفالها ، ومن رداءة أبيه حيث زنى بزوجه بعد موته ؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرفقة وعدم القتل وكان غير قابلاً للقتل فقتله الرب ؟ .

٢ . العجب أن الرب قتل أونان على خطأ عزل المنى ، وما قتل أعمامه وأباه على الخطايا المذكورة . أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطايا ؟ .

٣ . أن يعقوب لم يجر الحد ولا التعزير على هذا الولد العزيز ولا على هذه المرأة الفاجرة بل لم يثبت من هذا الإصحاح ولا من إصحاح آخر أنه تضايق لهذا الأمر من يهوذا والإصحاح ٤٩ من سفر التكوين (٢) شاهد صدق على عدم تضايقه حيث ذم رأوين وشمعون ولاوي على ما صدر منهم ، وما ذم يهوذا على ما صدر منه بل سكت عما صدر منه ومدحه مدحاً بليغاً ودعا له دعاء كاملاً ورجحه على إخوته .

(١) تكوين : (٣٨/٦-٣٠) يهوذا وثامار .

(٢) النص يقول : " رأوين أنت بكرى قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز فائراً كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته . على فراشي صعد شمعون ولاوي أخوان ، آلات ظلم سيوفهما في مجلسهما لا تدخل نفسي بمجمعهما لا تتحد كرامتي لأهما في غضبهما قتلا إنساناً ... " تكوين : (٣٨/٧) .

٤. أن ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشدة البر ، فسبحان الله نعم البار ونعمت البارة الفائقة في البر من الإصحاح المذكور كيف تكون بارة وهي لم تكشف عورتها إلا لأبي زوجها وما زنت إلا بحميها ؟ وحصلت منه بهذا الزنا على ابنين كاملين ؟

٥. أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد فارص الذي جاء بالزنا كما هو مصرح به في الإصحاح الأول من إنجيل متى (١) .

٦. أن الله ما قتل فارص وزارح مع كونهما ولدي زنا ، أبقاهما كابني لوط اللذين كانا ولدي زنا ، وما قتلها كما قتل ولد داود ~~عليه السلام~~ الذي ولد بزناه بامرأة أوريا ، لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بزوجة الابن (٢) .

ويأتي د/ بدران ليؤكد ما ذهب إليه العلامة رحمة الله الهندي من خلال وقفاته مع النص أثناء سردده وبعد الانتهاء منه متعجباً من تلك الشريعة التي يتبعونها مع من يخطئ ويرتكب الفواحش حيث يقول : (والأعجب من هذا كله أمر يهوه إله إسرائيل الذي يميت أونان بن يهوذا لأنه قذف منيه على الأرض ، ولا يميت يهوذا الزاني . أهذه هي الشريعة التي أنزلها الله على موسى ؟ والغريب أيضاً مثل هذا الفحش في كتاب يُقال عنه أنه مقدس !!) (٣) .

٣. أمنون بن داود :

ينتقد د/ بدران ، قصة أمنون بن داود ويبيّن ما فيها من انحلال خلقي وطعن في بيت النبوة ويقدم تعليقة على القصة مشيراً إلى ما فيها من جرائم خلقية تسيء إلى أولاد الأنبياء فيقول : (يروى سفر صموئيل الثاني ما ينجل الإنسان من روايته ، يروى ما تشيب له الولدان ، يروى قصة زنا لا تحدث مع أعني الفجرة ، وحتى أعني الفجار لا يجروء على فعل ما أقدم عليه أمنون بن داود ... ابن داود النبي الملك ، ملك يهوذا وكل إسرائيل كما يقولون . إنها قصة زنا أخ بأخته والاثنان أبناء نبي .. فأين مثل الأنبياء وأسوتهم ؟ إنها لا بد وأن تبدأ من أسرته فيتخلق أبناءه بخلقه) (٤) .

(١) متى : (٧-٣/١) نسب يسوع المسيح .

(٢) إظهار الحق : ٥٦٤/٢ .

(٣) التوراة : د/ بدران ، ص ٦١ .

(٤) التوراة : د/ بدران ص ٩٧ ، بتصرف يسير .

تبدأ القصة بأن أمنون بن داود ، رأى أخته ثامار فلقت نظره جمالها البارع هكذا فجأة يشعر بجمالها يسحر له . ويأخذ بكل عقله ، وهام أمنون بأخته حباً لدرجة أنه مرض من السهاد وساءت صحته بسبب أخته وجمالها الأخاذ وأفضي أمنون بن داود بكل ما في قلبه إلى ابن عمه " يوناداب بن شمعي " ويقول النص :
" وكان يوناداب رجلاً حكيماً حبراً فيماذا أشار عليه هذا " الحكيم " يقول الكتاب المقدس : " فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض . وإذا جاء أبوك الملك (داود النبي والملك) ليراك فقل له دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأكل .. " وهكذا رسم الحكيم الخطة المحكمة لابن عمه العاشق أخته ونفذ المفتون بأخته كل تفاصيل الخطة بكل دقة . وأنت أخته لتخدمه وهجم عليها فصرخت ولم يسمع صراخها أحد ؛ لأنه وابن عمه دبرا كل شيء بإحكام وزنا أمنون بأخته ثامار وتوسلت إليه (حسب قول الكتاب المقدس) واسترحمته فلم يرحم . وماذا يقول الكتاب المقدس عن ثامار وأمنون بعد هذا ؟ : " ثم أبغضها أمنون بغضه شديدة جداً حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها " وماذا قال العاشق المفتون لأخته بعد أن زنا بها يقول الكتاب المقدس " وقال لها أمنون : قومي انطلقيني " بل يقول أنه أمر خادمه بطردها من حجرته شر طرده (١) .

ثم يذكر د/ بدران ، نصاً آخر يناقض هذا النص في الحكم يقول هذا النص : " وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه . ورأى عورتها ورأت عورته فذلك عار يقطعان أمام أعين شعبهما . قد كشف عورة أخته . يحمل ذنبه " (٢) .

(مجرد كشف العورة حرام في الشريعة الموسوية وجزاء هذا الذنب القطع أي الموت وأمام كل الشعب . ولكن ماذا فعل داود ؟ لا شيء كل ما فعله أنه اغتاض فقط حسب قول الكتاب المقدس : " ولما سمع داود الملك بجميع هذه الأمور اغتاض جداً " (٣) النبي الذي ينفذ شريعة الله لا يفعل شيئاً (٤) .
من خلال ما سبق فقد بين علماءنا الأجلاء ، عن طريق التفسير التحليلي للنصوص التوراتية والقصص في العهد القديم ما يلي :

١. احتواء النصوص على مخالفات وافتراءات تقدح في بيوت الأنبياء وذويهم .
٢. التناقض والتعارض بين النصوص في الحكم الواحد ، والمسلم حينما يقرأ مثل هذه الأباطيل في كتاب يدعي أصحابه أنه مقدس يصاب بحالة شديدة من الضيق وينكر ما ينسبونه إلى الأنبياء وذويهم بألف لسان ولسان .

(١) صموئيل الثاني : (١٣/١٤) أمنون وثامار وانظر : التوراة د/ بدران ص ٩٨ .

(٢) لاويين : (١٧/٢) عقوبات الخطية .

(٣) صموئيل الثاني : (٢١/١٣) أمنون وثامار .

(٤) التوراة د/ بدران ص ٩٨ .

حوادث لا أخلاقية تتعلق ببني إسرائيل :

رصد علماء المسلمين كثيراً من الحوادث اللاأخلاقية في الكتاب المقدس تعبر عن الانحلال الخلقي وكلها ترتبط ببني إسرائيل ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر - نصوصاً انتقاها د/ على خليل ، من بين نصوص كثيرة تحتوى على جرائم أخلاقية تشمئز منها الفطرة النقية لخروجها وانحرافها من هذه النصوص :

١. المثال الأول : أن رجلاً لاويًا متغرباً في عقاب " جبل أفرام " ^(١) فاتخذ له امرأة سُرِّيَّةً من بيت لحم يهوذا فزنت عليه سرّيته وذهبت من عنده إلى بيت أبيها ؛ ومع هذا جاء زوجها وراءها ليطيب قلبها ويردها معه " ^(٢) . " عادت المرأة معه وجاء إلى مقابل ييوس (أورشليم) وكان معه حماران مشدودان والغلام أي غلامه فأنحدر النهار وبدأت الشمس تغيب فقال الغلام لسيده : تعال نغيل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال له سيده لا نغيل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا نغبر إلى جبعة ^(٣) وقال لغلامه تعال نتقدم إلى أحد الأماكن ونبيت في جبعة أو في الرّامة ^(٤) فعبروا وذهبوا وغابت لهم الشمس عند جبعة التي لبنيامين فمالوا إلى هناك لكي يدخلوا ويبيتوا في جبعة وجلس في ساحة المدينة ولم يضمهم أحد إلى بيسته للمبيت وإذا برجل شيخ جاء من الحقل عند المساء فقال الرجل الشيخ السلام لك إنما كل احتياجك على ولكن لا تبت في الساحة وجاء إلى بيته وعلف حميرهم فغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا " ^(٥) وفيما هم يطيبون قلوبهم إذا برجال المدينة رجال بني بليعال أحاطوا بالبيت قارعين الباب وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين : أخرج الرجل الذي دخل بيتك فنعره فخرج إليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم : لا يا اخوتي لا تفعلوا شراً ، بعدما دخل هذا الرجل بيتي . لا تفعلوا هذه القباحة فأمسك الرجل سرّيته وأخرجها إليهم خارجاً فعرفوها وتعللوا بها الليل كله إلى الصباح وعند طلوع الفجر أطلقوها ، فجاءت المرأة عند إقبال الصباح وسقطت عند باب بيت الرجل ... فأخذها ... ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سرّيته وقطعها مع عظامها إلى اثني عشرة قطعة وأرسلها إلى جميع نخوم ^(٦) إسرائيل ^(٧) .

(١) هي : الأرض الجبلية الواقعة في القسم الأوسط من فلسطين الغربية والتي عينت نصيباً لسبط أفرام (قاموس الكتاب المقدس ص ٩١) .

(٢) قضاة : (٣-١/١٩) اللاوي وسرّيته .

(٣) هي : اسم عبري معناه " تل " اسم لعدة قرى منها " جبعة بنيامين " ، هي تل الفول الحالية التي على بعد ٤ أميال شمال أورشليم شرقي الطريق من أورشليم إلى نابلس (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٦) .

(٤) هي : قرية صغيرة مبنية على هضبة عالية في نصيب سبط بنيامين على بعد خمسة أميال شمالي أورشليم على طريق بيت إيل بناها بعشا ملك إسرائيل (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٢) .

(٥) انظر : قضاة : (٢٢-٣/١٩) السابق .

(٦) معناها : حدود (قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٣) .

(٧) قضاة : (٢٩-٢٢/١٩) اللاوي وسرّيته .

ويعلق د/ على خليل ، على هذه الحادثة البشعة بقوله : إنه انخطاط كبير في القيم الأخلاقية ، جريمة بشعة جداً ، وسلوك شائن ومرعب جداً قام به اليهود ببساطة ويقرأ عنه أطفالهم اليوم بافتخار ويقتدون به ويستحضرونه في سلوكهم اليومي الديني والمدني ^(١) .

٢. المثال الثاني : الصراع بين شاول وداود :

وفي سفر صموئيل الأول حوادث تتعلق ببني إسرائيل تفوح منها رائحة الانحلال الخلقي ... واللاإنسانية فنقرأ عن سلوك كل من " شاول " ^(٢) وداود أثناء الصراع بينهما على السلطة وكيف كان كل طرف يسعى لدفع الآخر عنه بطرق وأساليب غير مشروعة محورها عمومًا المرأة والغدر ^(٣) .

إن شاول لكي يتخلص من داود قرر أن يزوجه ابنته الكبرى " ميرب " ^(٤) علماً أنها كانت قد تزوجت من رجل يدعي " عدرئيل المحولي " ^(٥) لم يكن ليهتم بمسألة الأخلاق ابنته متزوجة وهو يريد أن يطلقها من زوجها ليعطيها لرجل آخر نظراً لأن مصلحته تقتضي ذلك ^(٦) .

داود كان يميل إلى " ميكال " ^(٧) الفتاة الأصغر للملك شاول وهي كانت تميل إليه وقد وافق شاول أن يزوجه لداود ، ليس لأنه يريد أن يكون داود صهره ويسعد ابنته بل من أجل أن تكون شركاً له ويقتله الفلسطينيون ^(٨) حيث نقرأ : " ميكال ابنة شاول أحببت داود فأخبروا شاول فحسن الأمر في عينيه ، وقال شاول أعطيه إياها فتكون له شركاً وتكون يد الفلسطينيين عليه " ^(٩) .

(١) التعاليم الدينية ص ٢٦ .

(٢) شاول هذا غير شاول العهد الجديد الذي هو بولس (قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٠٣) .

(٣) التعاليم الدينية ص ٢٦ .

(٤) هي : ابنة شاول البكر وكان شاول قد وعد أن يعطيها لداود امرأة إلا أنه أعطاها لعدرائيل المحولي وأعطى داود ميكال أختها (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٩) .

(٥) هو : عدرائيل بن برزلاي المحولي . زوجه شاول ابنته البكر ، ميرب التي كان قد وعد داود بها (صموئيل الأول ١٨/١٩) (قاموس الكتاب المقدس ص ٦١٢) .

(٦) الإصحاح : (١٨/١٧-١٩) غير شاول من داود ،

(٧) هي : ابنة شاول الثانية أمهرها داود بمائتي غلقة من الفلسطينيين فأخذها امرأة له ، (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٠) .

(٨) التعاليم الدينية ص ٢٦ .

(٩) الإصحاح : (٢٠/٢٢-٢٠) غير شاول ،

لقد طلب شاول مهر ابنته ميكال مائة غُلفَةٍ من الفلسطينيين كما يرد في سفر صموئيل الأول : " فقال شاول هكذا تقولون لداود ليست مسرة الملك بالمهر بل بمائة غُلفَةٍ من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين ^(١) .

وفي نهاية هذه الانتقادات اللاذعة لما في التوراة من انحلال أخلاقي يقول أ/ عبد الله التل ، مؤكداً غرابة هذا السلوك المشين الذي تروج له التوراة وتدعو له عبر نصوصها :
(ما اكتسب العهر والفجور والفسق والدعارة قداسة كما اكتسب في تورا اليهود ، ونظمت التوراة بمهارات لم يسبق لدين من الأديان أن أباحها أو عاجلها بالشكل الذي عولجت به في دين اليهود ، وتعد التوراة بحق الكتاب الأول في التاريخ كله الذي قدّم للإنسانية الدروس الأولى في الانحلال الخلقي والإباحية ^(٢) .

وتحت عنوان الفسق والدعارة ساق أ/ عبد الله التل نصوصاً كثيرة تبين مدى ما وصل إليه السلوك اليهودي من خلال التوراة إلى الانحراف والانحلال ^(٣) .

(١) الإصحاح : (٢٥/١٨) غيرة شاول ، بالمعني .

(٢) جذور البلاء أ/ عبد الله التل ، ص ٣٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٨-٤٤ .

المبحث الرابع

الغدر والخيانة

عند دراسة السلوكية اليهودية من خلال مؤلفات علمائنا الأفاضل يستطيع الباحث أن يتعرف بسهولة على تلك المواضيع التي تفوح منها رائحة الغدر والخيانة في الكتاب المقدس . ولقد كان للدكتور/ على خليل جهد مشكور في رصد تلك المواطن والتعليق عليها من خلال الأسفار التوراتية ولذلك يقول :

(إن من يقرأ الأسفار التوراتية يخلص إلى نتيجة مفادها أن الغدر والخيانة والانحلال الخلقي كانت من الثوابت التي سار عليها أسلاف اليهود اليوم ، وهذه الثوابت جوهرية في الفكر الديني اليهودي ، فقد بُنيت اليهودية على مبدأ التوجس من الأغيار والاستعلاء والعدوان والعنصرية ، وهذه النزعات لا بد وأن تطبع الروح اليهودية بصفات الغدر والخيانة والانحلال الخلقي ، فاليهودي يحق له أن يسرق .. لكن ليس يهوديا مثله بل أي شخص من الأغيار وكذلك الأمر بالنسبة للزنى والقتل والغدر والخيانة وغيرها)^(١) .

ثم ذكر أمثلة من الأسفار التوراتية تؤكد وجود الغدر والخيانة في نصوص الكتاب المقدس :

- ١ . احتال أولاد يعقوب على أبيهم ليغدروا بأخيهم الصغير يوسف فأخذوه معهم إلى البرية وتآمروا عليه هناك وغدروا به ورموه في بئر ليموت فيها ويتخلصوا منه لأنه كان له حظوة عند أبيه^(٢) والنص يقول : " فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه . فقال بعضهم لبعض هو ذا صاحب الأحلام قادم . فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله "^(٣) .
- ٢ . حادثة اغتيال أوريا الحثي : وفيها غدر داود بالقائد أوريا الحثي ليأخذ زوجته^(٤) . وقد مر ذكر هذه القصة^(٥) .

(١) التعاليم الدينية ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣) تكوين : (٢١-١٨/٣٧) يوسف يُباع من اخوته .

(٤) انظر : صموئيل الثاني : (١١-٢/١٣) داود وبتشيع .

(٥) انظر : ص ١٦٢-١٦٥ من هذه الدراسة .

٣. حادثة الغدر والخيانة التي قام بها " إهود بن جيرا " ^(١) عندما أرسله بني إسرائيل لملك موآب ، فقد دبر خطة بملك موآب وقتله " فعمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع وتقلده تحت ثيابه على فخذه اليميني وقدم هدية " لعجلون " ^(٢) ملك موآب ... ولما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملِي الهدية ... أما هو قال للملك لي كلام سر إليك أيها الملك ... فدخل إليه وضربه في بطنه " ^(٣) .

٤. وفي سفر صموئيل الأول والثاني نقرأ مزيداً من حوادث الغدر والخيانة والقتل ونفذها بنو إسرائيل فيما بينهم من جهة وبين سكان كنعان من جهة أخرى ^(٤) . وغير ذلك من الأمثلة كثيراً جداً في الكتاب المقدس وذكرها د/ علي خليل في كتابه .

ويقول د/ عابد الهاشمي في كتابه التربية في التوراة عن الغدر والخيانة : (إنه من الوصايا الرذيلة في الكتاب المقدس التي تبيح الغدر حين التعامل مع الآخرين ، فتبيح التوراة المحرفة لبني إسرائيل أن يتستروا بالخداع والخيانة لينالوا من خصومهم ومن تعاليم التوراة لهم أنها تقول : يجوز لكم أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار ، ويجوز لكم أن تدينوا بدينهم وتقورون إليهم ، وتضربون الأوتاد في أصداعهم حتى تنفذ إلى الأرض) ^(٥) .

وهكذا بهذا الحقد والوحشية يوصي إلههم افتراءً عليه أن يتعاملوا مع غيرهم من البشر ، بتغيير دينهم ظاهراً حتى يغدروا بخصومهم وينتقموا منهم ، وفي سفر القضاة قصتين من الخداع انتهت إلى القتل بوحشية نادرة ^(٦) .

وكان للأستاذ / عبد الله التل ، وقفة نقدية مع العهد القديم أثبت فيها بالأدلة أن ما حل بالعالم من ويلات وبلاء كامن في التطبيق العملي للخلق اليهودي وأن جميع عمليات الغدر والخيانة فيه لها تبرير وسبب في نظرهم ، والحسب أن هذا التبرير وتلك الأسباب حين توضع في الميزان التقويمي يتبين لأول نظرة ميلها عن الصواب وصدورها للفطرة الإنسانية فيقول :

(١) هو : إهود بن جيرا من سبط بنيامين عين قاضيًا لبني إسرائيل وكان إهود اعسراً ، وقد قتل عجلون ملك موآب الذي أذل بني إسرائيل وقاد شعبه إلى النصر على المؤابيين (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٨) .

(٢) هو : ملك موآب ، احتل أريحا مدة ١٨ عاماً واستعبد بني إسرائيل متحالفاً مع العمونيين والعماليقة وفرض عليهم الضرائب ، وخلص بني إسرائيل منه إهود بن جيرا الذي ضربه بالسيف وهو يقدم له الهدايا (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٨) .

(٣) انظر : قضاة : (٢٥-١٥/٣) إهود .

(٤) التعاليم الدينية : ص ٢٤ .

(٥) انظر : قضاة : (٢٢-١٨/٤) ، التربية في التوراة : ص ١٢٧ .

(٦) التربية في التوراة : د/ الهاشمي ، ص ١٢٧ .

(وما أكثر دروس الحقد والغدر والمكر التي تسردها التوراة ناسبة أغلبها إلى أنبياء اليهود ، فقصة أبناء يعقوب مع شكيم الذي تزوج بأختهم تعتبر الدرس الأول من هذه الدروس اللاأخلاقية ، وهم بعد أن مكروا وخدعوا آل شكيم وأقنعوهم بالاختتان لتتم المصاهرة ، ويصبح الشعبان شعباً واحداً انقلبوا عليهم بعد تمام عملية الاختتان وأبادوهم ^(١) وغير ذلك من الحوادث التي تحض على الغدر والمكر والخيانة ^(٢) ، وكذلك حقد رب اليهود - في زعمهم - على الأمم الأخرى غير اليهودية ^(٣)) ^(٤) .

(١) انظر : القصة كاملة في تكوين : (٢٩-١٣/٣٤) وقد سبق ذكرها في ^{٢٥٦،٢٥٧} من هذه الدراسة ٤ .
(٢) كما في تكوين : (٢٨-٢٦/٣٧) ، صموئيل الثاني : (٢٠-١٧/٥) .
(٣) كما في أشعيا : (٣-١/٣٤) .
(٤) انظر : جذور البلاء : أ/ عبد الله التل ، ص ٥٤-٥٦ باختصار .

المبحث الخامس

الكذب والسرقة

د/ محمد سيد ندا ، في كتابه " جنایات بني إسرائيل " يُعد الكذب من الخصال التي أضرت بدينهم وجنت على المجتمع وفي تعاملهم مع الآخرين أيضاً فهي تدفعهم إلى السرقة وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة إذ أن :
(الكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها وعن سلوك ينشئ الشر إنشاءً ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة أو طبيعة قاهرة)^(١) .

وقد ذكر د/ محمد سيد ندا ، نصوصاً كثيرة من الكتاب المقدس تدل على تأصل صفة الكذب في بني إسرائيل .

فجاء في سفر أشعياء : " أنهم شعب متمرّد أولاد كذبة أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب الذين يقولون للرّائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات " ^(٢) .

وفي أرمياء : " لا تتكلموا علىّ كلام الكذب قائلين هيكّل الرب ، هيكّل الرب ، هيكّل الرب ، ... ها إنكم تتكلمون علىّ كلام الكذب الذي لا ينفع " ^(٣) .

ثم يقول : ولقد بلغ هم الأمر في الاتصاف بتلك الصفة الخسيسة إلى حد أن ظهر فيهم أنبياء كثيرون كذبة أو أن كتبة التوراة وصفوا كثيراً من الأنبياء الصادقين بأنهم كذابون ليسيغوا لليهود الكذب كيفما أرادوا مادام أنبياءهم كاذبين ^(٤) . وفيه - أي أرمياء - أيضاً : " حتى متى يوجد في قلب الأنبياء المتنبئين بالكذب بل هم أنبياء خداع قلبهم " ^(٥) .

(١) انظر : خلق المسلم : الشيخ محمد الغزالي ، ص ٣٩ ط دار الدعوة ط/٣ - ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

(٢) الإصحاح : (١٠-٩/٣٠) ويل للأمة المتمردة .

(٣) انظر : الإصحاح : (٨-٤/٧) الديانة الباطلة لا تنفع .

(٤) جنایات بني إسرائيل : ص ٢٢٠ .

(٥) أرمياء : (٢٦-٩/٢٣) أنبياء كذبة .

وتأكيداً لوجود هذه الخصال الذميمة - من كذب وسرقة وغيرها - في التوراة يقول أ/ عبد الله التل :
(الكذب في توراة اليهود من الأمور الشائعة التي يصادفها القارئ في أغلب صفحات العهد القديم البالغة ١٣٥٨ صفحة ، ويأخذ الكذب في التوراة عند اليهود أشكالاً مختلفة ، تصور كلها نفسية اليهود المريضة ، وخيالهم السقيم وعقولهم السخيفة التي تؤمن بالخرافات والسحر والشعوذة وقد امتلأت التوراة بالوعود الكاذبة التي لفقها حاخامات اليهود وحشوا بها توراتهم مثل وعد الله لإبراهيم ^(١) " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات " ^(٢) .

ولقد ذكر د/ عابد الهاشمي ، أن اليهود سوغوا لأنفسهم جواز امتلاك ما ليس لهم بدون وجه حق وبين في كتابه " فلسطين في الميزان " كثيراً من العهود المفتراة على الأنبياء تبيح لهم تملك أرض فلسطين ، وقد فند هذه العهود من خلال النصوص التوراتية ، مؤكداً أنه ليس لليهود حق في فلسطين وأكد نقده بوجهة النظر الإسلامية مدعوماً بالأدلة القرآنية ^(٣) .

ومسن المواضع التي تنص على أن الكذب يدفع بني إسرائيل إلى أن يفعلوا ما يشاءون تلك التي رصدها د/ عابد الهاشمي ، عن الأوامر المفتراة على الرب بالسرقة والكذب فقال :

(فأخبر بنو إسرائيل المصريين أن عندهم عيداً لثلاثة أيام في البرية ، فاستعاروا بأمر الرب أمتعة ذهب وفضة وثياباً ، وسلبوا مقتنياتهم الذهبية والفضية في أكبر سرقة عالمية : " تكلم موسى في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وأعطي الرب نعمة للشعب في عيون المصريين " ^(٤) .

أما سرقة الثياب ففي نص آخر يقول :

" وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى : طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطي الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم . فسلبوا المصريين " ^(٥) .

(١) تكوين : (٢٠-١٨/١٥) عهد الله مع إبراهيم .

(٢) انظر : جذور البلاء أ/ عبد الله التل ص ٦٥-٦٧ .

(٣) انظر : ص ١٣٥-١٥٣ من هذه الدراسة .

(٤) خروج : (٣ ، ٢/١١) وانظر : التربية في التوراة ص ١٢٧ .

(٥) خروج : (٣٦-٣٥/١١) الخروج .

ويعلق د/ بدران ، على هذه السرقة بقوله :

(إن واقعة السرقة ثابتة تاريخيًا ، ولا يستطيع كنية التوراة إنكارها ، برروها وبئس ما برروا ، لقد ألصقوا التهمة في إله بني إسرائيل وقالوا إنه هو الذي أمرهم بذلك . أي إله هذا الذي يأمر من يتبعونه بسرقة شعب ، وأي رسول هذا الذي تكون من مبادئه السرقة ؟) (١) .

ولذلك يؤكد أ/ عبد الله التل ، وجود هذه الخصلة الذميمة في بني إسرائيل قائلاً : (أباحت التوراة الغش والسرقة والطمع ونسبت إلى الأنبياء تحليلهم بهذه الصفات القبيحة التي يستنكرها المجتمع الإنساني حتى الجماعات الممجيبة البدائية التي لم تر نبياً واحداً منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا واستدل بمصوص كثيرة منها : قصة رفقة زوجة إسحاق وأم عيسو ويعقوب تحرض ابنها الأصغر يعقوب على سرقة بركة والده بالغش والبركة من حق الابن الأكبر عيسو (تكوين ٢٧/٥-١٧) وغير ذلك) (٢) .

وفي نهاية هذا الفصل فإن ما سبق يعتبر أمثلة قليلة من كثير ورد في العهد القديم ونماذج تؤكد أن اللاأخلاقية محور ارتكاز تدور عليه النصوص التوراتية .. أضف إلى ذلك ما ذكره أ/ عبد الله التل في كتابه جذور البلاء من لا أخلاقيات العهد القديم (٣) منها ما يلي :

١. الظلم والطغيان : وبين أن التوراة أول كتاب في العالم يبيح قتل الأبرياء وأخذ الأبناء بجريرة الآباء (٤) .

٢. الرق والعبودية : وتحت هذا العنوان ذكر نصوصاً تؤكد أن الشعب المختار في نظرة التوراة سيد وبقية الشعوب عبيد يخدمون السادة اليهود إلى الأبد (٥) .

٣. الغاية تبرر الوسيلة : يواصل أ/ عبد الله التل كشف جذور البلاء في العهد القديم فيقول : أباحت التوراة أن يصل الإنسان إلى غايته بأية وسيلة حتى لو كانت تلك الوسيلة منافية للأخلاق كتقديم إبراهيم التوراتي ساراي امرأته لفرعون ليحصل له الخير بسببها (٦) .

(١) التوراة : د/ بدران ص ٦١ .

(٢) جذور البلاء أ/ عبد الله التل ص ٤٧-٥١ .

(٣) انظر : جذور البلاء أ/ عبد الله التل ص ٤٤ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ باختصار .

(٤) انظر : عدد : (١٨/١٤) تمرد الشعب .

(٥) انظر : تكوين : (٢٧-٢٠/٩) ، (٢٢-١٨/٤٧) يوسف والمخافة .

(٦) انظر : تكوين : (١٦-١٠/١٢) إبراهيم في مصر .

وخلصه الجهود النقدية للعلماء في هذا الموضوع :

اهتم النقاد من علماء المسلمين ، بدراسة السلوك الأخلاقي في العهد القديم ، وقد ركزوا في نقدهم على إبراز الظواهر السلبية والانحرافات التي تحتوى عليها النصوص التوراتية ، واستوعب نقدهم أغلب أسفار العهد القديم ، وكان فارس هذا الميدان ، د/ على خليل ، في كتابه : التعاليم الدينية اليهودية ، فقد استوفى فيه جميع الأسفار بالدراسة النقدية ، موضحاً ما وقع فيها من خلل ، في الأخلاق وعدوان في السلوك .

وبين أنه لا يخلو سفر من أسفار العهد القديم من سلوك لا أخلاقي ومن حادثة عدوان ، يليه في الاستيعاب النقدي للجانب الأخلاقي ، د/ محمد سيد ندا ، فقد بين مدى ما تأثرت به المجتمعات من جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع ، وكذلك جهود الدكتور / عابد توفيق الهاشمي ، ثم يأتي بعد ذلك باقي النقاد .

الباب الثاني

نماذج من نقد متن العهد الجديد

ويشتمل على الفصول التالية :

- ❑ الفصل الأول : جهود علماء المسلمين في نقد العقائد في العهد الجديد .
- ❑ الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في نقد الشرائع والعبادات والأخلاق في العهد الجديد .

الفصل الأول

جهود علماء المسلمين - فترة البحث -

في نقد العقائد في العهد الجديد

ويشتمل على المباحث التالية :

- المبحث الأول : نقض عقيدة تأليه المسيح .
- المبحث الثاني : نقض عقيدة بنوة المسيح لله تعالى .
- المبحث الثالث : نقض عقيدة تأليه روح القدس .
- المبحث الرابع : نقض عقيدة التثليث .
- المبحث الخامس : نقض عقيدة الحلول والاتحاد .
- المبحث السادس : نقض عقيدة الصلب والفداء

* مَهْيَدُ

تبيين فيما سبق أن الله ﷻ أرسل سيدنا عيسى ﷺ إلى بني إسرائيل ليزيل تشددهم ، ويكمل ويتمم لشريعة سيدنا موسى ﷺ ، فاتبعه فريق وخالفه فريق آخر ويا ليت من اتبعه منهم قد التزموا بما أمره الله ﷻ مثلما فعل الحواريون الذين ناصروه واعتدلوا في اعتقادهم به فآمنوا أنه بشر رسول من عند الله ﷻ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (١) .

ومن المؤسف أن الذين ادعوا أنهم نصارى قد انحرفوا في اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى وفي سيدنا عيسى ﷺ وتلوّثت عقائدهم بكثير من العقائد الوثنية متأثرين بعقائد الشعوب التي خالطوها ، من هذه الانحرافات العقائدية أنهم اتخذوا رجال الدين عندهم أرباباً من دون الله فقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

وانحرفوا عن عقيدة التوحيد الخالص الذي جاء به عيسى ﷺ وغيره من الرسل فجعلوا الله ثالث ثلاثة فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٣) .

وقد اشتهر هؤلاء بالثلثة وتنص عقيدتهم على أن عيسى ابن الله وتارة يقولون هو الله ويقولون الله الآب ، والله الابن والله الروح القدس ، وتأصلت فيهم عقيدة التثليث جيلاً بعد جيل إلى الآن ، وغالوا في سيدنا عيسى ﷺ فقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

(١) سورة الصف الآية : (١٤) .

(٢) سورة التوبة الآية : (٣١) .

(٣) سورة المائدة الآية : (٧٣) .

(٤) سورة المائدة الآية : (١٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ غُزِيرَ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١).

وليس ذلك فحسب بل اضطهدوا عيسى عليه السلام وأرادوا قتله كما قتلوا غيره من الأنبياء ، وادعوا كذباً أنهم قتلوه وبعد القتل صلبوه وقد نفى القرآن الكريم ذلك وأبطل مزاعمهم فقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ (٢).

وزعموا أن هذا الصלב يكفر عنهم خطاياهم التي ارتكبوها فهو المخلص والفادي وأن الذنوب لا تُغفر إلا إذا اعترف الخاطئ أمام القسيس وقدم القرابين وصكوك الغفران ، وأصبح للكنيسة سلطان على النصارى لا يجب عليهم مخالفته ومن خرج عليها يرمونه بالهرطقة وغير ذلك من القضايا التي جعلوها أساساً للاعتقاد عندهم بل وضعوا من خلال المجامع المقدسة - في زعمهم - قانوناً يجمع الطوائف المسيحية في صيغة إيمانية واحدة .

ولعلماء المسلمين على مر العصور جهود قيمة في نقد هذه العقائد لاسيما - فترة البحث - ولقد أسسوا نقدهم لتلك العقائد على المعايير التالية :

- ١- بيان استحالة ما يدعون عقلاً .
 - ٢- بطلان ما يدعون من عقائد لوقوع التناقض بينها وبين غيرها من العقائد الصحيحة .
 - ٣- معارضة مزاعمهم الباطلة لنصوص أخرى في الكتاب المقدس .
 - ٤- رد التأويل الفاسد للنصوص إلى التأويل الصحيح بما لا يخالف أصلاً من أصول التوحيد أو يتضمن فساداً في العقيدة .
 - ٥- التسليم الجدلي لما يدعيه النصارى استدراجاً لهم في إبطال دعواهم .
- وفي هذا الفصل يتضح جيداً كيف طبق العلماء هذه المعايير أثناء نقدهم للعقيدة النصرانية على النحو التالي :

(١) سورة التوبة الآية : (٣٠) .

(٢) سورة النساء الآية : (١٥٧) .

المبحث الأول

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد عقيدة تأليه المسيح وإبطائها

لقد غالى النصارى في المسيح عليه السلام فذهبوا فيه مذاهب شتى تتسم بالميل والشطط والانحراف عن الحق والنظرة المعتدلة لشخصيته عليه السلام كبشّر رسول بعثه الله عليه السلام لبني إسرائيل ، وهذه العقيدة الباطلة يتم نقدها من خلال المحاور التالية :

١- مشكلة تأليه المسيح عليه السلام وعرض مقولة النصارى الباطلة .

٢- الأدلة التي يستندون عليها من الكتاب المقدس .

٣- جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في الرد على المقولة الباطلة ونقد الأدلة .

أولاً : مقولة النصارى الباطلة التي تقول بتأليه المسيح عليه السلام :

اختلف النصارى في تأليه المسيح عليه السلام اختلافاً كبيراً مما يدل على الاضطراب والتذبذب الذى يشوب هذه العقيدة ، وبالتالي توضع موضع شك وريبة ، وتعددت آراؤهم في هذه العقيدة ، وقد ذكر د/ سعد الدين صالح ، في كتابه مشكلات العقيدة النصرانية ^(١) أوردتها على النحو التالي :

١- منهم من قال : إن عيسى هو الإله الحقيقي وأنه ظهر فقط في صورة إنسان دون أن تكون له حقيقة جسد الإنسان ، وهو لم يولد بالحقيقة ولا تألم ولا صُلب ؛ بل كان جسده مجرد خيال .

٢- ومنهم من قال : إن المسيح هو إله ، ولكنه دون الإله الأب فهو إله مخلوق قبل الخلق ، كما أن طبيعته تشبه طبيعة الله ، وأن الله أوكل إليه خلق العالم ومن هنا استحق العبادة .

٣- وبعض المعتدلين من النصارى قالوا : إن عيسى ليس إلهاً وإنما هو إنسان كامل أو أعظم إنسان ظهر على وجه الأرض وقد رفض هؤلاء تماماً فكرة تأليه عيسى أو الجمع بين اللاهوت والناسوت في شخصه .

٤- كما ذهب نسطور إلى أن المسيح بين بين ، فلا هو إله كامل ولا هو إنسان كامل ولا يمكن أن يحل الإله في عيسى حلاً حقيقياً فهو ابن مريم ومن غير المعقول أن تكون مريم أمّاً لله ، فאלله مآره عن أن يولد أو يموت .

٥- والرأي السائد بين النصارى يقول : باتحاد اللاهوت الكامل بالناسوت الكامل في شخص المسيح ، فالمسيح في نظرهم ذو طبيعتين تامتين كاملتين ، فهو إله تام وإنسان تام ، اتحد في شخصه الواحد بالتجسد وهم يعتقدون أن المسيح هو الإله الذي خلق السموات والأرض وهو الديان الذى سيحاسب الناس على أعمالهم يوم القيامة .

(١) ص ٩٤-٩٥ .

٣١٤

نقد هذه المقولة ومناقشة الإمام ابن تيميه لها :

ينتقد الإمام ابن تيميه هذه المقولة الباطلة على اختلاف النصارى فيها على أقوال شتى ويبين أن النصارى لم يستطيعوا أن يثبتوا ألوهية المسيح ، وذلك لأن :

١- النصوص التي استدلوها بها نصوص واهية .

٢- ولأن التحليلات العقلية التي يستنتجونها تحليلات فاسدة ومردودة فيقول : (أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلا بهذه الكتب ، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلا بإثبات أن الحوارين رسل الله معصومون ، ولا يمكنكم إثبات أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله ، فصار ذلك دوراً ممتنعاً ، فإنه لا تُعلم ألوهية المسيح إلا بثبوت هذه الكتب ، ولا تثبت هذه الكتب إلا بثبوت أنهم رسل الله ، ولا يثبت ذلك إلا بثبوت أنه الله فصار ثبوت الإلهية متوقفاً على ثبوت ألوهيته ، وثبوت كونهم رسل الله متوقفاً على كونهم رسل الله فصار ذلك دوراً ممتنعاً) ^(١) .

فليس للنصارى دليل قوى على ما يدعون في حق المسيح عليه السلام من تحليلات عقلية ولذلك قال د/ سعد الدين صالح : ومن الغريب أن هذا الإله الخالق العظيم هو هو الطفل المولود من فرج مريم ، وأنه تقدم في نموه العقلي والبدني رويداً رويداً حتى اكتمل نموه ، يقول لوقا في إنجيله : " وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " ^(٢) .

(وهذا يفيد أن عيسى الإله كان ينمو بدنياً وروحياً وعقلياً ، ولا نستطيع أن نعقل كيف حدث هذا ، وحتى إذا سلمنا تسليمًا باطلاً بحلول اللاهوت في الناسوت فلنا أن نسأل : ألم يحل اللاهوت بعقله وروحه حلولاً كاملاً؟ أم حل هو الآخر ناقصاً ثم اكتمل مع نمو عيسى من الطفولة حتى الرجولة) ^(٣) .

وفي مناقشة مطولة تناول فيها شيخ الإسلام الرد على اتحاد اللاهوت والناسوت و**امتناع** ما يدعون عقلاً ، وبُطلان تلك المقولة التي يطلقونها على المسيح عليه السلام ويتضح من خلال تلك المناقشة أن شيخ الإسلام قد برع في استخدام **الأدلة العقلية** في الرد على النصارى في مشكلة تأليه المسيح عليه السلام فيقول رحمه الله :

(فإذا كان جوهرًا واحدًا لزم لذلك أن يكون اللاهوت قد استحال وتغير وكذلك الناسوت فإن الاثنين إذا صارا شيئاً واحداً فذلك الشيء الثالث ليس هو إنساناً محضاً ، ولا إلهاً محضاً ، بل اجتمعت فيه الإنسانية والإلهية) ^(٤) .

(١) الجواب الصحيح : ٣٥٧/١ .

(٢) الإصحاح : (٥٢/٢) الصبي يسوع يكلم في الهيكل ، وانظر، **مشكلات العقيدة النصرانية** ص ٩٥ .

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ٩٥ .

(٤) الجواب الصحيح : ١٣٤/٣ .

٣١٤

٣١٥

ومع أنه قد كان الإنسان والإله اثنين متباينين - وهما في اصطلاحهم - جوهراً ، فإذا صار الجوهراً جوهراً واحداً ، لا جوهرين فقد لزم ضرورة أن يكون هذا الثالث ليس هو إلهاً محضاً ولا إنساناً محضاً ولا جوهراً إنساناً وإلهاً فإن هذين جوهرين لا جوهراً واحداً ، بل شيء ثالث ، اختلط وامتزج واستحال من هذا وهذا ، فتبدلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت حتى صار هذا الجوهراً الثالث الذي ليس لاهوتاً محضاً ولا ناسوتاً محضاً كسائر ما يُعرف من الاتحاد ، فإن كل اثنين اتحدا فصارا جوهراً واحداً ، فلا بد في ذلك من الاستحالة في اتحاد الماء واللبن والخمر ، وسائر ما يختلط بالماء ، بخلاف الماء والزيت ، فإنهما جوهراً كما كانا لكن الزيت لاصق بالماء وطفأ عليه لم يتحد به ... وبالجملية فجميع ما يعرفه الناس عن الاتحاد إذا صار الاثنان واحداً وارتفعت الثنوية ، فلا بد من استحالة الاثنين ^(١) ، وغير ذلك من المحاورات العقلية التي فند فيها شيخ الإسلام هذه المقالة الباطلة .

ثانياً : الأدلة التي يستدل بها النصارى على تأليه المسيح ﷺ :

رصد شيخ الإسلام ، والعلامة رحمة الله الهندي ، د/ سعد الدين صالح ، د/ مريم زامل وغيرهم من العلماء - فترة البحث - أدلة القائلين بألوهية المسيح ﷺ ^(٢) منها ما يلي :

أ. بعض الأدلة من العهد القديم :

١. قول أشعيا : " لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعي اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبدياً رئيس السلام " ^(٣) .

٢. وفيه أيضاً : " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل " ^(٤) ومعني كلمة عمانوئيل " الله معنا " أو إلهنا معنا ^(٥) .

٣. وفي ميخا وهو يخاطب بيت لحم : " يخرج الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القدم الأزل " ^(٦) ، وغير ذلك من النصوص التي وردت في العهد القديم وتقرر ألوهية المسيح ﷺ - كما يدعون - .

(١) الجواب الصحيح : ١٣٥/٣ ، ولمزيد من التفصيل يراجع : ١٣٦/٣-١٤٦ ،

(٢) المرجع السابق : ١٢٣/٢ ، وإظهار الحق : ٣٥٣-٣٥٥ ، ومشكلات العقيدة النصرانية : ص ٩٦ .

(٣) الإصحاح : (٦/٩) ولد لنا ولد .

(٤) أشعيا : (١٤/٧) آية عمانوئيل .

(٥) قاموس الكتاب المقدس : ص ٦٣٩ .

(٦) الإصحاح : (٢/٥) الوعد بملك من بيت لحم .

ب. بعض الأدلة من العهد الجديد :

١. قول يوحنا : " الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن " (١) .
 ٢. وقوله أيضاً : " والآن مجدي أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم " (٢) .
 ٣. وجاء أيضاً : " يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد " (٣) .
- وغير ذلك من النصوص التي وردت في العهد الجديد وتقرر ألوهية المسيح - كما يدعون - .

ثانياً : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد أدلة القائلين بتأليه المسيح :

تنوعت الرؤى النقدية لعلمائنا الأجلاء - فترة البحث - حول دعوى تأليه المسيح ﷺ فمنهم من نقدها نقداً إجمالياً ، ومنهم من فصل القول فيها محلاً لتلك النصوص التي استدلت بها النصارى على دعواهم الباطلة - تحليلاً يتفق مع طبيعتها كنصوص مقدسة - في زعمهم - .

وكان اعتمادهم الأساسي في نقد هذه العقيدة الباطلة على الأدلة العقلية والمحاورات المنطقية ، وفيما يلي بيان لتلك الرؤى من خلال دراسة جهود العلماء حول تأليه المسيح ﷺ :

١- أجمع علماء المسلمين على رد النصوص التي استدلت بها النصارى على ألوهية المسيح ﷺ لأنها نصوص محرفة ، ولم يُعرف من كتبها بعد وبالتالي لا يصح الاستدلال بها ، ولذلك عندما ناقش د/ سعد الدين صالح هذه الأدلة فندها على مرحلتين :

المرحلة الأولى : الرفض الكامل لهذه النصوص التي لا يقبلها عقل ولا منطق وذلك :

- أ. لأنه يستحيل على نبي من الأنبياء أن يكذب على الله ويدعو الناس إلى عبادته بدلاً من عبادة الله الخالق .
 - ب. لورود معظم هذه الأدلة عن يوحنا تلميذ بولس الأفاك الذي حرّف العقيدة النصرانية .
 - ج. لأن هناك نصوصاً أخرى تنص على أن سيدنا عيسى ﷺ لم يدع الألوهية وإنما ادعى النبوة وحسب ..
- منها : " لا تسبوا أباكم على الأرض فإن أباكم الذي في السماء وحده ولا تدعو معلمين فإن معلمكم المسيح وحده " (٤) . وفي هذا من التناقض ما فيه فكيف يقولون إنه إله في نصوص وأنه لا يعترف لله بالوحدانية في نصوص أخرى .

(١) الإصحاح : (٥٧/٨) يسوع وإبراهيم .

(٢) يوحنا : (٥/١٧ ، ٢٤) صلاة يسوع .

(٣) رسالة بولس إلى العبرانيين : (٨/١٣) وصايا ختامية .

(٤) انظر : متى : (١٠-٩/٢٣) التحذير من الكتبة والفريسيين .

المرحلة الثانية :

التسليم الجدلي بصحة ما استدلوا به من نصوص مجارة للخصم ولكن هذه الأدلة لا تدل على أن سيدنا عيسى عليه السلام إله عند تفسيرها تفسيراً يتناسب مع طبيعتها كوحي سماوي مقدس - كما يدعون - ^(١) .

٢- التناقض والتعارض بين نصوص الأناجيل في هذه القضية : فإن كانت هناك أدلة يحتج بها النصارى على ألوهية المسيح - كما يدعون - فإن هناك نصوصاً أخرى من الأناجيل تثبت أن المسيح عليه السلام ما هو إلا بشر رسول أرسله الله ﷻ إلى بني إسرائيل ويعتره ما يعترى البشر ويحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر .

ولذلك يقول د/ عبد العظيم المطعني ، وهو يبين موقف الأناجيل من دعوى تأليه المسيح ^(٢) : لقد ورد في الأناجيل نصوص كثيرة تدل على أن عيسى إنسان في مواضع متعددة منها :
أ . " لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم ... ولكن لتعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا " ^(٣) .

ب . " جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون : هو ذا إنسان أكل شريب خمر " ^(٤) .

ج . " منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله " ^(٥) .

د . " ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله " ^(٦) .

ويقول أيضاً : تعددت النصوص التي تصف المسيح عليه السلام بأنه نبي مرسل من هذه النصوص ما يلي :

١ - " من قبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ " ^(٧) .

٢ - " ومن قبلني فليس يقبلني أنا ؛ بل الذي أرسلني " ^(٨) .

٣ - " إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم " ^(٩) .

(١) انظر : مشكلات العقيدة النصرانية : ص ٩٩-١٠٢ .

(٢) انظر : الإسلام في مواجهة الاستشراق : د/ المطعني ، ص ٣٩٩ .

(٣) متي : (٦-٢/٩) شفاء مشلول .

(٤) متي : (١٦/١١) يسوع ويوحنا المعمدان .

(٥) لوقا : (٦٩/٢٢) استهزاء الحراس .

(٦) يوحنا : (٤٠/٨) أبناء إبراهيم .

(٧) متي : (٤٠/١٠) إرسال الاثني عشر .

(٨) مرقس : (٣٧/٩) من هو الأعظم ؟ .

(٩) يوحنا : (١٤/٦) إشباع الخمسة آلاف رجل .

ثم وقف د/ المطعني مع هذه النصوص وقفة نقدية فاحصة قال فيها : إن المفاد الوحيد الذي تشير إليه النصوص المتقدمة ينحصر في هذين الوصفين :

١- المسيح إنسان .

٢- المسيح نبي مرسل .

ولا نزاع في هذين الوصفين ؛ بل هما المعتقد الصحيح في عيسى عليه السلام وهما يفيدان قطعاً أن المسيح ليس إلهاً ، إذ لو كان إلهاً فلن يكون إنساناً ولا ابن إنسان ، ولو كان إلهاً فلن يكون نبياً ولن يكون رسولاً وهاهو يقول : " الذى أرسلنى " فمن هو الذى أرسله ؟ " هو الله " وهل الله يرسل " الله " مثله ... ثم قرر في نهاية بيانه هذا : أن الأناجيل خلت من أي كلمة تُشير إلى أنه قال عن نفسه إنه إله ^(١) .

وقد خصص أبو الفضل المالكي المسعودي في كتابه باباً في إثبات نبوته ورسالته بما أظهر من معجزاته ، وقال إن اليهود والنصارى ارتكبوا في شأنه تناقضاً واضحاً وكانوا فيه على طرفي نقيض ، فاليهود رموه بالكذب والسحر واستخدام الشياطين في تحقيق أغراضه ، والنصارى لم يعترفوا به نبياً ؛ بل قالوا بألوهيته وبنوته لله وأنه خلق العالم وغير ذلك من مخالفات وأباطيل .

وقد سار الشيخ رحمه الله في إثبات نبوة سيدنا عيسى عليه السلام ورسالته وفي نقده لعقائد النصارى على ما يلي :

١- الالتزام بالمنهج العلمي في الرد على النصارى ونقد عقائدهم وإبطال مزاعمهم .

٢- يغلب على نقده المنهج التحليلي للنصوص لبيان ما تهدف إليه في ضوء ما تحتمله ألفاظها دون مغالاة أو شطط .

٣- طرح الافتراضات الجدلية استدراجاً للخصم فيما يدعي ثم التدرج به إلى التسليم والاعتراف بالخطأ ، وبالتالي إبطال ما يدعو إليه .

٤- يستدل على نقده للقضايا المختلفة بمعنى النص دون أن يذكر النص نفسه ، وقد قام الأستاذ الدكتور / بكر زكي عوض بذكر هذه النصوص في الهامش مما يدل على تمكن فضيلته من معرفة ما تهدف إليه هذه المعاني من نصوص ، فله جهد طيب في تحقيق هذا الكتاب .

هذا : وقد ساق الشيخ المسعودي جملة أدلة تؤكد نبوة سيدنا عيسى عليه السلام ورسالته منها : " من قبلكم وآواكم فقد قبلني وآواني ومن قبلني فإنما يقبل من أرسلني " ^(٢) .

(١) انظر : الإسلام : د/ المطعني ، ص ٤٠٣ .

(٢) انظر يوحنا : (١٠/٤٠-٤٢) إرسال الاثني عشر .

وقال حول هذا الدليل الذي ورد في يوحنا : فهذا يوحنا حبيب المسيح يشهد أن المسيح لم يدع سوى الرسالة وأن من يقبل منه فإنما يقبل من الله الذي أرسله ويذكر أن الله غيره وأن الرب سواه وأنه رسول من عند الله ^(١) . بل إن الأناجيل تصرح بأن عيسى وهو يُقاد إلى خشبة الصليب كان يدعو ويقول : إلهي إلهي لماذا تركني ^(٢) ، فكيف يكون إلهًا وله إله آخر ؟ ^(٣) .

ومما يؤكد بشرية سيدنا عيسى عليه السلام أن الصورة التي رسمتها له الأناجيل ليست إلا صورة إنسان لا تتوفر فيه صفات الألوهية فالله عليم خبير لا يخفي عليه شيء والمسيح ليس كذلك (متي ٢٤/٣٦) ، ومرقس (١٣/٣٢) والله معبود وسميع الدعاء والمسيح عابد يدعو الله (متي ١١/٢٥) والله حي لا يموت والإنجيل ينص على أن المسيح ظل ميتًا ثلاثة أيام (متي ١٧/٢٣) والله لا تدركه الأبصار والمسيح كانت تدركه الأبصار وظل محدودًا في رحم أمه فترة حملها به والله لا ينام والمسيح ينام (لوقا ٨/٢٣-٢٤) والله قادر والمسيح غير قادر (يوحنا ٥/٣٠) وغير ذلك من الأوصاف وثبت من خلالها أن المسيح لم يدع الألوهية أو البنوة لله تعالى ^(٤) .

٣- رد التفسير الخاطئ للنصوص التي استدلت بها النصارى وحملوها على حقيقتها والتزموا بالتطبيق الحرفي لها . فقام علماءنا الأجلاء بتوجيه النظر إلى أن المقصود من هذه النصوص المعنى المجازي وليس المعنى الحقيقي لها ، مع عرض هذه الدعوى وتلك المقولات الباطلة على العقل . فمثلاً يقول النصارى : إن " عيسى " إله ويروجون لهذه المقولة بأمرين لا ثالث لهما :

الأول : ولادته من أم من غير أب .

الثاني : قيامه بمعجزات لم تُعرف لغيره ^(٥) .

(١) المنتخب للجيل : ص ١٩٠ .

(٢) متي : (٢٧/٤٦) الموت .

(٣) الإسلام في مواجهة الاستشراق : ص ٤٠٣ .

(٤) انظر : تاريخ الإنجيل والكنيسة : أ/ أحمد إدريس ، ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف يسير .

(٥) انظر : الإسلام : د/ المطعني ، ص ٣٧٦ .

مناقشة العلماء للأمر الأول : ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير أب :

ينتقد العلامة رحمة الله الهندي قولهم بولادته من غير أب بقوله :

إن استدلال النصارى بولادة عيسى عليه السلام بلا أب هو استدلال ضعيف جدًا ؛ لأن العالم حادث بأسره ، وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة - على زعمهم - وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد ، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم ، فكل هذا يشارك المسيح في كونه مخلوقًا بلا أب ، ويفوق عليه في كونه بلا أم ... آدم عليه السلام يفوق عليه وكذلك " ملكي صادق الكاهن " - ملك أورشليم - الذي هو معاصر لإبراهيم عليه السلام ففي الرسالة العبرانية : " بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة " (١) فيفوق المسيح في كونه بلا أب وفي كونه لا بداية له (٢) .

وقد فند شيخ الإسلام مقولة تأليه المسيح عليه السلام بسبب ولادته من غير أب بالأدلة العقلية والنقلية من وجوه كثيرة منها :

أن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) . كلام حق فإنه سبحانه وتعالى خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، ... وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ... ، فلهذا شبهه الله بخلق آدم ، الذي هو أعجب من خلق المسيح ، فإذا كان سبحانه قادرًا أن يخلقه من تراب ، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان ، وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه ، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون ، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتًا ولا ناسوتًا ؛ بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت (٤) .

(١) الرسالة إلى العبرانيين : (٣/٧) .

(٢) انظر : إظهار الحق : ٣٥٧/٢ ، ٣٥٨ ، بتصرف بالحذف .

(٣) سورة آل عمران الآية : (٥٩) .

(٤) الجواب الصحيح : ٣٤٠/٢ - ٣٤١ ، بتصرف بالحذف ، الجواب الفسح : ٢٣٢/١ .

ويؤكد د/ المطعني ، على ما ذهب إليه شيخ الإسلام من تحليل عقلي منطقي في رده على تأليه النصارى لسيدنا عيسى عليه السلام فيقول ردًا على النصارى في استدلالهم :

أنتم متفقون معنا بأن آدم أبأ البشر عليه السلام قد خلقه الله من " تراب " من غير أب ولا أم بيولوجيين فهو إذن أحق أن يكون إلهًا ... وتقررون معنا بأن حواء " أم البشر " خلقها الله من آدم ، ولا أم لها باتفاق ، هذا إذا اعتبرنا آدم جدلاً - أباً لحواء - ، مع رفض هذا الفهم عقيدة وواقعاً . حواء مخلوقة من ذكر بلا أنثى مع أن طبيعة " التولد " تكون من ذكر وأنثى ، وأنتم حين تخلف عنصر " الذكورة " في خلق عيسى اعتبرتم ذلك " التخلق " دليل التأليه ، فعليه يلزمكم حسب مقاييسكم أن تمنحوا حواء درجة الألوهية ، ولكنكم مع هذا لم تقولوا بألوهية آدم ولا بألوهية حواء وهذا دليل بطلان قولكم وكل مولود من غير أب فهو إله وما دامت المقدمة باطلة عقلاً وواقعاً لزم على بطلانها بطلان النتيجة ، فعيسى إذن غير إله ^(١).

مناقشة العلماء للأمر الثاني : وهو قيامه بمعجزات لم تُعرف لغيره :

هناك جهود قيمة في إبطال ما يدعيه النصارى من أن المسيح عليه السلام قام بمعجزات لم تُعرف لغيره ، ويستدلون بها على ألوهيته ، يبرز في مقدمة هذه الجهود ما قام به العلامة رحمة الله الهندي وتبعه في ذلك صاحب كتاب الجوهر الفريد وكذلك د/ المطعني . وبينوا أن عيسى عليه السلام لم يكن وحده الذي تحققت على يديه المعجزات ؛ بل غيره من الرسل أيضاً أيدهم الله بمعجزات كثيرة .

فيقول العلامة رحمة الله الهندي : الاستدلال بمعجزاته على ألوهيته ، استدلال ضعيف ؛ لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى مع قطع النظر عن ثبوته وعن أنه يفهم عن هذا الإنجيل المتعارف تكذيبه وأن عيسى عليه السلام بحسب هذا الإنجيل ما أحيأ إلى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص ، وأحيأ حزقيال ألوفاً كما هو مصرح به في الإصحاح ٣٧ من سفره ، فهو أولى بأن يكون إلهًا ، وأحيأ إيلياء ميتاً كما هو مصرح به في الإصحاح ١٧ من سفر الملوك الأول وأحيأ اليسع أيضاً ميتاً كما هو مصرح به في سفر الملوك الثاني ... وغير ذلك من معجزات أجراها الله على يد أنبيائه ورسله ^(٢) . واعتراف المسيح عليه السلام بعدم اقتداره على فعل الشيء من نفسه إلا ما علمه الله وأن كل شيء دُفع له من الله وأن الأعمال التي أعطها الله إياها هي بعينها التي عملها لتشهد له بأن الله أرسله ^(٣) .

(١) الإسلام : د/ المطعني ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٢) انظر : إظهار الحق : ٣٥٨/٢ ، المنتخب الجليل : المسعودي ، ص ٢٠١ - ٢٠٥ ، الإسلام : د/ المطعني ، ص ٣٨٦ .

(٣) انظر : الجوهر الفريد ، ص ٩٢ .

وقد رصد م/ الطهطاوى ، الأسباب التى أدت إلى ظهور هذه العقيدة ومتى ظهرت ، والأدلة التى استند عليها النصارى ثم ناقشها مناقشة عقلية متبعاً فى ذلك تحليل النصوص تحليلاً منطقياً يتفق مع العقل والمنطق ورد دعواهم وأبطلها بالأدلة من الأناجيل المختلفة .

وبين أن هذه الأناجيل تحمل بين طيات نصوصها عوامل هدم ما تحمله من أفكار باطلة فيقول :
١- إن ما ورد فى الأناجيل من نصوص يدعون أنها تشير إلى ألوهية المسيح ، لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير وهو اعتبار المسيح إلهاً ، وبخاصة إذا اتضح أن هذه الأناجيل من صنع متى ويوحنا أو من صنع الأجيال المتعاقبة ، ونسبت إليهم ؛ لأن الصلة بين إنجيل عيسى المسيح ^(١) وهذه الأناجيل مقطوعة ، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نُسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً ^(٢) .

٢- أن كلمة ابن الله أو قول " هذا ابني الحبيب " لو صح هذا أو ذاك لما كان دليلاً قط على ألوهية المسيح ، فإنه استعمال مجازى معناه التكريم والطاعة ونظيره إطلاق الأناجيل على العصاة أنهم أبناء الشيطان مع أنهم أبناء آدم والغرض من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء ^(٣) وغير ذلك من الأدلة التى ساقها م/ الطهطاوى وتبين خطأ استناد النصارى عليها فى تأليه المسيح .

وأما عن إسهامات صاحب الفارق فى إبطال ألوهية المسيح يقول : إن تعميد يوحنا المعمدان - ابن زكريا - للمسيح يناقض زعمهم بأنه إله وحكاية مجيء المسيح إلى يوحنا المعمدان تقول : " حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتى إليّ ، فأجاب يسوع وقال له : " اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر " حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه ، وصوت من السموات قائلاً : " هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت " ^(٤) .

(١) النصرانية والإسلام م/ الطهطاوي ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ . ولمزيد من التفصيل تراجع ص ٤١ - ٤٣ .

(٣) متى : (١٣/٣) معمودية يسوع المسيح ، انظر : (قاموس الكتاب المقدس ، ص ١١٠٦) .

ويعلق صاحب الفارق على هذا النص منتقداً ما يشتمل عليه فيقول : (إن المسيح بشر مخلوق لله تعالى ، وأنه قبل أن يأتي إلى يوحنا المعمدان لم يكن الوحي يتزل عليه ، وأن أول ما نزل عليه الوحي بواسطة روح الله جبريل ؛ لأن الله تعالى سماه بذلك كما تشهد به كتبهم وأول ما بلغه عن الله تعالى أنه هو الابن الحبيب الذي به كان سرور الله تعالى ولكن أبي هذا المترجم إلا أن يدلّس في كل ما يكتبه حيث أسند الكلام إلى غير جبريل عليه السلام^(١) .

أمّا عن الرؤية النقدية للدكتور / السقا ، حول عقيدة تأليه المسيح عليه السلام فإنه قد اتبع فيها المنهج التحليلي للنصوص حيث قام برد التفسير الخاطئ الذي يفسره النصارى لنصوص الأناجيل ، وفسرها تفسيراً صحيحاً يتفق وطبيعة المسيح عليه السلام وأذكر هنا بعض النماذج توضح ما قام به من جهد في إبطال ألوهية المسيح . حيث يعرض مقولة النصارى ثم يعقب عليها بالرد وبيان بطلانها .

١- مما يدل على أن المسيح في الأزل مع الأب قوله : " والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم " ^(٢) .

الرد : لو كان المسيح في الأزل مع الأب للزم عليه أن يكون هو إلهاً مستقلاً عن الإله الأب ، وهذا لا يقول به الأرثوذكس الذين يقولون إن عيسى هو الله نفسه ، وهذا التعبير كناية عن أن الله قدر وجود عيسى عليه السلام في الأزل كما يقدر وجود أي إنسان ^(٣) .

٢- مما يدل على أن المسيح كان في السماء ونزل إلى الأرض قوله لليهود : " أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق ، أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم " ^(٤) .

الرد : معني الكلام أنتم تعيشون في اللذات الجسدية ، أما أنا فأعيش في عالم الروح ، أنتم في عالم الأرض تريدون أن تعيشوا أما أنا ففي عالم السماء مقصودى وقد قال المسيح هذا القول بالنسبة لجميع تلاميذه : " لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن أنكم لستم من العالم ؛ بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم " ^(٥) . لقد سوى بينه وبين تلاميذه في عدم الكون من هذا العالم ؛ فلو كان هذا مستلزماً للألوهية للزم أن يكونوا كلهم آلهة ^(٦) .

(١) الفارق بين المخلوق والخالق : ص ٥٥ .

(٢) يوحنا : (١٧/٥ ، ٢٤) .

(٣) أقانيم النصارى : د/ أحمد حجازي السقا ، ص ١١٤ ط/ دار الأنصار القاهرة / ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٤) يوحنا : (٨/٢٣) أنا هو نور العالم .

(٥) يوحنا : (١٥/١٩) .

(٦) أقانيم النصارى : ص ١١٥ .

٣- يقولون : إن عيسى إله ؛ لأنه كان معصوماً من الخطأ بدليل قوله لليهود : " من منكم يكتنى على خطية " (١) .

الرد : لو كانت العصمة من الخطية سبباً في أن يكون الإنسان إلهاً لكان جميع الرهبان والراهبات عند النصارى آلهة ؛ لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ ولكان جميع الباباوات خلفاء بطرس وبولس ومقرس آلهة ؛ لأنهم يدعون عصمتهم من الخطايا أيضاً ، وقد شهد الكتاب المقدس لبعض الأنبياء بالبر والصلاح فلماذا لم يجعلوهم آلهة ؟ (٢) . وغير ذلك من الأدلة التي فسرها النصارى تفسيراً خاطئاً ، ورد عليهم د/ السقا ، ونقدها وفسرنا تفسيراً صحيحاً يتفق مع العقل .

إضافة إلى ما سبق فإن أظهر شيء وقف عليه النقاد المسلمون - فترة البحث - أن المسيح عليه السلام لم يدع الألوهية ولكنه دعا إلى التوحيد وهذا يبطل مزاعمهم في حق المسيح عليه السلام . وأكد ذلك أ/ إبراهيم خليل أحمد ، في كتابه فقال : " في إنجيل لوقا سأله رئيس قائلاً : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله " (٣) .

لقد حرص المسيح على أن ينفي عن نفسه صفة الصلاح ويردها إلى الله وحده فكيف يُقال بعد ذلك أن المسيح إله أو ابن إله ؟ بل أكثر من هذا نجد في إنجيل مرقس " فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله : أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد " (٤) فلم يدع المسيح أنه إله يُعبد لكن موقفه أمام الله كموقف كل بني إسرائيل ولقد نادى المسيح عليه السلام بالتوحيد صراحة ، فجاء في إنجيل يوحنا : " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (٥) وغير ذلك من الأدلة التي ساقها أ/ إبراهيم خليل ، وتدل صراحة على عبودية المسيح لله رب العالمين ودعوته للتوحيد الخالص وأيده في ذلك جميع علمائنا الأجلاء في تناولهم لمناقشة ألوهية المسيح (٦) .

(١) يوحنا : (٤٦/٨) أبناء إبليس .

(٢) أقانيم النصارى : ص ١١٥ .

(٣) الإصحاح : (١٩-١٨/١٨) الشاب الغني .

(٤) الإصحاح : (٢٩-٢٨/١٢) الوصية العظمى .

(٥) الإصحاح : (٣/١٧) .

(٦) يُراجع : مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمجموعة من علماء المسلمين والنصرانية ، مقال أ/ إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٩٣ ، نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية د/ محمد توفيق صدق ، ص ١٧٢ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ١٢٢ ، والجواب الفسيح للألوسي ، ١٩٦/١ ، الجوهر الفريد : ص ١١٨ .

وخلاصة ما وقف عليه العلماء في إبطال ألوهية المسيح عليه السلام أوجزه فيما يلي :

١. أن المسيح عليه السلام بشر مخلوق يجرى عليه ما يجرى على سائر البشر من الأكل والشرب والنوم والراحة والتعب وغير ذلك .

٢. أنه عليه السلام لم يدع الألوهية ؛ بل اعترف بالعبودية لله تعالى ودعا إلى التوحيد الخالص لرب العالمين لا شريك له .

٣. بُطلان ما استدل به النصارى على هذه العقيدة من نصوص لم تصح نسبتها إلى المسيح عليه السلام بل لم تصح نسبتها إلى أصحابها الذين كتبوها بعد المسيح - كما يدعون - .

٤. ولادته عليه السلام من غير أب معجزة ولكنها لا تكون سبباً في تأليهه ؛ لأن آدم عليه السلام ولد من غير أب ولا أم ومع ذلك لم يقولوا بألوهيته .

٥. اعتراف المسيح عليه السلام بأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ولكن الله سبحانه هو الفاعل الحقيقي فهو يقول للشيء " كن فيكون " .

٦. وقد نفى الله عز وجل مزاعمهم وأبطالها ، فأنطق الله عز وجل سيدنا عيسى عليه السلام عندما افتروا على أمه مريم عليها السلام وتكلموا عليها ، وقد صور القرآن الكريم ذلك فقال تعالى على لسان سيدنا عيسى : " قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً " (١) ، فهذا دليل العبودية الكاملة لله رب العالمين ، وأنه نبي من أنبياء الله عز وجل ، ولقد أخبر الله سبحانه بكفر هؤلاء الذين يتخذون سيدنا عيسى عليه السلام إلهاً فقال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " (٢) .

(١) سورة مريم ، الآية : (٣٠) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : (٧٢) .

المبحث الثاني

جهود علماء المسلمين في نقد عقيدة البنوة " بنوة المسيح لله تعالى "

يكاد يتفق معظم النقاد من علماء المسلمين - فترة البحث - في طريقة نقدهم لهذه العقيدة وغيرها من العقائد . بعرض مقولة النصارى في المسيح ﷺ كالبنوة أو التأليه ثم يذكرون النصوص التي يستندون عليها في تأييد مقولتهم الباطلة والتي أولوها تأويلاً فاسداً أو حملوها ما لا تحتمل ، مع أن الأمر بخلاف ذلك ثم يتناولونها بالمناقشة والتحليل على النحو التالي :

- ١- عرض مقولة النصارى الباطلة في سيدنا عيسى ﷺ من البنوة لله تعالى .
- ٢- الأدلة التي يستند عليها النصارى في هذه العقيدة من الكتاب المقدس .
- ٣- جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في الرد على هذه المقولة ونقد الأدلة .

أولاً : مقولة النصارى الباطلة في سيدنا عيسى ﷺ (بنوة عيسى ﷺ لله تعالى) :

يرصد د/ سعد الدين صالح ، د/ مريم زامل ، ما يدعيه النصارى على سيدنا عيسى ﷺ من البنوة لله تعالى فيقول د/ سعد الدين صالح : يدعى النصارى أن عيسى النبي هو ابن الله الوحيد ... ويقولون إن ولادته من عذراء لم تعرف رجلاً على الإطلاق دليل على أن له وجوداً ذاتياً قبل ولادته منها ، ودليل على أن له حياة ذاتية تجعله في غنى عن بذرة حياة من رجل آخر ، وإنما استمدّها من الله نفسه إذاً فهو أبوه (١) .

ويقول أيضاً : ويزيد النصارى من هذا الدليل توضيحاً فيقولون : (إن عملية الولادة البشرية تتم عن طريق الرجل والمرأة ، فالرجل يعطي الروح لابنه في صورة الحيوان المنوي والمرأة تعطي الجسد لابنها ، إذ أنها بعد أن تأخذ الحيوان المنوي من الرجل عن طريق الرحم ، تبدأ في بناء الجسد من حوله ، وفي حالة سيدنا عيسى - ﷺ - يقررون أن التي أعطت الجسد هي مريم فهي أمه ولكن الذي أعطاه الروح هو الله فيكون أبوه ويكون عيسى ابنه (٢) .

(١) مشكلات العقيدة النصرانية : د/ سعد الدين صالح ، ص ٧٩ بتصرف بالحذف .

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ٧٩ ، ٨٠ .

وتقول د/ مريم زامل في كتابها : إن عقيدة البنوة تقررت في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م وقد تبنت الطوائف المسيحية من - ملكانية ^(١) ونساطرة ^(٢) ويعاقبة ^(٣) - هذه العقيدة ، واستمرت الطوائف الحديثة - الأرثوذكس والبروتستانت والكاثوليك على نفس العقيدة ^(٤) .

ثانياً : الأدلة التي يستند عليها النصارى من الكتاب المقدس :

إن ما أطلقه النصارى على المسيح ^{الصلبي} من مقولات باطلة له مرجعيته الدينية عندهم فلم يكن ادعائهم جزافاً بدون دليل ولكنهم يستندون في تدعيم باطلهم بنصوص من الأناجيل والرسائل الأخرى في العهد الجديد .

- وقد رصدت د/ مريم زامل بعض النصوص التي يستدل بها النصارى ^(٥) من هذه النصوص ما يلي :
- ١- " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " ^(٦) .
 - ٢- حكى " مرقس " في إنجيله قصة الرجل الهارب الذي به روح نجسة فقال عنه إنه حين " رأى يسوع من بعيد ركض ، وسجد له وصرخ بصوت عظيم وقال : " مالي ومالك يا يسوع ابن الله " ^(٧) .
 - ٣- قول الملاك جبرائيل لمريم : " وهأنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً ، وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كزسي داود أبيه " ^(٨) .
 - ٤- وقوله لها كذلك : " الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك ، فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله " ^(٩) .

فهذه الأدلة تدو حول معنى تولد الابن من الأب - كما يزعمون - .

(١) نسبة إلى دين ملوك الرومان يقولون بإله مستقل عن الإله الخالق هو الذي تجسد في شكل إنسان هو يسوع المسيح (انظر : هداية الحيارى ص ٣١٠) .

(٢) ذهبوا إلى أن المسيح شخصان وطبيعتان - هما مشيئة واحدة - وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة (انظر : هداية الحيارى ص ٣١٠) .

(٣) أتباع يعقوب البرادعي يقولون : إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت ثم تركبنا فصار إنساناً واحداً وجوهر أ واحداً وشخصاً واحداً هو المسيح (انظر : هداية الحيارى ص ٣٠٨) .

(٤) انظر : موقف ابن تيمية من النصرانية : ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ط جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ ، وقد سبق تعريف هذه الطوائف في ص ٤٨ من هذه الدراسة .

(٥) انظر : موقف ابن تيمية من النصرانية ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٦) متى : (١٦/٣ ، ١٧) معمودية يسوع المسيح .

(٧) الإصحاح : (٥/٧ - ٦/٧) شفاء إنسان به روح نجس .

(٨) لوقا : (٣١/١ - ٣٢) البشارة بميلاد يسوع .

(٩) لوقا : (١/٣٥) السابق .

ثالثاً : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد الأدلة التي استدلت بها النصارى على هذا الادعاء الباطل ومناقشتها :

قام علماء المسلمين - فترة البحث - بالتصدي لهذه العقيدة الباطلة ووجهوا سهام نقدهم لتلك النصوص التي يعتمد عليها النصارى في تأييد دعواهم التي تقول ببنوة عيسى عليه السلام لله تعالى :

فالدكتور/ سعد الدين صالح ، ناقش هذه العقيدة مناقشة موضوعية فقال : إن نصوص الإنجيل التي أفادت ببنوة عيسى عليه السلام لله تعالى ، نصوص غير صحيحة ، ونجل عيسى عليه السلام أن يقولها إطلاقاً ، لأنها لا تتفق مع العقل وقوانينه ، ولا مع الهدف العام للرسالات الذي هو إثبات وحدانية الإله وتزويده عن كل نقص ، ولكن هذه النصوص تستلزم الشرك بالله وإلحاق ما لا يليق به من الزوجة والولد وما يلزمهما من نقص وعجز وصفات لا تليق بذات الله ، ومن هنا رفض القرآن الكريم هذه العقيدة الزائفة وأشار إلى ما يلزم عليها من النقص والعجز فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ . بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(١) ﴾ (٢) .

(وهكذا يشير القرآن الكريم إلى أن ادعاء البنوة لله هو قول بلا علم يتزعمه المولى سبحانه وتعالى عنه ؛ لأن الولد لا يطلبه إلا المحتاج والله سبحانه وتعالى هو الذي أبدع كل ما في السموات والأرض ، والولد لا يكون إلا من زوجة ، والله كيف تكون له زوجة ؟ وكيف يكون له ولد وهو خالق كل شيء والعليم بكل شيء .. إذا فادعاء الولد لله نقص في ذات الله وهو مزمه عن النقص) ^(٣) .

ويقول أ/ أحمد إدريس : قد استخدمت التوراة والإنجيل لفظ ابن الله في حق كثير من الأنبياء وغيرهم ، فآدم ابن الله (لوقا ٣/٣٨) وشيث ابن الله وإسرائيل ابن الله (خروج ٢/٤) وإبراهيم ابن الله وداود ابن الله الأكبر والقاضي والمفتي أيضاً ابن الله (مزامير ٦/٨٢) وجميع المسيحيين أبناء الله (يوحنا ٩/٣) وجميع بني إسرائيل أبناء الله وكل اليتامى أبناء الله (مزامير ٥/٦٨) وجميع العامة والخاصة أبناء الله (متي ١١/٧) ^(٤) .

(١) سورة الأنعام الآيتان : (١٠٠ ، ١٠١) .

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ٨٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٨١ .

(٤) تاريخ الإنجيل والكنيسة : أ/ أحمد إدريس ، ص ٣٥ ، مشكلات العقيدة النصرانية : ص ٨٢ ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث : ص ٢٣١ ، المسيح في الإسلام ، ومحاوره مع قسيس حول ألوهية المسيح : أ/ أحمد ديدات ، ص ٦٠ ، طبعة دار الفضيلة ، ١٩٨٨ م .

المفهوم الحقيقي للبنوة :

وفي بيان معنى البنوة اعتمد د/ سعد الدين صالح في نقده لهذه الدعوى على أمرين :

الأول : استحالة ما يدعيه النصارى عقلاً .

الثاني : حمل معنى البنوة على المعنى المجازي .

لعلماء المسلمين جهود قيمة في بيان المفهوم الحقيقي للبنوة وجميع من تناول هذه القضية وجه نقده إلى هدم ما يدعيه النصارى من حمل الألفاظ الواردة في التوراة والإنجيل في هذه القضية على حقيقتها وأنها تتعارض مع العقل فلا يقبلها بحال من الأحوال لأنها مستحيلة في حق الله تعالى من هؤلاء العلامة رحمة الله الهندي والألوسي ، ود/ سعد الدين صالح و د/ مريم زامل ، فالعلامة رحمة الله الهندي في نقده لهذا المفهوم يضعف حمل اللفظ على المعنى الحقيقي ويرده فيقول :

إن إطلاق لفظ ابن الله على المسيح في غاية الضعف ؛ لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان ... ؛ لأنه لا يصح أن يكون لفظ " ابن " بمعناه الحقيقي ؛ لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين ، وهذا محال في هذا المقام ، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح ^(١) .

ولذلك يقول أ/ أحمد ديدات : إن البنوة لله لفظ مجازي يستخدم على سبيل الاستعارة ، ولفظنا ابن الله ، كانتا شائعتين في الاستخدام لدى اليهود ^(٢) .

والدكتور سعد الدين صالح :

قد أكد نقده بالاستدلال من العهد الجديد لبيان خطأ النصارى في فهمهم للبنوة وردهم إلى المفهوم الحقيقي لها ولذلك بدأ نقده متسائلاً فقال : (ما هو المفهوم الحقيقي للبنوة التي وردت في التوراة والإنجيل ؟ هل هى بنوة حقيقية عن طريق التوالد والتناسل والنسب ؟ أم أن البنوة مجازية معناها القرب من الله والسير على تعاليمه ؟) ^(٤) .

(١) انظر : إظهار الحق : (٣٥١/٢) بتصرف بالحذف .

(٢) المسيح في الإسلام : أ/ أحمد ديدات ، ص ٦٠ .

(٤) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ٨٣ .

وأجاب عن ذلك بقوله : (بالتأكيد أن المعنى الأول لا يليق في حق الله إطلاقاً ، ولو أخذ به النصارى وادعوا أن عيسى هو ابن الله الوحيد يُقال لهم : إن كل الذين وصفوا بأنهم أبناء الله في التوراة والإنجيل يشاركون عيسى عليه السلام نفس الوصف مع أنه مستحيل عقلاً في حق الله ، وقد جاءت كل الرسائل لتزيهه عن النقص ، إذن لابد أن يكون للبنوة مفهوم آخر هو المعنى المجازي الذي يليق في حق الله وهو أن البنوة معناها القرب من الله والمحبة والسير على تعاليمه واتباع أوامره واجتناب نواهيه . وفي هذا المعنى يقول متى : " أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ... لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات " (١) (٢) .

وتريد د/ مريم زامل ، على ما سبق بُعداً توضيحياً يوضح بطلان البنوة لله تعالى فتقول : إن عيسى عليه السلام قد أوضح لنا هذا المجاز وأن بنوة الله بالأعمال : " أنتم تعملون أعمال أبيكم " (٣) فهي ليست بالتنازل والتوالد وإنما بالعمل الصالح وصدق الإيمان . ونفس المعنى رده " بولس " في رسالته إلى أهل رومية : " لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله " (٤) .

وقد جاء في الأناجيل لفظ " ابن الله " بمعنى المؤمن الصالح الطائع ، من ذلك ما رواه " مرقس " في إنجيله حيث يقول : " ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله ، وأنه صرخ هكذا ، وأسلم الروح قال : حقاً كان هذا الإنسان ابن الله " (٥) (٦) .

ويؤكد هذا الإطلاق - إطلاق لفظ الابن على المؤمن الصالح - صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق - وهو ينتقد ما جاء في متى (٤٤/٥ ، ٤٥) " لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات " يقول : الذي يظهر من هذه الجمل أن في الزمن الأول كانوا يسمون المؤمن الطائع ابن الله كما هو الواضح من نصوص التوراة ، وأبناء الله بصيغة الجمع هم المؤمنون الطائعون ، كما أن الآب يستعمل بمعنى الموجد الحقيقي وهو الله تعالى ، فلا إشكال ولا بأس إذن بإطلاق لفظ ابن الله على المسيح بالمعنى المذكور وإلا لزم أن يكون جميع المؤمنين أبناء الله حقيقة كالمسيح إذ صرح بقوله : " كونوا أبناء الله " فلا بد من حمل معنى كلامه على ما تقدم (٧) .

(١) متى : (٤٤/٥ ، ٤٥) محبة الأعداء .

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ص ٨٣ .

(٣) انظر : يوحنا : (٤١/٨) أبناء إبراهيم .

(٤) رسالة بولس إلى رومية : (١٤/٨) الحياة حسب الروح .

(٥) الإصحاح : (٣٩/١٥) الموت .

(٦) موقف ابن تيمية من النصرانية (٤٣٦/١) .

(٧) الباجة جي زاده البغدادي ص ٧٠ .

ويقوم البغدادي رحمه الله ، الأدلة العقلية والنقلية على بطلان القول ببنوة المسيح لله تعالى وبالتالي أبوة الله له على الحقيقة فيقول : جعل المسيح " ابن الله " أي مولوداً منه - كما أطلق عليه النصارى ذلك - مردود عقلاً ونقلاً . أما من جهة العقل : فإن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته ، فولده إما أن يكون أيضاً واجب الوجود أو لا يكون ، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه ، قائماً بذاته ، لا تعلق له في وجوده بالآخر ، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البتة ؛ لأن المولودية تشعر بالفرعية والحاجة وإن كان ذلك ممكن الوجود لذاته فحينئذ يكون وجوده بإيجاده واجب الوجود لذاته ومن كان كذلك فيكون مخلوقاً لا ولدًا فثبت أن من عرف الإله ما هو (أى مفهوم الإله وحقيقته) امتنع أن يثبت له ولد ... إلى غير ذلك من الأدلة العقلية التي ساقها إلى أن قال : فثبت بالبدهة بطلان ما ذهب إليه النصارى ^(١) .

وأما من جهة امتناع هذه العقيدة نقلاً فيقول العلامة البغدادي : فإذا علمت أن الولد مستحيل على الله تعالى عقلاً ، فاعلم أن ذلك ممتنع نقلاً أيضاً ؛ لأن الكتب السماوية كلها تتره البارئ سبحانه وتعالى عن ذلك حتى التوراة والإنجيل مع كونهما محرفين وما ورد فيهما مما يوهم ذلك فهو مؤول : من ذلك ما ورد في التوراة : " يقول الرب : إسرائيل ابني البكر " ،

وفي صموئيل الثاني (١٤/٧) : قال داود : " أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً " وفي التوراة : " أن داود ابن الله " وفي لوقا : " آدم ابن الله " وكذلك المؤمن البار أدخل تحت هذا العنوان فلا خصوصية فيه للمسيح ^(٢) .

من خلال الجهود السابقة لعلمائنا الأجلاء في نقد عقيدة البنوة يتبين ما يلي :

- ١- المقصود من البنوة في حق المسيح عليه السلام المعنى المجازي لها وهو المحبة والطاعة والسير على تعاليم الله تعالى .
 - ٢- النصارى يفسرون البنوة بمعناها الحقيقي وهذا مُحال على الله تعالى ولا يليق بذاته المقدسة .
 - ٣- وجود التعارض والتناقض في هذه العقيدة يكفي بردها وإبطالها .
 - ٤- مخالفة هذه الدعوى لصريح المعقول .
 - ٥- عدم قصر إطلاق البنوة على المسيح عليه السلام لأنها بالمعنى الصحيح لها - وهو المعنى المجازي - تطلق على غيره من المؤمنين الطائعين أيضاً فلم يكن في هذه اللفظة خصوصية له بالذات عن غيره من الأنبياء .
- وهذه المقولة التي يلقيها النصارى جزافاً إنما هي مجرد قول باللسان لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ، فقال تعالى : " وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون " ^(٣) .

(١) الفارق : ١٨٤-١٨٦ ، ١٩٥ ، بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق : ص ١٩٨ ، انظر : أرقام الإصحاحات لهذه النصوص في ص ٣٣٠ من هذه الدراسة .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٣٠) .

المبحث الثالث

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد عقيدة تأليه الروح القدس

الروح القدس في عرف المسيحيين هو الروح الذى حل على العذراء لدى البشارة لها ، وعلى المسيح في العماد وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء وفي نظر المسلمين فإن الذى أرسل إلى العذراء بالبشارة بولادة عيسى عليه السلام هو الملك جبريل عليه السلام ^(١) .

وبقراءة متأنية لما قام به علماؤنا الأجلاء حول عقيدة ألوهية الروح القدس يمكن حصر جهودهم فيما يلي :

أولاً : عرض مقولة النصارى الباطلة في الروح القدس ونقدها .

ثانياً : عرض أدلة القائلين بألوهية الروح القدس وجهود العلماء في نقدها .

أولاً : عرض مقولة النصارى الباطلة في الروح القدس ونقدها :

ألوهية الروح القدس من العقائد الباطلة التى تمسك بها النصارى وجعلوها من صلب عقيدتهم ، وهي عندهم تعتبر الأقنوم الثالث من أقانيم الثالوث المقدس ، وقد تقرر تأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م ^(٢) والقرار الذى وافق عليه المجمع هو : تأليه الروح القدس ولعن من يقول بغير ذلك فقالوا : (ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوق ، وإذا قلنا أن روح الله مخلوقة قلنا أن حياته مخلوقة وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي ، فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن) ^(٣) .

ويقول د/ محمد مجدي مرجان ، موضحاً ما يراه أصحاب الثالوث عن هذه العقيدة الباطلة : (يرى أصحاب الثالوث أن الروح القدس الذي يمثل عنصر الحياة في الثالوث المقدس يعتبر أقنوماً قائماً بذاته وإلهاً مستقلاً بنفسه ، فالثالوث المقدس ثلاثة أقانيم هي الذات والنطق والحياة ، فالذات هو الله الأب ، والنطق أو الكلمة هو الله الابن ، والحياة هي الله الروح القدس ، وذلك أن الذات والد النطق والكلمة مولودة من الذات ، والحياة منبعثة من الذات) ^(٤) .

(١) المسيحية : د/ أحمد شلي ، ص ١٥٦

(٢) انظر : محاضرات في النصرانية : أبو زهرة ، ص ١٣٣ ، النصرانية والإسلام : م/ محمد عزت الطهطاوي ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث : ص ٢٣٥ ، والمسيحية : د/ أحمد شلي ، ص ١٥٦ ، وحقيقة النصرانية من الكتب المقدسة : د/ السقا ، ص ١٣٣ ط دار الفضيلة . بدون .

(٣) الجواب الصحيح : ٣٦/٣ ، المسيحية : د/ أحمد شلي ، ص ١٥٧ .

(٤) الله واحد أم ثلاث : د/ محمد مجدي مرجان ، ص ١١٦ ط دار النهضة العربية . بدون .

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية بتأليه الروح القدس :

يقول فضيلة الشيخ / أبو زهرة في نقده لهذا القرار : (المذكور في مقدمته " ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله " يقول : إن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله فهذا لا يسلمه له مخالفه ولا يستطيع أن يقيم عليه دليلاً ، والعقيدة الصحيحة هي أن روح القدس خلقه الله واتخذ له رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً ، فهي ليست روح الله المتعلقة بذاته وليس عنده من دليل على ما قال (^(١)).

ووافقه على ذلك م/ محمد عزت الطهطاوي ود/ أحمد شلبي ، وزاد على هذا النقد م/ الطهطاوي ، أدلة من العهد القديم والعهد الجديد (^(٢)) تؤكد أن من يُطلق عليه الروح لا يتصف بالألوهية بأي حال من الأحوال وهذه الأدلة ما يلي :

١. ما جاء في سفر العدد : " وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيّدوا " (^(٣)).

٢. وما جاء في سفر أشعيا : " ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب " (^(٤)).

٣. وما جاء في لوقا : " سمعان عليه روح القدس " (^(٥)).

ويعلق م/ الطهطاوي ، بعد سرده للأدلة بقوله : (ولو كان من يتصف بصفة الروح أو من عليه الروح إلهاً لاشترك في الألوهية مع المسيح السبعون رجلاً الشيوخ من بني إسرائيل مع موسى وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح) (^(٦)).

(١) محاضرات في النصرانية : ص ١٣٣ .

(٢) انظر : النصرانية والإسلام ص ٤٦ .

(٣) الإصحاح : (٢٥/١١) سلوى من عند الرب .

(٤) الإصحاح : (١/١١) جذع يسي ، ويسى هو ابن عوبيد وأبو داود وابن ابن راعوث وبوعز (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٦٥ .

(٥) الإصحاح : (٢٥/٢) ختان الطفل يسوع وتقديمه في الهيكل .

(٦) النصرانية والإسلام : ص ٤٦ .

ثانياً : عرض أدلة القائلين بتأليه الروح القدس وجهود العلماء في نقدها :

ذكر شيخ الإسلام الأدلة التي استدل بها النصارى على ألوهية الروح القدس وناقشها ورد عليها بطريقة علمية ، وقد جاءت هذه الردود في أماكن متفرقة من كتابة .. أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١ . يستدل النصارى بما ينقلونه على لسان داود النبي : " لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدس لا تترعه مني " (١) .

ويُطّل شيخ الإسلام استدلالهم بهذه الشبهة فيقل في نقده لهذا الدليل : " هذا دليل على أن روح القدس التي كانت في المسيح من هذا الجنس (الموجود في داود وغيره) فعلم أن روح القدس لا خصوصية للمسيح فيها ؛ بل هي وباتفاقهم أنها حلت في داود وفي الحواريين وفي غيرهم وليس للمسيح خصوصية في ذلك وإلا فيلزم على قولهم : إن روح القدس هي حياة الله ، ومن حلت فيه يكون لاهوتاً ، يلزم على قولهم هذا أن يكون كل هؤلاء الذين حلت فيهم روح القدس فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح - عندهم - وهذا خلاف إجماع المسلمين واليهود والنصارى ... ، حيث أنهم متفقون على أن داود وغيره عباد الله ﷻ وإن كانت روح القدس فيهم .

كذلك فالمسيح عبد الله وإن كانت روح القدس فيه فما ذكرتموه عن الأنبياء حجة عليكم (٢) .

٢ . " اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به " (٣) .

ويرد شيخ الإسلام على استدلال النصارى بهذا النص مفنداً ما يشتمل عليه فيقول : (إن دليلكم هذا هو عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة ، وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً . فإن لفظ روح القدس لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله ، ولم يسم أحد من الأنبياء حياة الله التي هي صفته روح القدس ولا أرادوا ذلك ، وإنما أرادوا بروح القدس ما يترله على الصديقين والأنبياء من الوحي والهدي والتأييد) (٤) .

وبناء على ذلك فإن ما استدل به النصارى من نصوص توراتية أو إنجيلية لا يصلح أن يكون دليلاً على ألوهية الروح القدس ؛ بل هي حجج واهية لا تعدو إلا أن تكون أدلة ظنية غير قاطعة والدليل إذا تطرق إليه الظن أو الاحتمال سقط به الاستدلال .

(١) مزامير : (١١/٥١) .

(٢) انظر : الجواب الصحيح : ١٤٢/٢ ، بتصرف بالحذف .

(٣) متى : (١٩/٢٨) يسوع يظهر للتلاميذ .

(٤) الجواب الصحيح : ١٥٠/٢ ، بتصرف .

المقصود بالروح القدس في الكتاب المقدس :

وأمام هذا الانحراف العقائدي يطالعنا د/ محمد مجدي مرجان في إطلالة نقدية متميزة تنم عن علم واسع بما يحتوي عليه الكتاب المقدس ، ودراية تامة بما ترمى إليه نصوصه ، وهو شاهد صدق على ما يدعون ، فنجده يحلل النصوص تحليلاً موضوعياً وفي حيده تامة ونزاهة واضحة تؤكد حرصه على مشاعر الطرف الآخر متبعاً في مناقشته ما يدعون أسلوب الحكمة والجدال بالتي هي أحسن ، وقد بين في كتابه المقصود بالروح القدس وذكر أنها وردت في أماكن متعددة من الكتاب المقدس كل مكان منها يدل على معنى معين لها .. من هذه المعاني التي ذكرها ما يلي :

- ١ . وردت بمعنى أن الله خلق آدم من طين ونفخ فيه من روحه فتقول التوراة : " وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية " ^(١) أي أن الله أعطى آدم روحاً من خلقه فصار آدم نفساً حية فروح آدم وحياته نفخة من روح الله .
- ٢ . وردت بمعنى القوة التي يبعثها الله لتأييد أنبيائه وشد أزr عباداه الصالحين .. يقول الإنجيل : " روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين " ^(٢) ؛ " يسوع الذي من الناصرة كيف مسح الله بالروح القدس والقوة ، الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه " ^(٣) .
- فلفظ روح القدس هنا مرادف للفظ القوة ، فالروح القدس هي القوة التي أيد الله بها السيد المسيح من لدنه تعالى ، وهذه القوة استطاع المسيح صنع المعجزات وهذه القوة ليست مادية منظورة وليست إلهاً قائماً بذاته ، وإنما هي قوة روحية قدسية ^(٤) .
- ٣ . وروح الله القدس هي الروح الطيب روح الخير ، وذلك بعكس روح الشيطان وهو الروح الخبيث روح الشر تقول التوراة : " فانطلق شاول إلى نايوت في الرامة وحلت عليه روح الرب فجعل يسير ويتنبأ " ^(٥) ثم تقول التوراة : إن شاول لما عصى الله بع ذلك وأصبح رجلاً شريراً سحب الله منه القوة التي كان قد أمده بها فتقول : " وابتعد روح الله عن شاول وصار روح رديء يعذبه بأمر الرب " ^(٦) .

(١) تكوين : (٧/٢) آدم وحواء .

(٢) لوقا : (١٨/٤) رفض الناصرة له .

(٣) أعمال الرسل : (٣٨/١٠) والناصرة مدينة في الجليل شمالي فلسطين (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٧) .

(٤) انظر : الله واحد أم ثالث : ص ١١٧-١٢٠ ، باختصار وبتصرف .

(٥) صموئيل الأول : (٢٣/١٩) ونايوت موضع في منطقة الرامة التي هي قرية تبعد عن أورشليم خمسة أميال (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٢ ، ٩٤٨) .

(٦) صموئيل الأول : (٩/١٩) شاول يحاول قتل داود .

٤. والروح القدس هو الروح الطاهر المبارك الروح الأمين ذلك أن القدس في اللغة معناها الطُّهر أو البركة ، ومن هنا أطلق الروح القدس على ملاك الله جبريل عليه السلام ^(١) .

وخلاصة ما وقف عليه علماؤنا الأفاضل في إبطال تأليه الروح القدس أن :

- ١- ما استدل به النصارى على ألوهية الروح القدس لا يصلح أن يكون دليلاً على دعواهم .
- ٢- لى أعناق النصوص من قبل النصارى لتأييد ما يدعون .
- ٣- روح القدس ليست هي الله وليست إلهاً قائماً بذاته والقول الحق فيها أن المقصود بها جبريل الأمين عليه السلام .
- ٤- أن الله عز وجل أيد بروح القدس أنبياءه وعباده الصالحين لتمدهم بالقوة وتشد من أزرهم .
- ٥- إبطال ما يدعى النصارى من خصوصية الروح القدس بالمسيح عليه السلام ولكن الله عز وجل أيد بروح القدس جميع أنبيائه .

(١) الله واحد أم ثالث : ص (١٢٢-١٢٤) باختصار .

المبحث الرابع

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد عقيدة التثليث

تبين فيما سبق أن سيدنا عيسى عليه السلام دعا إلى التوحيد الخالص ولكن النصارى لم يحافظوا على هذه العقيدة الصحيحة وانحرفوا من الوجدانية إلى التثليث وتحولت النصرانية من الإيمان إلى الكفر ومن التوحيد إلى الشرك بعد رفع المسيح عليه السلام ، وقد ظهرت عقيدة " التثليث " في مجمع نيقية ٣٢٥ م الذي وضع أساسها ثم اكتملت صيغتها الرسمية في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م ومع أن عقيدة التثليث تعتبر أهم ركن من أركان النصرانية ولا يعتبر الشخص نصرانياً إلا إذا آمن بهذا الثلاث فإن الكتاب المقدس لا يشتمل على لفظ الثلاث أو لفظ الأقانيم ، ولكن النصارى يحتجون لذلك بأن تعليم الثلاث مطابق لنصوص في الكتاب المقدس ^(١) .

وهذه العقيدة الباطلة يتم نقدها من خلال المحاور التالية :

١- الأدلة التي يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث .

٢- عرض مقولة الطوائف النصرانية في التثليث .

٣- جهود العلماء في نقد الأدلة والرد عليها .

وبالقراءة في كتابات علمائنا الأجلاء يضع الباحث يديه على جملة من النصوص التي استدلت بها النصارى على تلك العقيدة وقد ذكرها كل من صاحب الجوهر الفريد أيوب بك صبري ود/ مريم عبد الله زامل ، د/ سعد الدين صالح ، د/ محمد أحمد الحاج .. أذكر هذه الأدلة أولاً ، ثم أبين جهود العلماء في نقدها والرد عليها .

(١) انظر : النصرانية من التوحيد إلى التثليث : د/ محمد أحمد الحاج ، ص ٢١٩ ، مشكلات العقيدة النصرانية : د/ سعد الدين صالح ،

أولاً : الأدلة التي يستند عليها النصارى في قولهم بالتثليث :

أفادت د/ مريم عبد الله زامل في كتابها ، موقف ابن تيمية من النصرانية : (أنه لا توجد للنصارى أدلة صريحة من التوراة تدل على عقيدة التثليث لديهم ، وإنما يفهم ضمناً منها ، فقد جاءت ألفاظ في التوراة مثل " كلمة الله ، حكمة الله ، روح القدس ... " ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني ؛ لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت (١) .

أما النصوص التي يستدل بها النصارى من العهد القديم ويدعون أنها تدل على التثليث والتي ذكرها العلماء منها ما يلي :

أدلة من العهد القديم :

- ١- ما جاء في سفر التكوين : " في البدء خلق الله السموات والأرض " (٢) .
- ٢- والنص الذي يقول : " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " (٣) .
- ٣- والنص الذي يقول : " هلم نزل ونبلل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض " (٤) .
- ٤- وما ورد في سفر أشعيا : " من أرسل ومن يذهب من أجلنا " (٥) .
- ٥- وفي سفر العدد : " يباركك الرب ويحرسك ، يرضى الرب بوجهه عليك ويرحمك يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً " (٦) .
- ٦- حادثة ظهور الله لإبراهيم : (٧) وحادثة ظهور الله في العليقة (٨) .

(١) ٥٦٠/٢ .

(٢) تكوين : (١/١) البدء .

(٣) تكوين : (٢٦/١) السابق .

(٤) تكوين : (٧/١١) .

(٥) أشعيا : (٨/٦) .

(٦) عدد : (٢٤/٦ - ٢٦) .

(٧) تكوين : (١٨/١ - ٣٣) الزوار الثلاثة .

(٨) خروج : (٣/١ - ٢٢) موسى والعليقة المشتعلة .

أدلتهم من العهد الجديد :

- ١- " بكلمة الرب صنعت السموات وبسمة فيه كل جنودها " (١) .
- ٢- " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " (٢) .
- ٣- ومتى جاء المعزى الذى سأرسله إليكم من الأب روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي " (٣) .
- ٤- " فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد " (٤) .
- ٥- " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعي ابن الله " (٥) .
- ٦- " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه " (٦) .

وغير ذلك من الأدلة التي ذكرها علماؤنا الأفاضل ويقحمها النصارى في تأييد باطلهم . ويستنتجون من هذه النصوص عقيدتهم الباطلة التي تقول بالتثليث عن طريق لى أعناق النصوص وتفسيرها حسب أهوائهم ، وقد ذكر علماؤنا الأجلاء ما ذهبت إليه طوائف النصارى في تقرير التثليث على النحو التالى :

ثانياً : مقولة الطوائف النصرانية في التثليث :

مقولة الأرثوذكس :

(يعتقد الأرثوذكس أن الله واحد في أقانيم ثلاثة هكذا : الله وَعَلَى تعالي عما يقولون علواً كبيراً - نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر وكان لما دخل بطنها نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم أصبح جنيناً كاملاً ، ثم خرج طفلاً اسمه عيسى - ونما كما ينمو الأطفال ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه ، ثم دفن في القبر ثلاثة أيام ونزل إلى الجحيم وهو في القبر ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السموات ويسمى : الأب قبل التجسد ويسمى : الابن بعد التجسد ويسمى : الروح القدس الاسم الذى كان له قبل إنشاء العالم . أي أن عيسى هو الله خالق السماء والأرض والله هو عيسى . ويستدلون على مذهبهم بقول بولس : الله ظهر في الجسد تبرر في الروح تراءى لملائكة ، كرزبه بين الأمم : أومن به في العالم رفع في المجد " (٧) (٨) .

(١) مزمو : (٦/٣٣) .

(٢) متى : (١٩/٢٨) يسوع يظهر للتلاميذ .

(٣) يوحنا : (٢٦/١٥) العالم يفيض يسوع والتلاميذ .

(٤) رسالة يوحنا الأولى : (٧/٥) الشهادة ليسوع المسيح .

(٥) لوقا : (٣٥/١) البشارة بميلاد يسوع .

(٦) متى : (١٦/٣) معمودية يسوع المسيح .

(٧) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس (١٦/٣) الشماسة .

(٨) أقانيم النصارى : د/ السقا ، ص ٦٧ .

مقولة الكاثوليك والبروتستانت :

يقولون : إن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون : الآب - الابن - الروح القدس - يقول الكاثوليك في شرح الآية الأولى من إنجيل يوحنا : " والكلمة كان عند الله : يعنى : أن الكلمة متميز عمن ولده ، فالآب غير الابن . والابن غير الآب ومع ذلك فهما شئ واحد في الطبيعة والذات والحكمة " (١) .

(والأقانيم على مذهب الأرثوذكس : مراحل لأن الله انقلب إلى إنسان واتخذ جسد إنسان فله طبيعة واحدة ومشية واحدة ، والأقانيم على مذهب الكاثوليك والبروتستانت ذوات متميزة لأن عيسى كما جاء في كلامهم : " مساو للآب بحسب لاهوته ، ودون الآب بحسب ناسوته " ومع هذا التميز يقول الكاثوليك والبروتستانت : بأن الله واحد لثلاثا يكذبوا التوراة والإنجيل المصرحتان بالوحدانية) (٢) .

ثالثاً : جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد الأدلة السابقة والرد عليها :

اتبع علماء المسلمين - فترة البحث - في تقديم تلك الأدلة التي يستند إليها النصارى في قولهم بالتثليث - اتبعوا منهجاً علمياً متميزاً في هدم هذه العقيدة الباطلة .. برز في هذا المنهج كثير من الرؤى النقدية - لعلمائنا الجلاء - القائمة على أسس ومعايير واضحة ومحددة قد أشرت إليها قبل ذلك في نقد متن العهد القديم وتميزت هذه الرؤى المتنوعة بما يلي :

- ١- عرض تأويلات النصارى لهذه النصوص على الحقائق العلمية الثابتة لبيان الصواب من الخطأ في تأويلهم لها .
 - ٢- عرض النصوص على العقل إذ أن العقل السليم هو الميزان الذي يزن الأمور بدقة تامة بعد الاستدلال النقلى .
 - ٣- تحليل النصوص في حدود ما تحتمله الألفاظ دون انحراف أو شطط .
 - ٤- المناقشة المنطقية لهذه الدعوى في حيد تامة وموضوعية كاملة .
 - ٥- بيان خطأ النصارى في استدلالهم وخطأ استنباطهم لأسس هذه العقيدة من النصوص التي يعتمدون عليها .
- وسوف يتضح هذا المنهج من خلال تتبع جهود علمائنا الأجلاء في نقد عقيدة التثليث وردها ويمكن حصر ما قاموا به من جهود تحت العناوين التالية :
- ١- بطلان استنتاج النصارى من الأدلة التي يستندون عليها في التثليث .
 - ٢- مناقشة الأدلة التي يستند عليها النصارى في تقرير عقيدة التثليث .
 - ٣- نقد عقيدة التثليث بأدلة من الكتاب المقدس .
 - ٤- نقد عقيدة التثليث بالأدلة والبراهين العقلية .

(١) أقانيم النصارى ص ٦٨ ، انظر حواشي على الكتاب المقدس للكاثوليك (٤٧٩/٣) ط بيروت ١٩٦٨ م .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٨ .

أولاً : بُطلان استنتاج النصارى عقيدة التثليث من الأدلة السابقة :

أجمع علماء المسلمين أنه لا يوجد دليل صريح يدل على التثليث لا من العهد القديم ولا من العهد الجديد وأن النصوص التي يدعون أنها تؤيد دعواهم لا تدل من قريب أو من بعيد على أن الآلهة ثلاثة بل تدل على أن الله سبحانه واحد وهو الذى خلق السموات والأرض وما فيهن ولكنهم يلوون أعناق النصوص ويفسرونها حسب أهوائهم ولذلك تقول د/ مريم عبد الله زامل :

إن التعبير في النص بلفظ الله أو ألوهيم ليس فيه ما يدل على التثليث لا ضمناً ولا استتاراً ؛ بل كل ما يدل عليه النص : أن الله جل جلاله في بدء عمارة الكون خلق السموات والأرض وأن لفظ الجلاله (الله) لا يُطلق إلا على الذات الإلهية وهو الله سبحانه وتعالى فقط وبذلك يتبين تعسفهم وشططهم في تأويل النصوص فأين صيغة الجمع في هذا اللفظ ؛ بل إن صاحب قاموس الكتاب المقدس لم يشر إلى أن هذا اللفظ " ألوهيم " يدل على الجمع بل قال : " يدل هذا الاسم على صفة الله كخالق العظيم وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود " ^(١) فهذا اللفظ للتعظيم وليس فيه دلالة على التثليث " ^(٢) .

وفي المناظرة التي تمت بين القس سوجارت والعلامة أحمد ديدات يُلاحظ أن استنتاج القس سوجارت استنتاج خاطئ وقد بين العلامة ديدات بُطلان هذا الاستنتاج واستخدم الاستدلال المنطقي والترتيب العقلي للأفكار والمعلومات التي توضح تلك العقيدة كما يفهمها النصارى ثم يعرض لها بذكر المقدمات السليمة التي تؤدي إلى نتيجة سليمة أيضاً مؤداها بُطلان هذه العقيدة المزيفة والتي يعتقدونها وتوضح ذلك كالتالى :

عبر الأب سوجارت على ذلك بقوله : إن الرب يعلمنا بوجود إله واحد وليس اثنين أو خمسة أو عشرة أو خمسة عشر " وأنه تجلي في ثلاثة أشخاص ، ثلاث شخصيات مختلفة نحن نؤمن بوجود الأب السماوي والإله الابن ونؤمن بالروح القدس الذي غشى مريم . إنه إله أيضاً وهم كل لا يتجزأ . بمعنى أنهم متفقون تماماً وفي توحيد وانسجام لا يختلفون أبداً ولن يختلفوا أبداً " ^(٣) .

(١) انظر : موقف ابن تيميه من النصرانية : ٥٦٢/٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس : ص ١٠٧ .

(٣) انظر : المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ / أحمد ديدات والقس سوجارت ، ص ١٩٢ جمع د/ السقا ، مكتبة زهران بالأزهر .
عصر ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م .

وعندما أعطيت الكلمة للعلامة ديدات قام فأفصح عن تعجبه الشديد من قيام الأب سوجارت بتغيير الكلمة المعيرة عن الرب حيث كان في صباح يوم المناظرة نفسه يستخدم في خطابه لمجموعة من كنيسته كلمة " المولود لله " وهي مستخدمة أيضاً في إنجيل الملك جيمس المعتمدة بالنص " لأنه هكذا أحب الله العالم ... حتى أنه أعطي ابنه الوحيد " والتعبير الإنجليزي الوارد بالنص يستخدم كلمة " بجن " أي المولود لله ^(١) . ولكن بعد ثماني ساعات فقط وأثناء المناظرة غير الأب سوجارت كلمة " بجن " إلى كلمة " المتفرد " ^(٢) . وعندما سُئل الأب سوجارت عما يعنيه بكلمة " المتفرد " أجاب بأنها في الأصل اليوناني تعني ببساطة : " لم يكن مثله أحد من قبل وما كان أحداً أبداً مثل ابن الله ، فهو متفرد ، ولم يكن أحد من قبل مثل مريم التي أنجبت ابن الله وإنما تعني ببساطة أن أحداً لم يكن أبداً مثله من قبل ولن يكون أحد مثله من بعد يكون متفرداً كابن الله متجسداً في هيئة بشرية ^(٣) .

ثم يقول القس سوجارت : شخص وشخص وشخص : (إلا أنهم ليسوا ثلاثة أشخاص بل شخص واحد) وعندئذ وجه العلامة ديدات الخطاب إلى الأب سوجارت وضرب له المثل التالي : أنت وأخوك لنفترض أنكم ثلاثة توائم متشابهة وأنا لا نستطيع التمييز بينكم أنتم الثلاثة لأنكم متطابقون تماماً فإذا اقترف أحدكم جريمة قتل هل يمكن أن نشنق الآخر ؟ جوابك : كلا وأسألك : ولماذا لا يُشنق ؟ فتقول لي : إنه شخص آخر ، أوافقك على هذا ^(٤) .

ثم أوضح أن استخدام الكلمات يستدعي صوراً ذهنية حول " الأب السماوي المحب " ، والإله الابن والروح القدس . إذن هناك ثلاث صور ذهنية مختلفة ومهما حاولتم فلن تتطابق هذه الصور الثلاثة في صورة واحدة سيكون في ذهنكم دائماً ثلاث صور ولكن حين أسألكم : كم صورة ترون ؟ تقولون واحدة وهذا لا يُطابق الواقع ^(٥) .

ويؤيد النصارى باطلهم بتقريب عقيدة التثليث إلى الأذهان بضرب هذا المثل : " مثال الشمعة " (فالله عندهم - تعالى عما يقولون علواً كبيراً - كالشمعة فالشمعة واحدة ولكنها مادة ونور وحرارة فهي ثلاثة في واحد) ^(٦) .

(١) الإسلام والأديان د/ مصطفى حلمي ص ٢١٥ .

(٢) المناظرة الحديثة ص ١٣٥ .

(٣) المرجع السابق : ١٩٥ .

(٤) المناظرة الحديثة : ص ١٩٣-١٩٨ .

(٥) المرجع السابق : ص ١٩٩ ، وانظر : الإسلام والأديان ، ص ٢١٧ .

(٦) الإسلام والأديان : ص ٢١٧ نقلاً عن كنت نصرانياً واصف الراعي ، ص ١١٠ ، مطابع الفرزدق بالرياض ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

وينتقد د/ مصطفى حلمي هذا المثال بقوله : وهذا المثال متهافت أيضاً لا يعبر عن العقيدة النصرانية ، لأن الأقانيم عندهم ثلاثة أصول والشمعة أصل واحد (أما الضوء والحرارة فمظهران حادثان طرأ على الشمعة بعد إضاءتها ، فإذا انطفأت الشمعة عادت إلى أصلها الواحد وفاتهم أن هناك مصدراً من أشعل الشمعة فما دوره في الأقانيم الثلاثة وأين مكانه من هذا التشبيه ؟)^(١) .

ثم يقول د/ مصطفى حلمي :

إن هذا المثال إذن مخالف للثالوث النصراني الذي - بحكم صياغته - يقرر تعدد الشخصيات في الإله ، وينسب خصائص شخصية منفصلة لكل شخص^(٢) .

أما د/ عبد الأحد داود ، فقد عرض هذه العقيدة - الثالوث - على الحقائق العلمية الثابتة التي لا يختلف عليها اثنان في مشارق الأرض ومغاربها وبين معارضتها لتلك الحقائق ومخالفتها للمنطق والعقل فقال :

والرياضيات كعلم إيجابي تعلمنا إن الوحدة ليست أكثر من واحد ولا أقل ، وإن واحداً لا يمكن أن يساوى واحداً + واحد + واحد ، وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن أن يكون الواحد مساوياً لثلاثة لأن الواحد هو ثلث الثلاثة ، وقياساً على ذلك فإن الواحد لا يساوى الثلث وبالعكس فإن الثلاثة لا تساوى واحداً كما إنه لا يمكن للثلث أن يساوى الوحدة ... والذين يقولون بوحداية الله في ثالوث من الأشخاص إنما يقولون لنا إن كل شخص هو : " إله قدير موجود دائم ، أزلي ، وكامل ، لكنه لا يوجد ثلاثة آلهة قديرين وموجودين ودائمين وأزليين وكاملين ولكنه إله واحد قدير " وإذا لم تكن هناك سفسطة في المنطق المذكور أعلاه فإننا سنطرح هذا " اللغز " الذي تقدمه الكنائس ويكون طرحنا له بالمعادلة التالية :

$$\text{إله واحد} = \text{إله واحد} + \text{إله واحد} + \text{إله واحد}$$

كذلك فإن :

$$\text{إله واحد} = \text{ثلاثة آلهة} !$$

أولاً : لا يمكن لإله واحد أن يساوى ثلاثة آلهة ، بل يساوى واحداً منها فقط ثم يخاطب النصراني بقوله :
ثانياً : بما أنك تسلم بأن كل شخص إله كامل مثل قرنيه ، فإن استنتاجك بأن $1 = 1 + 1 + 1$ ليس استنتاجاً رياضياً بل هو ضرب من السخف^(٣) .

(١) الإسلام والأديان : ص ٢١٧ عن كنت نصرانياً ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٣) " محمد في الكتاب المقدس " : د/ عبد الأحد داود ، ص ٤٥ .

ثم ينتقل د/ عبد الأحد داود بعد ذلك إلى مناقشة التثليث من الناحيتين المنطقية والعقائدية : (بناءً على تصور أن لكل شخص في الثالوث صفات لا تنطبق على الاثنين الآخرين وتدل هذه الصفات طبقاً للمنطق الإنساني واللغة الإنسانية على وجود قَبْلِيهِ وَبَعْدِيهِ فيما بينهما فالأب يحظى بالمرتبة الأولى ويتقدم على الابن أما الروح القدس فليس متأخراً فحسب لكونه الثالث في الترتيب العددي بل إنه أقل درجة من أولئك الذين انبثق منهم . ألا يعتبر نوعاً من الإلحاد إذا ما أعيد ذكر هذا الثالوث بترتيب معكوس ؟ ألا يعتبر إنشاء الصليب عند مشاهدة القربان المقدس أو تجاوز مبادئه ، نوعاً من الزندقة عند الكنائس إذا عكست العبارة وصارت على النحو التالي : باسم الروح القدس ، والابن والآب ؟ لأنها إذا كانت متساوية ومتعاصرة فإنه لا داعي لمراعاة ترتيب الأسبقية بدقة ^(١) .

من خلال هذه المناقشات المنطقية والمحاورات العقلية التي قام بها العلماء ، حول استنباطات النصارى واستنتاجاتهم ما يقرر هذه العقيدة - في زعمهم - يتبين بطلان ما استنتجوه ومخالفته للحقائق العلمية الثابتة ومعارضته للبديهيات الرياضية التي لا تقبل الجدل لأنها واضحة وضوح الشمس في وسط النهار .

مناقشة علماء المسلمين للأدلة التي يعتمد عليها النصارى في تقرير عقيدة التثليث ونقدها :

لشيخ الإسلام والعلامة رحمة الله الهندي والألوسي وأيوب بك صبري ، جهود قيمة في إبطال الأدلة التي اعتمد عليها النصارى في تقريرهم لعقيدة التثليث من هذه الأدلة التي ناقشوها ما يلي :

الدليل الأول :

" بكلمة الرب صُنعت السموات وينسمة فيه أو روح فيه كل جنودها " ^(٢) ومؤداه عندهم أن هذا النص صرح بثلاثة أقانيم حيث قال الله وكلمته وروحه وكان لعلماء المسلمين - فترة البحث - جهود قيمة في تفنيد تلك الأدلة التي استدلت بها النصارى على عقيدة التثليث وقد اتبع علماءنا الأجلاء في الرد على النصارى ونقد أدلتهم البحث في المعنى المتبادر من الآيات بحسب دلالاتها اللغوية والقواعد المنطقية إذ أن اللغة لا تنفك عن روابطها الأساسية .

(١) " محمد في الكتاب المقدس " : ص ٤٦ .

(٢) مزمور : (٦/٣٣) ، أيوب : (٤/٣٣) .

وقد كان رائد هذه الطريقة الفريدة أيوب بك صيري ، صاحب كتاب الجوهر الفريد ، حيث يرد على من ادعى التثليث فقال في دعواه : إن الكلمة هي الأقنوم الثاني وهي المسيح وأن لفظ الرب هو أقنوم الأب وهو الأقنوم الأول وأن لفظ الروح أو النسمة هو الأقنوم الثالث المدعو روح القدس ، فيقول أيوب بك صيري :
(ننظر هل ممكن أن نستنتج من هذه الألفاظ وجوب اعتقاد الشخصية بكل لفظ منها أو جعله أقنومًا أم لا ؟) وأنى لنا ذلك وقد ثبت بمدلول نصوص جميع الكتب المتزلة من عند الله تعالى تعيين معنى لفظ الكلمة والروح في مثل هذا المقام والحق يلزمنا بالوقوف عند حد ما دلت عليه الكتب الإلهية كما يلي :

١- فوصف الله للسيد المسيح بالكلمة في القرآن المجيد ظاهر إنها كلمة التكوين وصيغة الأمر كناية عن قوله جل شأنه " كن فيكون " بدلالة الإلقاء كما في قوله تعالى : ﴿ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ ^(١) كأنه تعالى ألقى إليها قوله " كن " التي هي أمر الإيجاد والتكوين ، ثم إنه لما كان هذا القرآن مترلاً بالعربية الفصحى في اصطلاح العرب يسمون الرسول كلمة ولساناً ويقولون هذا لسان فلان وكلمته لكونه رسوله المبلغ عنه أوامره إلى الخلق وهذا المعنى المتواتر المشهور بين سائر العالم لا يختلف فيه اثنان .

٢- وكذلك نصوص التوراة في عدة مواضع ناطقة بذلك وأن الكلمة لا معنى لها سوى النطق وهي كلمة التكوين بدليل ما جاء في سفر الخليفة (٢/١) وقال الله ليكن نور فكان " وقوله هذا ليكن جلدًا فكان وقوله ليكن كذا وليكن كذا ... الخ ما ورد في صيغة التكوين ولحصر المعنى في كلمة التكوين قد سمي المتقدمون سفر الخليفة " سفر التكوين " وقد ورد في جميع أسفار الأنبياء ما يفيد تعيين هذا المعنى وهو قولهم : " كانت إلي كلمة الرب وصارت إلي كلمة الرب وكان إلي كلام الرب " وهناك نصوص كثيرة تدل على أن المراد بالكلمة الأمر ، ما جاء في أشعيا " هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلي فارغة " (١١/٥٥) ، وما جاء في حزقيال : " فاسمع الكلمة من فمي وأنذرهم من قبلي " (١٧/٣) ، لأنني أنا الرب أتكلم والكلمة التي أتكلم بها تكون . أقول الكلمة وأجريها يقول السيد الرب ... الكلمة التي تكلمت بها تكون " (٢٥/١٢) وغير ذلك من النصوص الصريحة الناطقة بأن الكلمة لا معنى لها غير الأمر وهي كافية لإقناع كل معتدل ومن تأمل بالفكر الحر المتزه عن الأغراض ألها ناطقة بكل صراحة بأن صنع السموات وكل جنودها هو بأمر الله تعالى وتأثيره وأن كلمته هي أمره تعالى وليست بأقنوم ولا شخص إلهي كما يشهد بصريح ذلك قول أشعيا : " يداي أنا نشرتا السموات وكل جنودها أنا أمرت " (٤٥/١٣) ^(٢) .

(١) سورة النساء : جزء من الآية (١٧١) .

(٢) الجوهر الفريد : ص ١١-١٢ .

٣- ثم إن نص الإنجيل أيضاً ناطق بهذا المعنى في عدة مواضع منها : " كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا " (لوقا ٢/٣) ومنها : " والأب الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته وليس لكم كلمته ثابتة فيكم " (يوحنا ٣٧/٥ ، ٣٨) ومنها قوله : " إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب " (يوحنا ٣٥/١٠) ، ففي العبارة الأولى فسر معنى الكلمة بالإيمان الذي لا يناله العبد إلا بالتوفيق الإلهي والصبغة الإلهية ، وفي العبارة الثانية الكلمة هي الأمر والتأثير الإلهي القائم به حياة الوجود . وأيضاً فسر الروح والنسمة بهذا التفسير واستبعد كونها تدل على أى من الأقانيم الثلاثة كما يدعون أ . هـ ^(١) .

- وبالقراءة المتأنية لما قام به أيوب بك صبرى يتبين أنه قام بتحليل الألفاظ وبيان مدلولها الحقيقي طبقاً للدلالات اللغوية والقواعد المنطقية السليمة في حيدة تامة وموضوعية كاملة .
- بين خطأ استدلال النصارى بهذا النص لأنه يدل على الأمر الإلهي لا أكثر ولا يرمز إلى شخص أو أقنوم كما يدعون .
- بين بطلان استنباطهم من هذا النص : أن المراد بالكلمة هو المسيح ولكن المراد بها الأمر والتأثير الإلهي القائم به حياة الوجود ، لورود تلك اللفظة في القرآن والتوراة والإنجيل وتدلل دلالة واضحة على الأمر الإلهي .

وينتقد العلامة الألوسي ، هذا النص أيضاً فيقول : إن هذا النص يقتضى أن تكون الآلهة أربعة بل خمسة لأنه قال : رحمة الرب ، وكلمة الرب ، وبروح فيه إلى أن قال في نهاية هذا المزمور وعلى اسمه القدوس اتكلت فالروح إله أول والرب إله ثان والكلمة إله ثالث والروح إله رابع والقدوس إله خامس فصارت الأقانيم خمسة وهذا لا يخفى على ذي عينين أو أحول يجعل الواحد اثنين ... وإذا كان داود علم أن الآلهة ثلاثة والثلاثة إله فعيسى جزء من الآلهة فلم لم يخبر بنى إسرائيل أن إلههم وربهم متعدد وأن جزء الإله أو الواحد من الآلهة حامله إذ ذاك في صلبه وأنه سيكون من ذريته ^(٢) .

وبتحليل رؤية الإمام الألوسي النقدية لهذا النص يتبين أنه اتبع المحاوراة العقلية في إثبات رؤيته النقدية وأن تحليل النصارى لهذا الدليل تحليل باطل ومردود لأنه يتناقض مع العقل .

(١) نهاية كلام صاحب الجوهر الفريد : ص ١٣ .

(٢) الجواب الفسيح : ٢١٧/١ ، ٢١٨ .

الدليل الثاني :

" اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " متي (٩/٢٨) وحول هذا النص تعددت الرؤى النقدية لعلماء المسلمين - فترة البحث - فيقول صاحب كتاب الفارق في ذيل فارقه : إن أساس التعميد بالتثليث مبني على هذه الوصية " عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس " فقط ... وإن هذه الوصية وحدها تكفيها بأن هذه الأناجيل مصنعة ؛ لأن يحيى عليه السلام صرح بأن المسيح سيعمدكم بروح القدس ولم يذكر التثليث وكذلك " متي ومرقس ولوقا ويوحنا " اتفقوا وصرحوا في أناجيلهم بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصي تلاميذه بأن يعمدوا بروح القدس فقط والمترجم المختلس لإنجيل " متي " افترى وذيل ترجمته بقوله : " إن المسيح قبل الرفع أوصي التلاميذ أن " يعمدوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس " متي (١٩/٢٨) فتيين ببداهة العقل أن هذه الجملة إلحاقية من المترجم وإلا فلا يُتصور أن " متي " يروى روايتين مختلفتين بإنجيله عن المسيح في آن واحد^(١) .

وعلى فرض صحة رواية المترجم فهي ليست تثليثاً للإله ؛ بل إنما المقصد منها ظاهر وهو قوله : " عمدوا الأمم باسم الأب " أي لقنوا الأمم المنتصرة بأن يؤمنوا بواجب الوجود والموجد لكل موجود وقوله : " الابن " أي وأن يؤمنوا أيضاً بعيسى رسول الله وكلمته وقوله : " روح القدس " أي أن يؤمنوا بجبريل أمين الوحي لكافة الأنبياء والمبشر للعذراء بحملها بعيسى عليه السلام ولا نزاع في جبريل بأنه " روح القدس " ولا خلاف في الأنبياء والرسول الأبرار بأنهم أبناء الله أي أصفياء الله ... وهذا توجيه وجيه لا يحتمل غيره ؛ لأنه موافق لسنن الله في أنبيائه وخلقه منذ خلق الدنيا إلى يومنا هذا^(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا النص : ليس في هذا النص ما يدل على التثليث وأن الآب هو الله والابن هو المسيح والروح القدس هو جبريل عليه السلام والمراد بعبارة التعميد عنده - أي المسيح - : " مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله وبالملاك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول ، وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ولا هو من التأويل^(٣) .

(١) الفارق : رسالة أبحاث المجتهدين في ذيل الفارق ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، بتصرف بالحذف .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٦-٥٧ ، بتصرف بالحذف .

(٣) الجواب الصحيح : ١١٢/٢ ، بتصرف ، ٢٧٦/١ .

ويقول د/ عبد الكريم الخطيب :

إن كلمات الأب والابن والروح القدس التي تردد ذكرها في الأناجيل قد جاءت في سياقات تعطي لكل منها دلالة مستقلة ومفهوماً خالصاً بحيث لا يمكن أن يجتمع منها مفهوم واحد أو دلالة مشتركة ، فالأب أب والابن ابن والروح القدس هو الروح القدس لكل ذاتيته وشخصيته^(١) .

ويقول الشيخ أبو زهرة : إن شروط استدلال النصارى بهذا النص على وجود الأقانيم الثلاثة غير مستوفاه إذ ترى أن تلك العبارات التي عثروا عليها في كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون ؛ بل تفيد بأبعد أنواع الاحتمالات أو باحتمال قريب ومن المعلوم في قواعد الاستدلال أن الاحتمال إذا دخل الاستدلال أبطله وكل أدلتهم ينفذ الاحتمال إليها من كل جانب هذا وإن الاستدلال بكتبهم يفيد من يصدقها وهي ذاتها يعزوها النقد العلمي في سندها وفي متنها من كل ناحية فهي في ذاتها في حاجة إلى دفاع طويل لإثباتها^(٢) .

ويقول د/ عبد الكريم الخطيب ، في موضع آخر من كتابه : (بل إنك لتقرأ الأناجيل فصلاً فصلاً وكلمة كلمة ، فلا توجد فيها إشارة من بعيد أو قريب إلى ما يُعرف بالأقنوم أو الأقانيم)^(٣) .

ومن خلال ما سبق يتبين أنه لم يرد في العهد القديم ولا في العهد الجديد نص يدل دلالة صريحة على التثليث أو الأقانيم وبالتالي فهذا الادعاء من النصارى إدعاء مردود لأنه لا يوجد دليل يقويه وجميع استدلالاتهم على هذه العقيدة في غير موضعها وتعتمد على : إما تأويل باطل لنص من النصوص أو لحمل نص منها على الحقيقة وهو يُراد به المجاز ، لذلك يغفل النصارى الدلالات المجازية في أغلب أدلتهم ويحملون الألفاظ على حقيقتها مما يخرجها عن مدلولها المراد فيقعون في الخطأ عن عمد .

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن النصارى في هذه العقيدة قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب ، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحواريين ، بل هي لفظة ابتدعوها ، ويُقال إنها رومية وقد قيل : الأقنوم في لغتهم معناه الأصل ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم ، تارة يقولون أشخاص ، وتارة خواص ، وتارة صفات وتارة جواهر وأخرى يجعلون الأقنوم اسماً للذات والصفة معاً وهذا تفسير حُذاقهم^(٤) .

(١) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل : د/ عبد الكريم الخطيب ، ص ٢١٧ .

(٢) انظر : محاضرات في النصرانية ص ١٠٦ ، بتصرف .

(٣) المسيح في القرآن : د/ عبد الكريم الخطيب ، ص ٢١٤ .

(٤) الجواب الصحيح : ١١٤/٢ .

الدليل الثالث :

والذي ينص على ما يلي : " فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة : الآب ، والكلمة ، والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد " .

استدل العلامة رحمة الله الهندي بهذا الدليل على إثبات التحريف بالزيادة في الأناجيل وأن معتقدي التثليث أزدادوا على النص الأصلي ما يؤيد دعواهم فقال :

(وقع في الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولي هكذا : " فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد " " والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد " كان أصل العبارة في هاتين الآيتين على ما زعم محققوهم هذا القدر " والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد " فزاد معتقدو التثليث هذه العبارة " وفي السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض " في أصل العبارة وهي ملحقة يقيناً وقد اعترف بذلك رجال دينهم ^(١) .

وينتقد صاحب الجواهر الفريد هذا الاستدلال بقوله :

هذه العبارة لا يوجد بها حكم التكليف بوجوب اعتقاد تثليث الله تعالى ولا يوجد بها لفظ الأقنوم ولا الشخص الإلهي ولا الجوهر ولا التساوي وإن هي إلا ألفاظ لو صح ورودها في أصل الكتاب المقدس لكانت محتاجة إلى التأويل بما لا يشذ عن قواعده ولا يناقض برهان العقل والنصوص الصريحة في شيء .

وهذه العبارة : " لأن الذين يشهدون ... الخ مشكوك فيها عند جمهور علماء المسيحية ^(٢) . وغير ذلك من الأدلة التي ناقشها صاحب كتاب الجواهر الفريد والعلامة رحمة الله الهندي وشيخ الإسلام ابن تيمية .

(١) إظهار الحق : (٢٣٥/١ ، ٢٣٦) .

(٢) الجواهر الفريد : ص ٧ .

ثالثاً : نقد عقيدة التثليث بأدلة من الكتاب المقدس :

أولاً : أدلة من العهد القديم :

فقد أورد د/ السقا في كتابه أقانيم النصارى ما يبطل عقيدة التثليث بأدلة من العهد القديم تثبت وتصرح بأن الله واحد لا شريك له في ملكه وأنه هو وحده خالق السموات والأرض وأنه هو وحده يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ... (١) .

وقد ذكر هذه الأدلة ولم يناقشها لوضوح الدلالة فيها على نفي التثليث من هذه الأدلة :

- ١- " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك (٢) ... إلخ هذه الوصية .
- ٢- " احمدا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته احمدا إله الآلهة لأن إلى الأبد رحمته احمدا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته الصانع العجائب العظام وحده لأن إلى الأبد رحمته (٣) .

ثانياً : أدلة من العهد الجديد :

أما أدلة العهد الجديد استدلت بها العلامة رحمة الله الهندي والألوسي ود/ السقا ، وغيرهم وناقشوها مناقشة علمية منها ما يلي :

- ١- جاء في إنجيل يوحنا : " وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " يوحنا (٣/١٧) .

وقد نقد العلامة رحمة الله الهندي بهذا النص إدعاء النصارى في قولهم بالتثليث ورد عليهم من خلال رؤيته التفسيرية لهذا النص فقال : بين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية عبارة أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى عليه السلام رسوله ، وما قال أن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي وأن عيسى إنسان وإله أو أن عيسى إله مجسم ولما كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء حينما رفع رأسه إلى السماء وقال :

(١) انظر : أقانيم النصارى ، ص ٧٧ .

(٢) تثنية : (٦/٤-٩) أحب الرب إلهك .

(٣) مزمور : (١٣٦/١-٦) بدون .

" قد حضرت الساعة وآمنوا أنك أرسلتني " فلا احتمال هنا للخوف من اليهود ولا سيما وقد قال قد حضرت الساعة ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبيته ولما قال : " الإله الحق وحدك " ولما فرق بين المرسل والمرسل وإذا ثبت أن الحياة الأبدية هي اعتقاد التوحيد الحقيقي لله وحده واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدهما يكون مؤثماً أبدياً وضلالاً سرمدياً بالبدهة ؛ لأن التوحيد الحقيقي ضد التثليث الحقيقي وكون المسيح رسولاً ضد لكونه إلهاً لأن التباين بين المرسل والمرسل إليه ضروري ، وتبعه في رأيه العلامة الألوسي ود/ السقا ، وكل منهما أيده فيما ذهب إليه ^(١) .

٢- ما جاء في إنجيل مرقس : " فجاء إليه واحد من الكتبة الذين كان سمعهم يتساءلون ونظر إجابته لهم حسنة ، فسأله أي وصية أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا إله واحد هو . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوتك هذه أولى الوصايا والثانية هي مثلها أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ، فقال له الكاتب جيداً يا معلم ، قلت بالحق أن الله واحد وليس آخر غيره " (مرقس ١٢/٢٨-٣٤) .

يقول العلامة الألوسي ردّاً على المثلثة بعد أن ساق هذا الدليل الدامغ على وحدانية الله عز وجل وإقرار المسيح عليه السلام يقول : (فعلم أن أولى الوصايا أن يعتقد الإنسان أن إلهه واحد حقيقي ، لا ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي) ^(٢) .

وبالنظر في الرؤية التحليلية للعلامة رحمة الله الهندي لهذا النص الذي يبطل دعوى التثليث بدلالاته الواضحة على الوحدانية بلا أدنى شك يتبين :

- ١- عمق الفهم الذي يتمتع به العلامة الهندي ودرايته الواسعة وعلمه الغزير بالكتاب المقدس وقضاياه المختلفة .
- ٢- ربطه بين النصوص ربطاً جيداً يؤكد ما يتميز به عن باقي النقاد من سهولة الاستشهاد على القضايا التي يعالجها في كتابه كأنه يحفظ النصوص جيداً بأماكنها في الكتاب المقدس .
- ٣- الموضوعية الفائقة في جميع ما يتعلق بالموضوع الواحد من نصوص تؤكد رؤيته إذا كان يريد إثبات شيء ما أو نفيه .

(١) إظهار الحق : ٣٤٣/٢ ، الجواب الفسيح : ١٩٦/١ ، وأقانيم النصارى : ص ٧٧-٧٨ .

(٢) الجواب الفسيح : ١٩٧/١ .

فيقول العلامة الهندي بعد أن استدل بالنص السابق من مرقس : (١٢/٢٨-٣٤) وفي الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى في قوله : بعد بيان الحكمين المذكورين هكذا : " بهاتين الوصيتين يتعلق ناموس والأنبياء " فعلم أن أول الوصايا الذي هو مصرح به في التوراة وفي جميع أسفار الأنبياء وهو الحق وهو سبب قرب الملكوت ، أن يعتقد الناس أن الله واحد ولا إله غيره ولو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيّنًا في التوراة وجميع أسفار الأنبياء لأنه أول الوصايا ولقال عيسى عليه السلام : أول الوصايا : الرب واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي ، لكنه لم يبين في سفر من أسفار الأنبياء صراحة ولم يقل عيسى عليه السلام هكذا فلم يكن مدار النجاة ، فثبت أن مدارها هو اعتقاد التوحيد الحقيقي لا اعتقاد التثليث ، وهوسات التليثيين باستنباطه من بعض آيات أسفار الأنبياء لا يتم على المخالف لأن هذا الاستنباط خفي جدًا مردود بمقابلة النص ^(١) .

وملخص ما ارتآه العلامة الهندي حول إبطال التثليث بهذا الدليل السابق ومن خلال تحليله له يتضح لدي الباحث ما يلي :

- أ. عدم ورود التثليث في التوراة لا صراحة ولا ضمناً .
- ب. خلو أسفار الأنبياء أيضاً من هذه العقيدة التليثية .
- ج. لم يصرح به عيسى عليه السلام - على فرض صحة الأناجيل ونسبتها إليه - لم يصرح بالتثليث أو بما يدل عليه من قريب أو بعيد .
- د. ورود ما يدل صراحة على التوحيد الحقيقي في التوراة والإنجيل .

٣- ما جاء في إنجيل مرقس : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب " مرقس (١٣/٣٢) .

وقد حلل العلامة الهندي هذا النص ووافقه في رؤيته التحليلية العلامة الألوسي ود/ السقا كذلك فيقول : (هذا القول ينادي على بطلان التثليث لأن المسيح عليه السلام خصص علم القيامة بالله ونفي عن نفسه كما نفي عن عباد الله الآخرين وسوى بينه وبينهم في هذا ، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهًا سيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحللول أو على مذهب اليعقوبية القائلين بالانقلاب فإنه يقتضي أن يكون الأمر بالعكس ولا أقل من أن يعلم الابن كما يعلم الآب ولما لم يكن العلم من صفات الجسد فلا يجري عليه في عذرهم المشهور أنه نفي عن نفسه باعتبار جسميته فظهر أنه ليس إلهًا لا باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها ^(٢) .

(١) إظهار الحق : ٣٤٤/٢ .

(٢) المرجع السابق : ٣٤٥/٢ ، انظر : الجواب الفسح : ١٩٧/١ ، ١٩٨ .

وحول هذا النص الذي يثبت بشرية المسيح عليه السلام ويظل ما زعمه النصارى عن التثليث يقول الشيخ عبد الله الترجمان بعد أن استدل بالنص السابق (مرقس ١٣/٣٢) هذا إقرار من عيسى عليه السلام بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامتها ، وأن عيسى عليه السلام لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى ^(١) .

وغير ذلك من الأدلة التي ذكروها وتدل دلالة واضحة على التوحيد الحقيقي ونفي التثليث وأنه ممتنع ومستحيل في ذات الله سبحانه وتعالى ^(٢) .

والإمام ابن تيمية في محاوراته العقلية التي يبطل بها دعوى التثليث يرد على النصارى فيقول : إنهم يجمعون بين النقيضين عندما يقولون نحن نلنن من قال إنه الأب والأب هو الخالق ونلنن من قال هو الأب الخالق ومن قال ليس هو الخالق فيقول لهم إنكم بذلك تجمعون بين النقيضين : فتلننن من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث ومن أثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر ؛ وتجمعون بذلك بين متناقضين أحدهما حق والآخر باطل وكل قول يتضمن جمع النقيضين (إثبات الشيء ونفيه) أو رفع النقيضين (الإثبات والنفي) فهو باطل ^(٣) .

ومن مظاهر تناقضهم أيضاً : " زعمهم أن كلمة (الله) التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفاً بها ويقولون مع ذلك : إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلي متولداً عنه ، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه ، وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم بأنه أنواع كثيرة فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال : إنها ابنه وولده ومتولد عنه ، ونحو ذلك فتكون حياته أيضاً ابنه وولده ومتولداً عنه وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولداً عنه ... فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم " ^(٤) .

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب : أ/ عبد الله الترجمان الأندلسي ، ص ٨٤ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : إظهار الحق : ٣٤٥/٢ - ٣٥٠ ، الجواب الفسيح : ١٩٨/١ - ٢٠٠ وانظر : تحفة الأريب في الرد على أهل

الصليب : ص ٨٤ - ٨٨ ، وأقانيم النصارى ص ٧٨ - ٨١ .

(٣) الجواب الصحيح : ١٧٧/٣ ، ١٧٨ ، بتصرف ١٨٨/٣ - ١٨٩ باختصار .

(٤) المرجع السابق : ١٩٢/٣ - ١٩٣ بتصرف .

رابعاً : نقد عقيدة التثليث بالأدلة والبراهين العقلية :

الدليل العقلي أحد الأدلة التي استخدمها علماء المسلمين والنصارى أمر من الأهمية بمكان ولأن النصارى لا يؤمنون بالعقل في فحص القضايا المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى أمر من الأهمية بمكان ولأن النصارى لا يؤمنون بالقرآن وإذا استخدم العلماء القرآن الكريم في الرد عليهم فذلك منهج غير موضوعي لذا اتبع علماء المسلمين في إبطالهم لعقائد النصارى **الدليل العقلي** وذلك بعرض مفردات تلك العقائد على العقل وإثبات أنها تتعارض مع المسلمات البديهية وتتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة . وقد أبطل هذه العقيدة شيخ الإسلام بأدلة عقلية أوردها في كتابه الجواب الصحيح وقد أورد العلامة رحمة الله الهندي أيضاً كثيراً من الأدلة والبراهين العقلية على بطلان عقيدة التثليث عند النصارى ووافقه عليها أيضاً العلامة الألوسي .. من هذه الأدلة ما يلي :

١- لما كان التثليث والتوحيد حقيقتين عند المسيحيين ... وإذا وجد التثليث الحقيقي لا بد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضاً ولا يمكن بعد ثبوتها التوحيد الحقيقي وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين وهو محال فلزم تعدد الوجباء (أي تعدد واجب الوجود) وفات التوحيد يقيناً ، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقي والقول بأن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإن كانا ضدّين حقيقيين في غير الواجب لكنهما غير ذلك فيه سفسطة محضة لأنه إذا ثبت أن الشئين بالنظر إلى ذاتيتهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجباً كان ذلك الأمر أو غير واجب كيف وإن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقي ليس بمجموع آحاد رأساً ، وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة فلو اجتمعا في محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب فكل جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرا ، وكون الشيء مركباً من أجزاء متناهية بالفعل باطل قطعاً^(١) .

٢- الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي إذا كان حقيقياً لكان أقنوم الابن محدوداً متناهياً وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكناً وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر وكل ما كان كذلك فهو محدث فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثاً ويستلزم حدوثه حدوث الله ، وهذا محال^(٢) .

(١) إظهار الحق : ٣٣٥/١ ، الجواب الفسيح : ١٩١/١ .

(٢) المرجع السابق : ٣٣٦/١ ، الجواب الفسيح : ١٩٢/١ .

٣- فرقة البروتستانت ترد على فرقة الكاثوليك في استحالة الخبز إلى المسيح في العشاء الرباني شهادة الحس وتستهزئ بها . فهذا الرد والهزء يرجعان إليهما أيضاً ؛ لأن الذي رأى المسيح ما رأى منه إلا شخصاً واحداً إنساناً وتكذيب أصدق الحواس الذي هو البصر يفتح باب السفسطة في الضروريات فيكون القول باطلاً كالقول باستحالة الخبز إلى المسيح والخمر إلى دمه ^(١) .

وقد ذكر العلامة الهندي ، ما يؤكد بطلان عقيدة التثليث بأبسط البراهين العقلية فنقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القساوسة العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث أيضاً ، وكانوا في خدمته فجاء محب من أحبباء القسيس وسأله عن تنصر ؟ فقال ثلاثة أشخاص تنصروا . فسأل هذا المحب هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية ؟ فقال نعم وطلب واحداً منهم ليرى محبه فسأله عن عقيدة التثليث فقال إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو في السماء والثاني تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة فغضب القسيس وطرده ، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال : إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالبقي إلهان فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده ، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد فسأله فقال يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد ^(٢) .

ثم يعلق على هذه القصة العلامة رحمة الله الهندي فيقول : لا تقصير للمسئولين فإن هذه العقيدة يخبط فيها الجهلاء هكذا ويتحير علماؤهم ويعترفون بأنهم يعتقدون ~~ولا يصدقون~~ ويعجزون عن تصويرها وبيانها ومن غير تصور يصدقون ^(٣) .

(١) المرجع السابق : (٣٣٧/١) والجواب الفسيح : (١٩٤/١) .

(٢) إظهار الحق : (٣٣٨/١) .

(٣) المرجع السابق : (٣٣٨/١) ، والجواب الفسيح : (١٩٥/١) .

وغير ذلك من الأدلة والبراهين العقلية التي ساقها كل من العلامة الهندي والألوسي^(١) والتي أثبتوا من خلالها ما يلي :

- ١- أن هذه العقيدة تتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة .
- ٢- استحالة ما يدعيه النصارى من كون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة .
- ٣- أن هذه العقيدة تتعارض مع العقل في أبسط تصوراتها .
- ٤- تخبط النصارى في هذه العقيدة وتحير رؤسائهم أيضاً في تناقضها وعدم فهمهم لها ويدعون أنها فوق العقل .
- ٥- بطلان عقيدة التثليث بناء على ما سبق بيانه من الأدلة العقلية التي ساقها علماؤنا الأجلاء .
- ٦- استحالة وجود التوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي في نفس الوقت .
- ٧- وإذا بطل التثليث من خلال ما تقدم ذكره فقد ثبت أن الله واحد لا شريك له ولكن النصارى يؤولون النصوص تأويلاً فاسداً لتأييد دعواهم ويحملون النصوص على حقيقتها دون مراعاة للمعنى المجازي لها .
- ٨- ولقد أبطل الله عز وجل ما ذهب إليه النصارى من التثليث ، وبين كفر هؤلاء الذين يجعلون الآلهة ثلاثة بدلاً من أن يترهوه عن الشريك والولد ، فقال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم " (٢) .

(١) لمزيد من التفصيل يُراجع : إظهار الحق : ٣٣٥-٣٣٩ ، والجواب الفسيح : ١٩٢/١-١٩٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : (٧٣) .

المبحث الخامس

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد عقيدة الحلول^(١) والاتحاد^(٢)

اختلف النصارى اختلافاً كبيراً حول شخصية المسيح عليه السلام بين مؤمن معترف به كني ورسول وبين مغالٍ فيه فتارة يعتقدون بألوهيته وبنوته وتارة يقولون إنه إله تام وإنسان تام وتارة أخرى يقولون بحلول الله في جسد المسيح واتحاده به .. إلى غير ذلك من الشطط والانحراف .

ولقد اجتهد علماؤنا الأجلاء - فترة البحث - في إبطال هذه المزاعم المفتراة بالأدلة العقلية تارة وبالأدلة النقلية تارة أخرى .

وفي هذا المبحث أبين بعون الله وتوفيقه كيف نقد علماء المسلمين عقيدة الحلول والاتحاد .. ولذلك يمكن حصر ما قاموا به في النقاط التالية :

- ١- آراء الطوائف النصرانية في الحلول والاتحاد وجهود العلماء في الرد عليها .
- ٢- الأدلة التي يستندون عليها في الحلول والاتحاد وجهود العلماء في الرد عليها ونقدها .

(١) الحلول لغة : التزول ، وهو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، كحلول ماء الورد في الورد ، والحلول نوعان عام وخاص ، فالحلول العام معناه : حلول الله في الكون فيصبح الكون كله بكل جزئياته محلاً له سبحانه وتعالى وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : " إن الله بذاته في كل مكان ولا يخلو منه مكان " ، والحلول الخاص : يُقصد به حلول ذات الله أو صفة من صفاته في جسد إنسان معين من خلقه أو روحه أو في أي كائن آخر حياً كان أو جمادياً بحيث يصبح هذا الشخص المعين أو الكائن المعين محلاً للإله ومظهرًا له .. وهذا النوع من الحلول هو الذي تقول به النصارى حيث يقولون : إن ذات الله حلت في عيسى كحلول الماء في الإناء ، وكلا النوعين باطل في حق الله لما يترتب عليه من المحاولات في حقه عز وجل . (انظر : لسان العرب ٩٧٢/٢) ، والتعريفات للخرجاني ص ٨٢ ، ٨٣ ، ط/الخلي ، ١٩٣٨ م ، موقف ابن تيمية من النصرانية : ٢١٢/١-٢١٤ ، باختصار .

(٢) الاتحاد لغة : صيرورة الشيئين واحداً : " وأحد الاثنين أي صيرهما واحداً " انظر : تاج العروس : (٢٨٨/٢) فصل المزمة باب الدال ، والتعريفات للخرجاني ص ٦ . والاتحاد نوعان : عام وخاص ، فالاتحاد العام هو اتحاد الذات الإلهية مع جميع الكائنات فتصبح عين وجودها وهو قول الملاحدة الذين يزعمون أن ذات الله هي عين وجود الكائنات . والاتحاد الخاص : هو اتحاد الذات الإلهية ببعض الناس المخصوصين وامتزاج هذه الذات مع الإنسان في شخص واحد ، كما تقول بذلك فرق النصارى حيث يقولون : باتحاد اللاهوت والانسوت معاً ، وامتزاجهما في شخص المسيح عليه السلام وكلا النوعين باطل في حق الله عز وجل لما يترتب عليهما من المحاولات في حقه سبحانه وتعالى . انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٧١/٢ ، بتصرف ، موقف ابن تيمية من النصرانية : (٢١٥/١) .

آراء الطوائف النصرانية في الحلول والاتحاد وجهود العلماء في نقدها والرد عليها :

ذكر الشيخ المسعودي ، مقالات الفرق الثلاث من النصارى اليعاقبة والروم والنسطورية في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت . وقال إن عقائدهم في الإله مختلفة وآراؤهم فيه غير مؤتلفة وسبب خبطهم وخلطهم أن كلامهم قد تفرع عن أصل فاسد^(١) ثم ناقش قول كل فرقة على حده وأبطل ما ذهب إليه من آراء باطلة والملاحظ لمناقشته لهذه العقيدة أنه استخدم الأدلة العقلية في رؤيته النقدية وأكد ما يقول بأدلة من الأناجيل ذكر بعضها والبعض الآخر ذكرها باختصار شديد واكتفى بذكر محتوى الدليل .

وقد بين د.أ/ بكر زكي عوض ، مواضع هذه الأدلة في الكتاب المقدس مع ذكر طرفاً منها وإحالاته على آيات أخرى فيذكر السفر ورقمها فيه .

رأى الفرقة الأولى : فرقة اليعاقبة :

هذه الفرقة منسوبة إلى يعقوب السروجي ويسمى البرادعي أيضاً وقد ادعت أن المسيح صيره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً قالوا : لأن طبيعة اللاهوت تركبت مع طبيعة الناسوت ، فالمسيح عندهم إله كله وإنسان كله فهو يفعل أفعال الله وما يشبه أفعال الإنسان وهو أقنوم واحد والأقنوم الشخص والأقنوم الأشخاص^(٢) .

ففى نقد الشيخ المسعودي لرأى هذه الفرقة في الاتحاد يستخدم الافتراضات الجدلية في محاورته العقلية لأصحاب هذا المذهب استدراجاً لإبطال ما يدعون من الاتحاد فيقول : حكاية هذا المذهب تكفي بالرد عليه إذ محصلته أن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله فيقال لهم أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللتين صارتا طبيعة واحدة ، هل تغيرت كل واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أم لا ؟ فإن زعمت فرقة (اليعاقبة) أنهما لم يتغيرا فقد نقضوا مذهبهم ورجعوا عن قولهم إلى قول من يقول إن المسيح بعد الاتحاد كهو قبله ، وإن زعمت أن الطبيعتين صارتا طبيعة واحدة تركبت من الأوليتين فهذا تصريح بأن هذه الطبيعة لا إله ولا إنسان فلا يوصف المسيح بواحد منهما بل هو شيء آخر عجيب غريب فإن زعموا أنهما كانتا قبل التركيب كاملتين لم يخرجهما عن الكمال ، بل بقي المسيح إلهاً كاملاً وهو بعينه إنسان فقد تحامقوا أو زعموا أن القدم صار بعينه الحادث وأن الزمني صار بعينه الأزلي بمثابة قول القائل : " الحركة هي السكون والسواد هو البياض وذلك مردود بوجوه منها :

(١) المنتخب الجليل للمسعودي : ص (١٥١) .

(٢) المرجع السابق : ص (١٥٢) .

الوجه الأول :

جاء في الإنجيل : " أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " يوحنا : (١٨/٢٠) ففرق بين الذهاب والذي يذهب إليه فبطل اتحادهما . اتحد الذهاب والمذهب إليه والداعي والمدعو له ودعاء المسيح نفسه محال .

الوجه الثاني :

أن طبع الإله والإنسان صاراً واحداً والإله خالق والإنسان مخلوق فطبع الخالق هو طبع المخلوق وطبع العلة هو طبع المعلول وذلك محال .

الوجه الثالث :

الأناجيل الأربعة تذكر أن المسيح بكى على صديقه العازر وفرح بتوبة التائب وأكل في دعوات أصحابه وشرب وركب الأتان وتعب من وعر الطريق وحزن من نزول الموت وقال : إلهي اصبر عني هذا الكأس ، وهذه النقائص قبيح إضافتها إلى الأزلي فبطلاً أن يكونا شيئاً واحداً^(١) .

ويقول العلامة الألوسي :

وأما الاتحاد : فإن المتحد والمتجد به إن كانا موجودين بعد الاتحاد فلا اتحاد لبقاء الكثرة على حالها وإن كانا معدومين فلم يكن ذلك اتحاداً بل إعداماً ، ويلزم ألا يكون المسيح إلهاً ولا إنساناً فضلاً عن أن يكون إلهاً وإنساناً ، وإن كان أحدهما موجوداً والآخر معدوماً ، فالمعدوم لا يكون نفس الموجود وبالعكس ، وأيضاً فالموجود إن كان هو الإنسان فالمسيح إنسان فقط ، وإن كان هو الإله فهو إله فقط ويبطل أن يكون إلهاً وإنساناً فالقول بالاتحاد باطل^(٢) .

الفرقة الثانية : فرقة الملكانية :

ومذهبها أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وهو أقنوم واحد وقد تقدم أن الأقنوم هو الشخص قالوا : فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب وبطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة داود وإبراهيم غير أنه أقنوم واحد فردوا الاتحاد إلى الأقنوم إذ رأوه مستحيلاً بالنسبة إلى الجوهر^(٣) .

وللشيخ المسعودي جهد طيب في الرد على هذا المذهب فحاورهم محاورة عقلية من واقع كلامهم وسلم لهم ما يدعون ثم تدرج في الإقناع إلى أن أبطل ادعاءهم وقد رد عليهم بوجوه كثيرة منها ما يلي :

(١) المنتخب الجليل : ١٥٢-١٥٥ .

(٢) الجواب الفسيح : ٢٤٠/١ .

(٣) المنتخب الجليل : ص (١٥٥) .

الوجه الأول :

يُقال لهم إذا قلتم إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيبته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحدًا فإذا كان جوهر الأزلي باقياً بحاله وجوهر الإنسان باقياً بحاله فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة .

الوجه الثاني :

يُقال لهم أتقولون أن اللاهوت اتحد بالانسوت حقيقة أو مجازاً فإن قالوا إن ذلك تجوزاً وتوسعاً أبطلوا الاتحاد وتجوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على التقدير سبحانه ، وإن قالوا إنه اتحد حقيقة لزمهم أن يكون مشيبتهما واحدة ؛ لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة إذ لو كان للواحد مشيئتان للزما أن يكونا متماثلتين أو مختلفتين فإن كانتا متماثلتين فإحدهما معنية عن الأخرى وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما فثبت أنه لا بد من إبطال إحدى المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة ، أو إبطال الاتحاد جملة إن ثبتت المشيئتان ^(١) .

الفرقة الثالثة : فرقة النسطور :

وهم نصارى المشرق أصحاب نسطورس ^(٢) أخذوا الأمانة عن المسيح ساعدوا نسطورس على رأيه فنسبوا إليه ، ومذهبها : أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان باقيان على طباعهما كما كانا قبل الاتحاد وردوا الاتحاد إلى خاص البتوة وهو علم الباري قالوا : هذا الشخص المأخوذ من السيد شارك الله في هذه الخاصة فصار بها ابناً وشريكاً ومسيحاً ^(٣) .

وقد رد عليهم الشيخ المسعودي بطرق عقلية كثيرة وأدلة نقلية من الكتاب المقدس أظهرها ما يلي :

١. أن يُقال : إذا قلتم إن الجوهرين باقيان والأقنومين باقيان فلا موقع للاتحاد وصار اسماً ساذجاً لا ثمة له ولا فائدة .

٢. أن يُقال : كون المسيح أقنومين مكذب بالحس وذلك أن الذي يراه كل ذى بصر صحيح من المسيح إنما هو شخص واحد ، وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه .

(١) المنتخب للجليل : ص ١٥٥-١٥٦ .

(٢) النسطورية هم : أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، قال إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة " الوجود والعلم والحياة " وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت بجسد عيسى - ~~عليه السلام~~ - كما تشرق الشمس على بلور أو النقش في الخاتم يرون أن المسيح إله تام وإنسان تام انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٥٣/٢) بهامش الفصل في الملل والنحل .

(٣) المنتخب للجليل : ص ١٥٧ ، مع الحذف .

٣. قول بولس : " واحد هو الله هو المتوسط بين الله والناس ^(١) " فشهد بأن المسيح شيء واحد وأنه غير الله الواحد . وقال أيضًا : " إن رب الشعوب واحد غني متسع لكل من يدعوه ، وكل من يدعوه باسم الرب يحيا ولكن كيف يدعوه من لم يؤمن به ؟ " ^(٢) .

ثانيًا : الأدلة التي يستند عليها النصارى في عقيدة الحلول والاتحاد وجهود العلماء في الرد عليها : ذكر الإمام ابن تيمية بعضًا من هذه الأدلة وفندها ورد عليها وكذلك صاحب كتاب الجوهر الفريد رد تلك الأدلة التي استند عليها صاحب كتاب القول الصريح في تثليث الأقانيم وتجسد المسيح .

وقد قام علماؤنا الأجلاء بإثبات زيف هذه الأدلة وتحريفها ومن ثم لا يصح الاستشهاد بها في باب العقائد وأما بيان عدم دلالتها على ما يعتقدونه إذا فهمت على وجهها الصحيح - وذلك على فرض صحتها ولو جدلاً - وبيان أنهم يَحْمِلُونَ ألفاظها من الدلالات مالا تحتمله ^(٣) .

من هذه الأدلة التي فندها الإمام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ما يلي : احتجاج النصارى على حلول اللاهوت في المسيح بقول النبي حبقوق : " إن الله في الأرض يترأى ويختلط مع الناس ويمشي معهم " ^(٤) . كما يحتجون بقول أرمياء النبي أيضًا في ذلك : " الله بعد هذا في الأرض يظهر ويتقلب مع البشر فيقول أنا الله رب الأرباب " ^(٥) .

(١) ورد في الرسالة الأولى إلى أهلس تيموثاوس : " لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح " تيموثاوس الأولى (٥/٢) .

(٢) ورد في الرسالة إلى أهل رومية : " لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن ربًا واحدًا للجميع غنيًا للجميع الذين يدعون به لأن كل من يدعوه باسم الرب يخلص فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به وكيف يسمعون بلا كارز ؟ " رومية : (١٠/١٢-١٤) ، وانظر : المنتخب الجليل : ص ١٥٨ .

(٣) انظر : موقف ابن تيمية من النصرانية : (٢٢٩/١) .

(٤) لم أجد في حبقوق ولعله كان موجودًا في نسخة على زمن المؤلف ، وعمور الزمن حرفت ، وهناك نص يشير إلى نفس المعنى وهو : " الله ظهر في الجسد ... " تيموثاوس الأولى (١٦/٣) .

(٥) لم أجد أيضًا في أرمياء ، وهناك نص يدل على هذا المعنى وهو : " وكان الرب يسير أمامهم نهارًا ... " خروج : (٢٠/٢٢-٢٣) .

ومعنى هذا أن الذى ترآى للناس ومشى بينهم وتقلب بين ظهرايهم باسم المسيح ليس جسداً مجرداً من اللاهوتية بل إنما الذى فعل ذلك هو الله بعد حلوله - فى زعمهم - فى شخص المسيح ، ولهذا أسندت إليه كل الأفعال التى قام بها المسيح بهذا الاعتبار (١) .

ويجب الإمام ابن تيمية على ذلك بأن هذا يحتاج إلى تثبيت بنوة هذين النبیین وإلى ثبوت النقل عنهما ، وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره ، ففى التوراة ما هو من هذا الجنس ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أن الله حلّ فى موسى ، ولا فى غيره من أنبياء بنى إسرائيل بل قوله يترآى هو بمثالة يتجلى ويظهر ، وقد ذكر فى التوراة أنه تجلى وترآى لإبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام من غير أن تكون ذاته قد حلت بأحد منهم (٢) .

تفسير معنى الحلول عند النصارى ورد ابن تيمية على ذلك :

يستشهد النصارى بما ينقلونه عن النبي زكريا من قوله : " افرحي يا بنت صهيون لأنى آتيتك وأحل فىك وأترياً ، قال الله : ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة ويكونون له شعباً واحداً ويحل هو وهم فىك ، وتعرفين أنى أنا الله القوى الساكن فىك ، ويأخذ الله فى ذلك اليوم الملك من يهوذا ويملك عليهم إلى الأبد " (٣) . فهم يرون فى هذا نصاً صريحاً على إتيان الرب لمريم ، وحلوله فيها وترائيه فى شخص المسيح ، وأنه هو الذى سكن فيها أى أن هذا الكلام نص صريح فى عقيدة حلول الله فى عيسى وظهوره فى صورته كما يزعمون (٤) .

ويرد الإمام ابن تيمية عليهم بقوله : مثل هذا قد ذكر عندهم عن إبراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلى له واستعلن له وتريا له ونحو هذه العبارات ولم يدل ذلك على حلوله فيه ، وكذلك إتيانه وهو لم يقل إني أحل فى المسيح وأتحد به وإنما قال عن بنت صهيون : " آتيتك وأحل فىك " .

كما قال مثل ذلك عندهم فى غير هذا ولم يدل على حلوله فى بشر وكذا قوله : " وتعرفين أنى أنا الله القوى الساكن فىك " ولم يرد بهذا اللفظ حلوله فى المسيح فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس وهو قوى بل كان يدخله وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب - حسبما يعتقدون - أو شبهه والله سبحانه وتعالى إذا حصلت معرفته والإيمان به فى القلوب اطمأنت وسكنت ، وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح ﷺ بعد رفعه حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك (٥) .

(١) موقف ابن تيمية من النصرانية : ٢٤٢/١ .

(٢) الجواب الصحيح : ٢٣٧/٢ .

(٣) زكريا : (١٢-١٠/٢) رجل بيده حبل قياس .

(٤) موقف ابن تيمية من النصرانية : ٢٣٥/١ .

(٥) الجواب الصحيح : ٢٢١/٢ .

وقد احتج النصارى أيضاً على عقيدة الحلول والاتحاد بما جاء في سفر الملوك : " والآن يا رب إله إسرائيل ليتحقق كلامك لداود لأنه حق أن يكون أنه سيسكن الله مع الناس على الأرض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً من بيته القدوس ويخرج من موضعه ويتزل ويطأ على مشاريق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب " (١) .
تقول د/ مريم زامل :

(إذا كان المسيح هو الذي وطئ أطراف الأرض وساكن الناس فيها فإن هذا النص قد عبر عن ذلك بأن الله هو الذى فعل ذلك ، فالمسيح إذاً - كما يزعمون - إنما فعل ذلك باعتباره رباً للحلول الرب فيه واتحاده به) (٢) .

ويجب الإمام ابن تيمية على هذا الدليل بأن هذا السفر " الملوك " يحتاج إلى أن يثبت أن الذي تكلم به نبي وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى العربية ترجمة مطابقة ثم بعد ذلك يُقال فيه ما يقال في أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم ، وليس فيها ما يدل على اتحاده بالمسيح فإن قوله : " إن الله سيسكن مع الناس في الأرض " لا يدل على المسيح ، إذا كان المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض ، بل لما أظهر الدعوة لم يبق في الأرض إلا مدة قليلة ولم يكن ساكناً في موضع معين ، وقبل ذلك لم يظهر منه شيء من دعوى النبوة فضلاً عن الإلهية ثم إنه بعد ذلك رُفِعَ إلى السماء فلم يكن يسكن مع الناس في الأرض ، وأيضاً إذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح ﷺ قيل لهم : أما الظهور الممكن المعقول كظهور معرفته ومحبه ونوره وذكره وعبادته فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره . وأما قوله : " فيكون الرب عليها شاهداً " فيقال شهود الله على عباد لا يستلزم حلوله أو اتحاده ببعض مخلوقاته ، بل هو شهيد على العباد بأعمالهم كما قال : ﴿ وَإِنَّمَا تَرِيَّتْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) ﴿ (٤) .

إلى غير ذلك من الردود التي رد بها الإمام ابن تيمية على النصارى وأثبت من خلال التفسير الصحيح للنصوص أن الله ﷻ لم يحل بالمسيح ﷺ وقد بين أيضاً أنه مجرد الشك في نبوة حبقوق وأرميا وغيرهم كفيل برد النصوص الواردة التي استدلت بها النصارى ونسبوا إليها .. وهذا كله يُثبت بطلان عقيدة الاتحاد والحلول .

(١) انظر : ملوك الأول : (٢٦/٨ - ٢٧) وهذا النص محرف في النسخة الحالية ، وليس الملوك الثالث كما ذكر ابن تيمية .

(٢) موقف ابن تيمية من النصرانية : ٢٣٧/١ .

(٣) سورة يونس الآية : (٤٦) .

(٤) الجواب الصحيح : ٢٢٨/٢ .

أما صاحب كتاب الجواهر الفريد فقد أدلى بدلوه في قضية الحلول والاتحاد وأسهم في إبطالها والرد على مزاعم النصارى الباطلة ، وكان منهجه في مناقشة هذه القضية قائم على ما يلي :

١ . الاستدلال بنصوص من الكتاب المقدس تدل على بطلان القول بالحلول والاتحاد وتعارض ما يدعيه النصارى .

٢ . رد التفسير الخاطئ لرؤية الله في الدنيا وأنه ليس على الحقيقة إلى ضرورة استخدام المعنى المجازي في مثل هذه الأمور وبيان أن الأخذ بالظاهر وحمل اللفظ على حقيقته لا يجوز .

وقال : يستدل النصارى على اتحاد المسيح بالله وحلول الله فيه اتحاداً وحلولاً حقيقياً بقول جبرائيل الملك للسيدة مريم الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك^(١) ويقول السيد المسيح : " الذي رأي فقد رأى الأب^(٢) " وقوله : " إن إني أنا في الأب والأب فيّ " ^(٣) وغير ذلك من الأقوال ^(٤) .

وفي رده عليهم يقول : إن الاستدلال بمثل هذه الألفاظ على الاتحاد والحلول الحقيقي مردود بجملة وجوه منها :

أن لفظ الحلول يطلق على كثير من الخلق غير المسيح بل وعلى الجمادات ففي مواضع متعددة من الكتاب المقدس منها : " حل روح الرب على داود " ^(٥) ، حل روح الله على شاول ^(٦) ، وفي سفر القضاة : " ولبس روح الرب جدعون " ^(٧) . وغير ذلك من النصوص .

(١) لوقا : (٣٤/١ - ٣٥) البشارة بميلاد يسوع .

(٢) يوحنا : (٩/١٤) أنا هو الطريق والحق والحياة .

(٣) يوحنا : (١٠/١٤) السابق .

(٤) الجواهر الفريد : ص ٥٥ .

(٥) صموئيل الأول : (١٣/١٦) صموئيل يمسح داود ملكاً .

(٦) صموئيل الأول : (١٠/١٠) شاول يصبح ملكاً .

(٧) الإصحاح : (٣٤/٦) جدعون .

٣. إقرار المسيح ^{عليه السلام} نفسه وأنه قد صرح مراراً بأن الله تعالى واحد لا يُرى ولا يُسمع صوته وأنه شيء آخر غيره وأنه إله وإله العالمين ونادى عن نفسه بأنه إنسان وابن إنسان وقوله : " الله بالحقيقة فيكم " ^(١) .. وغير ذلك من الأقوال التي تنافي الحلول والاتحاد الحقيقي وقول بولس : " الله بالحقيقة فيكم " أظهر من قوله : " يحل عليك " وقول المسيح : " أنا في الأب والأب في " .

٤. إن رؤية الله تعالى في الدنيا ممتنعة واعتراف المسيح نفسه بأنه تعالى لا يُرى وذلك يعارض الأخذ بظاهر قول الإنجيل : " من رآني فقد رأى الأب " وهذا يتضح معناه هو أن من رأى صنع الله تعالى على يديه من الآيات كإحياء الميت وإبراء المرضى فكأنه رأى الله كما يؤيد ذلك بقوله : " لو عرفتموني لعرفتم أبي " ^(٢) ^(٣) .

ثم يضيف العلامة أحمد ديدات حول هذا الاتحاد المزعوم قائلاً :

(لو كان عيسى يكون مع الله شيئاً واحداً ، ولو كان هذا التوحد معه ، يجعل منه إلهاً ، لكان لنا أن نعتبر : " يهوذا الخائن وتوما وبطرس " إلى جانب التسعة الآخرين الذين تخلوا عنه عندما كان في شدة الحاجة إليهم ، آلهه) ^(٤) .

(١) رسالة بولس إلى كورنثيوس : (٢٥/١٤) البنية والألسن .

(٢) يوحنا : (١٩/٨) أنا هو نور العالم .

(٣) الجواهر الفريد : ص ٥٦-٥٨ .

(٤) المسيح في الإسلام : ديدات ، ص ٨٠ ، ولمزيد من التفصيل ، انظر : ص ٧٨-٨٠ .

المبحث السادس

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقض عقيدة الصلب والفداء

ويشتمل على ما يلي :

✳ مقولة النصارى في صلب المسيح :

أ. بداية ظهور هذه العقيدة .

ب. المجامع تقرر هذه العقيدة .

ج. أدلة النصارى عليها .

النقض الإجمالي لعقيدة الصلب :

أ. عند بعض القدماء .

ب. عند بعض المحدثين .

النقض التفصيلي لعقيدة الصلب :

- أحداث الصلب وتضارب الأناجيل فيها .

مقولة النصارى فى صلب المسيح :

- أ. موقف النصرانية الأولى من عقيدة الصلب .
- ب. بداية ظهور هذه العقيدة .
- ج. إقرار الجامع لهذه العقيدة .
- د. أدلة النصارى عليها .

مقولة النصارى فى صلب المسيح وأدلتهم عليها :

صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ركن أساسي من أركان العقيدة النصرانية وقد ذكر أكثر علماء - فترة البحث - الأساس الفكري لتلك العقيدة الباطلة فقالوا : (يعبر عن الصلب فى لغة المسيحيين بظهور الله فى الجسد ، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح ، وأساسه عندهم : أن من صفات الله العدل والرحمة فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوههم وطُرد بها من الجنة ، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها . وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يُصلب ظلمًا ليكفر عن خطيئة البشر ، وهذا ما عبر عنه النصارى بالخلاص وهنا تمت المصالحة بين الله والناس)^(١).

١. موقف النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء :

بينت د/ مريم زامل فى دراستها للنصرانية : أن النصرانية الأولى قد خلعت من عقيدة الصلب والفداء ، وأنها فكرة دخيلة على المسيحية الحقة التى جاء بها المسيح عليه السلام فتقول : إن عيسى عليه السلام ابتداءً لدعوته فى قومه بنى إسرائيل ؛ ليردهم عن غيهم وتماديهم فى البعد عن الله ، وعما جاء به موسى عليه السلام ، وإفراطهم فى الماديات حيث لم يرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة وكانت دعوته تدعو إلى الوحدانية وأنه بشر رسول ... لكن المتتبع لروايات الأناجيل وما جاء فى كتاب الله الكريم يرى رفض بنى إسرائيل لدعوته وإنكارهم لرسالته والنيل منه ومحاوله قتله إلا أن الله نجاه من كيدهم ... والمسيحيون الأوائل لم يكونوا على علم ودراية بما سيؤول إليه أمر المسيح ومن ثم فلم يكن لديهم فكرة عن صلب المسيح كفارة لخطيئة آدم الموروثة فى البشر ، وإنما هذه العقيدة قد تبنتها الكنيسة بعد حادث الصلب المزعوم^(٢).

(١) النصرانية والإسلام م/ الطهطاوي ص ٤٨ ، وانظر : عقيدة الصلب والفداء / محمد رشيد رضا ص (١٦ ، ١٧) طبعة دار الفتح للإعلام

العربي ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، وانظر : التعصب الصليبي د/ عمر عبد العزيز ص ٧٨ ، ٧٩ ، وانظر : المسيحية الحقة / علاء أبو بكر ص

٢٠٦ ، وانظر : المسيحية د/ أحمد شلبي ص ١٥٩ ، وانظر : الإنجيل والصليب : د/ عبد الأحد داود ص ٦ طبع فى القاهرة سنة

١٣٥١ هـ ، وانظر : محاضرات فى النصرانية / أبو زهرة ص ١٠٧ .

(٢) موقف ابن تيمية من النصرانية : ص ٦٤٤ .

ولذلك يقول د/ عبد الأحد داود في كتابه :

(إن هذا السر اللاهوتي الذي كان مكتوماً عن كل الأنبياء والصالحين السابقين قد خيل أو كأنما كُشف للكنيسة بواقعة صلب المسيح ، وإن هوية الأقانيم الثلاثة وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام قد صار من مبادئ معلومات كل غلام مسيحي فضلاً عن القسيسين والرهبان . الصليب كاشف الأسرار اللاهوتية ما أغربه من نموذج لتجليات الأديان) (١) .

ثم تؤكد د/ مريم زامل ، من خلال دراستها على ما كتبه أهل الكتاب حول هذا الموضوع أن الحوارين في بدء دعوتهم لم يجدوا في النصوص المقدسة ، ولا في كتب الأخبار ما يشير من قريب أو بعيد إلى صلب المسيح ، وتعذبه على خشبة الصلب كما يزعم بولس أن المسيح مات من أجل خطايا البشر (٢) .

٢. بداية ظهور عقيدة الصلب والفداء وأدلة النصرانية عليها :

أما عن بداية ظهور هذه العقيدة في النصرانية يؤكد البيروني (٣) في كتابه : أن الذي يحمل وزر هذه العقيدة هو بولس اليهودي الذي تأثر بالفلسفة الإغريقية ، وبعقائد الهنود التي تنص على صلب كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم قد تحرك شفقة وحنواً - كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأناها وخلّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه وقد تأثر بها تأثيراً كبيراً انعكس على تعاليم المسيح التي أخذ يشر بها عندما اختلق قصة دخوله المسيحية (٤) .

وكذلك يرى م/ الطهطاوي أن فكرة صلب المسيح دخلت النصرانية على يد بولس وهو الذي ابتدعها فيقول نقلاً عن " ولز " من كبار كتّاب المسيحية في أوروبا : إن بولس هو الذي أسس المسيحية الحديثة ، وهو لم ير المسيح ولا سمعه ، وكان اسمه في الأصل " شاول " وكان من مضطهدي المسيحيين ثم اعتنق المسيحية فجأة ، وغير اسمه إلى بولس ، وكان شديد الاهتمام بعقائد زمانه ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومن ذلك قوله : " إن المسيح ابن الله ، نزل ليصلب ، ويفدي البشرية ، وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية (٥) .

(١) الإنجيل والصليب : ص ٨ .

(٢) موقف ابن تيمية من النصرانية : ص ٦٤٥ .

(٣) هو : محمد بن طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير البيروني ، من أهل بيروت ، باحث متكلم رحل إلى مصر ، ثم سوريا وتوفي بدمشق سنة ١٩٣٣ م ، من مؤلفاته : الدر النضير والعقائد الوثنية ، انظر الأعلام للزركلي ١٧٣/٦ .

(٤) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية / محمد بن طاهر التنير البيروني ص ٧٥ تحقيق د/ محمد عبد الله الشرفاوي ط : دار عمران بيروت ومكتبة الزهراء جامعة القاهرة / ط الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، وانظر : موقف ابن تيمية من النصرانية : ص ٦٤٥ ، المسيحية د/ أحمد شليبي : ص ١٦٧ .

(٥) نقلاً عن : النصرانية والإسلام : م/ الطهطاوي ، ص ٢٦٥ .

أمام / أحمد عبد الوهاب في رؤيته النقدية لهذه الفكرة الدخيلة على النصرانية يقول : تبني بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروج لها في رسائله .. تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من عشرين عاماً^(١) .

أما عن الأدلة التي يستند عليها النصارى في إثبات هذه العقيدة كثيرة قد رصدتها جميع من تكلم في الصלב من علمائنا الأجلاء منها :

١- قول بولس : " المسيح اقتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ؛ لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة " (٢) .

٢- قول مرقس : " لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم " (٣) .

٣- قول بولس : " متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الفصح عن الخطايا السالفة بإمهال إلى الله " (٤) .

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ص ١٩١ .

(٢) رسالته إلى أهل غلاطية : (١٣/٣) الإيمان أم أعمال الناموس .

(٣) انظر : الإصحاح (٤٥/١٠) طلبه يعقوب ويوحنا .

(٤) رسالته إلى رومية : (٢٤/٣ ، ٢٥) التبرير والإيمان .

٣. الجامع تقرر الإيمان بصلب المسيح وسر تقديس الصليب :

ومن الأمور التي تؤكد على أن فكرة الصلب نشأت بعد المسيح عليه السلام بزمان طويل ما قرره الجامع إسهاماً منها في تقنين العقائد الباطلة إذ أنها السلطة التشريعية العليا في المسيحية ومن ضمن العقائد التي قررتها الجامع عقيدة الصلب والفداء .

هذا ما رصدته د/ مريم زامل في دراستها حيث تقول : (وأياً ما كان الأمر فقد دخلت عقيدة الصلب والفداء في المسيحية على يد بولس ، ثم انتشرت بين الناس وظهرت في الأناجيل التي كُتبت فيما بعد ، وإذا كان الخلاف حولها ظل باقياً خلال القرون الأولى ، إلا أنها تقرر فيما بعد في الجامع حتى أصبحت هي العقيدة التي يعتقدها معظم المسيحيين ، والتي تدين بها الفرق الثلاث الكبرى على اختلاف ما بينها في تصورهما لهذه العقيدة)^(١) .

حيث يقول د/ عبد الأحد داود عن هذا الاختلاف بين الطوائف : إن الكنيسة التي تُعلن الحرب على الأصنام ، هي بذاتها تعبد صليماً مصنوعاً من معدن أو خشب ، بدعوى أنه كشف سر التثليث ومثله كل النصراني - فيما عدا البروتستانت - يرسمون الصليب بأصابعهم الثلاثة الأولى الأمامية على وجوههم وصدورهم ، ويسجدون للثالوث الشريف ويمجدونه قائلين : " باسم الأب والابن والروح القدس " وإذا كان أحد العيسويين لا يرسم الصليب على وجهه أو لا يُقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن ، لا تُقبل عبادته ويُعد رافضاً ومرتبداً لدى كل الكنائس ، وأما البروتستانت فإنهم وإن لم يعبدوا الصليب فإنهم على كل حال معتقدون وقائلون إنه بواسطته انكشف التثليث وألوهية المسيح لنوع البشر " (٢) .

هذا وقد جاء في الأمانة التي انبثقت عن مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ما يدل على اعتقاد المسيحيين بصلب المسيح كركن أساسي من أركان عقيدتهم ونصها :

" نؤمن بإله واحد ، وأب ضابط الكل خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ... الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس " صار إنساناً " وصُلب على عهد ييلاطس البنطي " (٣) .

(١) موقف ابن تيمية : ص ٦٤٩ .

(٢) الإنجيل والصليب : ص ٨ .

(٣) الجواب الصحيح : ١٣١/٢ ، ٢٩٥ .

النقض الإجمالي لعقيدة صلب المسيح :

تنوعت الرؤى النقدية لعلمائنا الأجلاء عند مناقشتهم لعقيدة الصلب والفداء عند النصارى مبينين اعتراضاتهم على التحليل الخاطئ لفكرة الصلب مستخدمين في ردودهم على ذلك **الدولة العقلية** في إبطال ما يدعيه النصارى وقد بينوا أيضاً أن الأسباب التي يتعلل بها النصارى على صلب المسيح أسباب واهية من نواح كثيرة منها :

- ١- أن دعواهم تخالف العرف العام السائد بين الناس .
- ٢- أن العقل لا يقر بأى حال من الأحوال أن يُعاقب الأبناء على ذنب الآباء أو يعاقب الإنسان على ذنب لم يرتكبه .
- ٣- أن دعواهم بصلب المسيح تُبطل كثيراً من عقائدهم الأخرى مثل ألوهية المسيح والمعمودية وسيأتي بيان ذلك في ثنايا نقد العلماء .

جهود علماء المسلمين في نقض عقيدة الصلب والفداء نقضاً إجمالياً :

أ. الرؤى النقدية الإجمالية حول عقيدة الصلب والفداء لبعض القدامى - فترة البحث - :

تنوعت الرؤى النقدية لعلمائنا الأجلاء حول هذه العقيدة يبرز في مقدمة هذه الجهود ما قام به شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم والشيخ المسعودي وأكدوا من خلال رؤيتهم النقدية بطلان هذه العقيدة وتناقضها مع غيرها من عقائدهم في المسيح مثل ألوهية المسيح فكيف يتم الجمع بين قولهم بأن المسيح إله حق وبين القول بأن الإله الحق صلب وقتل وأهين .. فيقول الإمام ابن تيمية موجهاً نقده للنصارى :

إنكم قلتم في أمانتكم عن المسيح : أنه إله حق من إله حق ، ومن جوهر أبيه الذي هو مساو الأب في الجوهر الذي نزل وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وُصلب وتألّم اقتضى ذلك أن يكون الإله الحق المساو للأب في الجوهر صُلب وتألّم ، فيكون اللاهوت مصلوباً متألماً وهذا ما تقر به طوائف منكم وطوائف تنكره ، لكن بمقتضى أمانتكم هو الأول أن اللاهوت صُلب وتألّم ، وهذا لا يمكن أن يُقال ^(١) .

ويتساءل الإمام ابن القيم متعجباً ومستنكراً في نفس الوقت لما يقوله النصارى فيقول لهم : (أخبرونا من كان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شُدت يداه ورجلاه بالحبال وسُمرت اليد التي أتقنت العوالم ، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم ؟) ^(٢) .

(١) انظر : الجواب الصحيح : ١٣٤/٢ ، ٢٩٢-٢٩٣ ، بتصرف .

(٢) هداية الحيارى : ص ٢٧٧ .

وتتجلى رؤية الشيخ المسعودي في ثوبها العلمي القشيب الذي ينم عن درايته بقواعد نقد السند طارحاً في أثناء رده عليهم الافتراضات التي ربما تعن لسائل منهم أن يسأل أو لمدع أن يلتبس عذراً لما يقولون .. وتتلخص رؤيته النقدية فيما يلي :

يقال للنصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتتقلونه تواتراً أم آحاداً ؟ فإن زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ولم يثبت العلم الضروري ، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب ، وإذا كان الآحاد يعرض ذلك لهم فلا يحتاج بهم في القطعيات ^(١) .

وإن عزو ذلك إلى التواتر ، قلنا لهم شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة ، وهو أن ينقل الجرم الغفير عن الجرم الغفير عن الذين شاهدوا المشهود به وهو المصلوب - وعلموا به ضرورة فإن اختل شيء من ذلك فلا تواتر ، فإن زعموا أن خبرهم في قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة كذبتهم الأناجيل إذ قالت : إن المأخوذ للقتل كان في شردمة يسيرة من تلاميذه فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه أحد سوى بطرس من بعيد ، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته ، فقالت هذا كان مع يسوع فحلف أنه لا يعرف يسوع ... وخادعهم حتى تركوه وذهب ^(٢) وأن شاباً آخر تبعه وعليه إزار فتعلقوا به " فترك إزاره في أيديهم وذهب عرياناً " ^(٣) .

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل ، وأما أعداؤه من اليهود الذين يزعم النصارى أنهم حضروا الأمر لم يبلغوا حد التواتر ؛ بل كانوا آحاداً وأفراداً ، وهم أعداؤه ويُحتمل تواطؤهم على الكذب على عدوهم إيهاماً أنهم ظفروا به ^(٤) .

ب. الرؤية النقدية حول عقيدة الصلب لبعض المحدثين :

ولكنثرة الردود الإجمالية على عقيدة الصلب أذكر منها ما يلي :

يعرض م/ الطهطاوي ؛ أ/ محمد رشيد رضا ^(٥) ، وغيرهما من العلماء مختصراً لفكرة الصلب قبل مناقشتها ثم يعقبون عليها بالردود الشافية الكافية في إبطالها ، ويعترضون عليها بافتراضات عقلية تبين فسادها وفي عرضهم للفكرة يقولون :

(١) المنتخب الجليل : المسعودي ، ص ٢٧٤ .

(٢) انظر : مكي : (٦٩/٢٦ - ٧٤) إنكار بولس .

(٣) انظر : مرقس : (٥٢/١٤) وقد انفرد مرقس بذكر هذه الواقعة .

(٤) المنتخب الجليل : ص ٢٧٤ .

(٥) هو : محمد رشيد علي رضا بن علي خليفة القلاموني البغدادي الأصل ، ولد ونشأ في القلامون بالشام سنة ١٨٦٥ م ، صاحب مجلة المنار ، له مؤلفات منها : عقيدة الصلب والفداء ، شبهات النصارى وحجج الإسلام ، توفي بمصر سنة ١٩٣٥ م (الأعلام للزركلي ١٢٦/٦) .

(يقول المسيحيون أن أساس هذا الصלב هو صفة العدل ، إذ كان على الله بمقتضى هذه الصفة أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه ، ولكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ^(١) .

بعض الاعتراضات على هذه الفكرة كما يعرضها م/ الطهطاوي وهي نقد في نفس الوقت :

١- أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة

آلاف السنين حتى قبل المسيح منذ ألفي عام أن يصلب للتكفير عن خطيئة البشر ؟

٢- والمبدأ العام المعترف به في الديانات جميعاً وفي القوانين الوضعية وعُرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء

سوى ثرواتهم ، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ بها ذرياتهم ، ويترتب على ذلك ما يلي :

أ. أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم طبقاً لما أوردته عقيدة الفداء عن النصارى بأن المسيح قُتل وصلب

كفارة عن خطيئة آدم وذريته إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه آدم تطبيقاً لما ورد في سفر التثنية : " لا

يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يُقتل " ^(٢) . وما ورد في

حزقيال : " النفس التي تخطيء هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم أبيه والأب لا يحمل من إثم الابن بر

البار عليه وشر الشرير عليه يكون " ^(٣)

ب. فساد القول بالمعمودية التي يقول عنها النصارى أنها تطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم .

٣- إذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية ، فما العمل في الخطايا التي تجدد بعد ذلك ؟ ومنها ما هو

أقصى من عصيان آدم .

٤- إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون

ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصלב مع دق المسامير في يديه ^(٤) .

أما أ/ محمد رشيد رضا في نقده الإجمالي لهذه العقيدة يقول :

١- لا يمكن أن يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد أن يكون بكل شيء عليمًا ، وفي

كل صنعة حكيمًا ؛ لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري عز وجل ، كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما

يكون عليه أمره وحين عصي آدم ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرجمة في شأنه حتى اهتدي إلى ذلك بعد

آلاف السنين مرت على خلقه .

(١) النصرانية والإسلام : ص ٥٠ .

(٢) الإصحاح : (١٦/٢٤) .

(٣) الإصحاح : (٢٠/١٨) .

(٤) انظر : النصرانية والإسلام ، ص ٥٠-٥٣ .

٢- يلزم من يقبل هذه القصة أن يسلم ما يحيله كل عقل مستقل من أن خالق الكون يمكن أن يحل في رحم امرأة في هذه الأرض التي نسبتها إلى سائر ملكه أقل من نسبة الذرة إليها وإلى سماواتها التي تُرى منها ثم يكون بشراً يأكل ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والإهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلونه ملعوناً .

٣- يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق (تعالى وتقدس) عن إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح ؛ لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لأنه لم يذنب قط فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراش (على ما زعموا) لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى ، فكيف يُعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم ؟ أو أن يكون عادلاً رحيمًا فيخلق خلقاً يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين ، فيحاول الجمع بينهما فيفقداهما معاً ^(١) .

وختلاصة جهود العلماء في النقض الإجمالي لعقيدة الصلب :

- ١- برع علماء المسلمين في تفنيد عقيدة الصلب والفداء من خلال المحاورات العقلية للنصارى في عقيدتهم هذه ، والجدال بالتي هي أحسن .
- ٢- أن ما قاموا به من نقد ليس خارجاً عن عقيدة الصلب وإنما نقدوها من داخلها وعلى أساس مفرداتها ومكوناتها على طريقة من فمك أدنيك حتى تكون الردود من الأمور التي يعرفونها وبالتالي الوصول إلى طرق الإقناع للمخالف أسهل وأيسر .
- ٣- تعارض عقيدة الصلب مع ما يعتقدون في الإله وفي التعميد .
- ٤- تأثر المحدثون من العلماء بما سبقهم من قدامي العلماء في تأسيس الرؤية النقدية لعقيدة الصلب ، ولكن لكل منهم رؤيته الخاصة به والتي ربما تزيد في الإيضاح أو تقل قليلاً عما سبقوه إلا أن هذه الرؤى متقاربة في التحليل والمحاورة العقلية والأسئلة الاستفهامية والذي يؤدي كل ذلك إلى بطلان ما يزعم النصارى .

(١) عقيدة الصلب والفداء : ص ١٧-١٩ .

النقص التفصيلي لأحداث الصلب والفداء

أحداث الصلب وتضارب الأناجيل فيها ونقدها فيما يلي :

- مقدمة الأحداث .

- العشاء الأخير .

- الليلة الأخيرة .

- المحاكمة .

- الصلب .

- الدفن .

- القيامة .

- الظهور .

أ. النقد التفصيلي لأحداث الصلب والفداء :

لعلماء المسلمين في نقد أحداث الصلب ^{نقدًا} تفصيليًا جهود متميزة ، وعند تتبع مناقشتهم لهذه العقيدة يتبين وجود تشابه كبير إلى حد ما بين الرؤى النقدية التي يراها هؤلاء الأفاضل .. ويمكن حصر هذه الرؤى فيما يلي :

١- المقابلة بين الأناجيل الأربعة في الموقف الواحد من أحداث الصلب وذلك لبيان التناقض الواقع فيها والتعارض بين الروايات المتعددة في النص الواحد ولبيان الاختلافات والأغلاط الواردة في تفاصيل الأحداث ويتضح ذلك جيدًا في جهود العلامة رحمة الله الهندي في إظهار الحق ، البغدادي في الفارق ، علاء أبو بكر في المسيحية الحقه و أ/ محمد رشيد رضا في عقيدة الصلب والفداء .

٢- بيان عدم الثقة في رواية الأناجيل ، إذ أنه قد تبين فيما سبق من خلال نقد سند العهد الجديد أن الأناجيل الأربعة مفقودة السند إضافة إلى الجهل بحال كُتّابها والاضطراب في زمن كتابتها .. كل ذلك يؤدي إلى ضعف الثقة فيمن نقلوا روايات الصلب وقد اشترك في التنبيه على ذلك الإمام ابن تيميه والبغدادي ، فقد بين شيخ الإسلام أن رواية الأناجيل لم يشهدوا عملية الصلب ؛ بل إن الذين شهدوها هم اليهود ^(١) .

٣- إبطال عقيدة الصلب عن طريق الوثائق التاريخية ومجادلة النصارى بالنصوص الموثقة عندهم بأسلوب إنشائي خطابي يهدف إلى التأثير في الجماهير وقد اتضحت هذه الرؤية جيدًا في أسلوب العلامة أحمد ديدات في مناظرته حول مسألة الصلب بين الحقيقة والافتراء ^(٢) .

٤. أما أ/ علاء أبو بكر في كتابه المسيحية الحقه ، وفي نقده لعقيدة الصلب والفداء إضافة إلى ما سبق قد اتبع في دراسته لها منهجًا علميًا متميزًا وجاء بحثه خلاصة استفادته من السابقين عليه في هذا المجال وخبرتهم في نقد الكتاب المقدس وجمع من كل بستان زهرة ورتبها ترتيبًا علميًا رائعًا يترتب عليه فهم القصة من خلال النصوص فهمًا جيدًا ومن خلال هذه الرؤية النقدية يضع الباحث يده بسهولة على الأخطاء التي وقع فيها كُتاب الأناجيل عن طريق الجداول التي سجل فيها أحداث الصلب التفصيلية .

٥. اكتشاف ما وقع في قصة الصلب من أخطاء يؤكد استحالة صدور هذه القصة عن الوحي الإلهي ، وبالتالي تنتفي صفة القداسة عن الأناجيل وأنها من وضع بشر ما عدا ما بقي فيها من حق إلا أنه تلبس بكثير من الباطل .

(١) انظر : الحوار الصحيح ، ٧٩/٢ .

(٢) يُراجع: كتاب مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء : كاملاً ، أ/ أحمد ديدات .

وفيمما يلي أعرض لقصة الصلب والفداء كما روتها الأناجيل وكيف نقدها علماؤنا الأجلاء .. والجداول التي توضح أماكن الاختلاف والتعارض بين الروايات :

- ١ . مقدمة الأحداث .
- ٢ . العشاء الأخير .
- ٣ . الليلة الأخيرة .
- ٤ . المحاكمة :
 - أ . المحاكمة الأولى : أمام مجمع اليهود .
 - ب . المحاكمة الثانية : أمام بيلاطس .
- ٥ . الصلب .
- ٦ . الدفن .
- ٧ . القيامة .
- ٨ . الظهور .

١ . مقدمة الأحداث :

قصة مسح جسد المسيح بالطيب :

رصد العلامة رحمة الله الهندي ، و أ/ علاء أبو بكر ، أن الأناجيل اختلفت في تحديد المكان الذي حدثت فيه واقعة مسح جسد المسيح وفي المرأة التي سكبت عليه العطر وفي الجزء المدهون بالعطر ، وفي تحديد الزمن الذي تم فيه مسح جسده بالطيب وفي ثمن الطيب .

وقد عرض أ/ علاء أبو بكر مقارنة يتبين من خلالها أماكن الاختلاف بين الأناجيل في هذه القصة على النحو التالي :

مرقس : (٥-١/١٤)	لوقا : (٣٩-٣٦/٧)	متي : (٩-٢/٢٦)	يوحنا : (٤-١/١٢)
حدثت قصة سكب العطر في منزل سمعان الأبرص في بيت عنيا (٣-١٤) .	حدثت في بيت الفريسي (٣٦-٧) .	حدثت في بيت سمعان الأبرص (٦-٢٦) .	حدثت في منزل مريم ومرثا ولعازر في بيت عنيا (٢-١/١٢) .
شخصية المرأة التي قامت بسكب العطر هنا مجهولة (٣-١٤) .	امرأة خاطئة (٣٧-٧) .	شخصية المرأة مجهولة (٧-٢٦) .	المرأة هي مريم أخت العازر (٣-١٢) .
سكبت على رأس يسوع الطيب بعد أن كسرت القارورة (٣-١٤) .	دهنت رجليه بالطيب (٣٨-٧) .	دهنت رأس يسوع بالطيب (٧-٢٦) .	دهنت رجليه بالطيب (٣-١٢) .
اغتاظ القوم لإسرافها وقالوا : (٤-١٤) .	تساؤل الفريسي مع نفسه حول معرفة يسوع بشخصية المرأة (٣٩-٧) .	اغتاظ التلاميذ وقالوا : (٨-٢٦) .	اغتاظ يهوذا الاسخريوطي لإسرافها وقال : (٤-١٢) .
يمكن أن يُباع بأكثر من (٣٠٠ دينار) ويعطي للفقراء (٥-١٤) .	سكت عن البحث في هذه المسألة .	يمكن أن يُباع بكثير ويعطي للفقراء (٩-٢٦) ، (٧-٢٣) .	لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطي للفقراء (٥-١٢) .
قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن (٣-١٤) .	قارورة طيب (٣٧-٧) .	قارورة طيب كثير الثمن (٧-٢٦) .	منّا من طيب ناردين خالص كثير الثمن (٣-١٢) .
قبل عيد الفصح والإفطار يومين (١-١٤) .	لم يحدد التاريخ ولكنه ذكرها قبل إرسال المسيح لتلاميذه الإثنا عشر .	قبل الفصح بيومين (٢-٢٦) .	قبل الفصح بستة أيام (١-١٢) .

فعندما نتأمل أولاً : محل الواقعة : أي المكان الذي حدثت فيه نجد أن يوحنا جعل ذلك في بيت مريم وهي أخت مرثا وأخت العازر ، وجعلها مرقس ومتي في بيت سمعان الأبرص وجعلها لوقا في بيت أحد الفريسيين ^(١) .

وثانياً : من الذي سكبت العطر ؟ الغموض في شخصية المرأة التي قامت بسكب العطر فلم يحدد هويتها إلا يوحنا الذي قال أيضاً إن الواقعة حدثت في بيتها .

(١) انظر : إظهار الحق : (١٣٢/١) ، المسيحية الحقة : ص ٢١٨ ، والفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٢ .

وثالثاً : الجزء المدهون بالعطر : فقد قال مرقس وميَّ إنها دهنت رأس المسيح بالطيب وخالفه لوقا ويوحنا فقالا أنها دهنت قدميه ، فهل من شأن الوحي أن لا يفرق بين الرأس والقدم ؟ ^(١) .

ورابعاً : تحديد زمن هذه الواقعة : فقد ذكرها مرقس وميَّ قبل عيد الفصح والإفطار بيومين وسكت عنها لوقا ، وحددها يوحنا قبل الفصح بستة أيام ، فهل هذه الأخطاء من الوحي ؟

وخامساً : ثمن الطيب : فيوحنا بين ثمن الطيب ثلاثمائة دينار ومرقس قال بأكثر من ثلاثمائة دينار وميَّ أنهم الثمن وقال بثمن كثير ^(٢) . كل علامات الاستفهام هذه وكل هذه المتناقضات تجزم بأن هذا الكتاب ليس مقدساً أي أنه ليس من وحي الله ؛ بل إنه من صنع بشر ، غير وبدل عن قصد ^(٣) .

والملاحظ على مقدمة الأحداث أنه يوجد اضطراب واضح في نصوص الأناجيل وعدم اتفاق ملحوظ بينها في مفردات قصة مسح جسد المسيح بالطيب فإذا كان هناك اختلاف واضطراب واضح في مقدمة الأحداث فما بالنا بالأحداث نفسها .. لاشك أنها أكثر اضطراباً واختلافاً .

٢. العشاء الأخير :

ذكر جميع من تكلم في الصلب من علمائنا النص الذي يستدل به النصارى على العشاء الأخير أو الرباني كما يقولون وهو : " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " ^(٤) .

(١) انظر : إظهار الحق : ١٣٣/١ ، المسيحية الحق : ص ٢١٩ .

(٢) المرجع السابق : ١٣٣/١ ، الفارق : ص ٣٤٦ .

(٣) المسيحية الحق : ص ٢٢٢ .

(٤) ميَّ : (٢٦/٢٦-٢٨) عشاء الرب .

وفيما يلي الجدول الذي أعده أ/ علاء أبو بكر ، لبيان ما وقع في قصة العشاء الرباني من تناقضات واختلافات ، وهذه العقيدة هي أساس القربان المقدس الذي يأتي بيانه في شرائع النصارى الفصل القادم :

مقرس	لوقا	متى	يوحنا
العشاء الأخير : هو اليوم الأول من الفطير (١٢-١٤)	العشاء الأخير : هو يوم الفطير (٨-٢٢) .	العشاء الأخير : هو يوم الفطير (١٧-٢٦) .	يكون بعد موت يسوع (٢٨-١٨) .
وعلى ذلك يكون ميعاد القبض عليه مساء الخميس .	يكون ميعاد القبض عليه مساء الخميس .	قبض عليه مساء الخميس .	حيث قبض عليه مساء الأربعاء .
ويكون الصلب إذن يوم الجمعة	ويكون الصلب يوم الجمعة .	ويكون الصلب يوم الجمعة .	يكون الصلب يوم الخميس .
أعد العشاء اثنين فقط لم يذكر اسمهما (١٣-١٤) .	أرسل بطرس ويوحنا (٨-٢٢) مع العلم أن يوحنا لم يذكر العشاء إلا بعد صلب يسوع .	شارك التلاميذ كلهم في إعداد العشاء (١٨-٢٦) .	لم يذكر هذه المعجزة .
دخل الشيطان في يهوذا قبل مجيء يوم الفطير (١٠-١٤)	دخل الشيطان في يهوذا قبل يوم الفطر (٣-٢٢) .	دخل الشيطان يهوذا قبل مجيء يوم الفطير (١٤-٢٦) .	دخل الشيطان فيه أثناء تناولهم الطعام بعد أن غمس لقمة وأعطاهها يهوذا (٢٧-١٣) .
وعدوا يهوذا بفضة - لم يذكر الكم (١١-١٤) .	أعطوه فضة (لم يذكر الكم) (٥-٢٢) .	ثلاثين من الفضة أعطي مقدماً (١٥-٢٦) انظر : زكريا (١٢-١١) .	لا توجد مساومة .
الذي يسلمني الآكل معي (١٨-١٤) .	الذي يسلمني معي على المائدة (٢١-٢٢) .	الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يسلمني (٢٣-٢٦) .	الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيته (٢٧-١٣) .
حامل الجرة يقودهم إلى مكان إقامة الفصح - أي لا يعرف التلاميذ صاحب البيت (١٣-١٤) .	حامل الجرة يقودهم إلى مكان إقامة الفصح - أي لا يعرف التلاميذ صاحب البيت (١٠-٢٢) .	لم يذكر حامل الجرة حيث كان يعرف التلاميذ هذا الفلان (١٨-٢٦) .	لم تُذكر الواقعة عنده .
السؤال أتى من التلاميذ بشأن الفصح (١٢-١٤) .	المسيح أرسل بطرس ويوحنا من غير اقتراح وسؤال من التلاميذ (٨-٢٢) .	السؤال أتى ابتداء من التلاميذ فأرسلهم كلهم إلى فلان (١٨-١٧/٢٦) .	أغمض يوحنا عن ذكر هذا .
هذا هو دمي الذي يسفك من أجل كثيرين (٢٤-١٤) .	ومن الذي يسفك عنكم - عن التلاميذ (٢٠-٢٢) .	يسفك من أجل كثيرين (٢٨-٢٦) .	يسفك عن كافة الناس (من أجل حياة العالم) (٥١-٦) .
المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي (١٤-١٤) .	أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي (١١-٢٢) .	المعلم يقول : إن وقتي قريب عندك أصنع الفصح مع تلاميذي (١١-٢٦) .	لم تروح إليه .

وعند النظر في الجدول السابق الخاص بالعشاء الرباني نجد التناقض والتعارض بين الروايات واضحاً ويؤخذ على هذه القصة تناقضات كثيرة منها :

١- اتفاق الأناجيل الثلاثة في وقت العشاء الأخير وخالفهم في تحديد هذا الوقت " يوحنا " .

٢- اتفاقهم في تحديد موعد القبض على يسوع وهو أنه يوم الخميس مساءً وخالفهم في ذلك " يوحنا " وقال إنه مساء الأربعاء .

٣- اتفقوا على أن الصلب كان يوم الجمعة وخالفهم " يوحنا " وقال إنه يوم الخميس وغير ذلك من المخالفات الموضحة في الجدول .

وقد وقف العلامة رحمة الله الهندي والبغدادي ، أ/ عبد الله الترجمان و أ/ علاء أبو بكر وغيرهم مع هذه القصة ونقدوها من وجوه متعددة أقواها الوجوه التي استخرجها العلامة رحمة الله الهندي يليه في القوة ما انتقده عليها العلامة البغدادي ثم الترجمان ثم علاء أبو بكر من هذه الوجوه ما يلي :

١- أن الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يتحول إلى جسد المسيح ودمه ويصير مسيحاً كاملاً وللدرد عليهم نجد العلامة الهندي يرد رداً عقلياً منطقياً علمياً فيقول : (إذا تحول مسيحاً كاملاً حياً بلاهوته وناسوته الذي أخذه من مريم عليها السلام فلا بد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الإنساني ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء لكنها لا توجد فيه ؛ بل جميع عوارض الخبز باقية بعد نطق الكاهن كما كانت من قبل نطقه بكلمات التقديس ، بدليل أنه إذا نظر أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئاً غير الخبز ، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني) (١) .

٢- (لو كان العشاء الرباني الذي كان قبل صلبه يصير نفس الذبيحة التي حصلت على الصليب لزم أن يكون كافياً لخلاص العالم ، فلا حاجة إلى أن يصلب على الخشبة من أيدي اليهود مرة أخرى لأن المسيح ما جاء إلى العالم في زعمهم إلا ليخلص الناس بذبيحة مرة واحدة ، وما أتى لكي يتألم مراراً كما تدل عليه عبارة آخر الإصحاح التاسع من الرسالة العبرانية صراحة) (٢) .

(١) إظهار الحق : ٣٢٦/١ .

(٢) المرجع السابق : ٣٢٧/١ .

٣- وفي نقد العلامة البغدادي لهذه القصة ذكر الروايات المتعددة لأصحاب الأناجيل ثم بين ما وقع بينها من تفاوت .. وأذكر مثلاً مما ذكر وهو ورودها في لوقا حيث يقول : " ثم تناول كأساً وشكر وقال : خذوا هذه واقتسموها بينكم لأنني أقول لكم : إنني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله ... وكذلك الكأس بعد العشاء قائلاً : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم " (١) .

فقال في نقده : (ذكر الكأس ثانيًا من زيادات لوقا ويؤخذ عليه اعتراض في قوله : " الذي يُسفك عنكم " وذلك إما أن يكون المراد عموم النصارى أو التلاميذ المخاطبين خاصة . وأياً ما كان فهو مناقض لقول يوحنا : أنه صلب نفسه عن كافة الناس ومخالف لقول مرقس ومتي ، لأنهما قالوا : " الذي يسفك من أجل كثيرين " أي لبعض النصارى وزاد المترجم من عندياته على مرقس " لمغفرة الخطايا " ومعلوم أن بين هذه العبارات الأربعة تفاوتاً بعيداً ، والنصارى اتخذوا هذه القصة أساس دينهم فقد أسس هذا الدين على شفا جرف هار (٢) .

(٣) لوقا : (٢٢/٢٠) .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق : ص ٣٥٣ ، ولمزيد من التفصيل ، انظر : المسيحية الحقّة ، من ص ٢٢٨-٢٣٣ .

٣. الليلة الأخيرة :

ذكر أ/ علاء أبو بكر النص الذي يشتمل على تفاصيل الليلة الأخيرة من إنجيل مرقس : " وقال لهم يسوع : إن كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف ، ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل ، فقال له بطرس : وإن شك الجميع فأنا لا أشك ، فقال يسوع : الحق أقول لك إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات فقال بأكثر تشديد : ولو اضطرت أن أموت معك لا أنكرك ... " (١) .

ثم عرض الجدول الذي يبين الاختلافات التي شابت هذه القصة :

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
لم يظهر هذا الملاك .	ظهر ملاك يقويه أثناء الصلاة (٢٢-٤٣) .	لم يظهر هذا الملاك .	لم يظهر هذا الملاك .
لم تذكر	من ليس له ... ويشهر سيف (٢٢-٤٣) .	لم تذكر .	لم تذكر .
لم يحدث هذا .	تصب عرقاً ودماً أثناء الصلاة (٢٢-٤٤) .	لم يحدث هذا .	لم يحدث هذا .
إني أضرب الراعي فتتبدد الخراف (١٤-٢٧) .	لم تذكر .	إني أضرب الراعي فتتبدد الخراف (٢٦-٣١) .	لم تذكر .
حدثت في ضيعة حشيماني	حدثت في جبل الزيتون .	حدثت في ضيعة حشيماني .	حدثت هذه الواقعة في وادي قدرون (١٨-١) .
لم تذكر .	وكانت بينهم مشاجرة من منكم يظن أنه يكون أكبر (٢٢-٢٤) .	لم تذكر .	لم تذكر .
لم تذكر .	الشیطان طلبكم لكي يغربلكم كالخنطة (٢٢-٣١) .	لم تذكر .	تم تذكر .
خر على الأرض (١٤-٣٥)	جثا على ركبتيه (٢٢-٤١) .	خر على وجهه (٢٦-٣٩) .	لم تذكر .
انفرد عن التلاميذ مع بطرس ويعقوب ويوحنا (١٤-٣٣) .	لم يذكر بل أشار إلى أنه ذهب وحده (٢٢-٤١) .	انفرد عن التلاميذ مع ثلاثة وهم بطرس وابني زبدي (يعقوب ويوحنا) (٢٦-٣٧) .	لم تذكر .
خرج المسيح وتلاميذه عقب العشاء والتسبيح مباشرة .	فصل بين العشاء وخرجهم بحكايات وقصص كثيرة .	خرج المسيح وتلاميذه عقب العشاء والتسبيح على الفور .	استنفدت الفترة ما بين العشاء (خروج يهوذا) إلى تنفيذ المؤامرة ما يقرب من ٢٠% من حياة المسيح في إنجيله يوحنا (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦)

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
وجه المسيح خطابه إلى بطرس حين وجد التلاميذ نياماً . (٣٧-١٤)	لم يوجه المسيح كلامه لهم ولكن لوقا اختلق عذراً لنومهم (نياماً من الحزن) . (٤٦-٤٥/٢٢)	وجه المسيح خطابه إلى التلاميذ الثلاثة حين وجدهم نياماً . (٢٦-٤٥ ، ٤٦)	لم يوح بها إلى يوحنا .
تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين . (٣٠-١٤)	تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرة واحدة . (٢٢-٣٤)	تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك (٢٦-٣٤)	لم تذكر .
شاب عريان هرب منهم وترك الإزار (٥١-١٤) .	لم تذكر .	لم تذكر .	لم تذكر .
يهودا قبل المسيح (٤٥-١٤) .	أقبلت تسلم ابن الإنسان - كان على وشك أن يقبله . (٤٨-٢٢)	السلام يا سيدي وقبلت . (٢٦-٤٩)	أرشدتهم فقط عن المكان . (٣-١٨)
استل واحد من الحاضرين سيفه وقطع أذن عبد رئيس الكهنة (٤٧-١٤) .	قطع أحدهم أذن عبد رئيس الكهنة (٥٠-٢٢) .	قطع أحدهم أذن عبد رئيس الكهنة (٢٦-٥١) .	قطع سمعان بطرس الأذن اليميني لعبد رئيس الكهنة ملخس . (١٠-١٨)
لا شيء عن جيش الملائكة .	لا شيء عن هذا الجيش .	إثني عشر جيشاً من الملائكة .	لا شيء عن الجيش .
لم يذكر هذه العبارة .	لم يذكر هذه العبارة .	لم يذكر هذه العبارة .	الكأس الذي أعطاني الأب ألا أشربها (١١-١٨) .
لم يأمر يسوع الشاب بإغماد سيفه .	قال : (دعوا إلى هذا) (٥١-٢٢) .	أمر من استل سيفه أن يغمده لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون (٥٢-٢٦)	فقال يسوع لبطرس : اجعل سيفك في الغمد (١١-١٨)
لم يبرأ أذنه .	أبرأ أذنه (٥١-٢٢) .	لم يبرأ أذنه .	لم يبرأ أذنه .
جمع كثير بسيف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ (٤٣-١٤) .	رؤساء الكهنة وفواد جند الهيكل والشيوخ بسيف وعصي (٥٢-٢٢) .	جمع كثير بسيف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (٤٧-٢٦) .	فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين بمشاعل ومصابيح وسلاح . (٣-١٨)
لم يحدث شيء غير عادي .	لم يحدث شيء غير عادي .	لم يحدث شيء غير عادي .	حدث شيء غير عادي جعل أفراد القوة يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض . (٦-١٨)
كانه على لص خرجتم بسيف وعصي (٤٨-١٤)	كانه على لص خرجتم بسيف وعصي (٥٢-٢٢)	كانه على لص خرجتم بسيف وعصي (٥٥-٢٦)	قال من تطلبون (٧-١٨) .

وقد علق أ/ علاء أبو بكر على أحداث الليلة الأخيرة وانتقد وقائعها ببيان التزوير والتلفيق فيها .. من هذه الانتقادات ما يلي :

١- تنبأت الأناجيل أن التلاميذ كلهم سيشكون فيه في هذه الليلة ، إلا أن الأناجيل كلها تؤكد أن أحداً من تلاميذه لم يشك فيه ، وهذا يعني أنهم رأوا وتأكدوا من نجاة المسيح من القبض عليه ، وإلا لكانوا شكوا فيه ، ونفي الشك عن التلاميذ في تلك الليلة يترتب عليه أيضاً إلحاق الخطأ بنبوءات السيد المسيح عليه السلام وهو الأمر الذي لا يمكن أن يصدر عنه ^(١) .

٢- أهمل كل من مرقس ومتى ويوحنا ذكر الملك الذي ظهر لعيسى عليه السلام عند لوقا حين ضعف عن تحمل هذا الأمر وانحطت قوته .. أفما كان يقدر هذا الملك على مدافعة هذه الشرذمة الضعيفة وتخليص إلهه من أيادي مخلوقاته الباغين عليه ؟ وأي حاجة للإله في معاونة الملك له ؟ فالملك حينئذ كان أشد بأساً وقوة من عيسى حتى يقوم بتقويته ، ويظهر منه أن هذا الإله كان يخور عند الشدائد كما يخور العاجز من الآدميين ^(٢) .

٣- وفي مناقشة د/ سعد الدين صالح رواية الأناجيل لحادث الصلب يقول : اختلفت الأناجيل الأربعة في طريقة القبض عليه ، فبينما يقرر متى في الإصحاح ٢٦ أن يهوذا جاء ومعه جموع من الشعب بسيف وعصي وكانت علامته أن يقبل المسيح فتقدم إليه وقبله فعرفه الجند وقبضوا عليه ، نجد يوحنا يقرر في الإصحاح ١٨ أن يهوذا أخذ الجند وذهب إلي يسوع فخرج لهم يسوع وسألهم ماذا تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصري فقال لهم أنا هو فقبضوا عليه ، فالتناقض بين الإنجيلين واضح فمتى يقول : إن يهوذا هو الذي سلمه ويوحنا يقول : إن المسيح هو الذي قدم نفسه ولم يقبله يهوذا ^(٣) .

(١) المسيحية الحقّة : ص ٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٤٩ .

(٣) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ١٦٠ .

٤. المحاكمة :

أ. المحاكمة الأولى أمام مجمع اليهود :

(١) يقول مرقس : " فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة ... وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخدام يستدفئ عند النار ، وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا ؛ لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهادتهم ، ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين : نحن سمعناه يقول : إن أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي ، وفي ثلاثة أيام أبني آخر مصنوع بأياد ... فسأله رئيس الكهنة أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو ... فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال : ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد سمعتم التجاديف ما رأيكم ؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت فابتدأ قوم يصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له : تنبأ ، وكان الخدام يلطمونه " مرقس : (١٤/٥٣-٦٥) .

والجدول التالي يبين الاختلافات الموجودة في القصة في الأناجيل الأربعة :

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
المحاكمة الأولى أمام مجمع اليهود كانت في منتصف الليل حيث أمضوا به مباشرة إلى رئيس الكهنة (١٤-٥٣) .	ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم (٢٢-٦٦) (أني اجعلها في صباح اليوم التالي)	محاكمته في الليل عقب القبض عليه .	محاكمته في الليل عقب القبض عليه .
ذهبت القوة به إلى بيت رئيس الكهنة (١٤-٥٤) .	ذهبت القوة به إلى بيت رئيس الكهنة (٢٢-٥٤) .	ذهبت القوة به إلى بيت رئيس الكهنة (٢٦-٥٧) .	ذهبت به إلى حنان حما قيافا رئيس الكهنة (١٨-١٣) .
بطرس في أسفل الدار يستدفئ وجاءت إليه الجارية (١٤-٦٧) .	تبعه بطرس من بعيد ، ولما أضرموا النار في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم (٢٢-٥٥-٥٦) وهناك رآته الجارية .	كان جالساً خارج الدار فجاءت إليه الجارية (٢٦-٦٩) ولم يذكر أنه كان يستدفئ .	وكلم البوابة فأدخل بطرس ، فقالت الجارية البوابة لبطرس .. ثم وقف بطرس معهم ليصطلي (١٨-١٦-١٨) .
كان بطرس قد تبعه من بعيد (١٤-٥٤) .	وأما بطرس فتبعه من بعيد (٢٢-٥٤) .	وأما بطرس فتبعه من بعيد (٢٦-٥٨) .	وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع (١٨-١٥) .
قام قوم وشهدوا عليه زوراً (١٤-٥٦) .	لم تذكر .	ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور (٢٦-٦٠) .	لم تذكر .
وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء (١٤-٦٢)	فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني ، منذ	من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً على يمين القوة وآتياً علم سحاب السماء	لماذا تسألني أنا ، أسأل الذين سمعوا ماذا كلمتهم ... إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد

مرقس	لوقا	مى	يوحنا
(قال هذا في دار رئيس الكهنة) .	الآن يكون ابن الإنسان جالساً على يمين قوة الله (٦٩-٦٧/٢٢) قال هذا في دار رئيس الكهنة) .	(٦٤-٢٦) . (قال هذا في دار رئيس الكهنة) .	على الردى ، وإن حسناً فلماذا تضربيني (٢٣-٢١/١٨) (هذا في دار رئيس الكهنة ، أما قوله مملكتي ليست من هذا العالم فقد قالها في دار الولاية عند بيلاطس (٣٦-١٨) .
سأله رئيس الكهنة : أما تجيب بشيء .. ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟ أنت المسيح ابن المبارك (٦١-٦٠/١٤) .	إن كنت أنت المسيح فقل لنا ... فقال الجميع أفأنت ابن الله (٧٠-٦٧/٢٢) .	سأله رئيس الكهنة أما تجيب بشيء ماذا يشهد به هذان عليك ... أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله (٦٣-٦٢/٢٦) .	فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعاليمه (١٩-١٨) .
فابتدأ قوم يصفقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له : تنبأ ، وكان الخدم يلطمونه (٦٥-١٤) .	كانوا يستهزئون به وهم يجلدوناه وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ من هو الذي ضربك ؟ (٦٤-٦٣/٢٢) .	بصفقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ أيها المسيح من ضربك (٦٨-٦٧/٢٦) .	ولما قال هذا لطم يسوع واحداً من الخدم كان واقفاً قائلاً أ هكذا تجاوب رئيس الكهنة (٢٢-١٨) .
السؤال الأول لبطرس : كان من جارية .	جارية .	جارية .	الجارية البوابة .
وموقع بطرس : كان في أسفل الدار يستدفي (٧٢ ، ٦٧ ، ٦٦-١٤) .	عند النار (في وسط الدار) (٦٢ ، ٥٥-٥٤/٢٢) .	خارج الدار (٧٥-٦٩/٢٦)	عند البوابة خارجاً (١٦-١٨) (٢٧-٢٥/١٨) .
السؤال الثاني له : من نفس الجارية .	من رجل .	من جارية أخرى .	من أحد الواقفين مع رئيس الكهنة .
موقعه : خارجاً في الدهليز .	نفس المكان السابق عند النار .	الدهليز .	عند النار حيث يجتمعون .
موقع بطرس : ربما نفس المكان السابق خارجاً في الدهليز .	رجل آخر .	ربما نفس المكان السابق في الدهليز .	عند النار في مكانه حيث يجتمعون .
أشهدت عليه الجميع في المرة الثانية .	لم تشهد عليه الجميع .	أشهدت عليه الجميع في المرة الثانية .	لم تشهد عليه الجميع .
سأله امرأة مرتين والحاضرون .	سأله جارية ورجلان .	سأله جارتان والقيام .	سأله جارية والواقفين مع رئيس الكهنة وشخص ثالث .
بعد سؤاله للمرة الثالثة : فابتدأ يلعن ويخلف .	قال : إنسان لست أعرف ما تقول .	فابتدأ حينئذ يلعن ويخلف .	فأنكر بطرس أيضاً .
صاح الديك مرتين .	صاح الديك مرة واحدة .	صاح الديك مرة واحدة .	صاح الديك مرة واحدة .

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
شهود زور : قوم .	لا يوجد شهود ويوجد استنطاق .	شهود زور : شاهدان .	لا يوجد شهود زور ويوجد استنطاق .
أ أنت المسيح ابن المبارك (١٤-٦١) سأله رئيس الكهنة .	أ فأنت ابن الله (من الجميع) (٢٢-٧٠) .	أنت المسيح ابن الله (٢٦-٦٣) سأله رئيس الكهنة مستحلفاً إياه بالله .	فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه (١٨-١٩) .
أنكر بطرس المسيح بعد محاكمته .	أنكره قبل محاكمته .	أنكره بعد محاكمته .	أنكره قبل محاكمته .
قالت الجارية لبطرس : وأنت كنت مع يسوع الناصري (١٤-٦٧) .	وقالت : هذا كان معي (٢٢-٥٦) .	وقالت : وأنت كنت مع يسوع الجليلي (٢٦-٦٩) .	فقال الجارية البوابة : ألسنت أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان ؟ (١٨-١٧) .
فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود (١٤-٦٣) .	لم يمزق ثيابه .	مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : لقد جدف ، ما حاجتنا بعد إلى شهود (٢٦-٦٥) .	لم يمزق ثيابه .

ويعلق أ/ علاء أبو بكر ، على ما ورد في الأناجيل الأربعة حول المحاكمة الأولى فيقول :

(الاختلاف بين الأناجيل الأربعة يبين لنا عدم اتفاق هؤلاء الإنجيليين ليدل على عدم كونهم ملهمين ، وإن قالوا بأن هذه الكتب كانت بمنزلة التاريخ لضبط أحوال هذا الرجل المصلوب ، فمن الواجب أن يتفقوا في الحكاية إثباتاً ونفسياً وتقريراً لأنهم لابد أن يكونوا قد رأوا الحادث رأى العين ولم يرووا عن غيرهم ، وإن قالوا بإلهامهم لوجب أنه لا يختلفوا ولا في حرف واحد ولو جاز تطرق الاختلاف في أخبار الوحي لبطلت الشرائع)^(١) .

وقد انتقد العلامة أحمد ديدات هذه المحاكمة ووصفها بأنها مهزلة فاليهود أرادوا إدانة يسوع وانتهاء أمره ، وفي منتصف الليل جهزوا شهود زور ليشهدوا ضد يسوع وانعقاد المحكمة بعد منتصف الليل كان ضد معتقدات اليهود لكن هذا الخروج عن الإجراءات لا يهم رغم تشجيع وتعاطف المحققين والمخلفين للشهود فإن شهود الزور لم يستطيعوا أن يتفقوا في القرائن والوقائع التي يشهدون بها ... من الناحية القانونية لم يستطيعوا أن يجرموه ، الاختلاف المباشر كان ضرورياً . يتدخل الكاهن الأكبر في المحاكمة قائلاً : خبرنا إذن أ أنت المسيح ابن المبارك " فقال يسوع أنا هو " مرقس (١٤/٦١-٦٢) تقول إنك ابن الله كفى تجديفاً ... وكان الحكم سريعاً وبالإجماع ... لكن اليهود لم يستطيعوا أن يشنقوه أخذوا ضحيتهم في الصباح إلى بيلاطس لأنهم حسب قولهم : " لا يحق لنا قانوناً أن نقتل أحداً " يوحنا (٣١/١٨) (٢) .

(١) المسيحية الحق : ص ٢٦٠ .

(٢) مسألة صلب المسيح : ص ٥٨ .

أما العلامة رحمة الله الهندي ، فقد وضع يده على ما في هذه المحاكمة من غلط متعمد من كتبة الأناجيل وقال : إنه يوجد في إنجيل يوحنا غلط في هذه المحاكمة والنص يقول : " فقال لهم واحد منهم هو قيافا كان رئيساً للكهنة في تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ولم يقل هذا من نفسه بل كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع منتظر أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ؛ بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ^(١) وقال : وهذا غلط من وجوه منها :

١- أن مقتضى هذا الكلام أن رئيس كتبة اليهود لا بد من أن يكون نبياً وهو فاسد يقيناً .

٢- أن قوله هذا لو كان بالنبوة يلزم أن يكون موت عيسى عليه السلام كفارة عن قوم اليهود فقط لا عن العالم وهو خلاف ما يزعمه أهل التثليث ، ويلزم أن يكون قول الإنجيلي وليس عن الأمة فقط ... الخ لغواً مخالفاً للنبوة .

والعلامة البغدادي في نقده للمحاكمة الأولى أخذ عليها **مآخذ عدة** وقال إنها مليئة بالتناقضات :

التناقض الأول :

فقد ذكر متى : أن يسوع مضوا به إلى دار رئيس الكهنة قيافا ، ومرقس وافقه على ذلك إلا أنه خالفه بعدم ذكره اسم قيافا ، ولوقا من حيث أنه ذكر في روايته أن القابضين عليه هم رؤساء الكتبة وشيوخ الشعب لم يوافق صاحبيه هنا على ذلك ؛ بل المفهوم من كلامه : أن الرؤساء سلمته إلى الخدام ومكث الليل بطوله معذباً بأيدي الخدام إلى الصباح ، وبعد اجتماع مشيخة الشعب أصعدوه إلى مجتمعهم وانفرد يوحنا بقوله : " أخذوه أولاً إلى دار حنَّان ، ثم إلى دار قيافا رئيس الكهنة " ^(٢) .

التناقض الثاني :

وهو اضطراب الأناجيل في تقديم الشهود عليه ، فعبارة مترجم متى خبيصة أطفال إذ لا معني لقوله : " طلبوا شهادة زور ليقتلوه ، فلم يجدوا مع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ، ولكن أخيراً تقدم شاهد زور " ومرقس تخلص من هذا التشويش في العبارة وقال : " ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين : نحن سمعناه يقول : إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيدي في ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد " وقد سمى شهادتهم هذه شهادة زور ، وليست كذلك ، بل هي حق كما سمعوا منه في الهيكل كما في إنجيل يوحنا (١٩/٢٠) ونصه : " فقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه " .. الخ فهل يُقال لهؤلاء الشهود أنهم زوروا وكذبوا ، وهم شهدوا كما سمعوا منه وتشهد الأناجيل بصدقهم ^(٣) .

(١) إظهار الحق : ١٧١/١ ، ولمزيد من التفصيل انظر : ص ١٧١/١-١٧٢ .

(٢) الفارق : ص ٣٨٨ .

(٣) المرجع السابق : ص ٣٨٩ .

وخلصة هذه المحاكمة : وجود الاختلاف والاضطرابات في رواية المحاكمة في الأناجيل الأربعة فإذا اتفقوا على أمر اختلفوا في آخر وإذا اتفق بعضهم على أمر اختلف البعض الآخر وهذه ليست من سمات الوحي الإلهي وبالتالي تُرفع القداسة عن هذه الأناجيل ويتبين أنها من وضع بشر .

ب. المحاكمة الثانية أمام بيلاطس :

ونص المحاكمة جاء فيه : وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله ، فأوثقوا يسوع ومضوا به وسلموه إلى بيلاطس ، فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود فأجاب وقال له : أنت تقول ... فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتبة وألبسوه أرجواناً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه ، وابتدأوا يسلمون عليه قائلين : " السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويصقون عليه .. ثم خرجوا به ليصلبوه " مرقس : (١٥/٢٠-٢٠) .

مرقس	لوقا	متي	يوحنا
-	-	نهاية يهوذا + حلم زوجة بيلاطس	-
-	-	استخدم متى الفترة ما بين قرار مجلس الكهنة والمحاكمة أمام بيلاطس في ذكر نهاية يهوذا	-
-	أقتني حقلاً من أجرة الظلم (أعمال الرسل ١-١٨) .	رجع يهوذا إلى المجلس وطرح النقود في الهيكل (٢٧-٥) .	-
-	مات ميتة دموية انشق فيها وسطه وانسكبت جميع أحشاؤه كلها (أعمال الرسل ١٨-١٩) .	مضى ليخنق نفسه (٢٧-٥) .	-
-	سمي الحقل حقل دم نتيجة الميتة الدموية التي لقيها يهوذا (أعمال الرسل ١-١٩) .	سمي حقل دم لأنه اشترى بنقود كانت ممن بيع دم بري (٢٧/٦-٨) .	-
قال لهم بيلاطس : أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ؟ (١٥-٩) .	-	مَنْ مِنَ الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ (٢٧-٢١) .	أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ؟ (١٨-٣٩) .
بارباس يُحدث فتنة (قاتل) (١٥-٧) .	مُحدث فن وقاتل (٢٣-١٩) .	أسير مشهور (٢٧-١٦) .	بارباس لص (١٨-٤٠) .
كان الشيوخ والكهنة والكتبة والمجمع كله عند محاكمته .	رؤساء الكهنة والعظماء والشعب (٢٣-١٣) .	رؤساء الكهنة والشيوخ والشعب والمجمع	المحاكمة في دار الولاية والكتبة والشعب لم يدخلوا دار الولاية

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
		(٢٧-١/٢٠) .	حتى لا يتنجسوا (١٨-٢٨) .
جنود بيلاطس ألبسوه أرجواناً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه . (١٧-١٦/١٥)	احتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً وردده إلى بيلاطس . (١١-٢٣)	جنود بيلاطس عرّوه وألبسوه رداءً قرمزيًا وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه . (٢٧-٢٧/٢٩)	جنود بيلاطس ألبسوه ثوب أرجوان وإكليلاً من الشوك ووضعوه على رأسه . (١٩-١/٢)
ألبسوه أرجواناً (فوق ملائسه) ولم يعروه كما ذكر متى . (١٧-١٥)	ألبسوه رداءً ولم يعروه ولم يلبسوه إكليلاً الشوك . (١١-٢٣)	عرّوه وألبسوه رداءً قرمزيًا . (٢٧-٢٨)	ألبسوه ثوباً أرجواناً ولم يعروه (١٩-٢) .
لم يعطوه قصبة في يمينه بل ضربوه بها (١٩-١٥) .	لم يعطوه قصبة .	وقصبة في يمينه (٢٧-٢٩) .	لم يعطوه قصبة .
ثم يسجدون له (١٩-١٥) .	لم يسجدوا أمامه .	كانوا يبحثون قدامه (٢٧-٢٩)	لم يسجدوا أمامه .
نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه . (٢٠-١٥)	لم يتزعوا رداءه من عليه . (١١-١٣)	نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب . (٢٧-٣١)	لم يتزعوا رداءه عنه . (١٩-٥)
شفاعة بيلاطس عند اليهود في المسيح مرة واحدة	شفاعته في المسيح ثلاث مرات	شفاعته في المسيح مرة واحدة .	شفاعته في المسيح ثلاث مرات
هَجَّ رؤساء الكهنة الجميع لكي يُطلق لهم باراباس . (١١-١٥)	صرخوا (من أنفسهم) بحملتهم قائلين : خذ هذا وأطلق لنا باراباس (١٨-٢٣) .	لكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجمع على أن يطلبوا باراباس (٢٧-٢٠) .	فصرخوا جميعهم قائلين : ليس هذا بل باراباس (أيضاً هنا من أنفسهم دون تحريض) .
-	-	غسل يديه أمام الجميع قائلاً : إني بريء من دمه . (٢٧-٢٤)	-
-	-	وقالوا : إن دمه علينا وعلى أولادنا (٢٧-٢٥) .	-
أسلم يسوع بعد ما جلد له ليصلب (١٥-١٥) .	أسلم يسوع لشقيتهم (٢٣-٢٥) .	جلد بيلاطس يسوع وأسلمه ليُصلب (٢٧-٢٦) .	أخذ بيلاطس يسوع وجلده (١٩-١) .
-	فأنا أؤدبه وأطلقه (٢٣-٢٢)	-	-
-	سأله بيلاطس : هل الرجل جليلي ؟ (٢٣-٦) .	-	-
-	حوكم أيضاً أمام هيرودس .	-	-
-	وتبدو لها شخصية هيرودس غريبة جداً فهو يفرح للقاء نبي العدل والرحمة والخلاص الذي تمّ لقاءه من زمان طويلاً .	-	-

مِرقس	لوقا	مَتَّى	يُوحَنَّا
	وفجأة يراه ويحتقره بناءً على شكوى كيدية مع علمه أنه حوكم من قبل أمام بيلاطس ولم يجد فيه علة .		
-	-	-	فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم احكموا عليه حسب ناموسكم فقال لهم : لا يجوز لنا أن نقتل أحداً (١٨-٣١)

وينتقد د/ سعد الدين صالح ، هذه المحاكمة فيقول وهو يبين الاختلاف الواقع بين الأناجيل في روايتها :
اختلفت رواية متى عن رواية لوقا في محاكمته ، فبينما يذكر متى أن بيلاطس والى بيت المقدس لم يرسل عيسى إلى
هيروديس مساعده ويذكر لوقا أنه أرسله إليه ، أيضاً لم يذكر مرقس شيئاً عن إرساله إلى هيروديس فمن أين أتى
لوقا بهذه الزيادة ولم تركها الباقون ؟ ^(١) .

ثم يخبرنا العلامة أحمد ديدات أن بيلاطس في هذه المحاكمة يرى أن يسوع ليس مذنباً لكن أعداء يسوع
يتساومون مع بيلاطس فيقولون : " إن أطلقت هذا فلست بمحباً لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر "
يوحنا (١٢/١٩) وأثناء إجراء المحاكمة ترسل زوجة بيلاطس إليه رسالة تقول : " إياك وذلك البار لأنى تأملت
اليوم كثيراً فى حلم من أجله " (متى : ١٩/٢٧) ومع أن بيلاطس كان يحاذر أن يصدق على حكم الإعدام على
أحد الرعايا الأبرياء غير الضارين ، ورغم توسل زوجته العزيزة ، فإنه لم يستطع أن يتغلب على ضغط اليهود ،
وأجبر أن يستسلم لصياح اليهود خارج القصر صارخين : " ليصلب ... أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً
إني برئ من دم هذا البار " (متى : ٢٤/٢٧) وقال لهم أنتم أبصرتُم بهذا الاتهام الظالم ، وأسلم إليهم يسوع لكي
يصلب ^(٢) .

(١) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ١٦٠ .

(٢) مسألة صلب المسيح : ص ٦٤ ، ولزيد من التفصيل يُراجع : الفارق ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

٥. الصلب :

اختلفت الأناجيل أيضاً في طريقة الصلب ووقته ومن هو حامل الصليب وفي الشراب الذي ناولوه للمصلوب وثياب المصلوب ومن الذى صُلب معه ؟ وغير ذلك من أمور .. ومما جاء في رواية الصلب ما ذكره مرقس : " وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه فسخرُوا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيرواني ليحمل صليبه ... وأعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل ، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد وكانت الساعة الثالثة فصلبوه وكان عنوان علته مكتوباً ، ملك اليهود وصلبوا معه لصين واحدًا عن يمينه وآخر عن يساره ... ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت قائلًا : " إلهي إلهي لما شقيتني " الذى تفسيره : إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ... وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير وبوس وسالومة ، اللواتي أيضاً تبعنه " مرقس : (١٥/٢٠-٤١) .

وقد عرض أ/ علاء أبو بكر ، الجدول هنا أيضاً لبيان مواطن الاختلاف بين الروايات في الأناجيل الأربعة :

مرقس	لوقا	متي	يوحنا
حامل الصليب : سمعان القيرواني (١٥-٢١) .	سمعان القيرواني (٢٣-٢٦) .	سمعان القيرواني (٢٧-٣٢) .	عيسى الذي نفسه (١٩-١٧) .
شراب المصلوب : أعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل (١٥-٢٣) وكان هذا قبل الصلب ليخفف الألم .	لم يعطوه ليشرب قبل الصلب .	أعطوه خلًا ممزوجة بمرارة ليشرب ، فلما ذاق لم يرد أن يشرب (٢٧-٣٤) .	لم يعطوه ليشرب قبل الصلب .
علة المصلوب : وكان عنوان علته مكتوبًا : ملك اليهود (١٥-٢٦) .	وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود (٢٣-٣٨) .	وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة : هذا هو يسوع ملك اليهود (٢٧-٣٧) .	يسوع الناصري ملك اليهود بالعبرانية واليونانية واللاتينية (١٩/٢٠-١٩) .
اللسان والمصلوب : واللذان صُلبا معه كانا يُعيرانه (١٥-٣٢) .	وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا ، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أو لا أنت تخاف الله ... فقال له يسوع : الحق أقول إنك اليوم تكون معي في الفردوس (٢٣/٣٩-٤٣) .	وبذلك أيضاً كان اللسان اللذان صُلبا معه يُعيرانه (٢٧-٤٤) .	لم يذكر أن اللصين استهزأوا به .

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
وقت الصلب : وكانت الساعة الثالثة فصلبوه . (٢٥-١٥)	لم يحدد الوقت .	لم يحدد الوقت .	وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة (١٩-١٤) (أي مساءً) .
صلاة المصلوب : لا توجد صلاة .	يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون . (٣٤-٢٣)	لا توجد صلاة	لا توجد صلاة
شرا به على الصليب : فركض واحد وملاً إسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وسقاه قائلًا : اتركوه ، لنر هل يأتي إيليا ليُترله ؟ (٣٦-١٥) .	(لم يقل أنا عطشان) والجند أيضاً استهزءوا به وهم يأتون ويقدمون له خلاً (٣٦-٢٣) .	وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملاًها خلاً وجعلها على قصبة وسقاه وأما الباقون فقالوا : اترك لنرى هل يأتي إيليا يُخلّصه . (٤٩-٤٨/٢٧)	قال : أنا عطشان ... فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه . (٢٩-٢٨/١٩)
(لم يطلب ليشرّب) .	(لم يطلب ليشرّب) .	(لم يطلب ليشرّب) .	(قال : أنا عطشان) .
صرخة اليأس على الصليب : إلوى إلوى لما شبقتني ، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني . (٣٤-١٥)	يا أبتاه في يديك أستودع روحي (٤٦-٢٣) .	إيلي إيلي لما شبقتني ، أي إلهي إلهي لماذا تركتني (٤٦-٢٧) .	فلما أخذ يسوع الخل قال : قد أكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح (٣٠-١٩) .
موت المصلوب : فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح (٣٧-١٥) .	يا أبتاه في يديك أستودع روحي (٤٦-٢٣) .	فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح (٥٠-٢٧)	فلما أخذ يسوع الخل قال : قد أكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح (٣٠-١٩) .
طعنة بحربة بعد موته : لم يطعن بحربة	لم يُطعن بحربة .	لم يُطعن بحربة .	وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات ، لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء . (٣٤-٣٣/١٩)
في أعقاب الصلب : انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، ولما رأى قائد المائة واقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال : حقاً كان هذا الإنسان ابن الله . (٣٩-٣٨/١٥)	أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه ... فلما رأى قائد المائة ما كان ، بجد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً . (٤٧-٤٤/٢٣)	وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين ، وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلا رأوا الزلزلة	(لم يعلم شيء عن ذلك) .

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
		وما كان خافوا جدًا وقالوا : حقًا كان هذا ابن الله (٢٧/٥١-٥٤) .	
انشقاق حجاب الهيكل بعد موته .	انشقاقه قبل موته .	انشق بعد موته .	(لم يعلم شيء عن ذلك) .
شهود الصلب : وكانت أيضًا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة (١٥-٤٠) .	وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك (٢٣-٤٩) .	وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وأم ابني زبدي (٢٧/٥٥-٥٦) .	وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية (١٩-٢٥) .

والجدول السابق ملئ بالاختلافات التي رصدها أ/ علاء أبو بكر والعلامة البغدادي وغيرهما من العلماء .

من هذه الاختلافات ما يلي :

١- الاختلاف في حامل الصليب :

اتفق متى ومرقس ولوقا على أن حامله هو سمعان القيرواني وقد أدرأ مرقس عنه أية شبهة فوصفه بأنه : " أبو الكسندرس وروفس " كما قال إنه كان آتياً من الحقل " واتفق معه لوقا في النقطة الأخيرة ولم يتفق معهم يوحنا في النقطة الأولى . حيث جاءت روايته مكذبة للثلاثة فقال : " إن حامل الصليب نفس المصلوب " ^(١) .

٢- الاختلاف الثاني : في شراب المصلوب حيث اختلفوا في وقت الشراب ومكانه وسبب وقوعه :

فقد اختلف مرقس ومتى في نوع الشراب قبل الصلب فهو " خمر " عند مرقس و " خل " عند متى . واختلفوا في رد فعل يسوع - على زعمهم - فقد قال مرقس أنه رفض " لم يقبل " أما متى فقد أوحى إليه أن عيسى ^(عليه السلام) - في زعمهم - ذاقها ثم " لم يرد أن يشرب " ولم يبلغ الوحي هذا إلى لوقا أو يوحنا فلم يذكر الواقعة ، أما وهو على الصليب فقد اتفقت الأناجيل الأربعة على أنهم ناولوه " إسفنجة مملوءة بالخل ووضعوها على قصبة " ولم يذكر لوقا كيفية تقديم هذا الخل ، وذكر يوحنا أنهم " قدموا إسفنجة الخل على زوفاً " ^(٢) .

(١) المسيحية الحقة : ص ٢٩٢ ، الفارق : ص ٤٣٤ .

(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة ، وكذلك الفارق نفس الصفحة ، ٤٣٥ .

٣- الاختلاف الثالث : في الاقتراع على ثياب المصلوب :

فظاهر رواية متى أنهم اقتسموا الثياب واقترعوا عليها واستشهد بقوله : " اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة " وكذا مرقس ولوقا إلا أنهما لم يستشهدا بالكلام السابق ، والثلاثة لم يعينوا مقدار الحصص وعدد المقسوم عليهم ، وأما يوحنا فذكر أن المقسوم عليهم أربعة وجعل القرعة على القميص فقط ؛ لأنه منسوج كله من دون خياطة ^(١) .

ويذكر العلامة رحمة الله الهندي ، أنه قد وقعت زيادة في التحريف الحاصل في هذه الرواية من إنجيل متى ونصها : " ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها . لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة " فهذه العبارة : " لكي يتم ما قيل للنبي ... ألقوا قرعة " محرفة واجبة الحذف عند محققهم ... ولا بد من تركها ؛ لأنها ليست جزءاً من المتن وهي إلحاقية صريحة مأخوذة من يوحنا : (٢٤/١٩) ^(٢) .

٤- الاختلاف الرابع : في العنوان المكتوب فوق رأس المصلوب :

واختلافهم عليه أشبه باختلافهم في سقاء المصلوب ؛ بل أشد تناقضاً واختلافاً فإن مترجم متى قال : وجعلوا فوق رأسه علة مكتوبة : " هذا هو يسوع ملك اليهود " ولوقا ويوحنا تفننا في ذلك فقال الأول : " وكان عنوان مكتوب فوق رأسه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود وقال الثاني : " باللاتينية " عوض الرومانية مع أن في ذكر الرومانية حكمة لكونها لسان الحكومة إذ ذاك ويدل كلام يوحنا على وقوع مجادلة بين اليهود وبيلاطس من جهة العنوان لم تذكرها الثلاثة ^(٣) وعد إظهار الحق هذا الاختلاف من الأغلاط الواقعة في العهد الجديد ^(٤) .

٥- الاختلاف الخامس :

قال متى ومرقس : إنهما كانا لصين ، وقال لوقا : إنهما كانا من المذنبين ويوحنا لم يذكر جريمتهم التي استحقا بها الصلب مع هذا الإله المهان في زعمهم ^(٥) وقد جعل أ/ محمد رشيد رضا ، مسألة اللصين من تعارض الأناجيل في قصة الصلب ^(٦) .

(١) الفارق : ص ٤٣٦ .

(٢) إظهار الحق : ٢٣٥/١ .

(٣) الفارق : ص ٤٣٦-٤٣١ ، المسيحية الحقة : ص ٢٩٢ .

(٤) إظهار الحق : ١٣٠/١ .

(٥) الفارق : ص ٤٣١ ، ص ٤٣٧ .

(٦) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، ص ٣٣-٣٤ ، المسيحية الحقة : ص ٢٩٤ .

٦- الاختلاف السادس : في وقت الصلب :

لقد تعرضت الأناجيل في وقت الصلب وقد ذكر ذلك علماؤنا الأفاضل فيقول العلامة البغدادي :
والعجب لهؤلاء الرواة إذ فاتهم أن يذكروا ذلك إلا مرقس فإنه صرح بأن الساعة التي صلب فيها هي الساعة
الثالثة ، " وكانت الساعة الثالثة فصلبوه " ولم يحدد كلاً من لوقا ومتى الميعاد ، ويُفهم من قول يوحنا أن الصلب
كان بعد الساعة السادسة فقال : " وكان استعداد للفصح ونحو الساعة السادسة فقال لليهود : هو ذا ملككم ،
فصرخوا : خذه خذه اصلبه ... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب ^(١)" ^(٢) وغير ذلك من الاختلافات ^(٣) .

٧- الدفن :

يواصل أ/ علاء أبو بكر ، سرد الأحداث التفصيلية لعملية الصلب فيحكى رواية مرقس في قصة الدفن ،
فيقول مرقس : " ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف
... ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً ... وهب الجسد ليوسف
فاشترى كتناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضع في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر ،
وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع " ^(٤) .

(١) يوحنا : (١٩/١٤-١٦) .

(٢) إظهار الحق : ١٢٥/١ ، ١٢٦ ، الفارق : ص ٤٢٩ ، ٤٣٨ .

(٣) لمزيد من التفصيل يُراجع الفارق : ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٤) مرقس : (١٥/٤٢) .

ولنر الاختلافات في الجدول التالي وسنلاحظ اعتماد يوحنا على لوقا في كتابته الإنجيلية ، فقد اتفقا على أن القبر كان جديداً لم يوضع فيه أحد قط ، كما اتفقنا من قبل على أنه كان بين التلاميذ والاثني عشر يهوذاً آخر غير الاسخريوطي الخائن الذي دل على المسيح نظير ثلاثين فضة ^(١) وأن الخيانة جاءت نتيجة لدخول الشيطان في يهوذا الاسخريوطي ^(٢) .

الاختلافات في أحداث الدفن كما تذكرها الأناجيل

مرقس	لوقا	متي	يوحنا
الذي دفن يسوع : يوسف الذي من الرامة مشير شريف . (٤٣-١٥)	رجل اسمه يوسف وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً . (٥٠-٢٣)	رجل غني من الرامة اسمه يوسف كان تلميذاً ليسوع . (٥٧-٢٧)	دفن يسوع كلا من نيقوديموس ويوسف (٣٩-١٩) .
مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظرا، أين وضع . (٤٧-١٥)	وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده (٥٥-٢٣) .	مريم المجدلية ومريم الأخرى . (٦١-٢٧)	لم يذكر شهود للدفن .
فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المائة وسأله . (٤٤-١٥)	لم يذكر هذه الواقعة .	لم يذكر هذه الواقعة .	لم يذكر هذه الواقعة .
وضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة (٤٦-١٥) .	وضعه في قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط . (٥٣-٢٣)	وضعه في قبر جديد . (٦٠-٢٧)	وضعه في قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط . (٤١-١٩)
لم يُشر إلى صاحب القبر .	لم يُشر إلى صاحب القبر .	صاحب القبر هو يوسف الذي من الرامة (٦٠-٢٧) .	لم يُشر إلى صاحب القبر .
وكفنه بالكتان (٤٦-١٥) .	ولفّه بكتان (٥٣-٢٣) .	ولفّه بكتان نقي . (٥٩-٢٧)	لفّاه بأكفان (٤٠-١٩) .
لم يدهن الجثمان بالأطياب .	لم يدهن الجثمان بالأطياب .	لم يدهن الجثمان بالأطياب .	دهنا الجثمان بالأطياب . (٤٠-١٩)

وبالتأمل في هذا الجدول الذي يوضح مدي الاختلاف بين الأناجيل نجد التالي :

أ. اتفق كل من مرقس ولوقا على أن الدافن هو رجل واحد يُدعى يوسف الذي من الرامة وخالفهما يوحنا وقال إنهما اثنتان هما يوسف الذي من الرامة ونيقوديموس واتفق متي ويوحنا على أنه كان تلميذاً للمسيح ^(٣) .

(١) انظر : لوقا : (٣/٢٢) ، يوحنا : (٢٧/٢٣) ، يُراجع المسيحية الحقّة : ص ٣٠٣ .

(٢) لوقا : (٣/٢٢) ، يوحنا : (٢٢/١٤) .

(٣) المسيحية الحقّة : ص ٣٠٥ .

ب. كذلك شهود الدفن عند مرقس ومتى وهم مريم المجدلية ومريم أم يوسي ومريم الأخرى ، ولم يكن هناك شهود عند يوحنا ، أما عند لوقا فقد كن نساء كثيرات كن قد تبعنه من الجليل (١) .

ج. كذلك اختلفت الأناجيل في صاحب القبر فلم يشر مرقس أو لوقا أو يوحنا إلى أن صاحب القبر هو يوسف الذي من الرامة . ولم يذكر ذلك إلا متى وكذلك اتفق مرقس ولوقا على أن القبر كان منحوتاً في الصخر (٢) .

٧- القيامة :

وما زال أ/ علاء أبو بكر ، متفرداً من بين الباحثين المعاصرين في تفصيل أحداث الصلب فيقول : إذا كان ما تقوله الأناجيل عن قصة الصلب يمثل مشكلة كبيرة ، فإنه بالتالي ما يترتب عليها من القول بقيامته وظهوره مرة أخرى يمثل مشكلة أخرى تُضاف إلى قائمة المشاكل التي تُثقل كاهل الأناجيل (٣) .

وقد بدأت روايات قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد الموت تنتشر ببطء شديد وسط الجماعة النصرانية الأولى بسبب إنكار تلاميذ المسيح وحواريه وعلى رأسهم بطرس - تلك الروايات وشكهم فيها ، وعدم إيمانهم بوجود أدنى صلة بين رسالة النصرانية الحقة التي تلقوها من معلمهم وبين فكرة القيامة من الأموات التي صارت واحدة من ركائز العقائد النصرانية فيما بعد (٤) .

ونجد أول شهادة عن القيامة لم تعطيها الأناجيل ، لكنها جاءت من رسائل بولس وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥/٥-١٨) والتي كُتبت قبل أقدم الأناجيل بعشر سنوات على الأقل ، وفي الوقت الذي نادى فيه بموت المسيح وقيامته فإن هناك من المؤمنين من عارضه على ذلك فيقول بولس : " ولكن إن كان المسيح يركز به أنه قام من الأموات ، فكيف يقول قوم بينكم إن ليس قيامة أموات فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم (٥) " (٦) .

(١) المسيحية الحقة : ص ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٠٥ .

(٣) انظر : المسيحية الحقة : ص ٣٢٨ .

(٤) المرجع السابق : ص ٣٢٨ .

(٥) كورنثوس الأولى (١٥/١٢-١٤) .

(٦) المسيحية الحقة : ص ٣٢٨ .

وفيما يلي أعرض الجدول الذي ذكره أ/ علاء أبو بكر ، ويبين وجود الاختلافات في موضوع قيامة المسيح - على زعم النصارى - من بين الأموات :

مرقس	لوقا	متي	يوحنا
يوم موته : الجمعة . (٤٢-١٥) .	الجمعة .	الجمعة .	الخميس .
يوم دفنه : مساء الجمعة .	مساء الجمعة .	مساء الجمعة .	مساء الخميس .
من أتى إلى القبر : مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة . (١-١٦) .	حاملات الخنوط ومعهن أناس . (١-٢٤) .	مريم المجدلية ومريم الأخرى . (١-٢٨) .	مريم المجدلية أولاً بمفردها ثم أتت بسمعان بطرس ويوحنا . (٣-١/٢٠) .
ميعاد زيارتهم للقبر : إذ طلعت الشمس في أول الأسبوع (٢-١٦) .	أول الفجر في أول الأسبوع . (١-٢٤) .	عند فجر أول الأسبوع . (١-٢٨) .	في أول الأسبوع باكراً والظلام باق (١-٢٠) .
وضع الحجر عند باب القبر : رأين أن الحجر قد دُحرج . (٤-١٦) .	فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر (٢-٢٤) .	ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . (٢-٢٨) .	فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر (١-٢٠) .
ما شاهداه عند ذلك : شاباً جالساً عن اليمين لابساً حله بيضاء (٥-١٦) .	رجلان وقفا بهن بثياب بُراقة . (٤-٢٤) .	إذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء . (٢-٢٨) .	فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين . (١٢-٢٠) .
رد الفعل : اندهشن وأخذفن الرعدة والحيرة . (٨ ، ٥/١٦) .	خائفات ومنكسات وجوهفن إلى الأرض مختارات . (٤ ، ٥/٢٤) .	كانتا خائفتان (٤-٢٨) .	بكت (لماذا تبكين ؟) (١٣-٢٠) .
ما قلنه للملاك : لم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات (٨-١٦) .	-	-	قالت لهما : إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعه (١٣-٢٠) .
مَنْ كَلَّمَ النساء : الشاب الذي رأيته (٦-١٦) .	كلمهن الرجلان (٥-٢٤) .	كلمهن الملاك (٥-٢٨) .	سأل الملاكان وبعد ذلك تكلم يسوع وقال لهما نذهب لتخبر باقي التلاميذ . (١٨-١٣/٢٠) .
ماذا قال المتكلم (الشاب) : أتين تطلبين يسوع الناصري المصلوب ؟ قد قام ليس هو ههنا ، هو ذا الموضع الذي وضعه فيه (٦-١٦) .	(الرجلان) : لماذا تطلبين الحي بين الأموات ، ليس هو ههنا لكنه قام (٦-٥/٢٤) .	(الملك) لا تخافا ، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب (٥-٢٨) .	(الملاكان) قالوا فقط : يا امرأة لماذا تبكين ؟ (١٣-٢٠) .

مَرْقَس	لوقا	مَتَّى	يُوحَنَّا
موقف الخنوط : أتين به معهن .	أتين إلى القبر حاملات الخنوط . (١-٢٤)	-	-
مكان الملاك : الحجر قد دحرج والملاك جالساً داخل القبر (٥-٤/١٦) .	الملاك كان ظهراً داخل القبر . (٤-٢٤)	جلس الملاك على الحجر خارج القبر . (٢-٢٨)	مكان أحدهما عند الرأس والآخر عند القدمين . (١٣-٢٠)

هذا الجدول يبين مدى التعارض والتناقض في موضوع قيامة المسيح والملاحظ من النصوص أنه يوجد فيها اختلافات كثيرة منها :

الاختلاف الأول : أن المسيح قد دفن مساء الجمعة ويُفترض أنه بات هناك ويُفترض أيضاً أن يكون قد أمضى السبت كله هناك ، ومع شروق شمس أول الأسبوع - الأحد - لم يجده أحد هناك أي يُفترض أن يكون قد أمضى في هذه المقبرة ليلتان ويوماً كاملاً وبذلك يكون قد قضى حوالي ٣٠-٣٦ ساعة ^(١) .

وهذا يكذب نبوءة متي التي تقول : " لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال . هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " ^(٢) لأنه لو قضى ثلاثة أيام وثلاث ليال لكان قضى ٧٢ ساعة ولو كان المسيح قد قال هذه النبوءة لما دهش زوّار القبر أو شُلت ألسنتهم عن الكلام أو خافوا ، ولما أتوا للمقبرة أصلاً بل تقابلوا في المكان المتفق عليه ولكان تلاميذه قد صدقوا قيامته دون شرط رؤيته ^(٣) .

ويعلل يوحنا هذه الدهشة قائلاً : " لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب ؛ وأنه ينبغي أن يقوم من الأموات " ^(٤) . ويطالعا العلامة أحمد ديدات ، في دراسته النقدية حول قضية من دحرج الحجر الذي وضع على قبر يسوع - في زعمهم - بإبراز التناقض والمغايرة بين يسوع ويونان ، ومعالجة أوجه الشبه بينهما ، وخرج من هذه الدراسة النقدية بأنه لا يوجد وجه شبه بينهما ، فإن يونان ظل حياً في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، أما يسوع ظل ميتاً كما يدعون ، وهذه مغايرة تامة ^(٥) .

(١) المسيحية الحقّة : ص ٣٣٢ .

(٢) متي : (٤٠/١٢) آية يونان .

(٣) المسيحية الحقّة : ص ٣٣٢ .

(٤) يوحنا : (٩/٢٠) القبر الفارغ .

(٥) وانظر من دحرج الحجر ، أحمد ديدات ، ص ٥٥-٥٦ ، طبعة دار المنار ١٩٨٨ م .

الاختلاف الثاني في مسألة مجيء مريم للقبر فهو سبب الزيارة :

فقد روى متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى جاءتا في صباح يوم الأحد لينظرا القبر وهذا يكذب ما جاء به متى : " وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر ^(١) " وإلا فلا معنى لجيئتهما ثانيًا لينظرا القبر ، وعبارة مرقس مخالفة لمتى فقد جعل مرقس سبب الزيارة هو تحنيط المدفون ، وأن وقت المجيء كان بكرة أحد السبوت - كما في نسخة لندن ١٨٤٨ م - ٤

ووافق لوقا مرقس في سبب المجيء وأنه كان لتحنيط المدفون ولكنه خالفه في شراء الحنوط وأنه كان قبل يوم السبت لا بعده فعند مرقس : " وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً " ^(٢) أي أنه كان بعد مضي يوم السبت ، وعند لوقا : " ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعدده " ^(٣) أي أنهن أعددن هذا الحنوط في يوم السبت أو قبله وليس بعده كما في مرقس ، وليس من الممكن أن يكون قد اشترينه يوم " السبت " حيث تكون الحوانيت مغلقة كما لم يكن الشراء يوم " الجمعة " أيضاً حيث حوكم وصلب ودفن عند منتصف الليل ، كما لم يتم هذا فجر " الأحد " أيضاً فمتى قمن بشراء أو بتحضير هذه الحنوط ؟ ولو قمن بتحضيره من قبل ، فلماذا انزعجن وارتبكن عفن علمهن بقيامته ؟ ولم يذكر كل من متى أو يوحنا شيئاً عن هذا الحنوط ^(٤) .

الاختلاف الثالث عن وضع الحجر :

فقد كان مدرجاً - أي في غير موضعه - عند مرقس ولوقا ويوحنا إلا أن متى ذكر أن الحجر كان في مكانه ثم نزل ملاك الرب وحدثت الزلزلة وجاء الملاك ودحرج الحجر أمامهم ^(٥) .
وغير ذلك من الاختلافات في مسألة قيامة المسيح ^(٦) .

(١) الإصحاح (٦١/٢٧) الدخن

(٢) مرقس : (١/١٦) القيامة .

(٣) لوقا : (١/٢٤) السابق .

(٤) المسيحية الحقبة : ص ٣٣٤ .

(٥) المرجع السابق : ص ٣٣٥ .

(٦) يُراجع : مسألة صلب المسيح : ص ٩٤-١٠٢ ، والمسيحية الحقبة : ص ٣٣٥-٣٣٧ ، وانظر : من دحرج الحجر ؟ ، ص ١٨-٢٦ .

٨- الظهور :

وتأتى نهاية الأحداث التفصيلية لتوضح ظهور المسيح - في زعمهم - على هيئته وما هو العدد الذي ظهر لهم ورأوه وهذا تنتهي أحداث الصلب كما صورتها الأناجيل الأربعة ، وما زال أ/ علاء أبو بكر ، في تميزه لعرض عقيدة الصلب ينفرد بسرد الأحداث جملة وتفصيلاً ونقداً وتحليلاً رائعاً أثبت من خلاله بطلان هذه العقيدة بناءً على ما تحتويه من مخالفات ومغالطات كثيرة وبناءً على الاختلافات التي لا تُحصى بين الروايات الإنجيلية .

والنص الذي يحمل معنى ظهور المسيح جاء في مرقس ما نصه :

" وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين ، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنتين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية وذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا أولاً هذين ، وأخيراً ظهر لأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم وقد قام . وقال لهم : إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ... ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله " مرقس : (١٦/٩ - ٢٠) .

والجدول التالي يوضح مدى ما وقع بين الأناجيل من اختلاف في مسألة ظهور المسيح :

مرقس	لوقا	متى	يوحنا
الظهور الأول : لمريم المجدلية . (١٦-٩) .	لاثنين كانا منطلقين إلى قرية عمواس (٢٤-١٣) .	لمريم المجدلية ومريم الأخرى . (٢٨-٩) .	لمريم المجدلية . (٢٠-١٤) .
الظهور للتلاميذ : حدث مرة واحدة (١٦-١٤) .	حدث مرة واحدة (٢٤-٣٦) .	حدث مرة واحدة (٢٨-١٦) .	حدث ثلاث مرات (٢٠-١٩ ، ٢٦/٢١-١) .
الظهور للتلاميذ : في الجليل (١٦-٧) .	في أورشليم (٢٤/٣٣-٣٦) .	في الجليل (٢٨-١٠) .	في أورشليم (٢٠/١٩-٢٦) بحيرة طبرية (٢١-١) .
وقت صعوده للسماء : يوم نشوره .	يوم نشوره (بعد ٤٠ يوم في سفر الأعمال ١-٣) .	يوم نشوره .	بعد اليوم التاسع من نشوره (٢٠-٢٦ ، ٢١-١) .
من أعطي الأمر لمريم أن تخبر التلاميذ : (الملك الشاب) (١٦-٧) .	يُفهم من تذكير الرجلين (الملكين) لمن (٢٤/٥-٩) .	الملاك (٢٨-٧) .	عيسي نفسه (٢٠-١٧) .
رد فعل مريم عند رؤية عيسي - الملك - : لم يكن هناك رد فعل غير طبيعي (١٦-١٠) .	لم يلتق يسوع بمريم بالمرة .	أمسكتا بقدميه وسجدتا له (٢٨-٩) .	وقالت له : ربوني - الذي تفسره يا معلم - قال لها يسوع : لا تلمسيني (٢٠/١٦-١٧) .
مكان نقطة انطلاق المسيح :	من بيت عنيا (٢٤/٥٠) .	(محل اجتماعهم) حيث العلية	لم يذكر أنه صعد .

مَرْقَس	لوقا	متى	يوحنا
الجليل .		التي كانوا يجتمعون فيها في أورشليم .	
ماذا قال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (١٥-١٦) .	فأقيموا في أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلي (٢٤- ٤٩) وفيما هو يجتمع معهم أوصاهم أن لا يرحلوا من أورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب (أعمال الرسل ١-٤) .	اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (١٩-٢٨) .	-
وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان (٢٠-١٦) .	فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم ، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله (٥٣-٥٢/٢٤) .	-	-

ذكر د/ سعد الدين صالح ، جملة من الاختلافات بين الأناجيل في مكان ظهور المسيح بعد قيامته من بين
الأموات هي ما يلي :

- فمتي يذكر أنه ظهر في الجليل .
- ولوقا يذكر أنه ظهر في أورشليم .
- ومرقس يقول : إنه ظهر بين تلاميذه .
- ويوحنا يذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معاً .

فما أبعد اليقين عن أخبار فيها مثل هذا الاختلاف ^(١) .

ويتعجب أ/ محمد رشيد رضا من زعمهم بقيامة المسيح فيقول :

١- إذا كان المسيح أخبر تلاميذه بأنه بعد قيامته سيسبقهم إلى الجليل ، وأمرهم بالذهاب إلى هناك لكي يروه
فلماذا إذاً ظهر لهم في أورشليم كما يقول لوقا ويوحنا في نفس اليوم الذي قام فيه ؟ .

٢- ما الحكمة في إرسالهم إلى الجليل ليروه هناك ، مع أنه ظهر لهم مراراً في أورشليم ؟ وما الداعي لذلك ؟ وهو
الذي أمرهم أن لا يرحلوا أورشليم حتى يحل عليهم روح القدس .

(١) مشكلات العقيدة النصرانية : ص ١٦١ ، ولزبد من التفصيل حول الاختلافات في مسألة ظهور المسيح ، يُراجع : المسيحية الحق : من
ص ٣٤٢-٣٥١ .

٣- هل ظهوره لهم في الجليل كان بعد ظهوره لهم في أورشليم أم قبله ؟ فإن كان بعده فلماذا شكوا فيه ؟ ، بعد أن كان أقنعهم بذلك في أورشليم ، ، وإن كان قبله فمتى ذهبوا إلى الجليل إذن ؟ مع العلم بأن الجليل يبعد عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام على الأقل وقد نصت الأناجيل على أنهم رأوه في أورشليم في نفس يوم قيامته من القبر . فهل يُعقل أنهم ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك ثم رجعوا في نفس ذلك اليوم ؟ وإن كان السبب في الشك أن هيئته كانت تتغير بعد القيامة مراراً فلماذا كان ذلك ؟ وما الحكمة في هذا التضليل ؟ وإذا كانت هيئته قابلة للتغيير والتبديل بعد القيامة وقبلها كما يُفهم من الأناجيل ، وكان له القدرة على الاختفاء عن أعين الناس والمرور في وسطهم بدون أن يروه والإفلات من أيديهم ، فكيف إذاً يجزمون بأن اليهود صلبوه وأنهم عرفوه حقيقة وأمسكوه ؟ مع أن نفس التلاميذ كانوا يشكون فيه لكثرة تغير هيأته وتبدلها ، وهم أعرف الناس به وأقربهم إليه وأكثرهم اختلاطاً به ، فأية غرابة إذاً قلنا أن اليهود لم يعرفوه وأخطأوه كما أخطأته مريم المجدلية وظنته البستاني (١) .

ويناقش د/ سعد الدين صالح ، مسألة قيامة المسيح مرة أخرى ويقول إنها أوهام وباطلة كما يلي :

٤- فمن الباطل الذي أوردوه ادعاؤهم أنه قبر ثلاثة أيام وأنه استمر معهم أربعين يوماً ، وأنه سوف يحاسب الخلق . فهذا كلام لا دليل عليه والأدلة الصادقة تُبطله وتدمغه فلم يقبر عيسى وإنما نجاه الله في ليلة الصلب ورفع إلى ربه .

٥- وأما ادعاؤهم أنه هو الذى سيتحاسب الخلق فهو ادعاء باطل يرفضه العقل الصريح لأول وهلة ، فكيف يترك الله أمر الحساب لعيسى ويقف هو موقف المتفرج وما دوره حينئذ ؟ .

٦- وأما حديثهم عن تعدد القيامات والمحاسبات فهو حديث يثير العجب .

٧- وأما حديثهم عن ما بعد الموت فهو يتعارض تماماً مع صميم العقيدة النصرانية في أن عيسى بصلبه قد تحمل عن الناس خطاياهم وطهرهم من الذنوب والآثام فما قيمة المطهر الذى يوضعون فيه بعد الموت ؟ (٢) .

(١) عقيدة الصلب والفداء : ص ٨٢-٨٣ .

(٢) انظر : مشكلات العقيدة النصرانية ص ١٧٥-١٧٨ .

٨- أما الحق الوحيد الذى تحدث عنه النصارى ... فهو حديثهم عن المجيء الثانى لعيسى وإن كانوا قد اختلفوا وتباينوا فى كيفيته وكيفية إقامته للملكوته هل هو ملكوت أرضي واقعي أو ملكوت سماوي ، كما أنهم اختلفوا فى مواعده وزمانه ولم يصلوا إلى رأي قاطع حتى جاء رسول الله ﷺ وكشف لهم الحقائق فقد أخبر الرسول الكريم أن عيسى عليه السلام سوف يترل فى آخر الزمان ، وأنه سوف يكسر الصليب ويريق الخمر ويقتل المسيح الدجال وقيم الملة العوجاء ويترل بشريعة الإسلام^(١) . فقد جاء فى الحديث : (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)^(٢) ، وفى حديث آخر : (والذى نفسى بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)^(٣) .

وقد أورد العلامة البغدادي ، عشرين دليلاً عقلياً أثبت من خلالها بطلان دعوى صلب المسيح^(٤) وقد تضمنها النقد التفصيلي السابق من خلال ردود علمائنا الأجلاء .

وخلاصة القول فى قضية صلب المسيح ما يلي :

- ١- بطلان الاستدلال من الأناجيل على هذه العقيدة التي جعلوها أساس دينهم وذلك لأنها كتب مشكوك فى صحتها ولم يتم التحقق بعد ممن كتبوها وبالتالي فهي دعوى خالية عن الدليل .
- ٢- بُعد الزمن الذي كُتبت فيه الأناجيل عن زمن الإنجيل الأصلي كما تقدم بيانه فى نقد سند العهد الجديد يؤكد افتراء أصحاب الأناجيل هذه العقيدة من عند أنفسهم .
- ٣- وعلى سبيل التسليم الجدلي لهم فيما يدعون من صلب المسيح فإنه من خلال مناقشة العلماء لهذه العقيدة ونقدمهم لأحداثها تبين وجود التعارض بين الروايات وكثرة الاختلافات بين النصوص داخل تلك الروايات وكثرة التناقض بين ما حدث فيها من وقائع وبالتالي فإن أمراً مثل هذا يحدث فيه كل هذه المخالفات والمغالطات كفيل برده وبطلانه وبالتالي انتفاء القداسة عن تلك الأناجيل وأيضاً انتفاء صلب المسيح عليه السلام .

- ٤- اتبع علمائنا الأجلاء فى أغلب نقدمهم لهذه العقيدة طريقة الجدال بالتي هي أحسن لتلك النصوص التي يزعمون أنها مقدسة وتفيدها وتفسرها تفسيراً صحيحاً بناءً على الأدلة النقلية والعقلية والشواهد التاريخية .

(١) انظر : مشكلات العقيدة النصرانية : ص ١٨١ .

(٢) أخرجه البخاري فى كتاب الأنبياء : باب واذكر فى الكتاب مريم : ٢٠٣/٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان : باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد بـرقم ، ٢٤٢ ، ١٣٥/١ .

تتمة : قضية اليوم الآخر في العهد الجديد :

ربما يدور تساؤل حول العقائد في العهد الجديد ، ولماذا لم يتم تناولها مثلما تم دراستها في العهد القديم ، فلم يذكر هنا الإيمان بالكتب المتزلة والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر . وللإجابة على هذا السؤال أقول :

إن سيدنا عيسى عليه السلام جاء مكملًا لشريعة سيدنا موسى عليه السلام ، لذلك فإنه لم يكن في صدد تأسيس عقيدة جديدة أو تشريع جديد ، وقد سبق بيان ذلك في التمهيد للرسالة .

ويؤكد أ/ عبد الكريم الخطيب ، هذه القضية فيقول :

إن الأناجيل لم تواجه قضية البعث والحساب والجزاء مواجهة صريحة ولم يحاول المسيح أن يجعل منها مجالاً للبحث والنظر ، لأنه لم يكن من همه أن يقرر عقيدة ، أو يشرح مذهباً ... لأن اليهود كانوا بحاجة إلى رسالة تترع القسوة التي تمكنت من قلوبهم فاغتالت منها عواطف الرحمة والحب وملاهما ضغينة وحقداً وأنانية ، وذلك لما نزل بهم من ويلات وتشتت على يد أعدائهم من الآشوريين والبابليين وغيرهم^(١) .

وكانت مهمة المسيح إذن أن يبعث في هذه القلوب الصلدة المتحجرة قطرات من عواطف الإخاء والحب والتراحم ، أما الإله فإنهم يعرفونه وإن كانوا لا يتعاملون معه ، أما البعث والجزاء والجنة والنار فإنهم على علم بها ولكن بلا عمل لها ولا إحساس بها ... من أجل هذا كان ما يذكر في الأناجيل عن البعث والجزاء تذكيراً بهما وإعداداً لهما وتخويفاً من المصير التعيس لمن لا يعملون^(٢) .

وقد تناول د/ فرج الله عبد الباري ، اليوم الآخر في العهد الجديد بالتفصيل وبين التصور النصراني لعلامات الساعة والبرزخ والقيامة وغير ذلك من أمور تتعلق باليوم الآخر^(٣) . تؤكد رؤية أ/ عبد الكريم ، لما ورد في العهد الجديد من نصوص تذكر باليوم الآخر فقط .

(١) الله والإنسان : أ/ عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٥٥ ، ط/ دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، الطبعة / ١٩٧٥ م .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٦ .

(٣) اليوم الآخر : د/ فرج الله عبد الباري ، ص ٩٢-٩٤ ، ١٠٨-١١٠ .

وخلصت جهود العلماء في نقد العقائد في العهد الجديد :

استوعب علماء المسلمين عقائد النصارى بالنقد والتحليل ، وكان رائد الحركة النقدية لهذه العقائد ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، يليه في الاستيعاب العلامة رحمة الله الهندي ، والعلامة البغدادي ، وكذلك تميزت الرؤى النقدية للعلماء المعاصرين أمثال أ/ محمد رشيد رضا ، م / الطهطاوي ، بقوة الحجة العقلية والردود المقنعة التي تنم عن فهم عميق لمفردات العقائد النصرانية .

وأ/ علاء أبو بكر ، قد عالج هذا الموضوع معالجة شاملة موسعة ، استفاد فيها من النقاد الغربيين كثيراً ، وتتميز طريقته النقدية بالإبداع والابتكار ، وكذلك ل / أحمد عبد الوهاب .

الفصل الثاني

نقد الشرائع والعبادات والأخلاق في العهد الجديد

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين :

— المبحث الأول : نقد الشرائع والعبادات في العهد الجديد .

— المبحث الثاني : نقد الأخلاق في العهد الجديد .

المبحث الأول

جهود علماء المسلمين - فترة البحث - في نقد الشرائع والعبادات في العهد الجديد

ويشتمل على الأمور التالية :

أولاً : هل يوجد في المسيحية تشريع مستقل .

ثانياً : الصلاة .

ثالثاً : الصوم .

رابعاً : التعميد .

خامساً : الرهبانية .

سادساً : الإقرار بالذنوب للقسيس .

سابعاً : العشاء الرباني .

ثامناً : إثبات النسخ في العهد الجديد .

المبحث الأول

نقد الشرائع والعبادات في العهد الجديد

هل يوجد في العهد الجديد تشريع مستقل ؟

تبين فيما سبق فساد العقيدة النصرانية ، وكيف اجتهد علماءنا الأجلء في إبطالها ، وبينوا ضلال النصارى فيما يعتقدون ، وقد وقفوا وقفات نقدية متنوعة أمام هذه الانحرافات العقائدية متبعين في ذلك المنهج العلمي في دراستهم لها .

وفي هذا الفصل أُبين من خلال جهودهم النقدية الأمور التالية :

- هل يوجد في المسيحية تشريع ؟
- وهل جاء سيدنا عيسى عليه السلام بشريعة مستقلة وأحكام جديدة غير الأحكام التي وردت في التوراة أم لا ؟
- ومن الذي أحدث وبدّل وغير في أحكام التوراة وشرائع النصارى ؟

وبالبحث وراء توضيح هذه التساؤلات ومن خلال القراءة المتأنية للإنتاج العلمي الذي أبدعته قرائح علمائنا الأجلء وجدت ندرة ملحوظة في تناول هذا الجانب — وهو التشريع في النصرانية — إلا أن بعض الكتاب قد أسهم في بيان الشريعة التي يحتوي عليها العهد الجديد وأكد أن الشريعة التي جاء بها المسيح عليه السلام هي شريعة مكملّة لما جاء في التوراة من تشريعات ولم يأت المسيح عليه السلام بشرع جديد ولم تكن هناك أحكام مستقلة في العهد الجديد ، وأن الذي شرع للنصارى وخالف أقوال المسيح هو بولس إذ أنه قلب النصرانية رأساً على عقب كما سبق بيانه .

ويبرز في مقدمة هذه الجهود النقدية ما قام به الإمام ابن القيم وأكد اتباع النصارى لبولس ومخالفتهم تعاليم المسيح عليه السلام حيث أثبت مخالفة النصارى للمسيح عليه السلام في الشرائع فذكر ما يدل على ذلك بالمعنى دون أن يذكر النص وقام د/ السقا ، بذكر بعض هذه النصوص في الهامش فقد قام بجهد واضح في تحقيق كتاب هداية الحيارى فيقول الإمام ابن القيم :

(وأما فروعه وشرائعه — أى دين النصارى — فهم — أى النصارى — مخالفون للمسيح في جميعها ، وأكثر ذلك بشهاداتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البطارقة والأساقفة ، فإن المسيح عليه السلام كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة ويوجب غسل الحائض ، وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب) (١) .

(١) هداية الحيارى : ص ٢٦٣ .

ويؤكد د/ مصطفى شاهين أنه لا يوجد في المسيحية شريعة بالمعنى التام ، بل الموجود في كتب النصارى بعض الأحكام في العبادات والمعاملات مما يدخل تحت كلمة شريعة لكن هذا البعض قليل جداً ولا يتناول فروع الشريعة كلها ، إذ الشريعة هي الأحكام العملية المتصلة بالعمل لا بالاعتقاد ؛ لأن ما يخص الجانب الإعتقادي هو المسمى بالإيمان وهو شيء في القلب أما ما يتصل بخارج القلب وهو العمل الذى بالجوارح وأحكام هذا العمل هو ما يسمى شريعة ^(١) .

وقد قدم د/ المطعني رؤية توضيحية لهذا الجانب - التشريع في المسيحية - فيقول : المسيح عليه السلام لم يأت برسالة منفصلة كل الانفصال عن رسالة موسى عليه السلام وإنما جاء برسالة هي امتداد لشريعة موسى عليه السلام بدليل قول الإنجيل : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل " ^(٢) . ثم يقول للحواريين الاثنى عشر موضعاً لهم المهمة التي أرسل من أجلها : " ... إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا ؛ بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " ^(٣) " ^(٤) .

ويؤكد ذلك أيضاً د/ محمد طلعت أبو صير فيقول :

(إن شريعة اليهود المقررة في العهد القديم هي نفسها المقررة في العهد الجديد فيما عدا ما ورد عن المسيح عليه السلام ونص بنسخه ^(٥) أو تعديله ، فقد أورد العهد الجديد نصوصاً قليلة ناسخة ومعدلة لبعض أحكام العهد القديم ومعظمها جاء في موعظة الجبل التي ألقاها وهو جالس على قمة الجبل وسمعها الحواريون والتلاميذ وجمهور كبير من الناس ^(٦) ومنها :

- تقول التوراة : لا تزن أما أنا " المسيح " فأقول : لكل من نظر إلى امرأة وهو يشتهيها فإنه يزني بها في قلبه ^(٧) .

(١) النصرانية تاريخاً وعقيدة ومذاهب دراسة وتحليل ومناقشة : ص ٢٢٧ طبعة دار الاعتصام بدون .

(٢) متى : (١٧/٥) إكمال الناموس .

(٣) متى : (١٠/٥-٦) إرسال الاثنى عشر .

(٤) انظر : الإسلام د/ المطعني ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، والإسلام والأديان : د/ مصطفى حلمي ، ص ١٨٩ ، تاريخ الإنجيل والكنيسة : أحمد إدريس ص ٦١ .

(٥) إن عيسى عليه السلام لم يأت ناسخاً للتوراة بل مصدقاً لها عاملاً بها ولكنه نسخ بعض أحكامها قال تعالى : ﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ فقد كان حرم على بني إسرائيل بعض الطيبات بظلمهم وكثرة سؤالمهم فأحلها عيسى عليه السلام تفسير المنار (٣/ ٣١٢) .

(٦) أضواء على مقارنة لأديان : د/ محمد طلعت أبو صير ص ٨٧-٨٨ ، وانظر : النصرانية : د/ مصطفى شاهين ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٧) متى : (٥/٢٧-٢٨) الزنا .

— تقول التوراة : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، أما أنا فأقول : من طلق امرأته إلا لعة الزنى فإنه يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني ^(١) . إلى آخر ما تشتمل عليه موعظة الجبل من تعديلات تشريعية كالقصاص وحب الأعداء والمسالمة وإخفاء الصدقة ويحذرهم من الكذب وغير ذلك ^(٢) .

وقد أكد د/ مصطفى شاهين عدم وجود أحكام شرعية في العهد الجديد تمس هذه الموضوعات وإذا وجد بعضها فقليل وقد قسم العلماء الأمور التي تندرج تحت الشريعة إلى عبادات ومعاملات وأخلاق ، فالعبادات تنظم العلاقة بين الإنسان وربه ، والمعاملات تنظم العلاقة بين الناس ويدخل في ذلك البيع والشراء والتجارة والشفعة والرهن ... الخ المعاملات المالية ، وكذلك يدخل فيها أيضًا شئون الأسرة مثل الزواج والطلاق والميراث ^(٣) .

هذا على سبيل الإجمال أما التفصيل : فقد أبطل علماؤنا الأجلاء ما يوجد في النصرانية من عبادات وشرائع وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم والبغدادى وغيرهم كما يلي .—

ثانيًا : الصلاة :

بين الإمام ابن تيمية في نقده للعبادات والشرائع في العهد الجديد أن هذه الأمور لا تقوم على أساس ديني صحيح ، ولم يشرعها المسيح عليه السلام وإنما هي من المخالفات التي وقع فيها النصارى وشرعوها من عند أنفسهم فيقول : من ضلالات النصارى تعظيمهم الصليب واستحلالهم لحم الخنزير ، وتعبدهم بالرهبانية ، وامتناعهم من الختان ، وتركهم طهارة الحدث والخبث ، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء ، ولا يوجبون اجتناب شئ من الخبائث في صلاتهم ... كلها شرائع أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام ^(٤) .

(١) متى : (٣١/٥ - ٣٢) الطلاق .

(٢) أضواء على مقارنة الأديان : د/ طلعت أبو صير ، ص ٨٨ .

(٣) النصرانية : ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح : ١٤٤/١ ، بتصرف بالحذف .

والإمام ابن القيم ينتقد صلاة النصارى التى يقومون بها بدون طهارة مبيّناً كيف تكون مثل هذه الصلاة وكيف يتقربون بها إلى الله وهم على هذه النجاسة لم يتطهروا فيقول : إن طوائف النصارى تقرر أن الطهارة غير واجبة وأن الإنسان يبول ويتغوط ولا يمس ماءً ولا يستحمر والبول والنحو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة عنده ، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره ... ويقولون : إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذ أبعد عن صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين . ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه وهذه الصلاة رب العالمين يرى منها ، وكذلك المسيح وسائر النبيين ، فإن هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة ، وحاشا المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحوارين ^(١) .

وقد أرجع الإمام ابن تيمية انحراف النصارى فى العبادات والشرائع إلى سببين رئيسيين هما :
١ . إعطاء النصارى لعلمائهم الحق فى أن يشرعوا لهم ويغيروا ما يرونه من شرائع ^(٢) .

٢ . اتخاذ النصارى مواقف مضادة لليهود بعد أن صارت الدولة لهم فى عهد قسطنطين ... فأحلوا ما يحرمه اليهود كالختن وغيره وصاروا يمتحنون من دخل فى دينهم بأكل الخنزير ، فإن أكله وإلا لم يجعلوه نصرانياً ^(٣) وتركوا الختان وقالوا إن المعمودية عوض عنه وصلوا إلى قبله غير قبله اليهود وكان اليهود قد أسرفوا فى المسيح ، وزعموا أنه ولد زناً ، وأنه كذاب ، ساحر ، فغالى هؤلاء فى تعظيم المسيح وقالوا : إنه الله ، وابن الله .. وغير ذلك ^(٤) .

ثالثاً : الصوم :

معنى الصوم عند النصارى : الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خالى من الدسم ^(٥) .

ينتقد الأستاذ / محمد رشيد رضا ، ذلك الصوم الذى يصومه النصارى رغم خلو الأناجيل من فريضة الصوم فيقول : إن الأناجيل تخلو من فريضة الصوم وكل الذى تحويه عن الصوم إنما هو ذكره ومدحه واعتباره عبادة ، وتأمراً الأناجيل الصائم بدهن الرأس وغسل الوجه حتى لا تظهر عليه أمارة الصوم فيكون مرئياً كالفرسيين ، وأشهر صومهم وأقدمه : الصوم الكبير الذى قبل عيد الفصح وهو الذى صامه موسى ،

(١) انظر : هداية الحيارى ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح : ١٧/٢ ، بتصرف .

(٣) المرجع السابق : ١٠٠/٢ ، ٣١/٣ .

(٤) المرجع السابق : ١٠٠/٢ .

(٥) المسيحية : د/ أحمد شلي ، ص ٢٣٥ .

وكان يصومه عيسى عليهما السلام والحواريين ثم وضع رؤساء الكهنة ضروباً أخرى من الصيام منها الصوم عن اللحم وعن البيض واللبن وكان الصوم المشروع عند الأولين منهم كصوم اليهود يأكلون في اليوم واللييلة مرة واحدة فغيروه وصاروا يصومون من نصف الليل إلى نصف النهار^(١).

ويؤكد الإمام ابن القيم مخالفة النصارى لتعاليم المسيح عليه السلام في هذه الفريضة فيقول : (والمسيح ما شرع لهم هذا الصوم الذي يصومونه قط ولا صامه في عمره مرة واحدة ولا أحد من أصحابه ، لا صام صوم العذارى^(٢) في عمره ولا أكل في الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه^(٣)).

ويقرر العلامة البغدادي أن الصوم بهذه الطريقة بدعه ابتدعتها رؤسائهم وأنه بهذا المفهوم لم يرد في التوراة ولا في الإنجيل فيقول : (اخترع رؤساء النصارى في مجامعهم " البهريز " وهو عبارة عن ترك أكل اللحوم إلا السمك بسائر أنواعه ، وأكل الزيت مع كافة المأكولات وشرب الماء والدخان والقهوة والخمرة)^(٤).

(والبهريز محض تلاعب وعبث بالدين وخروج عن امتثال أوامر رب العالمين الصريحة بالتوراة - الأصلية - ، ولم نر في الأناجيل الأربعة لا صراحة ، ولا إشارة أن هذا الصوم بهذا المعنى الذي تعتادونه أيها المسيحيون ")^(٥).

رابعاً : التعميد :

بين م/ الطهطاوي ، مفهوم التعميد ووقته والنصوص الدالة عليه وطريقته وناقش النصارى في هذه الشعيرة التي يتعبدون بها وبين من خلال مناقشته لها فساد القول بالمعمودية فيقول : (كان التعميد موجوداً عند اليهود ، قبل المسيحية ولكنه كان بمفهوم آخر وهو غسل الجسد وكان النبي يحيى يعمد الناس في نهر الأردن أى يغسل أجسادهم ولذلك سُمي يوحنا المعمدان أي (يحيى المغسل) وثابت في الأناجيل المتداولة أن يوحنا المعمدان قام بتعميد المسيح^(٦)).

(١) تفسير المنار : ١٤٤/٢ وانظر : النصرانية والإسلام : م/ الطهطاوي ص ٨٨ .

(٢) مدته : خمسة عشر يوماً تبدأ من شهر مسرى وهو من الشهور القبطية القديمة وهو أول شهور فيضان النيل ، وقد ذكر د/ أحمد شلي ، أنواع الصيام عند النصارى . ولمزيد من التفصيل انظر : المسيحية د/ أحمد شلي ، ص ٢٣٥ .

(٣) هداية الحيارى : ص ٢٤٦ .

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق : ص ٤٦ .

(٥) المرجع السابق : ص ٤٦ .

(٦) النصرانية والإسلام : ص ٦٢ .

وقت التعميد :

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد :

- ١- فبعضهم يعمد الشخص في طفولته حتى ينشأ الطفل المسيحي مبرأ من الذنوب وهذا هو الغالب .
- ٢- وبعضهم يعمده في أي وقت من حياته .
- ٣- والبعض الآخر يجري التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب (١) .

أما النصوص التي يستدل بها النصارى على التعميد :

- ١- " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " (٢) .
- ٢- وقول الإنجيل : " من تغطس دخل الجنة ومن لم يتغطس دخل جهنم خالدًا فيها أبدًا " (٣) .

طريقة التغطيس وصفته :

يقول عبد الله الترجمان : إن في كل كنيسة حوضًا رخامًا وكيزانًا يملؤه القسيس بالماء ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل ويرمي فيه ملحًا كثيرًا وشيئًا من دهن " البلسان " (٤) فإن أراد أحد أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه - بزعمهم - بين يدي الله بالتغطيس ويقول له القسيس عند حوض الماء : يا هذا اعلم أن التنصر أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس ، وأن ربنا عيسى ابن الله ... إلى أن يقول وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس (٥) .

ويستخدم عبد الله الترجمان في نقده للتعميد محاجة النصارى بأسئلة تحمل في طياتها الاستفهام الإنكاري لما يفعلون ويبين عدم صحة ما يقوله النصارى بأنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس فيقول : (ما تقولون في إبراهيم وموسى وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء عليهم السلام . هم في الجنة أم لا ؟ فلا بد أن يقولوا : هم في الجنة ، فيقال لهم : كيف دخلوها ولم يتغطسوا ؟ وهم يجيبون عن هذا بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس فيقال لهم : ما تقولون في آدم ونوح عليهما السلام وذريته لصلبه فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم ، وليس لهم عن هذا جواب البتة) (٦) .

(١) المرجع السابق : ص ٦٢ .

(٢) متى : (١٩/٢٨) يسوع يظهر للتلاميذ .

(٣) انظر : مرقس : (١٦/١٦) ظهوره للتلاميذ .

(٤) هو : شجر موطنه بلاد الحبشة وورقه يستخدم لتحنيط الموتى ، (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٨٨) .

(٥) تحفة الأريب : ص ٨٠-٨١ بتصرف بالحذف ، وانظر : النصرانية والإسلام : ص ٦٣ .

(٦) المرجع السابق : ص ٨٠ .

خامساً : الرهبانية : (١)

بين د/ أحمد طاهر و م/ الطهطاوي ، مغالاة المسيحيين في النظرة إلى المتع والملاذات وعدم توازنهم واعتدالهم في الأمور الحياتية والتعبدية ، وبيننا أن المسيحية تُغلب الآخرة على الدنيا وتعطيها الاهتمام الأكبر ، فقد فرضوا على أنفسهم الترهّب وترك الدنيا والعزوف عن الزواج وتفضيل العزوبية ، وهذه الرهبانية ابتدعوها من عند أنفسهم ولم يأمرهم بها الله ﷻ فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وقد بين د/ أحمد شلي أن فكرة الرهبانية دخيلة على النصرانية وقد أخذها المسيحيون عن الهندوكية والبوذية (٣) .

أما د/ أحمد طاهر و م/ الطهطاوي ، فقد ذكروا النصوص الإنجيلية التي يستنبط منها النصارى فكرة الرهبنة وعلق د/ أحمد طاهر عليها تعليقا سريعا مجملا ، أما م/ الطهطاوي فقد استفاض في مناقشته حول هذه الأدلة ونقده لفكرة الرهبانية من هذه الأدلة التي ذكرها ما يلي :

١- " وكل واحد فيكم لا يترك بماله لا يمكن أن يكون تلميذا لي " (٤) .

٢- " يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم ، من أجل ملكوت السموات " (٥) .

٣- " لا تقدرون أن تخدموا الله والمال لذلك أقول لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون " (٦) . وغير ذلك من الأدلة .

(١) أصلها من الرهبنة : الخوف ، قال ابن الأثير : كانوا يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا ، وترك ملاذها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعهد مشاقها ، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب (لسان العرب ١٧٤٩/٣) .

(٢) سورة الحديد : الآية (٢٧) .

(٣) انظر : المسيحية : ص ٢٤٦ .

(٤) لوقا : (٣٣/١٤) فمن التبعة .

(٥) متى : (١٢/١٩) الزواج والطلاق .

(٦) متى : (٢٤/٦-٢٥) الله يعتني بنا .

وفي تعليق د/ أحمد طاهر عليها إجمالاً فيقول : (ونتيجة هذه الأقوال أو المواعظ هي خلق نوع من الجمود والتبلد والانصياع والنفاق في الناس بدلاً من مساعدتهم على أن يصبحوا بشرًا مكتملي النمو العقلي والبدني)^(١) .

وفي انتقادات م/ الطهطاوي على هذه النصوص خرج بالنتائج التالية :

- ١- أن المسيحية تحارب الأبدان كما في الدليل رقم (٣) .
- ٢- أن المسيحية تقضي بفناء الجنس البشري كما في الدليل رقم (٢) .
- ٣- أن المسيحية تدفع للرهبنة والرهبنة تقتضي هجر الوالدين والأسرة والزهد في الدنيا وكراهية المال والنفور منه ، ووليدة ذلك إرهاب الجسم وعدم العناية بطعامه أو شرابه أو لباسه ، والميل للعزوبة والغضب عن الزواج^(٣) .

وقد أرجع صاحب الفارق فجور رؤساء النصارى وانحرافهم إلى تلك الرهبانية التي ابتدعوها من عند أنفسهم وقال إنما السبب المباشر في انتشار الفواحش في أوروبا كلها مستدلاً على ما يقول بوقائع وجرائم قد حدثت من القساوسة والرهبان منافية للأخلاق^(٤) .

سادساً : الإقرار بالذنوب للقسيس :

وهو أن المذنب يذهب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب فيحصل منه على المغفرة بعد ذلك ، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة ولكنه منذ سنة ١٢١٥ م أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل^(٥) .

الدليل على هذه المسألة :

يستدل النصارى على قضية الاعتراف بالذنوب أمام القسيس بالنص الإنجيلي التالي المنسوب إلى المسيح بعد قتله وصلبه في اعتقادهم ثم ظهوره لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله - كما زعموا - : " ولما قال هذا نفخ وقال لهم : " اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت " ^(٦) .

(١) متى : (٢٤/٦-٢٥) .

(٢) الأناجيل دراسة مقارنة : د/ أحمد طاهر ، ص ١٥٣ .

(٣) انظر : النصرانية والإسلام : ص ٧٣-٧٤ باختصار وتصرف .

(٤) العلامة البغدادي : ص ٢٣٢ .

(٥) النصرانية والإسلام : ص ٦٦ .

(٦) يوحنا : (٢٠/٢٢) ظهوره للتلاميذ .

وقد انتقد م/ الطهطاوي هذا النص وبين أنه محض افتراء وكذب على المسيح عليه السلام فلا يصلح أن يكون دليلاً وبالتالي بطل به الاستدلال على أمر ينسبونه إليه فيقول : هذه الوصية لم ترو عن المسيح في حياته التي لازم فيها تلاميذه ؛ بل جاءت في الرؤيا عنه بعد ذلك ، مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان إليها ؛ لأنها من قبيل الرؤى والأحلام ^(١) .

ويذكر أ/ عبد الله الترجمان صفة الإقرار أمام القسيس فيقول : يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس ، وأن كل من يخفي ذنباً فلا ينفعه إقراره فهم في كل سنة عند صيامهم بمشون إلى الكنائس ، ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم بكل كنيسة ، وفي سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنوب إلا إذا مرض وخاف الموت فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه ، ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له وهم يعتقدون أن كل ذنب غفره القسيس فإنه مغفور عند الله تعالى ، فمن أجل ذلك صار البابا الذي يكون بمدينة روما - فهو خليفة عيسى في الأرض بزعمهم - يعطى لمن يشاء براءة بغيران الذنوب والتسريح من النار ، ودخول الجنة يأخذ على ذلك الأموال الجلييلة ، وكذلك يفعل كل من ينوب عنه في جميع أرض النصارى من القسيسين ^(٢) .

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة عن بداية ظهور صك الغفران وصيغته المختلفة والمفتراة : وفي المجمع الثاني عشر قررت الكنيسة امتلاكها لحق الغفران وصنع القائمون عليها صكاً يُباع ويُشترى وبذل العصاة في سبيل شرائه المال الكثير ، وما كان عليهم من حرج في ارتكاب ما يشاءون من الموبقات وينالون ما تهوى الأنفس من معاصي ، مادام ذلك يُفتدى بمال قل أو جل ^(٣) .

ونص صك الغفران كما يلي :

" ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويملك باستحقاقك آلامه الكلية القدسية وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام الطائلات الكنيسية التي استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة " ... إلخ ^(٤) .

(١) النصرانية والإسلام : ص ٦٦ .

(٢) تحفة الأريب : ص ٩٧-٩٨ .

(٣) انظر : محاضرات في النصرانية : ص ١٧٣ بتصرف .

(٤) المرجع السابق : ص ١٧٣ ، المسيحية : د/ أحمد شلي ، ص ٢٢٥ .

وينتقد أ/ عبد الله الترجمان ، هذا الأمر الذي يسهل الخطايا وارتكاب الذنوب بعرض صيغة ذلك الاعتراف على العقل ويحاججهم بنفس ما يفعلون ليصل إلى بطلانه فيقول : إن هذا لم يأمركم به عيسى عليه السلام وتلاميذه لم يقرؤا له ذنباً قط وهو أقرب على قولهم لمغفرة الذنوب من جميع القسيسين ، والقسيس لاشك عندكم في أنه بشر مثلكم فمن الذي يغفر له ذنوبه فإن قلتم البابا يغفر له ذنوبه فمن الذي يغفر للبابا ذنوبه ^(١) .

وخلاصة هذه المسألة : أن القسيس بشر يخطئ ويصيب والبابا بشر يخطئ ويصيب وإن ادعوا العصمة وبالتالي فإن القائم بهذه المهمة والمخول له هذه السلطة يحتاج إلى من يغفر له ذنوبه فمن هو إذن الذي يغفر الذنوب لكل البشر ؟ لاشك أنه رب البشر سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

سابعاً : العشاء الرباني أو الإيمان بالقربان :

وهو : استحالة الخبز إلى جسد المسيح واستحالة الخمر إلى دم المسيح ويوضح ذلك أ/ عبد الله الترجمان فيقول : (إن دين النصارى في قربانهم كفر ، وهو أن يعتقدوا على فطيرة من خبز إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات أنها ترجع في تلك الساعة جسد عيسى وإذا قرأ بعض الكلمات على كأس خمر فإنه يصير في تلك الساعة دم عيسى ، وكل كنيسة بها قسيس كبير يقوم بها فيجئ قسيس كل كنيسة في كل يوم بفطيرة صغيرة وزجاجة خمر ويقرأ عليها عند صلاته فيعتقد النصارى أن الفطيرة صارت جسد عيسى والخمر صار دمه ^(٣)) .

وعن طريق المقابلة بين النصوص في القضية الواحدة من الأناجيل الأربعة أثبت العلامة البغدادي ، و أ/ عبد الله الترجمان وجود الاختلاف بين الأناجيل ووقوع التناقض في النصوص التي يستند عليها النصارى في مسألة العشاء الرباني وذكرنا دليلهم عليها وهو :

١- قول متى : " إن عيسى جمع الحواريين يوماً قبل موته وتناول خبزه وكسرها وناولهم كسرة لكل إنسان وقال لهم كلوا هذا جسي ثم ناولهم خمراً وقال لهم اشربوا هذا دمي " ^(٤) .

(١) انظر : تحفة الأريب : ص ٩٨-٩٩ بتصرف واختصار .

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية : (١٣٥) .

(٣) تحفة الأريب : ص ٩٣-٩٤ .

(٤) متى : (٢٦/٢٨) عشاء الرب

٢- وعبارة مرقس وإن كانت قريبة من عبارة متى لكن بينهما اختلاف وهي : " ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر ، وفيما هم متكئون يأكلون ، قال يسوع الحق أقول لكم : إن واحداً منكم يسلمني : الأكل معي ، فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً : هل أنا ؟ وآخر : هل أنا ؟ فأجاب وقال لهم : هو واحد من الاثني عشر ، الذي يغمس معي في الصفحة إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان ، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال : " خذوا كلوا هذا هو جسدي ، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم : " هذا هو دمي للعهد الجديد . الذي يسفك من أجل كثيرين الحق أقول لكم : إنني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله " (١) .

٣- وحكاية لوقا في هذه القصة فيها تقديم وتأخير فإنه قال فيها : " ولما كانت الساعة واتكأ والاثني عشر رسولاً معه وقال لهم " شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأني أقول لكم : إنني لا أكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله ثم تناول كأساً وشكر وقال : " خذوا هذه واقتسموها بينكم ؛ لأني أقول لكم : إنني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً : هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم " (٢) .

وقد انتقد العلامة صاحب الفارق ، هذه القصة ببيان الاختلاف والتناقض فيها فيقول : (إن ما أدرجه لوقا هنا لم يذكره متى ومرقس فإما أن يكون أنفت شهادتهما أن يذكر كلاهما لا معنى له أو قصرت أفهامهما عن سر هذا الوحي الذي ذكره لوقا وعلى كلا التقديرين لا مخلص للمسيحي الذي يدعى أن هذا الاختلاف والتناقض إلهامي) (٣) .

وقال أيضاً : " ذكر الكأس ثانياً من زياداته - لوقا - ولا يضرنا ذلك ولكن لنا عليه اعتراض في قوله : " الذي يُسفك عنكم " وذلك إما أن يكون المراد عموم النصارى أو التلاميذ المخاطبين خاصة وأياً ما كان فهو مناقض لقول يوحنا : أنه صلب نفسه عن كافة الناس ومخالف لقول مرقس ومتى أيضاً : لأهما قالوا :

(١) لوقا : (١٩-١٤/٢٢) عشاء الرب .

(٢) الفارق : ص ٣٥٣ .

(٣) المرجع السابق : نفس الصفحة .

"الذي يسفك من أجل كثيرين" أي لبعض النصارى وزاد المترجم من عنده على مرقس : "لمغفرة الخطايا" ومعلوم أن بين هذه العبارات الأربعة تفاوتاً بعيداً ، والنصارى اتخذوا هذه القصة أساس دينهم فقد أسس هذا الدين على شفا جرف هار^(١) .

ويؤكد أ/ عبد الله الترجمان وجود هذا الاختلاف بين الأناجيل في هذه القصة فيقول : "إن يوحنا الذي كان حاضراً لعيسي حتى رُفِع لم يذكر شيئاً من خبر الخبز والخمر في إنجيله ، وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متى ونقله للمحال والبهتان"^(٢) .

أضف إلى ذلك محاجة الترجماني للنصارى بالعقل في هذه المسألة وبين أن ما يدعونه من خبر الخبز والخمر في العشاء الرباني محال من ناحية العقل فيقول : (النصارى يعتقدون أن كل جزء من أجزاء فطيرة كل قسيس هو عيسي ~~عليه السلام~~ بجميع جسده في طوله وعرضه ، وعمقه هو هو ولو بلغت أجزاء الفطيرة مائة ألف جزء لكان كل جزء منها عيسي ، فيقال لهم : إن جسد عيسي كان طوله عشرة أشبار مثلاً وعرضه شيرين وعمقه شيراً ، والفطيرة التي يقرأ عليها القسيس ما يمكن أنه تكون ثلاثة أشبار فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار وعرضه شيران وعمقه شير في شيء طوله ثلث شير ، هذا محال في كل عقل سليم ، وهم يجيبون عن هذا بأن المرأة تكون قدر الدرهم والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمباني العالية إذا قابلها بذلك ، وهي أكبر منها بأزيد من ألف مرة ، فيقال لهم إن الذي يرى في المرأة عرض لا جوهر وأنتم تعتقدون أن جوهر عيسي وعرضه جميعاً في تلك الفطيرة ، وهذا محال في العقل)^(٣) .

ومن خلال ردود أ/ عبد الله الترجمان النقدية على هذه المسألة يتضح لدي الباحث أنه اتبع في جهوده النقدية للعشاء الرباني :

- ١- محاوره النصارى حول ما يعتقدون بالأدلة العقلية .
- ٢- طرح الافتراضات الجدلية والتسليم لهم فيما يدعون ثم الإجابة عليها بما ينقضها ويبطلها .

(١) الفارق : ص ٣٥٣ .

(٢) تحفة الأريب : ص ٩٤ .

(٣) السابق : ص ٩٥ .

و خلاصة ما سبق :

- ١- الاختلاف بين الأناجيل في القصة الواحدة .
- ٢- وقوع الزيادات في أحد الأناجيل في هذه المسألة .
- ٣- وقوع التناقض في هذه المسألة من خلال المقابلة بين النصوص .
- ٤- تحويل الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دم المسيح أمر لا يقبله عقل سليم .
- ٥- وبناءً على ما سبق يتبن بطلان دعوى أن الأناجيل كُتبت بإلهام .

المبحث الثاني

نقد الأخلاق في العهد الجديد

عند البحث فيما وقع تحت يدي من مؤلفات نقدية لعلماء المسلمين - فترة البحث - عن نقد الأخلاق في العهد الجديد وجدت أن من كتب حول هذا الموضوع قلة من الكتاب .. من هؤلاء الكتاب د/ أحمد طاهر ، و د/ عمر عبد العزيز ويمكن عرض جهودهما في نقد الجانب الأخلاقي في العهد الجديد فيما يلي :

(١) السلبية في مقابلة الشر .

(٢) التحلل والإباحية .

١

السلبية في مقابلة الشر :

عرض د/ عمر عبد العزيز مبدأ التسامح من خلال الأناجيل بذكره للنصوص التي تدل على العفو والتسامح وغير ذلك من الأخلاق الكريمة^(١) وكذلك د/ أحمد طاهر ذكر جملة من الأخلاق الفاضلة التي ورد ذكرها في العهد الجديد^(٢) . ثم وجه كل منهما سهام النقد لما يسمي بالأخلاق السلبية في العهد الجديد فيقول د/ أحمد طاهر :

وعند استعراض بعض التعاليم المسيحية يتضح أنها تميل ميلاً كلياً إلى جانب دون جانب وبشكل مبالغ تنتفي معه الواقعية والدليل على ذلك من إنجيل متى : " ولكني أقول لكم لا تقاوموا الشر ، ومن لطمك على خدك الأيمن فدر له خدك الآخر ليلطمك وإذا ما اختصمك إنسان طالباً معطفك فدعه له أيضاً ، ومن يجبرك على أن تسير ميلاً فسر ميلين " (٣) .

(١) منها : ما يدل على البشري للمساكين والودعاء والأتقياء وصانعي السلام كما في متى : (١٢-١/٥) ومنها : التحذير من إهانة الغير وإرضاء الخصوم كما في متى : (٢٥-٢٠/٥) والتسامح والعفو كما في متى : (٤١-٣٩/٣) ومنها : حب الأقارب وبغض الأعداء كما في متى : (٤٨-٣٣/٥) ولوقا : (٣٨-٢٧/٦) وغير ذلك من الأخلاق الكريمة .

(٢) إضافة لما سبق الإشارة إليه في هامش رقم ١ ذكر د/ أحمد طاهر ، أدلة على العفو والمغفرة كما في متى : (٢٢/١٨) والمحبة والعطف والرحمة كما في مرقس : (٣١-٢٩/١٢) ويوحنا : (٣٥-٣٤/١٣) وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة .

(٣) متى : (٤١-٣٩/٥) .

وفي نقده لهذا النص يقول : (ولعل هذه الموعظة قد قصدت تلطيف الحكم القاسي القائم على الانتقام عين بعين وسن بسن ، إذا ما نُفذ حرفياً كما هو في الشريعة اليهودية ، ولكن هل نعمل بالموعظة التي تُسببت إلى المسيح ؟ ، والتي فيها نخاذل وخنوع والتي تقول من ضربك على خدك الأيمن در له خدك الأيسر ؟ هل نعتبر هذه الموعظة حكماً عاماً ؟ وهل يمكن أن يكون هذا الحكم شرع أو وصية معنوية تصلح لكل الأحوال وللجميع الظروف ، خاصة وأن مقابلتنا للشر بسلبية مطلقة وخنوع واستسلام لا يدل على شيء ؛ بل على جبن وخور وإذعان للمستبدين والمعربين ولا يأتي بنتيجة طيبة ؛ بل يزيد هؤلاء المتغترسين المغرورين طغياناً على طغيانهم وشرّاً على شرهم ، ومن الناحية الأخرى تزيد هذه الموعظة من نكبات الإنسانية وويلاتها) (١) .

ويؤكد هذا الانحراف والميل د/ عمر عبد العزيز فيقول :

(إن المسيحية في صورتها المثالية مجافية لفطرة الإنسان ، والمسيحي المثالي يتجسد في الراهب المعتزل للحياة المنقطع عن الدنيا المعرض عن الطيبات حتى عن الزواج ، والأخلاق المسيحية أخلاق غير واقعية ؛ لأنها فوق الطاقة المعتادة للبشر كما في قول الإنجيل : " أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم ، من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ومن سرق قميصك فأعطه إزارك " (٢) .

وفي نقده لهذا النص يقول : إن هذا الأمر ليس في مقدور كل إنسان فهل يليق بمن سُرِق منه القميص أن يعطي الإزار ثم يصبح غريباً (٣) .

فهل ظلت المسيحية على هذا التسامح ؟ أم أنه حدث لها انحراف في السلوك وتحول في الأخلاق عبر الزمن ، هذا ما رصده د/ أحمد شلي ، عندما وقف وقفة نقدية مع سلطان الكنيسة المستبد وثورة الإصلاح الديني عليها وبين أنه تقرر في الجمع الذي عقد في سنة ١٢١٥ م استئصال الخارجين على الكنيسة فاستعملت القتل والحرق وغير ذلك من الاضطهادات التي مارسها الكنيسة ضد المسيحيين (٤) .

ومع الزعم بأن المسيحية دين التسامح والمحبة فإن المنتسبين إليها ينوء كاهلهم بتاريخ شديد الظلمة حالك السواد ، ملطخ بدماء العلماء والمفكرين الأحرار ... تاريخ وقفت فيه الكنيسة مع الجمود ضد الفكر المستنير ومع الخرافة ضد العلم ومع الاستبداد ضد الحرية ومع الظلام ضد النور وصنعت من المجازر البشرية مالا ينساه التاريخ ، فأين هذا من التسامح المزعوم ؟! وإن كان هذا من التسامح فما التعصب إذن ؟! ... والدليل على ذلك ما حدث في أوروبا في العصور الوسطى من ثورة عارمة شعارها " اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " (٥) .

(١) متى : (٤٨-٣٣/٥) بالتصرف بالحذف .

(٢) التعصب الصليبي : د/ عمر عبد العزيز ص ١٦ وانظر : متى : (٤١-٣٩/٥) .

(٣) انظر المسيحية : د/ أحمد شلي ص ٢٥٧ .

(٤) يُراجع : التعصب الصليبي ، ص ١٧ بتصرف بالحذف ، ولزيد من التفصيل انظر : المسيحية : د/ أحمد شلي ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

و خلاصة ما سبق :

- ١- ما قام به علماءنا في معالجة هذا الخلق يتميز بالموضوعية والحيدة والإنصاف .
- ٢- اتخذوا من التاريخ خير شاهدٍ على نقدهم للتسامح في المسيحية ونتيجة جهودهم هذه تبين فيما يلي :

- أ . أن دعوى التسامح المزعومة تبطلها حوادث التاريخ من الحروب الصليبية التي شنها الإفرنج ضد الإسلام والمسلمين تحت شعار الصليب .
- ب . أن ارتكاب القاتمين على الكنيسة للمجازر الوحشية ضد الخارجين على سلطان الكنيسة والمتمردين عليها يتناقض تمامًا مع التسامح المزعوم .
- ج . أن التسامح المزعوم يؤدي بالمسيحية إلى السلبية والخذلان والضعف وبالتالي فالأخلاق المسيحية أخلاق غير واقعية لأنها تتسم بالمثالية المفرطة التي لا يتحملها كثير من الناس .

التحلل والإباحية :

يقف د/ أحمد طاهر مع العهد الجديد وقفة فاحصة ينتقده فيها إذ أنه لا يحرم أسباب الجريمة والخطيئة فيبيح الخمر والميسر والجنس فيقول :

في الوقت الذي نجد فيه المسيحية تميل نحو الرهبانية لا نجد لها في أي كتاب من الكتب المنسوبة إلى الرسل تحرم أسباب الجريمة والخطيئة أعني الخمر والجنس الحرام والميسر ؛ بل هي لا تمنع عرض النسوة لمفاتنهن الجسمانية عرضاً لا تحشم فيه ^(١) .

أما عن الخمر فنجد أنه عنصرياً أساسياً في القربان المقدس ؛ بل المعجزة الأولى التي جاء بها المسيح كما يدعون أنه قد حول الماء إلى خمر ^(٢) .

(ويرى بولس : أن المرأة مجرد متعة وفتنة ؛ بل أنزل بها اللوم كله لسقوط الإنسان وتدهور الخليقة واقتراف المعصية كما في رسائل بولس : " لتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون في سكوت ... وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي " ^(٣) .

(١) الأنجيل : دراسة مقارنة د/ أحمد طاهر ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة ، وانظر : معجزة تحويل الماء إلى خمر (يوحنا ١١/٢ وما بعده) .

(٣) المرجع السابق : ص ١٥٨ ، وانظر : رسالته إلى تيموثاوس : (١١/٢ - ١٤) توجيهات خاصة بالعبادة .

ويقول د/ مصطفى شاهين عن الأخلاق في النصرانية :

(في الإنجيل دعوة حارة إلى أن تقوم العلاقات بين الناس على أساس التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة حتى لتكاد تجعل ذلك واجباً من الواجبات ، وتبدو هذه القواعد أوضح ما تكون في كثير من الفقرات الواردة في موعظة الجبل فمن ذلك قول الإنجيل في هذه الموعظة : " لقد كان يُقال لكم : أحبوا أبناء شعبكم وأبغضوا أعداءكم ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وباركوا الذين يعلنونكم وقدوموا الخير لمن يكرهونكم ، وادعوا بخير لهؤلاء الذين يضطهدونكم ويعذبونكم ، حتى تستحقوا أن تكونوا أبناءً لأبيكم الذي في السماوات " (١) .

ثم يعلق على هذا النص بقوله : وغنى عن البيان أن تطبيق هذه المبادئ تطبيقاً حرفياً يؤدي في النهاية إلى إلغاء العقوبات (٢) .

وفي موضوع رجم الزاني ينص العهد الجديد على إلغاء حد الزنا مكتفياً بأخذ العهد على مقترفه ألا يعود إليه مرة أخرى (٣) .

وخلاصة هذا البحث :

أن إلغاء العقوبات يعطي فرصة للخطاة والمذنبين أن يتمادوا في أخطائهم والتسامح الذي يصل إلى درجة الإفراط يؤدي إلى مزيد من ارتكاب الجرائم وبهذا تخرج الأخلاق في النصرانية من الإيجابية إلى السلبية ومن الالتزام إلى الانحراف ومن الدعوة إلى السلام والتسامح إلى سفك الدماء والخراب والدمار وما حدث في البوسنة والهرسك وبلاد البلقان (٤) مؤخراً خير دليل على ذلك ، ولكم ذاق المسلمون هناك على أيدي النصارى ويلات القتل والتشريد تحت دعوى التطهير العرقي فأين التسامح الذي يدعون ؟!

هذا وقد أشار علماؤنا الأفاضل إلى تلك القيم الأخلاقية المفقودة في النصرانية ولم يهتموا بالقيم الأخلاقية التي ورد ذكرها في العهد الجديد بموضوعية فائقة وحيدة تامة .

(١) متى : (٤٣/٥ - ٤٥) .

(٢) النصرانية : د/ مصطفى شاهين ص ٢٣ - ٢٣١ .

(٣) النصرانية : د/ مصطفى شاهين ص ٢٣٠ ، والنص الذي يدل على ذلك ورد في يوحنا (١١/٨) .

(٤) شبه جزيرة البلقان : دخلت في الإسلام بعد الانتصار العثماني على الصرب عام ١٣٨٩ م بقيادة السلطان مراد الأول وأتمه ابنه بايزيد وظلت البلاد تحت حكم العثمانيين فترة من الزمن ثم أخذتها الصرب وارتكبوا فيها المذابح ثم تمتعت بالحكم الذاتي فترة من الزمن ثم عادت إليها الهيمنة الصربية سنة ١٩٨٩ م حتى انفجار الأحداث الدامية في كوسوفا مؤخراً فأين هؤلاء من السلام والتسامح الذي يزعمونه ؟ (انظر التاريخ الإسلامي أ/ محمود شاكر ٨/٨٢ ، ومجلة الوعي الإسلامي ص ١٢ العدد رقم ٤٠١ المحرم ١٤٢٠ هـ / إبريل ومايو ١٩٩٩ م وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت .

ومخلاصة جهود العلماء في نقد الشرائع والعبادات والأخلاق في العهد الجديد :

الملاحظ على نقد العلماء لموضوعات هذا الفصل أنه لم تتوسع الدراسات النقدية في هذا الموضوع ، كما توسعت في دراسة العقائد النصرانية .

وقليل من العلماء من طرق الجانب الأخلاقي في النصرانية ، إلا النذر اليسير ممن رجعت لهم في هذا الفصل ، وقد بينوا كيف تحولت النصرانية من التسامح إلى التعصب ، ومن السلام إلى العدوانية ، شهد بذلك الواقع العالمي ، في العصر الحديث ، كما سبق أن بينت ذلك .

الخاتمة :

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ^(١) وتوفيقه وعونه تُقضى الحاجات وعليه سبحانه قبول الطاعات ومغفرة الزلات والسيئات وبعد فإن خاتمة الرسالة تشتمل على النتائج والتوصيات التالية :

أولاً : النتائج :

انتهيت من رسالتي هذه بحمد الله وتوفيقه إلى أهم النتائج التالية :

- ١- أثبت العلماء أنه كانت هناك تورا أصلية أنزلها الله ﷻ على سيدنا موسى ﷺ ، ولكنها فقدت وضاعت وأن التورا الموجودة الآن في أيدي اليهود والنصارى تورا منقطعة السند ولم يكن موسى ﷺ هو الكاتب الأصلي لها ، وبالتالي تبطل دعوى الإلهام لكاتبها وبذلك تنتفي القداسة عنها وأنها ليست من الوحي .
- ٢- أثبت العلماء أنه كان هناك إنجيل أصلي أنزله الله على سيدنا عيسى ﷺ ، وأن الأناجيل الأربعة الموجودة (متي - مرقس - لوقا - يوحنا) منقطعة السند وعدم التأكد من صحة نسبتها إلى كاتبها والاضطراب في زمن تأليفها وفيمن ألفها كل ذلك يؤكد بطلانها وانتفاء القداسة عنها .
- ٣- أثبت البحث أن التحريف بأنواعه الثلاثة " التبديل ، والنقصان ، والزيادة " واقع في التورا والأناجيل الحالية وفيها من التناقض ما يكفي في القطع بعدم صحتها وقيادتها .
- ٤- أثبت العلماء أن النصرانية أو المسيحية الحالية ليست النصرانية التي جاء بها عيسى ﷺ ؛ بل نصرانية بولس ، الذي قلب النصرانية رأساً على عقب كراهية في النصارى وانتقاماً منهم .
- ٥- بطلان عقيدة اليهود والنصارى وذلك لاعتمادها على أصل مزيف ومحرّف ، وانحرافهم في تشريعاتهم وشرائعهم التعبدية وأخلاقهم لأنهم يستمدون ذلك كله من نصوص من وضع بشر وليست من الوحي في شيء .
- ٦- رغم ما لحق بالكتاب المقدس من تحريف إلا أنه يحمل بين طياته دليل إدانتهم - اليهود والنصارى - فمثلاً فيه ما يدل على البشارة بالنبي ﷺ ولكنهم يفسرونها تفسيراً خاطئاً ، ويوجد فيه ما يدل على التوحيد ، وبشرية المسيح ﷺ ولكنهم يحرفونها ويلوون أعناقها ليشبوا ألوهية المسيح وبنوته لله تعالى .

(١) كان رسول الله ﷺ إذا أتاه أمرًا يسره دعا بهذا الدعاء ، والحديث أخرجه : الحاكم في المستدرک ، في كتاب الدعاء ، باب الذكر : ٤٩٩/١ ، ط / دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- ٧- احتواء العهد القديم على المقام الحسن لكل نبي من الأنبياء إلا أنه سرعان ما يناقض نفسه بنسبة ما لا يجوز في حقهم عليهم السلام .
- ٨- مخالفة التوراة والإنجيل لصريح المعقول وصحيح المنقول وللحقائق العلمية الثابتة .
- ٩- لا توجد في الأناجيل ألفاظ صريحة تدل على التثليث أو على ألوهية المسيح أو بنوته لله تعالى ، ولكنهم يستنبطون ذلك من بعض الأدلة لتأييد ما يدعون .
- ١٠- تحرك اليهود والنصارى سياسياً وعسكرياً واجتماعياً ... إلخ على أساس عقائدي ومنطلق ديني محرف .

التوصيات :

- وبناءً على ما سبق أوصي بما يلي :
- ١- مواصلة الحوار مع الآخر - من يهود ونصارى وغيرهم - من خلال المؤتمرات والندوات والمناظرات والأبحاث لبيان سماحة الإسلام وأنه الدين الحق وحرصه على خير وهداية المخالف له مهما كان رأيه ، ولإيصال الدعوة الإسلامية له من قبيل أداء الأمانة وتبليغ الدعوة .
- ٢- تشكيل فريق عمل متخصص في الأديان لعمل موسوعة شاملة فيما يتعلق بنقد الكتاب المقدس يتم فيها تجميع الإنتاج العلمي لعلماء المسلمين في هذا الجانب وتصنيفه على الموضوعات ليسهل على الباحثين معرفة ما كُتب ونُشر عن الأديان .

والله أعلى وأعلم وعليه قصد السبيل ،،،،

مصادر البحث

القرآن الكريم :

كتب المعاجم والمناهج والنقد :

أولاً : المعاجم وقواميس اللغة :

١. تاج العروس من جواهر القاموس للإمام السيد محمد مرتضي الزبيدي الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ المطبعة الخيرية بمصر .
٢. لسان العرب لابن منظور - طبعة دار المعارف . بدون .
٣. المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون ، طبعة إدارة التراث الإسلامي - قطر - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ..
٤. المنجد في اللغة والأعلام طبعة دار المشرق بيروت الطبعة ٢٥ سنة ١٩٧٣ م .

ثانياً : كتب المناهج والنقد :

١. البحث العلمي - مناهجه وتقنياته : د/ محمد زيان عمر ، طبعة جدة - المملكة العربية السعودية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
٢. أبحاث في البحث في العلوم الشرعية : د/ فريد الأنصاري ، طبعة الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .
٣. علم المناهج " الأسس والتنظيمات " : د/ محمد السيد على ، طبعة دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الثانية عام ٢٠٠٠ م .
٤. محاضرات في البحث الأدبي : د/ فاطمة المرسى جوهر ، طبعة ١٩٩٦ م .
٥. النقد الأدبي : أ/ أحمد أمين ، طبعة مكتبة النهضة المصرية الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ م .

كتب التراجم والسير :

١. الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
٢. تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، طبعة دار صادر بيروت - ١٣٢٥ هـ .

٣. سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ١٣٧٤ هـ ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ ، تحقيق لجنة التراث العربي ، طبعة بدون .
٥. قاموس الكتاب المقدس : د/ بطرس عبد الملك وآخرون ، طبعة دار مكتبة العائلة - القاهرة
٦. معجم البلدان : لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، طبعة دار صادر - بيروت - ١٩٨٤ م .
٧. معجم المؤلفين : " تراجم مصنفي اللغة العربية " أ/ عمر رضا كحالة ، الناشر مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، طبعة بدون .

كتب التفسير :

١. تفسير القرآن الحكيم : " المسمي بتفسير المنار " أ/ محمد رشيد رضا ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢. الميزان في تفسير القرآن : للعلامة محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط/ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

كتب الحديث :

أولاً : الصحاح :

١. صحيح البخاري : متن البخاري بحاشية السندی - لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - طبعة دار إحياء الكتب العربية - الحلبي . بدون .
٢. صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦-٢٦١ هـ طبعة إحياء الكتب العربية - الحلبي - تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي .

ثانياً : غريب الحديث والأثر :

١. النهاية في غريب الحديث والأثر : للإمام محمد بن الجزري بن الأثير ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ تحقيق طاهر أحمد الزواوي ، محمود محمد الطناحي - ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت - الناشر المكتبة الإسلامية .

كتب الأديان :

١. أبحاث في الفكر اليهودي : د/ حسن ظاظا ، طبعة دار القلم دمشق ، دار العلم والثقافة - بيروت الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٢. البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل : د/ أحمد حجازي السقا ، طبعة دار البيان العربي ، مصر - ١٩٧٧ م .
٣. الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية : للدمشقي الطيبي ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا - طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة .
٤. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس : ل . م / أحمد عبد الوهاب - طبعة مكتبة وهبة - تاريخ الطبع ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٥. أرض الميعاد : " نظرة قرآنية في العهود التوراتية " : د. ا / محمد أبو زيد أستاذ التفسير بجامعة تعز باليمن : بحث منشور في مجلة التراث العربي - دمشق ، وهو رسالة ضوئية على شبكة الإنترنت موقع المركز الفلسطيني للإعلام www.plaestine.info.info
٦. الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة : أ/ زكي على السيد أبو غضة ، طبعة دار الوفاء بالمنصورة - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
٧. إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية : ل . م / أحمد عبد الوهاب طبعة : مكتبة وهبة . الطبعة الثانية - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
٨. إسرائيل فتنة الأجيال " العصور القديمة " أ/ إبراهيم خليل أحمد طبعة : مكتبة الوعي العربي ١٩٦٩ م .
٩. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام : د/ على عبد الواحد وافي ، طبعة : دار نهضة مصر - القاهرة .
١٠. الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي : د/ عبد العظيم المطعني ، طبعة : دار الوفاء بالمنصورة - ١٩٩٢ م .
١١. الإسلام والأديان " دراسة مقارنة " : د/ مصطفى حلمي ، طبعة : دار الدعوة - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
١٢. أصول المسيحية : أ/ فؤاد محمد أحمد مصطفى ، وزارة الإعلام والثقافة ، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
١٣. الأصولية في اليهودية : أ/ عبد الوهاب زيتون ، الطبعة الأولى - المنارة - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
١٤. أضواء على اليهودية من خلال مصادرها : د/ محمد أحمد دياب عبد الحافظ ، طبعة دار المنار - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

١٥. إظهار الحق : العلامة رحمة الله الهندي ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ، طبعة دار التراث العربي ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
١٦. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي ، ط / مكتبة عاطف .
١٧. أقانيم النصارى : د/ أحمد حجازي السقا ، طبعة دار الأنصار - الطبعة الأولى - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
١٨. اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة " بيان ونقد " : د/ أحمد حجازي السقا ، الطبعة ١١ - مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٩. الأناجيل " دراسة مقارنة " : د/ أحمد طاهر ، طبعة : دار المعارف - بدون .
٢٠. الإنجيل والصليب : د/ عبد الأحد داود ، طبع في القاهرة سنة ١٣٥١ هـ .
٢١. تأثير اليهودية بالأديان الوثنية : د/ فتحي محمد الزغي ، طبعة : دار البشير ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٢٢. تاريخ الديانة اليهودية : أ/ محمد خليفة حسن ، طبعة دار قباء - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
٢٣. تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم : أ/ آدم عبد الله الألوري ، مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٢٤. تاريخ الإنجيل والكنيسة : أ/ أحمد إدريس ، طبعة : دار حراء للنشر والتوزيع - مكة المكرمة - بدون .
٢٥. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب : أ/ عبد الله الترجمان الأندلسي ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة . تحقيق د/ محمد على حماية ، ١٩٩٢ م .
٢٦. التربية في التوراة " العهد القديم " عرض وتقويم بميزان الإسلام : د/ عابد توفيق الهاشمي ، طبعة مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢٧. التطرف اليهودي - تاريخه - أسبابه - علاماته : د/ عبد الراضي محمد ، طبعة مكتبة التوعية الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٢٨. التعاليم الدينية اليهودية : د/ على خليل ، طبعة المركز الفلسطيني للإعلام - رسالة ضوئية على شبكة الإنترنت على موقع www.palestine.inbo.org .
٢٩. التعصب الصليبي : د/ عمر عبد العزيز ، طبعة دار الاستقامة - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
٣٠. التوراة السامرية : ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري ، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ، طبعة دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٣١. التوراة - العقل - العلم - التاريخ : د/ بدران محمد بدران ، طبعة دار الأنصار ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٣٢. جذور البلاء : أ/ عبد الله التل ، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت .
٣٣. جنائيات بني إسرائيل على الدين والمجتمع : د/ محمد محمود سيد ندا ، طبعة دار اللواء - بدون .
٣٤. جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود : أ/ سميرة عبد الله بكر بناني - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
٣٥. جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري " عرض ونقد " : د/ ياسر أبو شبانه الرشيدى " رسالة دكتوراه " .
٣٦. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، طبعة دار ابن خلدون للتراث - الإسكندرية - بدون ، وهذه الطبعة أربعة مجلدات .
٣٧. الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح : للألوسي البغدادي ابن مفسر القرآن ت ١٣١٧ هـ ، طبعة دار البيان العربي - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م القاهرة .
٣٨. الجوهر الفريد في رد التثليث وإثبات التوحيد : أ/ أيوب بك صبري بن عبد الله ، طبعة المطبعة العامرة - الشرقية - الطبعة الأولى ١٣١٩ هـ القاهرة .
٣٩. دائرة المعارف الكتابية : تأليف وليم وهبة بباى ، ط / دار الثقافة - القاهرة - ١٩٩٦ م .
٤٠. خُلق المسلم : فضيلة الشيخ محمد الغزالي ، طبعة دار الدعوة ، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
٤١. دراسات في التوراة : أ/ عطية إبراهيم الشواذني ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
٤٢. دراسة في الأناجيل الأربعة : أ/ محمد السعدي ، طبعة دار الثقافة بقطر ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٤٣. دراسات في اليهودية : د/ محمود مزروعة ، طبعة دار الطباعة المحمدية ، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٤٤. شبهات النصارى وحجج الإسلام : أ/ محمد رشيد رضا ، طبعة دار المنار - الطبعة الثانية - ١٣٦٧ هـ .
٤٥. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية : د/ سعد الدين السيد صالح ، طبعة دار الصحابة - الإمارات ١٩٩٠ م .
٤٦. الفارق بين المخلوق والخالق : الباجة جي زادة البغدادي ت ١٣٣٠ هـ ، طبعة مكتبة الثقافة الدينية - تعليق د/ أحمد حجازي السقا ، طبعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٤٧. الفكر الديني اليهودي " أطواره ومذاهبه " : د/ حسن ظاظا ، طبعة دار القلم - دمشق ، الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٤٨. فلسطين في الميزان " ميزان العقل والمنطق والتوراة والقرآن " : د/ عابد توفيق الهاشمي ، طبعة مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
٤٩. في مقارنة الأديان " بحوث ودراسات " : أ.د/ محمد عبد الله الشرقاوي ، طبعة دار الجيل - بيروت ، مكتبة الزهراء - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
٥٠. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم : د/ مورييس بوكاي ، طبعة دار الفتح للإعلام العربي - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٥١. قصة الأديان " دراسة تاريخية مقارنة " : د/ رفقي زاهر ، الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٥٢. الكتاب المقدس : طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، الإصدار الثالث ٢٠٠١ م الطبعة الأولى .
٥٣. الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف : د/ يحيى ربيع ، طبعة دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
٥٤. الكثر المرصود في قواعد التلمود : د/ يوسف نصر الله ، طبعة دار القلم - الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
٥٥. الله واحد أم ثالث ؟ : د/ محمد مجدي مرجان ، الناشر دار النهضة العربية - القاهرة ، ١٩٧٢ م .
٥٦. ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ؟ : أ/ أحمد ديدات ، ترجمة أ/ إبراهيم خليل أحمد - طبعة دار المنار - الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
٥٧. محاضرات في مقارنة الأديان : أ/ إبراهيم خليل أحمد ، طبعة دار المنار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
٥٨. محاضرات في النصرانية : للإمام أبي زهرة ، طبعة دار الفكر العربي - ١٩٦١ م .
٥٩. محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن : أ/ إبراهيم خليل أحمد ، طبعة دار المنار - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
٦٠. محمد ﷺ في الكتاب المقدس : د/ عبد الأحد داود ، ترجمة فهمي شما ، مراجعة وتعليق أ/ أحمد محمد الصديق ، طبعة - بدون .
٦١. مدخل لدراسة الأديان : د/ صفوت مبارك ، طبعة بدون .
٦٢. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء : أ/ أحمد ديدات ، ترجمة علي الجوهري ، طبعة دار الفضيلة للنشر والتوزيع ١٩٨٩ م .
٦٣. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل : د/ عبد الكريم الخطيب ، طبعة دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٦٤. المسيحية : د/ أحمد شليبي ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٤ م .
٦٥. المسيحية الحقبة التي جاء بها المسيح " بين الالتزام والتحريف ودعوة الإسلام " : أ/ علاء أبو بكر ، طبعة مكتبة وهبة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
٦٦. المسيح في مصادر العقائد المسيحية : ل . م / أحمد عبد الوهاب ، مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٦٧. مشكلات العقيدة النصرانية : د/ سعد الدين السيد صالح ، طبعة دار الأرقم للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م .
٦٨. من دحرج الحجر ؟ : أ/ أحمد ديدات ، ترجمة أ/ إبراهيم خليل أحمد ، طبعة دار المنار - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٦٩. مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمجموعة من علماء المسلمين والنصرانية : طبعة دار الحديث - القاهرة ، مكتبة ابن خزيمة بالرياض ١٤١٢ هـ .
٧٠. المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سواجارت : تقديم د/ أحمد حجازي السقا ، طبعة مكتبة زهران - القاهرة .
٧١. مناظرة الهند الكبرى في علم مقارنة الأديان بين العلامة رحمة الله الهندي والقس بفندر : تقديم د/ أحمد حجازي السقا ، مكتبة الإيمان بالمنصورة .
٧٢. المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل : لأبي الفضل المالكي المسعودي ت ٩٤٢ هـ - تحقيق أ.د/ بكر زكي عوض ، مطبعة أولاد عثمان بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
٧٣. موقف ابن تيمية من النصرانية : د/ مريم عبد الرحمن عبد الله زامل ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - طبعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٧٤. النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام : ل . م / أحمد عبد الوهاب ، طبعة مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
٧٥. انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح : أ/ أحمد زكي ، طبعة دار الحداثة للطبع والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .
٧٦. النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتباً ومذاهب " دراسة وتحليل ومناقشة " : د/ مصطفى شاهين ، طبعة دار الاعتصام ، بدون .
٧٧. النصرانية والإسلام : المستشار / عزت محمد الطهطاوى ، طبعة مكتبة النور للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٧٨. النصرانية من التوحيد إلى التثليث : د/ محمد أحمد الحاج ، طبعة دار القلم - دمشق - الدار الشامية بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .



جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
الدراسات العليا

جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس
من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر
" عرض ونقد "

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية " الدكتوراه "
في أصول الدين والدعوة والثقافة الإسلامية

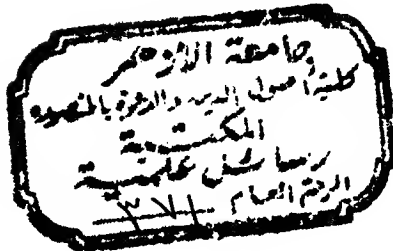
تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / عمارة نجيب محمد موسى
أستاذ الدعوة المنفرغ بكلية أصول الدين بالمنصورة

إعداد الباحث

رمضان مصطفى الدسوقي حسنين

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م



دعاء

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ، ولوجهك الكريم خالصاً
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت
وما أنت أعلم به مني .

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، والصلاة والسلام على خير البشر ، أشكر الله سبحانه
شكر العارفين وأدعوه دعاء الخاشعين ، بأن يرحم والديّ كما ربياني صغيراً ، اعترافاً
بفضلهما ، وإقراراً بحسن صنيعهما ، وأسأل الله العون على برهما .
ثم أتقدم بخالص الشكر والتقدير ، إلى أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة
أ.د / عمارة نجيب محمد
لما بذله معي من جهد ، جزاه الله عنى خير الجزاء وبارك الله له في علمه وأهله وولده
ومتعه بالصحة والعافية ، ونفع به طلاب العلم .. اللهم آمين .

فهرست الموضوعات

صفحة	اسم الموضوع
١	المقدمة
١١	التمهيد
١٢	مسيرة الحركة النقدية
١٦	العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد
٢٠	دوافع الدراسة النقدية
٢٥	موقف الإسلام من التوراة والإنجيل
٣٣	المصم الأول : عرض محتويات الكتاب المقدس ونقد سنده
٦٤٣٤	الباب الأول : الجهود النقدية وعرض محتويات الكتاب المقدس
٧٤	الباب الثاني : نقد سند الكتاب المقدس
٧٥	الفصل الأول : نقد سند العهد القديم
٧٦	المبحث الأول : نظرية تاريخية حول العهد القديم
٨١	المبحث الثاني : نقد الأسفار الخمسة
٩٨	المبحث الثالث : نقد سند بقية الأسفار
١٠٤	الفصل الثاني : نقد سند العهد الجديد
١٠٥	المبحث الأول : نظرية تاريخية حول العهد الجديد
١٠٩	المبحث الثاني : نقد سند الأناجيل الأربعة
١١٤	المبحث الثالث : نقد سند بقية أسفار العهد الجديد
١١٨	القسم الثاني : نقد متن الكتاب المقدس
١١٩	الباب الثاني : نماذج من نقد متن العهد القديم
١٢٠	الفصل الأول : نقد العقائد
١٢١	المبحث الأول : نقد أنواع التوحيد في العهد القديم
١٤٥	المبحث الثاني : نقد عقيدة الإيمان بالملائكة
١٥٢	المبحث الثالث : نقد موقف العهد القديم من الكتب المقدسة
١٦٣	المبحث الرابع : نقد عقيدة الإيمان بالنبوة والأنبياء
٢٠٧	المبحث الخامس : نقد عقيدة الإيمان باليوم الآخر

٢١٧	المبحث السادس : نقد عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر
٢٢١	المبحث السابع : نقد عقيدة أرض الميعاد
٢٣٥	الفصل الثاني : نقد التشريعات
٢٣٧	المبحث الأول : تشريعات خاصة بالطهارة والنجاسة
٢٤٤	المبحث الثاني : تشريعات خاصة بالكهنة والقرايين
٢٥٥	المبحث الثالث : تشريعات خاصة بالزواج والأسرة
٢٦١	المبحث الرابع : تشريعات خاصة بالجرائم والعقوبات
٢٦٨	المبحث الخامس : تشريعات خاصة بغير اليهود
٢٧٩	الفصل الثالث : نقد السلوكيات الأخلاقية
٢٨٣	المبحث الأول : المادية
٢٨٦	المبحث الثاني : العدوانية
٢٩٥	المبحث الثالث الانحلال الخلقي
٣٠٣	المبحث الرابع : الغدر والخيانة
٣٠٦	المبحث الخامس : الكذب والسرقه
٣١٠	الباب الثالث : نماذج من نقد متن العهد الجديد
٣١١	الفصل الأول : نقد العقائد
٣١٤	المبحث الأول : نقض عقيدة تأليه المسيح
٣٢٦	المبحث الثاني : نقض عقيدة بنوة المسيح
٣٣٢	المبحث الثالث : نقض عقيدة تأليه الروح القدس
٣٣٧	المبحث الرابع : نقض عقيدة التثليث
٣٥٧	المبحث الخامس : نقض عقيدة الحلول والاتحاد
٣٦٦	المبحث السادس : نقض عقيدة الصلب والفداء
٤٠٩	الفصل الثاني : نقد الشرائع والعبادات والأخلاق
٤١٠	المبحث الأول : الشرائع والعبادات
٤٢٤	المبحث الثاني : الأخلاق
٤٢٩	الخاتمة

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الدراسات العليا

جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس
من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر
" عرض ونقد "

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية " الدكتوراه "
في أصول الدين والدعوة والثقافة الإسلامية

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / عمارة نجيب محمد موسى
أستاذ الدعوة المتفرغ بكلية أصول الدين بالمنصورة

إعداد الباحث

رمضان مصطفى الدسوقي حسنين

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م



جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
الدراسات العليا

جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر " عرض ونقد "

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية " الدكتوراه "
في أصول الدين والدعوة والثقافة الإسلامية

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / عمارة نجيب محمد موسى
أستاذ الدعوة المتفرغ بكلية أصول الدين بالمنصورة

إعداد الباحث

رمضان مصطفى الدسوقي حسنين

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م



جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
الدراسات العليا
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم
رسالة دكتوراه

مقدمة من الباحث / رمضان مصطفى الدسوقي حسنين
وعنوانها : جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر
"عرض ونقد"
تم تصحيح الأخطاء ومراجعتها بمعرفة أعضاء لجنة الحكم والمناقشة وهم الأساتذة الفضلاء :

م	الاسم	الوظيفة	التوقيع
١	د. ا. / عمارة نجيب محمد	أستاذ الدعوة المتفرغ بالكلية (مشرفاً)	
٢	د. ا. / فرج إبراهيم محمد الوصيف	أستاذ ورئيس قسم الدعوة بالكلية (عضواً داخلياً)	
٣	د. ا. / حسن عبد الحميد حسن	عميد كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية (عضواً خارجياً)	

